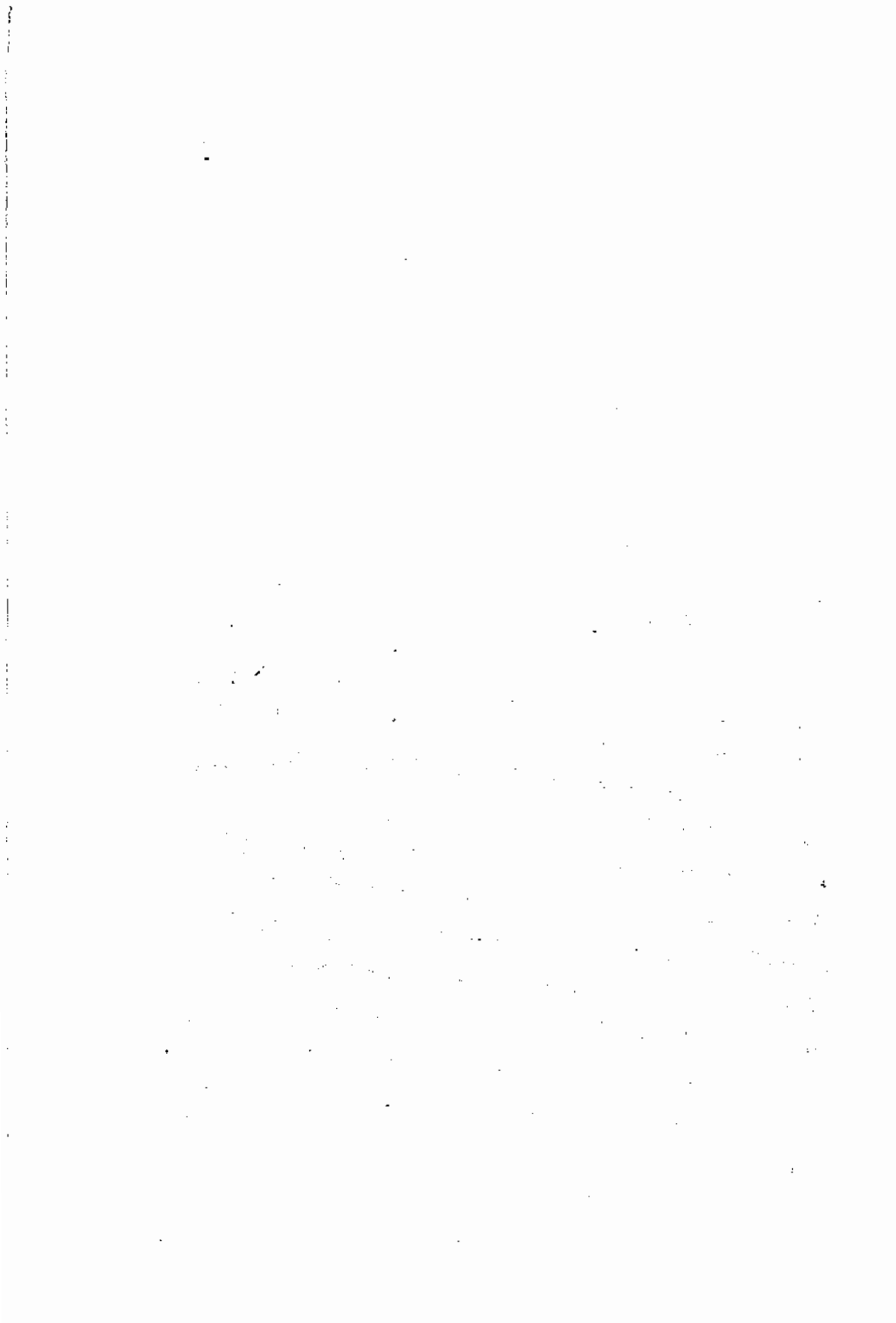




مجلة كلية الآداب

المجلد الخامس والأربعين العام الجامعي ٩٦ / ١٩٩٧

- الملاحم القصصية في كتاب الامتناع والمزانسة ورد مجدي مكاوي عزب
نقائض جرير والفرزدق « محاولة جديدة للتقويم » فوزي محمد أمين
الأعراض المرضية عند مراجعي المستشفيات النفسية في ضوء بعض المتغيرات
..... عبد الرحمن سليمان الطريبي
الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الاسلامية
الوسيلة غيثان بن علي بن جريس
الأوثنة البيطرية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والصحية علي مصر في عصر
اسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م فوزي السيد السيد المصري
آراء ابن خلدون في « ولاية العهد » بين النظرية والواقع التاريخي
..... عيد المنعم عبد الحميد سلطان
المخاطر المناخية علي الزراعة في واحة الأحساء محمد ابراهيم محمد حسن شرف
جوانب الدرس التصريفي للفظ (آية) ابو اوس ابراهيم الشعان
الشاعر الفقي ... السمات ... والمحطات جميل محمود هاشم مغربي
المرأة والتنمية بدولة الامارات العربية المتحدة موزة غباش
المعوقات الإدارية في مؤسسات الرعاية الاجتماعية بالملكة العربية السعودية
(دراسة ميدانية) عبد المحسن فهد السيف
تنمية المجتمع الريفي وطفل القرية المعوق « دراسة تحليلية عن دور المجتمع في رعاية
الطفل المعوق » أحمد مصطفى محمد خاطر
المرأة اليونانية هذا المخلوق الضعيف بين الموروث الحضاري وعلماء الطب .
..... سلوي محمود نصر



مجلة كلية الآداب مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور محمد عبد محجوب

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان مرافى

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بزمى مهران

أعضاء مجلس التحرير

أ.د. سعد زغلول عبد الحميد

أ.د. السيد عبد العاطى السيد

أ.د. عبد الرحمن محمد العيسوى

أ.د. عزيزة سعيد محمرد

أ.د. محمد على الكردى

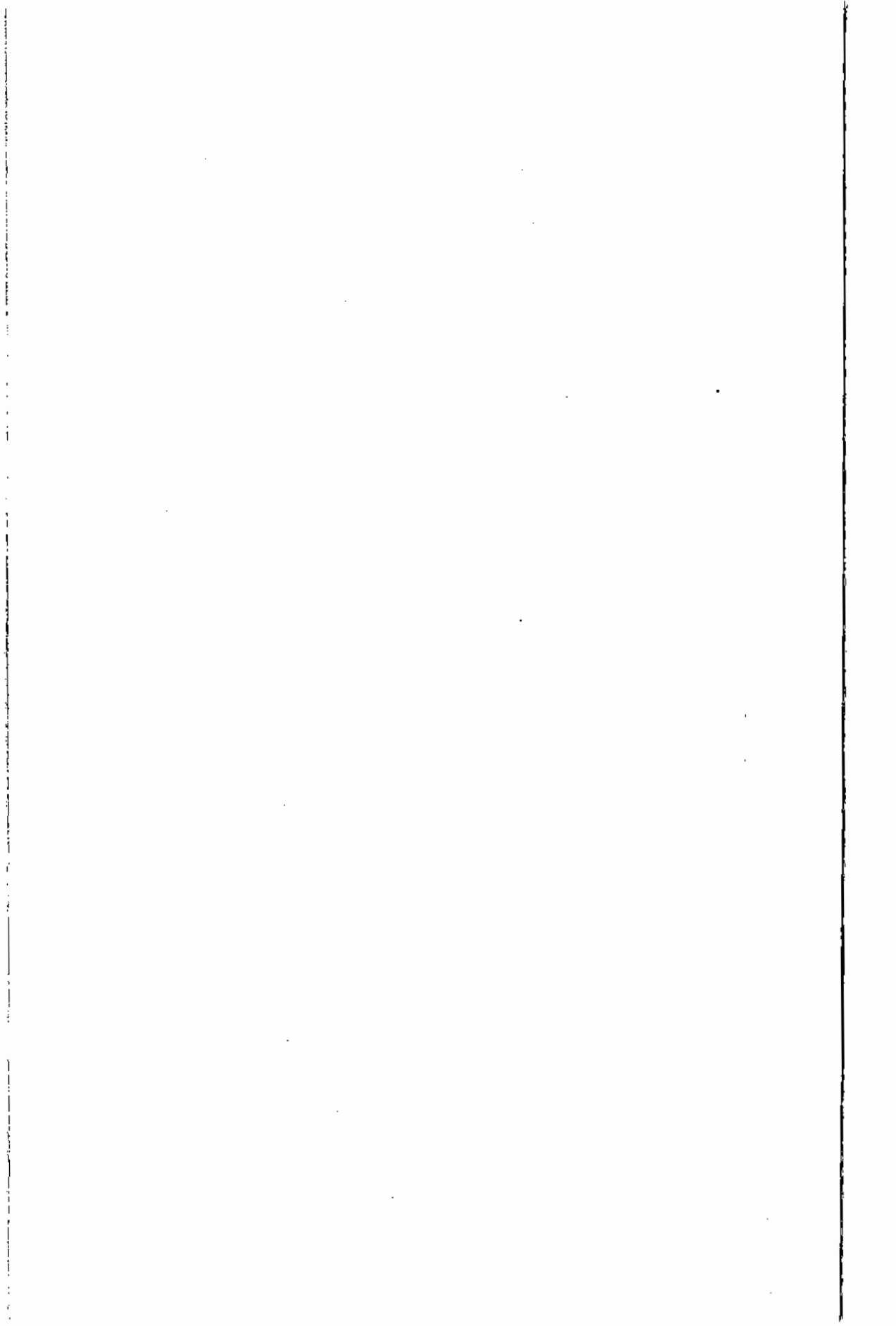
أ.د. محمد عبد المعز نصر

أ.د. محمد محمد حلمى هليل

أ.د. محمد محمرد السروجى

أ.د. نادية محمود عبد الله

السيدة / تسبى إبراهيم عبد الغنى (سكرتيرة المجلس)



تصدر « مجلة كلية الآداب » وأعداداتها محكمة من
كلية الآداب بجامعة الاسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث
مكتوبة على آلة الكتابة من ثلاث نسخ . ويجب ألا يزيد عدد
صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط
مكتوبة على آلة الكتابة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافى

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

القنطرة - الاسكندرية

جمهورية مصر العربية

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
	الملاح القصصية في كتاب الامتناع والموانسة .
١	د . ورد مجدي مكاوي عزب
	تقائض جرير والفرزدق « محاولة جديدة للتقويم » .
٤٧	د . فوزي محمد أمين
	الأعراض المرضية عند مراجعي المستشفيات النفسية في ضوء بعض المتغيرات
٧٧	د . عبد الرحمن سليمان الطريري
	الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الاسلامية الوسيطة .
١٢٩	د . غيشان بن علي بن جريس
	الأثرية البيطرية وآثارها الاقتصادية والاجتماعية والصحية علي مصر في عصر اسماعيل ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م .
١٦٣	د . قوزي السيد السيد المصري
	آراء ابن خلدون في « ولاية العهد » بين النظرية والواقع التاريخي
١٩٧	د . عبد المنعم عبد الحميد سلطان
	المخاطر المناخية علي الزراعة في واحة الأحساء .
٢٢٣	د . محمد إبراهيم محمد حسن شرف
	جوانب الدرس التصريفي للفظ (آية)
٢٧٣	د . ابو اوس ابراهيم الشعان
	الشاعر الفقي ... السمات ... والمحطات
٣١١	د . جميل محمود هاشم مغربي
	المرأة والتنمية بدولة الامارات العربية المتحدة
٣٤٩	د . موزة غباش
	المحوقات الإدارية في مؤسسات الرعاية الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية)
٣٨٩	د . عبد المحسن فهد السيف
	تمتية المجتمع الريفي وطفل القرية المعوق « دراسة تحليلية عن دور المجتمع في رعاية الطفل المعوق » .
٤٢٧	د . أحمد مصطفى محمد خاطر
	المرأة اليونانية هذا المخلوق الضعيف بين الموروث الحضاري وعلماء الطب .
٤٥٣	د . سلوي محمود نصر

Bobbie Ann Mason's In country : Vietnam , A Matrix For Personal and National History .	1
Dr . Nazek Adel Fahmy	13
The Dilemma of Pragmatics	
Dr. Goudah M. El Batanouny	
The Role of Intersentential Context in Resolving Lexica Ambiguity ; Implications for Current Models of lexical Access and Language processing	29
Dr. Hassan A . Taman	
The settlement Geography of Kuwait : A sociocutural and Historical Perspectives .	85
Dr. Waleed A. Al - Mnais	
Roman Alexandria Coins in the museum of faculty. of Arts , University of Alexandria .	129
Dr. Hussein Abdel - Aziz	

الملاحم القصصية في كتاب الإمتاع والمؤانسة

للأبي حيان التوحيدي

دكتورة / دهر محمد مكاوي مزي

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

ملخص:

يُعد كتاب الإمتاع والمؤانسة من أهم آثار أبي حيان إن لم يكن أهمها على الإطلاق؛ ولتأليف أبي حيان لهذا الكتاب قصة ممتعة ذلك أن أبا الوفاء المهندس كان صديقاً لأبي حيان و للوزير أبي عبد الله العارض- أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان- وزير صمصام الدولة البويهى ، فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير ووصله به، ومدحه عنده ، حتى جعل الوزير أبا حيان من سماره ؛ فسامره سبعاً و ثلاثين ليلة كان يحادثه فيها ، و يطرح الوزير عليه أسئلة فى مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان ، ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث ، وذكره بنعمته عليه فى وصله بالوزير... فاجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ... وفضل أن يدون ذلك فى كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق و جليل ... فوافق أبو الوفاء على ذلك ... وقد تزيد فيه أبو حيان و شق الحديث و اخترع أشياء لم تجر فى مجلس الوزير و قد قسم أبو حيان كتابه إلى أربعين ليلة فهو أشبه شىء بآلف ليلة وليلة، ولكنها ليست ليالى للهو والطرب وكيد النساء ، إنما هى ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء ... فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبداع تصوير الحياة الشعبية فى ملاحمها وفتننهاى عشقها ، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية ؛ كيف يبحثون ، وقيم يفكرون ، وكلاهما فى شكل قصصى مقسم إلى ليال ، وإن كان حظ الخيال فى الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه فى ألف ليلة وليلة^(١) والحقيقة أن الباحثين لم يلتفتوا إلى دراسة الفن القصصى فى كتاب الإمتاع والمؤانسة لهذا تحاول هذه الدراسة أن تكشف عن بعض الجوانب المظوية فى أدب أبي حيان لتؤكد أصالة فن القصص العربية فى أدبنا العربى ؛ ولا ريب أن دراسة المقومات

القصصية عند أبى حيان التوحيدي فى كتابه "الإمتاع والمؤانسة" جديرة أن تقف شاهداً على أصالة القصة العربية . وأن تضاف إلى الشواهد الأخرى للفن القصصى العربى التى نقتبسها فى كتب التراث ذات الملامح القصصية مثل المقامات ، ورسالة التوابع والزواج لابن شهيد الأندلسى ، ورسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وقصة حى بن يقظان لابن طفيل وغير ذلك .

ولا شك أن التأثيرات الغربية واضحة فى تطوير الفن القصصى العربى ، وهو تطوير ضرورى ومنطقى ، ولا يمكن للنظرة العلمية السليمة أن تتجاهله أو تغض من أهميته . على أننا ينبغى أن ننبه أيضاً إلى التأثيرات العربية الأصيلة التى أنضجت الفن القصصى الحديث . وهى تأثيرات بالغة الأهمية لأنها تنصل بالهوية العربية للقصة الحديثة . وليست محاولتنا تلك إلا واحدة من المحاولات لتأكيد تلك الهوية .

وسنحاول أن نبرز أهم الملامح القصصية فى كتاب "الإمتاع والمؤانسة" من خلال ما أطلقنا عليه مصطلح اللقطة ثم من خلال ما أطلقنا عليه مصطلح اللوحة .

اللقطة :

نعرض علينا أبو حيان أحياناً ما نستطيع أن نسميه باللقطة وهى عبارة عن مشهد سريع مضغوط يحتوى على بعض العناصر القصصية ومن أمثلة هذا اللون تلك اللقطة الطريفة التى أشار فيها إلى أوضاع العامة يقول على لسان الوزير : "حدثنى عما تسمع من العامة فى حديثنا قلت : سمعتُ (ببواب الطابق) قوماً يقولون : اجتمع الناس اليوم على الشط . فلما نزل الوزير ليركب المركب صاحوا وضجوا وذكروا غلاء القوت وعوز الطعام وتعذر الكسب وغلبة الفقر وتهتك صاحب العيال ، وأنه أجابهم بجواب مر مع قطوب الوجه وإظهار التبرم بالاستغاثه : بعد لم تأكلوا النخالة . فقال : والله ما قلت هذا ، ولا خطر لى على بال ، ولم أقابل عامة جاهلة ضعيفة جائعة بمثل هذه الكلمة الخشنة ، وهذا يقوله من طرح الشر ، وأحب الفساد وقصد التشنيع على . والإحاش منى (٢) .

وهذه اللقطة على صغر حجمها ذات دلالة تاريخية ، ومغزى اجتماعى فهى تصور لنا حدثاً وقع فى بغداد قبل ألف سنة ، ورغم أنها حدث قد يحدث فى أى عصر وفى أى مكان إلا أنها تصور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية إبان تلك الفترة فى تاريخ الأمة الإسلامية بما تفجر خلالها من أزمات تمثلت فى اشتداد الصراع على السلطة والتكالب على اقتناء الثروة . واللقطة ترسم لنا صورة لمظاهرة صاخبة قام بها جمهور من الكادحين الذين فشت فيهم البطالة وضائق عليهم الأرض بما رحبت ؛ فأصبح من العسير عليهم تأمين القوت ؛ ولم تقف الأمور عند هذا الحد فحسب بل طاحتهم أيضاً وطأة الغلاء ؛ ولما بلغت القلوب الحناجر كان لابد من حدوث هذا الانفجار الذى تمثل فى تجمعهم على شاطئ دجلة يرتقبون مرور الوزير حتى إذا ما لمحوه وهويهم بالعبور صرخوا فى وجهه مستنكرين تلك الأوضاع وما هم فيه من بؤس وشقاء وحرمان . والفريد فى تلك اللقطة أن أبا حيان التقطها واهتم بأمرها ؛ واستطاع بذلك شديد أن يستغل سؤال الوزير له ، فيذكرها على مسامعه منتهزاً فرصة تلك الساعة الثمينة ساعة الصفاء والمؤانسة التى جمعتهما ولباقة شديدة أشعر الوزير

بالحرج وأظهر تعاليبه و صلفه و خرقه الذى تمثل فى جوابه الأحمق المتعجرف للجماهير و بنفس الوقت يريد أبو حيان أن ينتقم لطبقة الفقراء و اليؤساء فهو يعاتب صاحب السلطة عتاباً خفياً و يلومه لوماً مستتراً و كأنه يريد الانتصاف لهؤلاء اليؤساء المعذنين فى الأرض الذين تعاطف معهم أبو حيان لسوء حاله و فقره و معاناته فهو يعد نفسه واحداً منهم ، ولا يهمننا أن يكون ما نُسب للوزير صحيحاً أم مجرد احتلال و افتراء لكن المهم هو أن الوزير شعر بالإحراج لذا فقد اضطر إلى إنكار تلك الحادثة و الاعتراف ببشاعتها مدافعاً عن نفسه بنسبتها إلى أعدائه الذين اعتادوا نسج الشائعات ضد و دأبوا التشنيع عليه . و تلك اللقطة تحتوى على مشهدين متقابلين متعاقبين الأول تلك المظاهرة التى قام بها حشد من المستضعفين فى الأرض و هم يمثلون القاعدة العريضة من الجماهير الكادحة . و الثانى يتجلى فى غطرسة الراعى و تعاليه على الرعية و قذفه لهم بخناجر القول المسموم فى حين كان يجب عليه أن يستمع إلى شكاوهم و أن يتلطف معهم و يرفق بهم و يعمل جاهداً على رفع الظلم عنهم ، فتلك اللقطة تعد وثيقة تاريخية ، و مشهد من المشاهد الحية على حياة الناس و أوضاعهم فى ظل بعض الحكام فى العصور الوسطى فقد كان أبو حيان بارعاً فى تصوير البيئة الاجتماعية و الاقتصادية تصويراً رائعاً واقعياً حياً على إيجازه عندما ذكر غلاء القوت ، عوز الطعام ، تعذر الكسب ، و غلبة الفقر ، مما يلقي الضوء على بعض العضلات الكبرى فى الدولة العباسية حيث أخذت فيها طبقة خاصة من الناس تسيطر على الثروات فى حين أن الغالبية العظمى من الشعب كانت تزرع تحت نير البؤس و الحرمان نتيجة عدم توافر العدالة الاجتماعية . و قد نجح أبو حيان فى رسم شخصية الوزير المتعجرف القاسى الظالم المستخف بآلام الرعية بلامحها الخارجية من قطوب الوجه ، و إظهار التبرم بالاستغناء و بلامحها الداخلية من خلال رده على اليؤساء ذلك الرد المشع ؛ و هناك أيضاً الشخصية الجماعية لجماهير الشعب الدائسة المعدة الكادحة المحرومة . إذن فتلك اللقطة على صغرها تحتوى على عناصر القصة من سرد و حوار و رسم لبعض ملامح الشخصيات و تصوير للبيئة السياسية و الاقتصادية

والاجتماعية أما عن مسرح اللقطة أى بيئتها المكانية فهى "باب الطاق" ببغداد على شاطئ دجلة .

ونرى فى كثير من اللقطات أو اللوحات التى يوردها أبو حيان أن هناك مغزى وراءها يرمى إليه ويبنى تحقيقه فليس الهدف منها فقط مجرد الإمتاع والمؤانسة بل الهدف أعمق والغاية أهم ويجب ألا ننسى دائماً أنه كان فليسوفاً فهو بهذا المعنى صاحب فكر يريد أن يطرحه كما رأينا فى اللقطة السابقة التى يهدف منها أن يلفت صاحب السلطة إلى معاناة الشعب فى محاولة منه للإصلاح ؛ وكما نرى فى تلك اللقطات المتتابعة التى يوردها التوحيدى فى الليلة الأربعين "لحاجة فى نفس يعقوب يريد أن يقضيها" ؛ واللقطة الأولى من هذه اللقطات يرويها أبو حيان على لسان أستاذه أبى سليمان المنطقى الذى كان كثيراً ما يستشهد بأقواله ويروى عنه . يقول "أجتمع رجلان : أحدهما يقول بقول هشام . والآخر يقول بقول الجوالقى . فقال صاحب الجوالقى لصاحب هشام : صف لى ريك الذى تعبد . فوصفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان ، فقال الجوالقى : أيسرك أن يكون لك وك بهذا الوصف ! قال : لا . قال : أما تستحى أن تصف ريك بصفة لا ترضاها لو ولدك فقال صاحب هشام : إنك قد سمعت ما نقول ، صف لى أنت ريك ؛ فقال : إنه جَعْدٌ قُلُوطٌ فى أتم المقامات وأحسن الصور والقوام . فقال صاحب هشام : أيسرك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطوؤها ؟ قال : نعم ، قال : أفما تستحى من عبادة من تحب مياضعة مثله !! وذلك لأن من أحب مياضعته فقد أوقع الشهوة عليه^(٢) . واللقطة الثانية تعقبها مباشرة وهى على لسان أبى سليمان أيضاً يقول : قال أبتلى غلام أعجمى بوجع شديد ، فجعل يتأوه ويتلوى ويصيح . فقال له أبوه : يا بنى اصبر و احمدا الله تعالى . فقال : ولما أنا أحمده ! قال لأنه ابتلاك بهذا ؛ فاشتد وجع الغلام ورفع صوته بالتأوه أشد مما كان . فقال له أبوه : ولم اشتد جزعك ! فقال : كنت أظن أن غير الله ابتلانى بهذا فكنت أرجوه أن يعافينى من هذا البلاء ويصرفه عنى . فأما إذ كان هو الذى ابتلانى به فمن أرجو أن يعافينى ! فالآن اشتد جزعى ، وعظمت مصيبتى^(٤) . واللقطة الثالثة تعقبها مباشرة

يروينا التوحيدى أيضاً على لسان أبى سليمان قال : "وحكى أيضاً أن رجلاً من العجم حج وتعلق بأستار الكعبة فطلق يدعو ويقول : يا من خلق السباع الضارية ، والبهائم العادية ، وسلطها على الناس ، وضربهم بالزمانة والعمى والفقر والحاجة ؛ فوثب الناس عليه وسبوه وزجروه وقالوا : ادع الله بأسعانه الحسنى . فأظنهم الندامة ، والتقارف فخلوا عنه بعد ما أرادوا الرقبة به ، فرجع وتعلق بأستار الكعبة ، وجعل ينادى : يا من لم يخلق السباع الضارية . ولا البهائم . ولا سلطها على الناس . ولم يضرب الناس بالأوحاع والأسقام . فوثبوا عليه أيضاً وقالوا له : لا تقل هذا فإن الله خالق كل شئ ؛ فقال : ما أدرى كيف أعمل ؟ إن قلت : إن الله خالق كل الأشياء وثبت على . وإن قلت : إن الله لم يخلقها وثبت على . فقالوا : هذا ينبغي أن تعلمه بقلبك ولا تدع الله به (٥)

وبعد أن تركنا لأبى حيان عرض اللقطات السابقة نستطيع القول إن اللقطات الثلاث فيها من الملامح القصصية السرد والحوار ورسم بعض ملامح الشخصيات بالإضافة إلى ما فى اللقطة الأولى من ملمح الوصف للذات الإلهية عند أهل الكلام . واللقطة الأولى فيها شخصيتان هما : شخصية صاحب الجواليقى ، وصاحب هشام وهما شخصيتان جبلتا على الجدل السفسطائى العقيم الذى لا طائل من ورائه ، وإن أنتج لا ينتج إلا السؤم والكدر ، وهاتان الشخصيتان تعدان شخصية واحدة فى حقيقة الأمر حيث إن معطيهما الفكرى غير مختلف فهما من المتكلمين أهل المراء والجدال الذين لا يستطيعون فهم كنه الذات الإلهية العليا فلا ينزهونها عن تلك الأوصاف فى حين أنه "ليس كمثله شئ" . أما اللقطة الثانية ففيها شخصية الأب وابنه الغلام الأعجمى و الأب رجل مؤمن عاقل مدرك ينصح ابنه بالصبر وحمد الله عند الابتلاء ، أما شخصية الابن فى شخصية ساذجة بكل ما تحمله كلمة الطفولة من براءة وعدم نضج ، وهى لقطة تنثير الضحك نتيجة تلك المفارقة والتناقض بين منطق الرجل المؤمن العاقل الرزين - الأب - وبين منطق الطفل الساذج البسيط - الغلام الأعجمى - وتصرف كل

شخصية من هاتين الشخصيتين مطابق تمام المطابقة لمقتضى حالها . ويعرض علينا أبو حيان تلك اللفظة ساخراً من المتكلمين فهو يرمز بشخصية الأب الحكيم إلى أهل الفلسفة الذين ينتمى التوحيدى إليهم فهم أصحاب فكر عتيق لذا فقد فهموا الذات الإلهية على حقيقتها وهذا واضح من نصيحة الأب لابنه ، أما شخصية الطفل تلك الشخصية المسلحة البسيطة الساذجة التى لا تتعمق فى الأشياء وهذا واضح من رد فعلها عندما عرفت أن الله هو الذى ابتلاها . فهو يرمز بها إلى المتكلمين أصحاب الفكر المحدود الذين عجزوا عن الغوص فى بواطن الأمور لفهمها على حقيقتها لذا فقد جهلوا الذات الإلهية وفشلوا فى الوصول إلى الحكم البالغة وراء أفعالها كما فعل ذلك الطفل . أما اللفظة الثالثة ففيها شخصية فردية هى شخصية الرجل الأعجمى ؛ وشخصية جماعية تمثل مجموعة من الناس كانت تؤدى المناسك وسمعت دعاءه عن طريق المصادفة ؛ والرجل الأعجمى شخصية بسيطة ساذجة تجهل آداب الدعاء ولذلك جعله أعجمياً فهو غير عربى قد لا تساعد لغته على التعمق فى أمور الدين وإجادة مناجاة الذات الإلهية وحسن مخاطبة المولى عز وجل ؛ وقد يكون حديث العهد بالإسلام فما زالت بعض الأمور كالمعميات بالنسبة إليه ، وهذه الأشياء كلها مبررات مقنعة لسلوك هذه الشخصية وتصرفها الذى يطابق مقتضى حالها ؛ وهى رمز للبسطاء أما الشخصية الجماعية فيرمز بها التوحيدى إلى مجموعة المتكلمين أصحاب الجدل الذين يفكرون بطريقة واحدة فهم فى حقيقة الأمر يعدون شخصية فردية لأن سلوكهم سلوك واحد إزاء الرجل الأعجمى ؛ ولأنهم أهل الجدل العقيم فقد تجادلوا وتشاحنوا ووثبوا عليه وسبوه وأرادوا الوقعة به يريدون منه أن يفكر بطريقة تتهم حنف أنفه قاصدين أن يسقطوا فكرهم عليه ولو بالقهر دون مراعاة للفروق الفردية بين البشر . وقد جعلهم أبو حيان يتجادلون فى الحج وفى أثناء الطواف والتعلق بأستار الكعبة وهذا شئ منهى عنه نهياً صريحاً لقوله تعالى : " لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج " وهذا التصرف منهم يعد دليلاً على عدم تعمق الإيمان فى قلوبهم لأنهم لم يتجنبوا ما نهى الله عنه وبدلاً من انصرافهم للعبادة والدعاء شغلوا بالمرء والخصومة ؛ كما يؤكد جهلهم

الشديد بالدين وشفغهم بالجدال و تعودهم عليه لدرجة أنهم لم يستطيعوا البعد عنه حتى فى ذلك الموقف العظيم ويصف التوحيدى هؤلاء المتكلمين فى تلك اللقطة بأنهم يتجادلون ثم يدللون ثم يختلفون ثم يرجعون إلى القول بأن الأدلة متكافئة وهذا ما جعل الرجل الأعجمى المسكين يحار ولا يستطيع فهم ما يريدون فقد دعا أول مرة لم يعجبهم دعاءه وأثبتوا خطاه ثم دعا مرة ثانية بعكس مادعا به أولاً فلم يعجبهم أيضاً و أثبتوا خطاه .

ولعلنا الآن قد وصلنا إلى المغزى الذى من أجله عرض علينا أبو حيان تلك اللقطات المتتابعة وهو ضيقه ذرعاً بالتكلمين الذين أكثروا من الجدل حول العدل والتوحيد حتى أصبحت مشكلة الذات الإلهية وصفاتها من أخطر المشاكل وأعظمها حيث شغلت أذهان العامة والخاصة على السواء فى تلك الفترة ؛ ومن خلال اللقطة الأولى يتضح لنا أن التوحيدى كان يؤمن باستحالة وصف الذات الإلهية. إن أبا حيان لم يستطع أبداً أن يكون رحب الصدر بالتكلمين وسر ذلك راجع إلى علاقته أولاً بأهل الحديث ، وميله إلى البساطة التى تبلغ بصاحبها منزلة الاطمئنان ، ثم إلى علاقته بعد ذلك بالفلسفة . وقد عادى أبو حيان الكلام مشتركاً مع رأى أساتذته المتفلسفين الذين بينوا له أن الجدل الكلامى ليس إلا شغباً وسفسطة . وأن السداد إنما يلحق بالفلسفة والقائمين عليها . وشيء آخر لابد أن نتنبه له وهو : أن أبا حيان ينتسب إلى مدرسة أبى سليمان المنطقى التى أنشأها يحيى بن عدى ، وهى مدرسة الفلسفة الإلهية التى كانت ترى الفصل بين الفلسفة والدين ، ولا ترضى الجمع بينهما وتعتقد أن لكل مجاله الخاص فى النفس الإنسانية^(٦) . إذن مغزى أبى حيان واضح من خلال اللقطات السابقة وهو مهاجمة المتكلمين أهل الجدل والسفسطة و إبداء رأيه فيهم لذا فقد بدأ اللقطة الأولى بقول أبى سليمان : "ولصلحة عامة نُهى عن المراء والجدل فى الدين على عادة المتكلمين الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين . وهم فى غاية العداوة للإسلام والمسلمين ، وأبعد الناس من الطمأنينة واليقين" . وختمها بقوله : "هذا من

شؤم الكلام ونكد الجدل . فلو كان هناك دين لكان لا يدور هذا في وهم ولا ينطق به لسان^(٧) . وعلق على اللقطة الثالثة بقول أبي سليمان : " وهذا أيضاً من شؤم الكلام وشبه المتكلمين الذين يقولون : لا يجوز أن يُعتقد شيء بالتقليد ، ولا بد من دليل ، ثم يدللون ويختلفون ، ثم يرجعون إلى القول بأن الأدلة متكافئة^(٨) . "

وهناك أيضاً لون من اللقطات الطريفة أوردها التوحيدى فى الليالى التى تحدث فيها عن أمر الطعام والمطعمين ونوادير البخلاء والطفيليين ؛ ولم يكن من المستغرب على رجل مثل التوحيدى عانى مرارة الفقر ويلات الجوع أن يقبل على تلك النوادر وأن يرحب بالاستماع إلى أحاديث الطعام والمعدة^(٩) وهو يعلل إقباله على الكتابة فى هذا الباب بعد كل ما كتبه فيه الجاحظ فيقول : " إن الجاحظ قد أتى على جمهرة هذا الباب إلا ما شذ عنه مما لم يقع إليه فإن العالم - وإن كان بارعاً - ليس يجوز أن يظن به أنه قد أحاط بكل باب ، أو بالباب الواحد إلى آخره . على أنه قد حدث منذ عهد الجاحظ إلى وقتنا هذا أمور واهيات وهنات ، وغرائب وعجائب^(١٠) . ورغم أن أبا حيان عُرف بانتماؤه إلى الجاحظ وتأثره به إلا أن هذا لا يعنى فقدان الابتكار^(١١) . ومن أروع اللقطات التى أوردها أبو حيان فى تلك الليالى هذه اللقطة التى جاءت على لسان أبي الحسن قال : " كانت لى ابنة تجلس معى على المائدة فتبرز كفاً كأنها طالعة ، فى ذراع كأنها جمارة ، فلا تقع عينها على أكلة نفيسة إلا خصتنى بها ، فزوجتها ، وصار يجلس على المائدة ابن لى ، فيبرز لى كفاً كأنها كرنافة فى ذراع كأنها كربة ، فوالله إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها^(١٢) . "

وهذه اللقطة يظهر لنا فيها من سمات الفن القصصى السرد ورسم بعض ملامح الشخصيات والتخييل ؛ فقد رسم لنا أبو حيان شخصيتين متناقضتين وهذا واضح من خلال تصرف كل منهما مستعيناً بعنصر الخيال والتصوير ؛ شخصية الابنة البارة بأبيها المحبة له التى تؤثره على نفسها ، أما الشخصية الأخرى فهى على نقيضها وهى شخصية الابن الجشع الشجع المحب للطعام ، بل المحب لنفسه فهى تتسم بالأنانية

والطمع وإيثار الذات على الآخرين حتى لو كان الأب فقد انعدم فيها البعد الإنساني واختفى فلم يعد له وجود أمام شراستها وحبها للطعام . وقد استعان أبو حيان بالخيال على تجسيد الشخصية . فكف البنت العطوفة المعطاءة التي تقدم لأبيها الأكل النفيس وتخصه به كأنه ثمر النخل في ذراع كأنه قلب النخلة الذي يخرج منه الثمر والسعف وتموت بقطعه (١٣) . أما الابن الشره الأناني فكفه في خشونتها وغلظتها وجفافها وعدم عطائها كأنه أصل السعف الذي يبقى في جذع النخلة في ذراع طويل كأنه السعف نفسه . لذا فهو يستطيع بسهولة ويسر الوصول بسرعة إلى أي لون من ألوان الطعام على المائدة مهما كان بعيداً . وقد نجح السرد نجاحاً باهراً وخاصة حين جسد شخصية الابن "قوالله إن تسبق عيني إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده إليها" حيث عبر عن سرعة يد الابن التي فاقت لح بصر أبيه أروع تعبير .

و من اللقطات البارعة أيضاً التي احتوت على بعض عناصر الفن القصصي تلك اللقطة التي أوردها التوحيدي في الليالي نفسها التي تحدث فيها عن أمر الطعام والمطعمين ونوادير البخلاء . وهي تذكرنا بطريقة الجاحظ التي تغلب عليها روح المرح وخاصة في كتابه "البخلاء" . يقول أبو حيان : "ضم عثمان بن رواح السفرور فبقاً له . فقال له الرفيق : امض إلى السوق فاشتر لنا لحماً قال : والله ما أقدر . قال : فمضى الرفيق واشترى اللحم ثم قال لعثمان : قم الآن فاطبخ القدر . قال : والله ما أقدر . فطبخها الرفيق . ثم قال : قم الآن فاترد . قال : والله إنى لأعجز عن ذلك . فترد الرفيق . ثم قال : قم الآن فكل . فقال : والله لقد استحبيت من كثرة خلافي عليك . ولولا ذلك ما فعلت (١٤) " . فاللقطة فيها الحدث والحوار والخاتمة الطريفة التي تحقق الانبيار . فيها التركيز الرائع على رسم شخصية عثمان ذلك الرجل الكسول البخيل حتى بالمجهود والذي لا يظهر إلا حين ينثر الحب معللاً بذلك وخفة روح سبب موقفه الإيجابي حين دعى لتناول الطعام وهو استحيائه من موقفه السلبي ثلاث مرات حين دعى للبذل وهي مفارقة ظريفة تثير الضحك .

ومن اللقطات الطريفة أيضاً فى هذا الباب تلك اللقطة التى أوردها أبو حيان على لسان ابن أسادة ، قال : كان عندنا -يعنى بأصفهان- رجل أعمى يطوف ويسأل ، فأعطاه مرة إنسان رغيفاً ، فدعاه وقال : أحسن الله إليك ، وبارك عليك ، وجزاك خيراً ، ورد غربتك ، فقال له الرجل : ولما ذكرت الغربة [فى دعائك] وما علمك بالغربة ؟ [فقال لى ها هنا عشرون سنة ما ناولنى أحد رغيفاً صحيحاً]^(١٥) . والملاح القصصية واضحة فى تلك اللقطة من سرد وحوار ورسم لبعض ملامح الشخصية وخاتمة طريفة تثير الضحك ، وقد أبدع أبو حيان فى الحوار وفى رسم شخصية السائل الذكى الذى استنتج بذكائه الحاد استنتاجاً ثبتت صحته وهو أن ذلك الرجل الذى أعطاه الرغيف كاملاً رجل غريب برغم ضالة العطاء ؛ فهو مجرد رغيف كامل ولم يقل لحماً أو ثريداً أو ولكنه بالقياس إلى ضالة عطاء أهل تلك المدينة على مدى عشرين عاماً يعد كرمأ لم يألّفه السائل لذا فقد دعا للرجل أربع دعوات متتالية وهذا هو الإبداع فى الحوار مما يؤكد فرحته البالغة بالرغيف ولا شك أنه يجسم شخصية أهل تلك البلدة ومدى بخيلهم وحرصهم وشحهم .

وهناك بعض اللقطات ليس فيها من الملاح القصصية سوى السرد وتصوير بعض ملامح الشخصيات أو وصف البيئة سواء أكانت بيئة فكرية أم عقلية أم اجتماعية ونلاحظ هذا اللون بخاصة فى الليلة الثامنة والعشرين التى تحدث فيها عن طرب بعض مستمعى الغناء ، وأسماء المغنين والمغنيات والشعر الذى تغنوا به ؛ ومنها تلك اللقطة التى يصف فيها طرب الجراحى أبى الحسن عند سماعه لغناء شعلة وقد فى هذه اللقطة يصف شخصية أبى الحسن وصفاً خارجياً ثم ينتقل لوصفها وصفاً داخلياً يقول : " ولا طرب الجراحى أبى الحسن مع قضائه فى الكرخ ورداءه المحشى ، وكمّيه المغدّرين ووجنتيه المتخلجتين ، وكلامه الفخم ، وإطراقه الدائم ؛ فإنه يغمز بالحاجب إذا رأى مرطاً ، وأمل أن يقبل خدأ وقرطاً ؛ على غناء شعلة :

لا بد للمشتاق من ذكر الوطن *** واليأس والسلوة من بعد الحزن

وقيامته تقوم إذا سمعها ترجع في لحنيا :

لو أن ما تبتليني الأحداث به *** يلقي على الماء لم يشرب من الكدر
فهناك ترى شيبة قد ابتلت بالدموع ، وفزادا قد نزا إلى اللبنة ، مع أسف قد ثقب
القلب ، وأوهن الروح ، وجاب الصخر ، وأذاب الحديد ، وهناك ترى والله أهداق
الحاضرين باهتة ، ودموعهم متحدرة ، وشيبتهم قد علا رحمة له ، ورقة عليه ،
ومساعدة لحاله ، وهذه صورة إذا استولت على أهل مجلس وجدت لها عدوى لا تملك ،
وغاية لا تدرك ، لأنه كلما يخلو إنسان من صيبة أو صباية ، أو حسرة على فائت ، أو فكر
فى متمنى ، أو خوف من قطيعة ، أو رجاء لمتنظر ، أو حزن على حال ، وهذه أحوال
معروفة ، والناس منها على جديلة معروفة^(١١) . ولم يكتف أبو حيان فى تلك اللقطة
بوصف شخصية فردية خارجياً وداخلياً وتصوير رد فعلها وانفعالاتها تجاه سماع
غناء الجارية بل وصف أيضاً الشخصية الجماعية وهى من حضر معه من المستمعين و
رد فعلهم فى أثناء الغناء تجاه انفعالات أبى الحسن وتأثرهم لحاله ويبدو أبو حيان
فى تلك اللقطة محلاً نفسياً بارعاً إذ حلل عدوى التأثير التى تسبب عادة على تلك
المجالس نتيجة لطبيعة النفس البشرية وما تكن فى أعماقها من مشاعر دفينه
ورغبات مكبوتة تكاد تكين واحدة ولذا فقد حدث التجاوب وغمرت الجميع تلك
الانفعالات الواحدة التى استولت على أهل المجلس .

ونجد أن أبا حيان التوحيدى فى تلك اللقطات يصف أحياناً شخصية السامع
وانفعالاتها إزاء سماعها الطرب وأحياناً شخصية المغنى وهذا ما فعله عند حديثه عن
طرب أستاذه أبى سليمان المنطقى عند سماعه غناء الصبى الموصلى فقد اكتفى
بالإسهاب فى وصف شخصية الغلام وبدأها بالوصف الخارجى ثم وصف ما بداخلها
من رغبات وإنه يمثل هذه الصورة الخارجية والداخلية قادر على التأثير وفتنة
السامعين . يقول : " ... ولا طرب أبى سليمان المنطقى إذا سمع غناء هذا الصبى
الموصلى العربى النابغ الذى قد فتى الناس وملا الدنيا عيارة وخسارة ، واقتضح به

أصحاب النفسك والوقار . وأصناف الناس من الصغار والكبار ، بوجهه الحسن ،
وتغرده المبتسم ، وحديثه الساحر ، وطرقه الفاتر ، وقده المديد ، ولغظه الحلو ، ودله
الخلوب ، وشمعه الملمع ، وإطماعه الممتع وتشكيكه فى الوصل والنجر ، وخلطه الإباء
بالإجابة ، ووقوفه بين لا ونعم ، إن صرحت له كنى ، وإن كنى له صرح ... ؛ فحاله
حالات ، وهدايته ضلالت ، وهو فتنة الحاضر والبادى ... (١٧) * وربما كان اكتفاؤه
برسم شخصية الغلام وعدم تعرضه لتصوير رد فعل أبى سليمان وانفعالاته عند سماعه
للصبي الموصلى راجعاً لاحترامه الشديد لشخصية أستاذه فهو لا يريد أن يرسمها رسماً
يخرجها عن وقارها واكتفى بالإشارة إلى طريقها لحظة إنصاتها للغلام . وفى بعض
الأحيان الأخرى نجد أبا حيان فى تلك اللقطات الخاصة بالغناء والمغنين والمغنيات
يكون أكثر ميلاً إلى الوصف ، واستقراء وضع الشخص وردود أفعاله عندما يستميله
الطرب ؛ ومنها تلك اللقطة التى يصف فيها ابن فيم الصوفى فى أثناء استماعه إلى
جارية ابن المغنى واسمها "نباية" وهى تستودع الله فى بغداد فيقول : "فإنه إذا سمع
هذا منبأ ضرب بنفسه فى الأرض ، وتمرغ فى التراب وهاج وأزبد ، وتعفر شعره ؛ و
هات من رجالك من يضبطه ويمسكه ، ومن يجسر على الدنو منه ، فإنه يعض بنبابه ،
ويخمش بظفره ، ويركل برجله ويخرق المرقعة قطعة قطعة ، ويلطم وجهه ألف لكمة
[فى ساعة] ، ويخرج فى العباءة كأنه عبد الرازق المجنون صاحب الكيل فى جيرانك
بباب الطاق (١٨) * . إنه يصف انفعالات الشخصية الداخلية إثر تأثرها بالطرب ،
وهذه الانفعالات التى انعكست وطلعت على السطح الخارجى متمثلة فى حركات تلك
الشخصية ترجمة لما يحدث فى أعماقها لحظة الطرب ، وتعبير عن رد فعلها إزاء
سماعها لغناء الجارية فقد خرجت الشخصية عن وعيها لذا أخذت تنصرف تلك
التصرفات التى لا تصدر إلا عن مجنون ذهب عقله فهو لا يدري ما يفعل . والملاحظ هنا
أن التوحيدى يحاطب معارفه "حيرانك بباب الطاق" فهو على معرفة تامة بالسكان
وأحوالهم ومحاسنهم ملماً إلاماً تاماً بأحوال بغداد وبأصناف الناس وربعاتهم من
منصوفة و سناك و حلعاء ملمحاً إلى ظاهرة الشدود الجسسى تلك الآفة المزرية التى

شاعت في بغداد . وغيرها من مدن العراق وخاصة في وصفه لأحوال المستمعين ووصفه بحركات المغنين وأحاديثهم وملابسهم حيث كانوا يتزينون بزى النساء . إذن نستطيع القول إن هذه اللقطات الخاصة بالطرب التي وردت في الليلة الثامنة والعشرين فيها من الملامح القصصية إضافة لعنصر السرد ووصف الشخصية وصف البيئة سواء أكانت بيئة فكرية أو اجتماعية كما رأينا وكما سنرى في هذه اللقطة التي وصف فيها "طرب أبى طاهر بن المقتنى المعدل على علوان غلام ابن عرس فإنه إذا حضروا لقي إزاره ، وحل أزواره ، وقال لأهل المجلس : اقترحوا واستفتحوا فإبنى ولدكم بل عبدكم لأخذمكم بفنائى وأساعدمكم على رخصى وغلاى ؛ من أرادنى مرة أردته مرات . ومن أحببنى رياء أحببته إخلاصاً ، لم أبخل عليكم بحسنى وظرفى ، ولم أنفـس بهم عليكم . وإضا خلقت لكم فلا يبقى من الجماعة أحد إلا ويتبض عرقه . ويهش فؤاده ، ويذكو طعمه ، ويفكه قلبه ، ويتحرك ساكنه ، ويتدغدغ روحه ، ويومئ إليه بقبـلته ، ويغمره بطرفه ، ويخصه بتحبة . ويعدده بعطية فيرى ابن المقتنى وقد طار في الجو ، وحلق في السكاك ، ولقط بأنامله النجوم ؛ وأقبل على الجماعة بفرح الهشاشة ، ومرح البشاشة ، فيقول كيف ترون اختياري وأين فراستى من فـراسة غيـرى ، أبى الله إلا ما يزيننى ، ولا يشيننى ، ويزيد فى جمالى ، ولا ينقص من حالى ...؛ هات يا غلام ذلك الثوب الديبقي وذلك البرد الشطوى ، وذلك الفروج الرومى ، وتلك السكة المحلبة ، والبخور المدخر فى الحقة ، وهات الدينار الذى فيه مائة مثقال أهداه لنا أمس أبو العلاء الصيرفى فإنه يكفيه لنفقة أسبوع ؛ ما أحسن سـكته ، وأحلى نقشه ؛ ما رأيت فى حسن استدارته شبيهاً ، وعجل لنا يا غلام ما أدرك عند الطباخ ؛ من الدجاج والفراخ ؛ والبوارد والجوزيات وترايين المائدة؛ وصل تلك بشراء أقراط وجبن وزيتون من عند كـيل البقال فى الكرخ . وقطائف حبش ، وقالودج عمر ، وفقاع زريق ، ومخلط خراسان من عند أبى زنبور ، ولو كنا نشرب لقلنا : وشراب صريقين من عند ابن سـورين^(١٨) فقد بدأ اللقطة بوصف محاسن الغلام ومشاعره مستغنياً فى سرد مايقوله وما يفعله ويظهر هنا فى تلك اللقطة بالإضافة إلى ما ذكرناه من ملامح

قصصية ملمح الحوار ماثلاً فى حديث الفتى للجمهور وهو حوار من طرف واحد ثم ينتقل أبو حيان لوصف شخصية المستمعين لهذا الغلام ورد فعلها وتصوير انفعالاتها بعد سماعه ؛ ثم ينتقل لوصف شخصية أبى الطاهر المقنعى ومدى تأثرها بسماع الفتى مستعينا بعنصر التخيل [طار فى الجو ، خلق فى السكاك ، لقط بأنامله الخجوم] ليعبر عن شدة فرحته بغناء علوان ثم يعود للحوار ذى الطرف الواحد المائل فى حديث أبى طاهر لأهل المجلس ؛ ذلك الحديث الذى صور البيئة الاجتماعية وعبر عنها أصدق تعبير حيث وصف التوحيدى على لسان أبى طاهر عادات زمنه وتقاليده المغتربين والسامعين وما يدور فى مثل تلك المجالس ، وأنواع الملابس والثياب وأسماءها ، والبخور والعطور وروائحها ، واللوان الطعام والشراب وتزيين موائدها ، العملة وجمال شكلها وروعة صناعتها لدرجة أنه ذكر اسم الصيرفى الذى يسك الدنانير ؛ وذكر من أسماء الباعة الكثير وهكذا ... نلاحظ فى تلك اللقطات التى أوردها التوحيدى والخاصة بالحديث عن الغناء أنها مليئة بالصبر وحركة الشخصيات وتحولات الحال وأوضاع الحياة الجنسية والاجتماعية وغيرها فى تلك الفترة الزمنية .

ويبدو أن أبا حيان كما لاحظنا كان مولعاً برسم رد فعل الشخصية وانفعالاتها ففي هذه اللقطة التى يومئ فيها للملح من ملامح شخصية صاحب بن عباد الذى كان يبغضه التوحيدى يصور رد فعله تجاه كلمات المديح والإطراء التى كان يكيلها له من حوله من المنافقين الذين يكثرون حول أصحاب السلطة طمعاً فى نيل الرضا والعتاء وهم يبالغون فى امتداحه قائلين : "قد استدرك مولانا على الخليل فى العروض ، وعلى أبى عمرو بن العلاء فى اللغة ، وعلى أبى يوسف فى القضاء فتراه عند هذا الهذر وأشباهه يتلوى ويتبسم ، ويطيير فرحاً ويتقسم ويقول : ولا كذا ؛ شرة السبق لهم ، وقصرنا أن نلحقهم ، أو نقفوا أثرهم ونشق غبارهم أو نرد غمارهم . وهو فى كل ذلك يتشاكى ويتحايل ، ويلوى شدة ، وبتلع ريقه ، ويرد كالآخذ ، ويأخذ كالمتنعم ، ويغضب فى عرض الرضا ، ويرضى فى لبوس الغضب ، ويتهالك ويتمالك ، ويتقابل ويتمايل ،

ويحاكى المومسات ، ويخرج فى أصحاب السماجات ، ومع هذا كله يظن أن هذا خاف على نقاد الأخلاق وجباينة الأحوال^(٢٠) ولا شك أن أبا حيان قد برع فى تصوير رد فعل صاحب بعد سماعه لهذا الثناء الكاذب فهو يأتى بحركات حمقاوات تدل على التيه والخبلاء والفرح بما يسمعه من هذا اليزد والهراء وهو يقول كلمات يظهر فيها لئلاء المنافقين رغبته فى أن يقتصدوا فى مديحه ولكن باطنها هو الحث على الإكثار منه ؛ ويظهر التواضع والاعتراف بأفضلية هؤلاء العلماء وسبقهم ولكنه توأضع مزيف فهو ممثل بارع إلا على نقاد الأخلاق وجباينة الأحوال الذين يكتشفون حقيقته بكل سهولة ويسر برغم أن غباءه يجعله متصوراً أن هذا خاف عليهم ، أما حركاته البهلوانية التى تشبه حركات المومسات فقد عمد إليها أبو حيان عمداً لكى يقدمه إلينا فى صورة هزلية ساخرة .

ثانياً : اللوحات القصصية :

نقصد بمصطلح اللوحات القصصية تلك القصص القصيرة التى تحتوى كل لوحة منها على ملامح القصة بصورة أوفر من اللقطة علاوة على وجود قاسم مشترك يربط هذه اللوحات فى الليلة الواحدة كالحديث عن الطعام والمطعمين ونوادير البخلاء والطفيليين . وكذلك اللوحات التى وردت فى الليلة التى تحدث فيها عن أمر الاتفاق وهو الأمر الذى يبدو من غير جنان ، والعارض الذى يبرز من غير توهم . وقد اخترنا من بين اللوحات الخاصة بالحديث عن الطعام والمطعمين تلك اللوحة التى يحكى لنا فيها التوحيدى قصة ذلك الرجل الذى عشق جارية رومية ، واتخذ هذا العشق وسيلة لابتزازها^(٢١) وأول ملمح من الملامح القصصية توافر فيها هو عنصر السرد أو الحدث " وعشق رجل جارية رومية كانت لقوم نوى يسار . فكتب إليها يوماً : جُلبتُ فدأك ، عندي اليوم أصحابي . وقد اشتبهت سكباجة بقرية فأحب أن توجئى إلينا بما يعمننا ويكفيها منها فلما وصلت الرقعة وجيت إليه بما طلب . ثم كتب إليها يوماً آخر : فدتك نفسى ، إخوانى مجتمعون عندي ، وقد اشتبهت قلية جزورية فوجئى بها إلى وما يكفيننا من النبيذ والنقل " فالمقدمة تروى عشق الرجل للجارية التى تحمل

لدى قوم ذوى يسار ثم ينمو الحدث شيئاً فشيئاً ، فالعاشق يطلب منها طعاماً له ولأصحابه فتلبى طلبه ، ثم يعود مرة أخرى ويطلب فتلبى طلبه ، ثم يشتد الحدث فيصل إلى قمته حين طلب للمرة الثالثة " قد اشتهيت أنا وأصحابي رؤوساً سماناً ، فأحب أن توجئى إلينا بما يكفيننا ، ومن النبيذ بما يروينا " ثم تأتى الخاتمة بعد أن ، تأزم الموقف " فكتبت الجارية عند ذلك : إني رأيت الحب يكون فى القلب ، وحبك هذا ما تجاوز المدة . "

وهى خاتمة فنية إذ نلمح فيها لمحة فنية حيث كتبت أسفل الرقعة :

عذيرى من حبيب جا	عنا فى زمن الشدة
وكان الحب فى القلب	فصار الحب فى المدة

ومع توافر عنصر السرد هناك أيضاً الحوار وهو هنا ليس شفوياً بل هو حوار كتابى عن طريق المراسلة يدور بين العاشق المزيف وبين الجارية التى يفترض أنها محبوبته ، ومن خلال هذا الحوار تكشف الأبعاد النفسية والعقلية لكل شخصية . وهناك شخصية ثالثة جماعية هى أصحاب العاشق المزيف ولكنها هامشية اتخذها الرجل وسيلة لتحقيق مآربه فيورجل جشع ثم محتال مخادع صاحب مشاعر مزيفة تجاه الجارية يحتال ليستغلها فى إرسال الطعام له تحت شعار الحب ، وهو رجل مادى كل شئ ، عنده يقاس بالمائة " إخوانى مجتمعون عندى ، وقد اشتهيت قلبية جزيرية فوجئى بها إلى وما يكفيننا من النبيذ والنقل ، ليعرفوا منزلتى عندك " فكان منزلته عندها تقاس بما تقدمه له من عطاء مادى ، أما الجارية فهى ذكية استطاعت بذكائها أن ترفع قناع المحب الزائف وتظهره عارياً فحبه ليس حباً لها بل هو حب فى الحقيقة لمعدته . ورغم أن الجارية كانت محبة لهذا الرجل بدليل استجابتها لمطالبه مرتين إلا أنها عقلانية لم تعم عاطفتها بصيرتها وتجعلها تنصاع لذلك الرجل المستغل وتبدو الجارية شخصية مثقفة فيما ورد على لسانها من شعر . ويستغل أبو حيان اللغة ليعمق إحساسنا بالشخصية فيخرج من لغة التقرير إلى اللغة الدعائية كصورة أخرى من صور الحوار التى يبدأ بها الرجل كل طلب من الثلاثة وهى على التوالى " جعلت فداك "

"فدلتك نفسى" " جعلت فذاك " فهو ينصب شراك احتياله بهذا الدعاء المعسول أما عن عنصر الواقعية فيظل مرهوناً بما عرصته القصة من أساطير للمأكل " سكباجة بقرية " "قلية جزيرية" " رؤساً سمناً " "نقل" ، والمشرّب " نبيذ " والأواني " دستجة " كما تتجلى تلك الواقعية فى تعريته لذلك النمط البشرى المحتال الذى يعيش على أرض الواقع . ونحن نلمح فى تلك القصة أو بعبارة أدق شبه الأقصوصة خيطاً رفيعاً من العلاقة بيننا وبين فن المقامة التى ابتدعها بديع الزمان الهمذانى الذى ينتمى هو وأبوحيان التوحيدى لعصر واحد هو القرن الرابع فقد ولد التوحيدى نحو عام ٢١٠ هـ على وجه التقريب^(٢٢) أما بديع الزمان فقد ولد عام ٣٥٨ هـ^(٢٣) فتلك اللوحة جعل فيها التوحيدى البطل يستخدم الحيلة والذكاء والدهاء للحصول على الطعام كما هو الحال فى معظم المقامات كما أنها تكشف جوانب من الحياة الاجتماعية فى القرن الرابع الهجرى فى توضح وجود الطبقة فى المجتمع فهناك ذوى اليسار وأصحاب الجوارى وهناك الفقراء أمثال العاشق المزيف الذى يحتال للوصول إلى الطعام ، كما تلمح فيها روح الفكاهة والدعابة الماثلة فى الشعر الذى جاء فى الخاصة علاوة على ما فيه من تضمين . ونلاحظ أيضاً استخدام التوحيدى للسجع [فأحب أن توجىئ إلينا بما يكفيننا ، ومن النبيذ بما يروينا] وتعدد أساليب الصياغة عنده للتشويق وجذب المستمع . وكذلك الهدف من المقامة فى المقام الأول جذب الجمهور والسيطرة عليه وإبهاره . فربما كانت هذه اللوحة وأشباهها البذرة الأولى لنشأة المقامة .

أما عن اللوحات التى تتعلّق بالمصادفة فد عرض علينا التوحيدى فى الليلة السابعة والعشرين أكثر من لوحة يجمعها قاسم مشترك هو هذا الأمر . واللوحة الأولى^(٢٤) يبدؤها أبوحيان بمقدمة " حكى لنا أبو سليمان فى هذه الأيام أن بيودسيوس ملك يونان كتب إلى كنتس الشاعر أن يروده بما عنده من كتب فلسفية . فجمع ماله فى عيبة ضخمة وارنخل قاصداً نحوه " ثم يتصاعد الحدث وينمو فنصل إلى العقدة " فلقى فى تلك العادية قوماً من قطاع الطريق . فطعموا فى ماله وهموا بقتله

ويتأزم الموقف " فتحير ويظهر ميئاً وشمالاً يلتبس معيئاً فلم يجد " ويشهد الأمر حرجاً وتأزماً " فرفع رأسه إلى السماء . فرأى كراكي تطير فى الجو محلقة . فصاح : أيتها الكراكي الطائفة . قد أعجبنى المعين والناصر . فكونى الطالبة بدمى . والأخذ بتأري وبعد هذا التأزم ينفجر الحدث بقتل كنتس ثم تأتى الخاتمة " فلما اتصل الحديث بأهل مدينته حزنتوا وأعظموا ذلك . وتبعوا أثر قتاله واجتهدوا فلم يُغنوا شيئاً ولم يفخوا على شىء ؛ وحضر اليونانيون ؛ وأهل مدينته إلى هيكليهم لقراءة التسابيح والذاكرة بالحكمة والعظة . وحضر الناس من كل قطر وأوب . وجاء القتل واختلطوا بالجمع . وجلسوا عند بعض أساطين الهيكل ؛ فهم على ذلك إذ همت بهم كراكي تتناغى وتصيح . فرفع اللصوص أعينهم ووجههم إلى البواء ينظرون ما فيه فإذا كراكي تصيح وتطير . وتسد الجو . فتصاحكوا . وقال بعضهم لبعض : هؤلاء طالباو دم كنتس الجاهل . على طريق الاستهزاء - فسمع كلامهم بعض من كان قريباً منهم فأخبر السلطان فأخذهم وشدي عليهم . وطالبهم فأقروا قتله . فقتلهم ؛ فكانت الكراكي المطالبة بدمه

وقد ظهر بجانب عنصر السرد فى تلك اللوحة عنصر الحوار ؛ فهناك حوار بين الشاعر واللصوص . وبين الشاعر والكراكي . ثم قيماً بين اللصوص بعضهم البعض . وقد تعاقبت لغة السرد بلغة الحوار فما الحدث وتساعد كما رأينا بصورة سريعة ؛ وقد أبرز التوجيهى بعض ملامح الشخصيات من شخصية الشاعر المسالم الذى رحل بمفرده بلا حرس ولا رقيب . إلى جانب أنه شخصية محبوبة كما كشفت الأحداث يشتمع بشعبية هائلة . وأيضاً شخصية قطاع الطريق المعروفة بالخسة فالغاية عندهم تبرز الوسيلة حتى لو كانت وسيلتهم للحصول على المال هى القتل على ما فيه من وحشية وإجرام . أما شخصية أهل المدينة أى الشعب اليونانى فهو شعب مثقف صاحب حضارة يعشق الشعر ويعرف للشعراء قدرهم فقد حسد التوحيدى مدى حبه للشاعر عندما صير مدى حربهم حين وصلهم الدبا . أما السلطان الذى أصر على الأخذ بشار الشاعركنتس فهو رجل محب للشاعر وللشعر وللعلم والفلسفة حريص على تطبيق العدالة والانتقام من

الليصوص وللقصّة أكثر من بيئة مكانية . فمسرّح الأحداث أولاً كان البادية تم انتقل بها إلى المدينة . ثم إلى النيكل . ثم انتقلنا إلى ديوار السلطان . أما عن الرمان فهي الماضي القديم رمز حكم ثيوديسيوس . ووسط هذه العناصر القصصية المتداخلة بين أبطال وأحداث ولغة حوار وسرد يطفو على السطح الحس التاريخي لدى أبي حيان التوحيدي حيث يرسم بريشته لوحة متعددة المناظر تعيد إلى أذهاننا صورة الماضي البعيد لبلاد اليونان بشعرها وفلسفتها وحكمتها ومعتقداتها وتجّمع اليونانيين بيهيكائهم لقراءة التسابيح والذاكرة بالحكمة والعظة . بالإضافة إلى عنصر التخيل وهو عنصر مهم للغاية الذي يتضح في مخاطبة الشاعر للكراكي وهنا نقرأ لنا صورة ابن المقفع الذي أنطق الطير والحيوان واتخذهم رموزاً ؛ وبعد أن نحلق بخيالنا مع الشاعر كنّتس وهو مخاطب الكراكي نهبط لأرض الواقع فتتجلى لنا الواقعية من خلال تصوير أبي حيان للمع من تاريخ اليونان كما تظهر الواقعية في غلبة اللغة التقريرية التي تتفق مع أسلوب القص لمزيد من البيان والإيضاح وفيما عدا تلك الأساليب : أسلوب النداء ، " فصاح : أيتها الكراكي الطائرة ، قد أعجزتني" وأسلوب الأمر " فكوني الطالبة بدمي ، والأخذة بتأري" التي توضح سوء حال الشاعر وعجزه وضعفه تظل لغة أبي حيان تقريرية على ما فيها من محسنات نادرة كالسجع " فرفع رأسه إلى السماء ، ومد طرفه في الهواء " والطباق " فتحير ونظر يميناً وشمالاً " . وقد نجح التوحيدي في جذب القارئ فعنصر التشويق نتج من طبيعة السرد والحوار إذ إن بين الحل وبين الخاتمة سردياً وحوارياً احتل المساحة الكبرى من الأقصوصة بالقياس إلى بقية أجزائها على قصرها " وأخذوا ماله فقتلهم " وهكذا يظل القارئ مشدوداً لآخر كلمة في الخاتمة ليعرف هل تم القبض على قطاع الطريق ونالوا جزاءهم أم لا ؟

أما عن اللوحة الثابتة التي تتعلق أيضاً بالمصادفة فاهم ملمح مر : للامه القصصية بها نحاس السرد والحوار والأبطال والمقدمة والعقدة والحل والخاصه هو عنصر الوصف . وهي عبارة عن قصة واقعية أبطالها هم الراوي وهو بنفس الوقت النطل

فشخصية الراوى والبطل هنا قد اتحدتا ، وهناك أيضاً شخصية -جماعية هي مجموعة رفقائه من الصوفية ، ومسرح الأحداث هو البادية ، أما الزمان فهو صفر سنة أربع وخمسين وتبدأ اللوحة ^(٢٥) بمقدمة : " وكنت فى البادية فى صفر سنة أربع وخمسين ومعى جماعة من الصوفية ، فلحقنا جهد من عوز القوت وتعذر ما يمسك الروح فى حديث طويل - إلا أننا وصلنا من زبالة - بالحيلة اللطيفة منا ، والصنع الجميل من الله تعالى - إلى شىء من الدقيق ، فانتعشت أنفسنا به ، وغنمناه ، فزأيناه نفحة من نفحات الله تعالى الكريم ؛ فجعلناه زادنا ، وسرنا ؛ فلما بلغنا المغزل قعدنا لنمارس ذلك الدقيق ، ولقطنا البعر ودقاق الحطب - ثم تظهر الأزمة - فلما أجمعنا على العجن والملك لم نجد الحراق - وكان عندنا أنه معنا ، وأننا قد استظفرتنا " .

ثم يبدأ أبو حيان فى وصف ما اعتراه من حم وغم وألم وتعيب وجوع وسهر ظهرت آثاره على ملامحهم الخارجية والداخلية أى وصف ما بداخلهم من إحباط وحسرة وإجهاد ارتسم على وجوههم ؛ ولا شك أن هذا الوصف يساعده على تصعيد الأزمة ، وتضخيم حجم المشكلة ، كما أنه جدير بلفت النظر بقول : " فخلقنا حيرة شديدة ، وركبنا غم غالب ، وسفقتنا من ذلك الدقيق شيئاً ، فما ساع ولا قبلته الطبيعة ، وبقينا ليلتنا طاوئين ساهرين ، قد علانا الكمد ، وملكنا الوجوم والأسف ؛ فقال بعضنا : هذا لما وجدنا الدقيق؟! وأصبحنا وركبنا قد استرخت ، وعيوننا قد غارت ، وأحدنا لا يحدث صاحبه غماً وكرهاً ؛ وعدنا إلى ما كنا فيه قبل بزبالة حسرة من النظر إلى الدقيق ؛ وقال صاحب لنا : نرمى جراب الدقيق [حتى نلقى حمله ونقله فى طول هذا الطريق] ؛ فقلنا : ليس هذا بصواب ، وما يضرنا أن يكون معنا ، فلعلنا أن نرى ركباً أو نلقى حطباً ؛ وكانت البادية خالية فى ذلك الوقت ، لرعب لحق قوما من بنى كلاب من جهة أعدائهم ، فلم يكن يجتاز بها [فى ذلك الوقت] غريب . وبقينا كذلك إلى اليوم الثالث ، ونحس نلاحق ونجاهد فى المشى " وقد امتزج الوصف بالحوار الجماعى وتعاونوا على تحسيد العقدة كما كشف الحوار عن شطين من الشخصية ، شخصية أحد الأصحاب وهى يانسة فرأت رمى جراب الدقيق للتخفف من حمله ، وأما الشخصية الأخرى فهى

بقية الرفقاء وهى متفائلة مازال الأمل يعيش بداخلها لذا فقد اعترضت على رمى الجراب عليهم يروى ركباً أو يلقون حطباً علاوة على أن الكل يتمتع بقوة الإرادة والعزيمة والصبر والتحمل فقد وصلوا الرحلة متعبين . إن أبا حيان الذى ينتمى للمتصوفة يريد أن يلقى الضوء على ما تتمتع به تلك الجماعة - جماعة الصوفية - من إيمان وتقوى فكل هذا قد لاقوه فى طريق عودتهم من الحج، كما يبرز مدى جلدتهم ومثابرتهم . ثم يأتى الحل " فلما كان العصر من ذلك اليوم كنت أسير أمام القوم أجراهم وأسألهم ، وكنت كالحاطب لهم : " إذا عثرنا بحراق وظفرنا بفتيلة " فوجدوا خرقة ملفوفة فيها حراق ، فهللوا وكبروا ، ورفعوا أصواتهم ؛ فقلت كالتعجب : ما الخبر ؟ قالوا : البشرى . قلت : وما ذاك ؟ قالوا : هذه خرقة ملئت حراقاً ، فلا تسلم عما دهانا من الفرح والاستبشار؛ وثاب إلينا من السرور والارتياح ، وزال عنا من الانخدال والانكسار " . ثم نصل للخاتمة يقول : " وقعدنا فى مكاننا ذلك ، ولقطننا البعر ، وأثرنا الوقود ، وأججنا ناراً عظيمة ، وملكنا الدقيق كله ملكة واحدة وكان أربعين رطلاً ، وكان ذلك بلاغنا إلى القادسية ؛ فلما دنونا منها تلقانا بشر من أهلنا وقالوا لنا : كيف سلمتم فى هذه الطريق مع العوز والخوف ؟ فقلنا : لطف الله يقرب كل بعيد ، ويسهل كل شديد ، ويصنع للضعيف حتى يتعجب القوى " .

وهكذا نرى أن اللوحة السابقة غنية بالوصف، ثرية بالمشاهد ؛ فهى تحتوى على أربعة مشاهد ؛ المشهد الأول يصور انتعاشهم بحصولهم على الدقيق ؛ وممارستهم له . ولقطنهم البعر ودقاق الحطب ؛ وإجماعهم على العجن والملك . والمشهد الثانى يصور عدم حصولهم على الحراق وما امتزاهم من غم وهم وأسف وإحباط وجوع وتعب فإذا بركبهم قد استرخت وعيونهم قد غارت وعلاهم الصمت حزناً وكرباً وحسرة تزداد مع النظر إلى الدقيق، والمشهد الثالث يصور البادية وهى خالية إلا منهم وهم يجاهدون فى السير ثم يصور عثورهم على الحراق وظفرهم بفتيلة ويرسم ما علا وحوشهم من الفرح والاستبشار والسرور والارتياح وقد عبروا عن ذلك الفرح بالتكبير والتبجيل فالمشهد الثالث على

النقيض تماماً من الشهيد الثانى فقد زال ما كانوا فيه من انكسار، أما الشهيد الرابع
 فيصور لقلوبهم للبحر وإثارتهم الوقود وتأجيجهم ناراً عظيمة وملوكهم الدقيق كله ملكة
 واحدة . أما اللوحة الثالثة^(٢٦) التى أوردتها التوحيدى فى امر الاتفاق فيبدوها بمقدمة
 قائلاً " اصطحب رجلان فى بعض الطرق مسافرين مجوسى من أهل الرى ، وآخر
 يهودى من أرض جى ؛ وكان المجوسى راكباً بغلة له عليها سفرة من الزاد والنفقة
 وغير ذلك ، وهو يسير مرفهاً وادعاً واليهودى يمشى بلا زاد ولا نفقة ؛ فبينما هما يتحادثان
 إذ قال المجوسى لليهودى : ما مذهبك وعقيدتك يا فلان ؟ قال اليهودى : أعتقد أن فى
 هذه السماء إلهاً هو إله بنى إسرائيل ، وأنا أعبد وأقدس وأضرع إليه ، وأطلب فضل ما
 عنده من الرزق الموسع والعمر الطويل ، مع صحة البدن ، والسلامة من كل آفة ،
 والنصرة على عدوى . وأسأله الخير لنفسى ولن يوافقنى فى دينى ومذهبي ، فلا أعيا بمن
 يخالفنى ، بل أعتقد أن من يخالفنى دمه لى يحل وحرام على نصرته ونصيحته والرحمة
 به . ثم قال للمجوسى : قد أخبرتك بمذهبي وعقيدتى وما اشتمل عليه ضميرى ، فخيرنى
 أنت أيضاً عن شأنك وعقيدتك وما تدين به ربك ؟ فقال المجوسى : أما عقيدتى ورأى
 فهو أنى أريد الخير لنفسى وأبناء جنسى ، ولا أريد لأحد من عباد الله سوءاً ، ولا أثنى
 له ضرراً . لا لموافقى ولا لمخالفى . فقال اليهودى : وإن ظلمك وتعدى عليك ؟ قال : نعم ،
 لأنى أعلم أن فى هذه السماء إلهاً خبيراً عالماً حكيماً لا تخفى عليه خافية من شئ ، وهو
 يجزى المحسن بإحسانه ، والمسىء بإساءته . فقال اليهودى : يا فلان لست أراك تنصر
 مذهبك وتحقق رأيك . قال المجوسى : كيف ذاك ؟ قال : لأنى من أبناء جنسك ، ويشر
 مثلك ، وترانى أمشى جائعاً نصياً مجهوداً ، وأنت راكب وادع مرفه شبعان . فقال :
 صدقت ، وماذا تبغى ؟ قال : أطمعنى من زادك وأحملنى ساعة ، فقد كللت وضعفت ،
 قال نعم وكرامة فنزل ومد من سفرته وأطعمه وأشبعه ، ثم أركبه ، ومشى ساعة
 بحدته ؛ " وبعد تلك المقدمة تتجلى لنا العقدة " فلما ملك اليهودى البغلة وعلم أن
 المجوسى قد أعيا ، حرك البغلة وسبقه ، وجعل المجوسى يمشى ولا يلحقه ، فناداه :
 يا فلان قف لى وانزل فقد انحسرت وانبهرت فقال اليهودى : ألم أخبرك عن مذهبي

وخبرتني عن مذهبك ، ونصرته ، وحقيقته ؟ فأنا أريد أيضاً أن أحقق مذهبي . وأنصر رأيي واعتقادي وجعل بحرك البغلة . والمجوسى يقفوه على ظلع وينادى قف با هذا واحملنى . ولا تتركنى فى هذا الموضع فيأكلنى السبع وأموب ضياعاً ، وارحمنى كما رحمتك . واليهودى لا يلوى على ندائه واستغاثته ، حتى عاب عن بصره فلما يثس المجوسى منه وأشفى على الهلكة ، ذكر اعتقاده وما وصف به ربه ، فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلهى قد علمت أنى اعتقدت مذهباً ونصرته ، ووصفتك بما أنت أهله ، وقد سمعت وعلمت ، فحقق عند هذا الباغى على ما مجدتك به ، ليعلم حقيقة ما قلت . "فبستجيب الله لدعائه " فما مشى المجوسى إلا قليلاً حتى رأى اليهودى وقد رمت به البغلة ، واندقت عنقه . وهى واقفة ناحية منه تنتظر صاحبها فلما أدرك المجوسى بغلته ركبها ومضى لسبيله . وترك اليهودى معالجاً لكرب الموت " ثم تصل للخاتمة " فناداه اليهودى : يا فلان ، ارحمنى واحملنى ولا تتركنى فى هذه البرية أهلك جوعاً وعطشاً . وأنصر مذهبك ، وحقق اعتقادك فرحمه المجوسى وحمله معه حتى وافى المدينة..... وقال بعض الناس للمجوسى [بعد] : كيف رحمتك بعد خيانتك لك ؟ وبعد إحسانك إليه . قال المجوسى : اعتذر بحاله التى نشأ فيها . ودأب عمره فى اعتقادها ، وسعى لها واعتادها ، وعلمت أن هذا شديد الزوال عنه . وصدقته ورحمته ، وهذا منى شكر على صنع الله بى حين دعوته عندما دهانى منه ، وبالرحمة الأولى أعاننى ربى . وبالرحمة الثانية شكرته على ما صنع بى . وقد ركز التوحيدى فى تلك اللوحة على رسم بعض من ملامح شخصية اليهودى بما فيها من غدر وخيانة وخسة ونذالة وتعصب شديد لأبناء جنسها مع كراهية أشد لغيرها وصلت إلى حد إباحة دمائهم ؛ ونستطيع القول إن أبا حيان قد صور شخصية اليهودى كما وردت فى بعض الآداب سواء أكانت عربية أم أجنبية . كما نرى ذلك على سبيل المثال فى المسرحية الشهيرة التى كتبها شكسبير بعنوان " تاجر البندقية " حيث جسد شخصية اليهودى بحسبها ونذالتها كأروغ ما يكون التجسيد . ويبرر تساؤل ملح يفرص نفسه بدور حول شخصية المجوسى فى اللوحة السابقة ألا وهو كيف يجعل أبو حيان التوحيدى - المجوسى

تتقدم بأخذهم و صلب بعضهم وإحراق بعضهم وتخريق بعضهم ، فإن العقوبة إذا
اختلعت كان الهول أشد . واليبية أقشأ ، والزجر أنجع ، والعامه أخوف . فقال
المعتضد - وكان أعقل من العيرير - : والله لقد بردت ليهيتب غضبي بفورتك هذه ،
وبقلتني إلى اللين بعد الغلظة ، وحططت على الرفق ، من حيث أشرت بالخرق ، وما
علمت أنك تستجيز هذا في دينك وهديك و مروءتك ، ولو أمرتك ببعض ما رأيت
بعقلك وحزمك لكان من حسن المؤازرة ومبذول النصيحة والنظر للرعية الضعيفة
الجاهلة أن تسألني الكف عن الجول ، وتبعثنى على الحلم ، وتحبب إلى الصفح
وترغبني في قفل الإغضاء على هذه الأشياء . وقد ساءنى جهلك بحدود العقاب ، وبما
تقابل به هذه الجرائر ، وبما يكون كفؤاً للذنوب ، ولقد عصيت الله بهذا الرأي ودلت
على قسوة القلب وقلة الرحمة ويُس الطينة و رقة الديانة ، أما تعلم أن الرعية وديعة
الله عند سلطانها ؟ وأن الله يسأله عنها كيف سُئِنَتْها ؟ ولعله لا يسألها عنه . وإن
سألها فليؤكد الحجة عليه منها ؛ ألا تدري أن أحداً من الرعية لا يقول ما يقول إلا لظلم
لحقه أو لحق جاره ، و داهية نالته أو نالت صاحباً له ؟ لا والله ما الرأي ما
رأيت ، ولا الصواب ما نكرت ، و جنة صاحبك وليكن ذا خبرة ورفق ، ومعروفاً بخير
و صدق ، حتى يعرف حال هذه الطائفة ، ويقف على شأن كل واحد منها في معاشه ،
وقدر ما هو منقلب فيه ومنقلب إليه ، فمن كان منهم يصلح للعمل فعلقه به ، ومن
كان سيئ الحال فصله من بيت المال بما يعيد نضرة صحته ، ويفيده طمأنينة باله ؛
ومن لم يكن من هذا الرهط ، وهو غنى مكفى ، وإضا يخرجه إلى دكان هذا التبان البطر
والزهو ، فادع به ، وانصحه ، ولاطفه ، و قل له : إن لفظك مسموع ، وكلامك مرفوع ؛
ومتى وقف أمير المؤمنين على كنهه ذلك منك لم تجدك إلا قى عرصة المقابر ، فاستأنف
لنفسك سيرة تسلم بها من سلطانك ، وتحمد عليها عند إخوانك ، وإياك أن تجعل
نفسك عظة لغيرك بعد ما كان غيرك عظة لك فإنك يا عبيد الله إذا فعلت ذلك فقد
بالعب في العقوبة ، و ملك طرفي المصلحة ، وقمت على سواء السياسة ، و نجوت من
الحويد والمأثم في العاقبة قال وفارق الوزير حضرة [الخليفة] . وعمل بما أمر به

يتصرف وكأنه مسلم حسن الإسلام برغم وثنيته؟! ويرغم أن هذا الأمر يثير الدهشة إلا أننا نستطيع تفسير ذلك بقولنا إنه ربما يكون التوحيدى قد أسقط شخصيته هو كمسلم على المجوسى وبنفس الوقت أراد أن يبرز ما بداخل اليهود من شر لدرجة أن المجوسى الوثنى أفضل من ذلك اليهودى الذى يعبد الله على حرف .

ومن اللوحات القصصية أيضاً هاتان القصتان اللتان وردتا فى الليلة الرابعة و الثلاثين و دارتا حول شغف الرعية بجميع مستوياتها واهتمامها البالغ بتتبع أسرار الحاكم و قد مهد للوحتين بمقدمة طويلة تشمل شكوى الوزير من هذا الشغف و التماسه النصيحة بعد أن أعيتته الحيلة ؛ و لا يبخل التوحيدى بتقديم الدواء من خلال تلك اللوحتين الأولى على لسان شيخه أبى سليمان ، أما الثانية فهى على لسان شيخ صوفى ، و قد بدأ اللوحة الأولى بالإشادة بحكمة أبى سليمان و كثرة تجاربه و فضله ؛ و حبه للدولة و إشفاقه عليها من كل هبة و دبة ليكون ذلك من الأمور التى تقنع الوزير بتقبل تلك النصائح و العمل بها ، ثم يقدم لتلك اللوحة بمقدمة طويلة على لسان أبى سليمان توضح الصورة المثلى لما تنبغى أن تكون عليه العلاقة بين الحاكم و الرعية ؛ و أن الحاكم لا ينبغى عليه أن ينزعج من اهتمام العامة و لئجها بتعرف حال سائسها ؛ و الناظر فى أمرها ، و المالك لزماتها ؛ فهى تغفل ذلك حتى تكون على بيان من رفاة عيشها و طيب حياتها ... ثم يبدأ فى عرض اللوحة قائلاً (٢٧) : " و حكى لنا أبو سليمان فى عرض هذا الكلام أنه رُفِعَ إلى الخليفة المعتضد أن طائفة من الناس يجتمعون [بباب الطاق و يجلسون] فى مكان شيخ تبان ، و يخوضون فى الفضيل و الأراجيف و فنون من الأحاديث ، و فيهم قوم سراة و ثناء و أهل بيوتات سوى من يسترق السمع منهم من خاصة الناس ، و قد تغافم فسادهم و إفسادهم ، فلما عرف الخليفة ذلك ضاق ذرعاً ، و خرج صدىراً ، و امتلاً غيظاً ، و دعا بعبيد الله بن سليمان . و رمى بالرفيعة إليه و قال !نظر فيهما و تفهمهما ففعل ، و شاهد من تريد وجه المعتضد ما أزعج ساكر صدره . و شرد ألف صبره ، و قال قد فهمت يا أمير المؤمنين قال فما الدواء ؟ فإز

على الوجه اللطيف ، فعادت الحال ترف بالسلامة العامة ، والعافية التامة ؛ فتقدم إلى الشيخ التبار برفع حال من يقعد عنده حتى يواسى إن كان محتاجاً ، ويُصْرَفُ إن كان متعطلاً ، ويُنصح إن كان متعللاً . وهكذا بعد أن استعرضنا اللوحة السابقة نستطيع أن نقول إن أبرز ما فيها من ملامح القصة تحديد المكان فهو باب الطاق ، والزمان فهو زمن حكم المعتضد ، وعنصر الحوار الذى استطعنا من خلاله تحديد بعض من ملامح شخصية المعتضد ووزيره عبيد الله بن سليمان ، فالمعتضد حكيم ذكى بعيد النظر كما أنه حلیم عطوف يتقى الله فى رعيته ، فى مقابل شخصية وزيره الذى يلجأ إلى القسوة فى التعامل مع الرعية ؛ وهو إنسان طائش لا يحسن تقدير الأمور ؛ والتوحيدى فى اللوحة السابقة يصف الحياة السياسية أيام الخليفة المعتضد وحسن معاملته للرعية ؛ ولا شك أن هذه القصة لها علاقة بالواقع التاريخى حيث أجمعت كتب التاريخ على أن المعتضد كان وافر العقل ؛ وكان شهماً جليداً ، فقام بالأمر أحسن قيام ؛ وكانت أيامه كثيرة الأمن والرخاء ، وكان قد أسقط المكوس ونشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية ، وفى أيامه سكنت الفتن وصلحت البلدان واستقامت له الأمور ورخصت الأسعار^(٢٨) . ولأن أباحيان كان يطمح لمركز سياسى مرموق يتفق ومكانته الأدبية والفكرية ولكن أحلامه لم تتحقق فقد باءت كل محاولاته بالفشل فأحس بالإحباط وبأن سوء الحظ قد غمر علاقته بذوى السلطان فلم ينل الخطوة لذييم ؛ وكلما اتصل حبل الود بينه وبين أحدهم سرعان ما ينقطع وتحول العلاقة بينهما إلى عداوة وقطيعة كما حدث بينه وبين ابن العميد ، ثم بينه وبين صاحب بن عباد ؛ ولأنه لم يستطع أن يحقق مجداً على خريطة الواقع السياسى فلم يلعب الدور الذى كان يتمنى أن يقوم بأدائه على مسرح الحياة السياسية فليحقق طموحاته وأحلامه وأمجاده من خلال عالمه الرحيب عالم الفن والأدب وليجعله الفتنرة التى يعبر عليها ليسقط رؤيته السياسية بطريقة غير مباشرة ناصحاً الوزير وموضحاً له كيف تكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة سوية

ثم ينتقل أبو حيان للوحة الثانية التي يرودها على لسان شيخ صوفي قال "كنت بنيسابور سنة سبعين وثلثمائة ، وقد اشتعلت حراسان بالفتنة ، وبطلت دوله آل سامان بالجور و طول المدة ، فلجأ محمد بن إبراهيم صاحب الجيش إلى قايين ، وهى حصنه ومعقله ، وورد أبو العباس صاحب جيش آل سامان بنيسابور بعدة عظيمة ، وعدة عميمة ، وزينة فاخرة ، وهينة باهرة ، وغلا السعر ، وأخيفت السبل ، وكثر الإرجاف ، وساءت الظنون ، وضجت العامة ، والتبس الراى ، وانقطع الأمل ، ونبح كلب كلب من كل زاوية ، وزأر كل أسد من كل أجمة ، وضبح كل ثعلب من كل تلمعة .

قال : وكنا جماعة غرباء نأوى إلى ديرة الصوفية لا نبرحها ، فتارة نقرأ ، وتارة نصلى ، وتارة ننام ، وتارة نهذى ، والجوع يعمل عمله ، ونخوض فى حديث آل سامان ، والوارد من جهنهم إلى هذا المكان ، ولا قدرة لنا على السياحة لانسداد الطرق ، وتختلف الناس للناس ، وشمول الخوف ، وغلبة الرعب ، وكان البلد يتقد ناراً بالسؤال والتعرف والإرجاف بالصدق والكذب ، وما يقال بالهوى والعصبية ؛ فضاقت صدورنا ، وخبثت سرائرنا واستولى علينا الوسواس ، وقلنا ليلة : ما ترون يا أصحابنا [ما] دُفعنا إليه من هذه الأحوال الكريهة ، كأننا والله أصحاب نعم وأرباب ضياع نخاف عليها الغارة والنهب ، وما علينا من ولاية زيد ، وعزل عمرو ، وهلاك بكر ، و نجاة بشر ، نحن قوم قد رضينا فى هذه الدنيا العسيرة وليذه الحياة القصيرة ، بكسرة يابسة ، وخرقة بالية ، وزاوية من المسجد مع العافية من بلايا طلاب الدنيا ، فما هذا الذى يعترينا من هذه الأحاديث التى ليس لنا فيها ناقة ولا جمل ، ولا حظ ولا أمل ، قوموا بنا غداً حتى نرور أبا زكرياء الزاهد ، ونظل نهارنا عنده لاهين عما نحن فيه ، ساكنين معه ، مقتدين به ؛ فاتفق رأينا على ذلك ، فغدونا وصرنا إلى أبى زكرياء الزاهد ، فلما دخلنا رحب بنا ، وفرح بزيارتنا ، وقال ما أشوقنى إليكم ، وما ألهفى عليكم ، الحمد لله الذى جمعنى وإياكم فى مقام واحد ، حدثونى ما الذى سمعتم ، وماذا بلغكم من حديث الناس ، وأمر هؤلاء السلاطين ؟ فرحوا عسى ، وقولوا لى ما عندكم . فلا

تكتُموبى شيئاً فما لى والله مرعى فى هذه الأيام إلا ما اتصل بحديثهم ، واقترن بخبرهم ، فلما ورد علينا من هذا الزاهد العابد ما ورد ، دُهِشْنَا واستَوْحِشْنَا ، وقلنا فى أنفسنا انظروا من أى شىء هربنا ، وبأى شىء علقنا ، وبأى داهية دُهِينَا . قال : فحُفَفْنَا الحديث وانسللنا ، فلما خرجنا قلنا : أرايتم ما بليْنَا به ، وما وقَعْنَا عليه ؟ (إن هذا لهُو البلاء المبين) . ميلوا بنا إلى أبى عمرو الزاهد فله فضل وعبادة وعلم وتفرد فى صومعته حتى نقيم عنده إلى آخر النهار ، فقد نبأ بنا المكان الأول ، وبطل قصدنا فيما عزمنا عليه من العمل ، فمَشِينَا إلى أبى عمرو الزاهد واستأذنا ، فأذن لنا ، ووصلنا إليه فُسُرْ بِحُضُورِنَا ، وهش لرويتنا ، وابتَهَج بِقُصْدِنَا ، وأعظم زيارتنا ، ثم قال : يا أصحابنا ما عندكم من حديث الناس ؟ فقد والله طال عطشى إلى شىء أسمعه ، ولم يدخل علىَّ اليوم أحد فاستخبره ، وإن أذننى لدى الباب لأسمع قرعة أو أعرف حادثة ، فهاتوا ما معكم وما عندكم ، وقصوا علىَّ القصة بفصها ونصها ، ودعوا التورية والكناية ، واذكروا الغث والسمين ، فإن الحديث هكذا يطيب ، ولولا العظم ما طاب اللحم ، ولولا النوى ما حلا التمر ، ولولا القشر لم يوجد اللب ، فعجبنا من هذا الزاهد الثانى أكثر من عجبنا من الزاهد الأول ، وخاطفناه الحديث ، وودعناه ، وخرجنا ، وأقبل بعضنا على بعض يقول : أرايتم أظرف من أمرنا وأغرب من شأننا ؟ انظروا من أى شىء كان تعربجنا (إن هذا لشىء عجاب) وتلدننا وتبلدنا وقلنا يا أصحابنا : انطلقوا إلى أبى الحسن الضرير ، وإن كان مضربه بعيداً فإننا لا نجد سكُوننا إلا معه ، ولا نظفر بضالَّتِنَا إلا عنده ، لزهده وعبادته وتوحده وشغله بنفسه مع زمانته فى بصره ، وورعه ، وقلة فكره فى الدنيا وأهلها ؛ وطوبىنا الأرض إليه ، ودخلنا عليه ، وجلسنا حوله فى مسجده ، ولما سمع بنا أقبل على كل واحد منا يلمسه بيده ويرحب به ، ويدعوله ويقرب ، فلما انتهى أقبل علينا [وقال] : أمن السماء نزلتم علىَّ ؟ والله لكأنى قد وجدتكم مأمولى ، وأحرزت غاية سولى ، قولوا لى غير محتشمين : ما عندكم من أحديث الناس ؟ وما عزم عليه هذا الوارد ؟ وما يقال فى أمر ذلك البارِب إلى فاجر وما الشائع من الأحبار ؟ وما الذى يتهاَمس به ناس دور ناس ؟ وما يقع فى

هو أجسكم ويستبق في نفوسكم ؟ فإنكم برد الآفاق ، و جواله الأرض ، و لقاطة الكلام .
ويتساقط إليكم من الأقطار ما يتعد على عظماء الملوك و كبراء الناس ، فيرد علينا من
هذا الإنسان ما أنسى الأول والثاني ، وما زاد في عجبنا أنا كنا بعده في طبقة فوق
طبقات جميع الناس فحفظنا الحديث معه ، وودعناه ، وخصنا من بعده ، وطلقنا
تتلازم على ريارتنا لئلا القوم لنا رأينا منهم و انقلبا متوجهين إلى دويرتنا التي
غدونا منها مستطرقين كالين ، فلقينا في الطريق شيخاً من الحكماء يقال له أبو
الحسن العامري ، وله كتاب في التصوف قد شحنته بعلمنا وإشارتنا ، وكان من
الجوالين الذين نقيوا في البلاد واطلعوا على أسرار الله في العباد ؛ فقال لنا : من أين
درجتم ؟ و من قصدتم . فأجلسناه في مسجد ، وخصينا حوله ، وقصصنا عليه قصتنا من
أولنا إلى آخرها ، ولم نخذف منها حرفاً ؛ فقال لنا : في طي هذه الحال الطارئة غيب لا
تقفون عليه ، و سراً لا تفتنون إليه ، وإنا نغركم ظنكم بالزهاد ، وقلتم لا ينبغي أن يكون
الخير [عنهم كالحير] عن العامة لأنهم الخاصة ، و من الخاصة خاصة الخاصة ، لأنهم
بالله يلونون ، وإياه يعبدون ، وعليه يتوكلون قلنا له : فإن رأيت يا معلم الخير أن
تكشف عنا هذا الغطاء ، وترفع هذا الستر فقال : نعم ، أما العامة فإنها تلجج
بحديث كبرائها و ساستها لما ترجو من رخاء العيش و طيب الحياة و سعة المال
فأما هذه الطائفة العارفة بالله ، العاملة لله ، فإنها تولع أيضاً بحديث الأمراء ،
والجبابرة العظماء ، لتقف على تضاريف قدرة الله فيهم ، وجران أحكامه عليهم ، و
نفوذ مشيئته في مخابهم و مكارهم في حال النعمة عليهم ، و الاعتقاد منهم ، ألا ترونه
قال جل ثناؤه : (حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ، و بهذا
الاعتبار يستبطنون خوافي حكمته ، و يطلعون على تتابع عته و غرائب نعمته ، و ها
هنا يعلمون أن كل ملك سوى ملك الله زائل و كل عظيم غير نعيم الجبه حائل و يصير
هذا كله سبباً قوياً لهم في الصرع إلى الله ، و اللباد بالله ، و الحشوع لله . قال الشيخ
الصوفي في الله ما رآل ذلك الحكيم يحشو أذنانا بيده و ما أشدها ، و يملأ صدورنا من
عنده حتى سرربا و انصرفا إلى متعتنا و قد استعبدنا على بأس مد فائده

عظيمة....^(٢٩) وأبرر ما فى تلك اللوحة من ملامح القصة تحديده للزمان (سنة ٣٧٠هـ) وتحديد المكان (خراسان) ووصفه للفتنة التى اشتعلت فتوى يتابع الأحداث التاريخية فى زمنه ويحاول أن يجسدها ؛ كما أنه وصف حياة المتصوفة وقدم لنا الفرق بين رؤية العامة للسلطان ورؤية المتصوفة فأوضح الفرق بين بسبب اهتمام العامة بالتفقيب عن أسرار السلطان وأخبار الدولة ، وبين سبب شغف المتصوفة بمعرفة هذه الأمور التى تهتم بها للعبرة والعظة وقد برع أبو حيان فى الحوار براعة فائقة وخاصة فى الأسئلة التى وردت على لسان المتصوفة والتى عبرت عن مدى لفتهم لسماع الأخبار. أما هدف أبى حيان من إيراد هذه القصة فهو إبراز الوجه المشرق للمتصوفة وتغيير النظرة إليهم ، أى الدفاع عنهم باعتباره واحداً منهم والدليل على ذلك دهشة الوزير عند سماعه لتلك القصة وتعليقه عليها قائلاً : " ما علمت أن فى البحث عن سر الإرجاف هذه اللطيفة الخفية ، وهذه الحجة الجليلة ، وكنت أرى أن الصوفية لا يرجعون إلى ركن من العلم ، ونصيب من الحكمة ، وأنهم إنما يهذون بما لا يعلمون ، وأن بناء أمرهم على اللعب واللهو والمجون "^(٣٠)

ومن اللوحات ذات القاسم المشترك أيضاً هاتان اللوحتان اللتان وردتا فى الليلة الثامنة والثلاثين ودارقا حول قضية هامة وهاجس ملح يسيطر على أبى حيان ويسكن بخلد ألا وهو أن الحظ قد يرفع من شأن أراذل الناس فيقالون مكانة مرموقة ويتمتعون بالحظوة لدى ذوى السلطان ؛ وعلى العكس قد يخفض من شأن العظماء فلا ينالون المكانة التى هم أهل لها نتيجة سوء جدودهم ؛ فأبو حيان كان يشعر فى أعماق نفسه بذاته وبعظمة قدراته وإمكاناته الأدبية والفكرية والفلسفية ورغم ذلك لم ينل المنزلة التى كان يطمح إليها . ويرى أبو حيان اللوحة الأولى قائلاً^(٣١) : " حدثنى أبو على الحسن بن على القاضى التنوخى قال : كنت فى الصحبة إلى همدان سنة تسع و ستمائة ، وكنا جماعة وفينا ابن حرببار أبو محمد ، وكان فى جنبه ابن يوسف ، فاتفق أن عضد الدولة - برد الله مضجعه - قال لابن شاهويه : سر إلى ابن حرببار وقل له .

ينبغي أن تسير إلى البصرة وإنا نجعل لك فيها معونة . فقد طال مقامك عندنا ، و توالى تيرمنا بك ، وتبرمك بنا ، وليس لك بحضرتنا ما تحبه وتقترحه ... قال : ونفذ أبو بكر معه آخر من المجلس يشهد التبليغ والأداء ، ويسمع الجواب والابتداء ... فلقي ابن حرنبار وشافقه بالرسالة على التمام ؛ فقال أبو محمد لما سمع : الأمر للملك ، ولا خلاف عليه ؛ ولعمري إن الناس بجدودهم يبالغون حظوظهم ، وبحظوظهم يستدبرون جدودهم ؛ ولو وقفت ما كان عجيباً ، فقد نال من هو أنقص مني . وبلغ النى من أنا أشرف منه . ولكن المقادير غالبة . وليس للإنسان عنها مرتحل ؛ وقد قيل : من ساور الدهر غلب . ثم تبدأ العقدة فى الظهور ولكن أيها الشيخ لى حاجة : أحب أن تبلغ الملك كلمة عنى . قال : هاتها ؛ قال : تقول له : أنا صائر إلى ما رسمت ، وممثل ما أمرت ، بعد أن تقضى لى وطراً فى نفسى . قد تقطع عليه نفسى . وذاك أن تتقدم فيقام عبد العزيز بن يوسف بين اثنين فيصفعانه مائتين . ويقولان له : إذا لم تبذل جاهدك لتلف ، ولا عندك فرج لكروب ، ولا برلضعيف ، ولا عملاء لسائل ، ولا جائزة لشاعر ، ولا مرعى لمنتجع ، ولا مأوى لضيف ، فلم تخاطب بسيدنا ، وتقبل لك اليد ، ويقام لك إذا طلعت ؟؟ " ويزداد الموقف تأزماً قال ابن شاهويه : فقبل أن لقيت الملك أفصح له الذى كان معى مشرفاً على . فلما دخلت الدار عرفت ، فقال : على به ، فحضرتة وابن يوسف قاعد بين يديه على رسمه . فقال لى : هات الجواب عما نفذت فيه ؛ فقلت : الجواب عندك ، فقال : ما أعجب هذا ! أنت حُملت رسالة وأطالب غيرك بالجواب ؟ قال فتلوت حياة من ابن يوسف ، فقال : هات يا هذا الحديث بفصه ، فوالله لا أقنع إلا به . ما هذا التوانى والتكاسل ؟ ثم تنفرج الأزمة فكرهت اللجاج ، فسردته على وجهه . ولم أعادر منه حرفاً ، وابن يوسف يتقعد فى إهابه ، ويتغير وجهه عند كل لفظة سربه . ثم تأتى الخاتمة فأقبل عليه الملك وقال : كيف ترى يا أبا القاسم الكيس ؟ فقال : يا مولانا ، إنما أنا أقضى الحاجة بك . فإذا لم تقضها كيف أكون ؟ فإن الحوائج كلها إليك . قال : صدقت . إنما أقضى حاجة لك . لأنك لا تقصد بها وجه الله . ولا تبغى بها مكرمة ، ولا تحفظ بها مروءة . وإنما ترشنى عليها .

و بصاع بها . وتجعلنى بابا من أبواب تجارتك وأرباحك وليس الذنب لك .
ولكن لمن رآك إنساناً وأنت كلب . وصدق - صدق الله قوله - فإنه كان أخس خلق
الله . وأنس الناس وأقذر الناس . لا مدظل ولا مخبر . وكانت أمه مغنية من أهل
البيضاء . وأبوه من أسقاط الناس . ونشأ مع أشكاله . و كان فى مكتب الرضى على
أحوال فاحشة . وورق رماناً . ثم إن الزمان نؤه به . ونبه عليه . ومثل هذا يكون .
والأيام ظيهور و بطور ؛ وكما يسقط الفاضل إذا عانده الجد . كذلك يرتفع الساقط إذا
ساعده الجد فهذا هذا . وقد أيدع أبو حيان فى السرد والحوار وخاصة حينما عبر عن
امتنال ابن حرنبار لأمر الملك وحينما طلب ابن حرنبار ذلك المطلب البسيط الذى
أكسب الموقف درامية ومتعة وإثارة فابن شاهويه يتردد حياءً وخجلاً من سرد
الرسالة للخليفة فى حضرة ابن يوسف ولكن الخليفة يأمر بالإجابة كاملة طالباً
الحديث بفصه مما يجعل الموقف يصل إلى ذروة التآزم . ولا يملك ابن شاهويه إلا السمع
والطاعة فيسرد الحديث على وجهه ولا يغادر منه حرفاً عندئذ يتفجر الموقف ويبدع أبو
حيان فى تصوير انفعالات ابن يوسف وأثر وقع كل لفظة تمر على وجهه . وقد استطاع
التوحيدى من خلال تلك اللوحة أن يصيب أكثر من هدف بسهم واحد فقد عبر عن نقده
للخلفاء وذوى السلطان وبك شكواه بطريقة غير مباشرة على لسان ابن حرنبار فهم
يقربون أراذل الناس ويمنحونهم أعلى المناصب فى حين أن هناك من هم أجدر منهم و
أحق بها وقد عبر أبو حيان عن تلك الفكرة بأروع تعبير حيث يقول على لسان ابن
حرنبار : ولعمري إن الناس بجدودهم ينالون حظوظهم . وبخظوظهم يستديمون
جدودهم . ولو وقفت ما كان عجبياً . فقد نال من هو أنقص منى . وبلغ المنى من أنا
أشرف منه * كما عبر أيضاً التوحيدى عن نقده لذوى السلطان بطريقة غير مباشرة
الذين يعجرون عن الإيفاء بما تمليه عليهم مكانتهم السياسية والاجتماعية فلا يقومون
بأداء واجباتهم بحاه الرعية ومن هنا نحدث المقارقة بين ما هم عليه وبين فعالهم على
لسان ابن حرنبار : وذاك أن تتقدم فيقام عبد العرير بن يوسف بين اثنين فيصفعانه
مانتير ويقولان له إذا لم تبدل جاهك لتلطف . ولا عندك فرج لكروب ولا بر

لضعيف ، ولا عطاء لسانل ... ، فلم تخاطب بسيدنا ، وتقبل لك اليد * وهذا ما جعل حرج ابن شاهويه يزداد من ثقل هذه الرسالة إلى عضد الدولة وأكسب الموقف المريد من الإثارة كما استطاع التوحيدى أيضاً أن يقوم كعادته بدور الناصح للوزير فعليه أن يحذر من حوله من المخافقين أهل الرشا والفساد وأن يظهر بلاطه منهم حتى نستقيم الأمور ! كما يهدف أبو حيان أيضاً من تلك اللوحة أن يشوه صورة ابن يوسف فى مجلس ابن سعدان لما كان بينه وبينهما من عدااء وهناك شىء جدير بلفت النظر ينبغى أن نشير إليه وهو أن أبا حيان قد بدأ اللوحة السابقة بقوله " وجرى ليلة بحضرة الوزير - أعلى الله كلمته ، وأدام غبطته حديث ابن يوسف وما هو عليه من غنائته ورثائته ، وعياريته وخساسته .

فقلت له : عندى حديث ، ولا شك أن الوزير مطلع عليه ، عارف به " (٣٢) وختم اللوحة بقوله على لسان الوزير : " ما كان هذا الحديث عندى ، وإنه لن الغريب " (٣٣) .

ونستنتج من هذا أنه قد تكون هذه القصة قد حدثت بالفعل والوزير لم يسمعها من قبل أو أنها لم تحدث وهى من نسج خيال أبى حيان لينصح الوزير بطريقة غير مباشرة وليوصل ما يريد أن يوصله للحكام والساسة بذكاء وبهاء . والحقيقة أن هذا لا يتطابق على تلك اللوحة فحسب بل هناك بعض اللوحات الأخرى يبينها للوزير بنفس الطريقة بادئاً بأنها قصة معروفة لابد أن ابن سعدان قد سمعها ويختمها بقول الوزير إنه لم يسمعها من قبل ! وفى كلا الحالتين فإن الأسلوب أسلوب أبى حيان بما فيه من إبداع وتشويق وإمتاع .

أما عن اللوحة الثانية التى تعبر عن نقص الهاجس الذى عبرت عنه اللوحة السابقة؛ تلك الهاجس الذى كان يتربع فى أعماق أبى حيان بوعلى الرقم من تعدد مشاهد تلك اللوحة إلا أنها تصب فى نهر واحد . وقد بدأها أبو حيان بمقدمة فقد سلكه الوزير قائلا (٣٤) : " كيف خيرك فى الفتنة التى عرضت وانتشرت ، وتفاظمت وتعاظمت " ويتحول هنا أبو حيان إلى راوية فريد قائلا : " فكان من الجواب حجير من شهد أولها .

وغرق في وسطها ، وبجاء في أحرها " فيرد الوزير قائلا : " حدثني فإن في روايته وسماعه نبصرة وتعجباً وريانة في التجربة . وقد قيل : تجارب المتقدمين ، مرايا المتأخرين . . وليس من حادثة ماضية إلا وهي تعرفك الخطأ والصواب منها لتكون على أهبة في أحذك وتركك " وهكذا كان أبو حيان دائماً يشير إلى ضرورة الاستفادة من تجارب الماضي وأخذ العظة والعبرة سواء أكان ذلك على لسانه أم على لسان الوزير ثم يبدأ في سرد الحادثة قائلا : " كان أول هذه الحادثة الفظيعة البشعة التي حيرت العقول ووليت الأبواب ، وإذا أراد [الله تعالى] ذكره أن يعظم صغيراً فعل ، وإذا شاء أن يصغر عظيماً قدر ، له الخلق والأمر .. " وبذلك تكون قد عدنا مرة أخرى لتلك القضية وذلك الهاجس الذي كان يشغل بال أبي حيان فكم من صغير قد عظم وكم من عظيم قد صغر فقد يرتفع شأن أراذل الناس وينخفض شأن أكابرهم إذا أراد الله سبحانه وتعالى ذلك لحكمة لا يعلمها إلا هو ؛ فمشيئته نافذة ولا راد لقضائه ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . ثم يبدأ أبو حيان في عرض المشهد الأول من اللوحة الذي يتمثل في وصف الفتنة وهجوم الروم البشع ؛ وانزعاج الناس وفزعهم ؛ هذا وقد انقسمت العامة طائفتين ؛ طائفة ترق للدين ولما دهم المسلمين ، وطائفة وجدت فرصتها في الفساد والنهب ؛ ومن ثم فقد ثارت تلك الطائفة التي تخشى على الدين الضياع واجتمعت عند الشيوخ والعلماء لالتماس حل ينقذ الإسلام ؛ ويتم الاتفاق على تحريك بعض رجال الدين والعلماء والأشراف إلى الكوفة لمقابلة عز الدولة ذلك الرجل الذي انشغل عن حماية الإسلام والاهتمام بمصالح الرعية بالقصف والعزف والصيد عليهم يستطيعون مواجهة تلك المحنة والقضاء عليها يقول : " وذلك أن الروم تهايجت على المسلمين ، فسارت إلى نصيبين بجمع عظيم زائد على ما عُهد على مر السنين ، وكان هذا في أحر سنة اثنتين وستين . فخاف الناس بالموصل وما حولها ، وأخذوا في الانحدار على رعب قذف في قلوبهم وماج الناس بمدينة السلام واضطربوا ... ولما اشتعلت النائرة . واشتعلت النائرة . صاح الناس النفير النفير ، وإسلاماً ، وأحمداه وأأسراه . في أبدي الروم الطغاة . وكان عز الدولة قد خرج في ذلك الأوان إلى الكوفة

للصيد ، ؛ فاجتمع الناس عند الشيوخ والأشراف والعلماء ، وقالوا : الله الله ، انظروا في أمر الضعفاء وأحوال الفقراء ؛ واغضوا الله ولدينه فسكن المشايخ منهم ، ووعدوهم أن يرتأوا فيه متفقيين ... ويستخبروا الله صارعين ؛ وانصرف الناس عنهم ، واجتمع القوم وتشاوروا وتفاوضوا ... والتام لهم من ذلك أن تخرج طائفة وراء الأمير بختيار إلى الكوفة وتلقاه وتعرفه ماقد شمل مدينة السلام.... وأن الخوف قد غلبهم وأنهم يقولون : لو كان لنا خليفة أو أمير أو ناظر سائس لم يفض الأمر إلى هذه الشناعة؛ وأن أمير المؤمنين المطيع لله إنما ولاه ما وراء بابه ليتيقظ في ليلة ، متفكراً في مصالح الرعايا ، وينفذ في نهاره أمراً ونهاياً ما يعود بمرأشده الدين ، ومنافع الدارين والقاصين والإفلا طاعة"

وقد اعتمد أبو حيان في هذا المشهد على الوصف والحوار والسرد والتحديد الزمني والمكاني للفننة مجسداً أحداث عصره تجسيدا واقعياً ؛ ولم ينس كعادته دائماً أن ينوه بواجبات الحاكم تجاه الرعية ؛ وهي مسئولية ضخمة وععب ثقيل يقتضى العمل الجاد وبذل الجهد المتواصل وإلا فلا طاعة له عليهم في نقد لاذع لأصحاب السلطة الذين لا يقومون بدورهم مما يعرض البلاد والعباد للمحن والمعاناة .

ثم ينتقل إلى المشهد الثاني وهو وصف مقابلة بعض المشايخ والأشراف لعز الدولة سارداً حديث كل منهم ثم رده عليهم يقول : " سارت الجماعة إلى الكوفة ، ولحققت عز الدولة في الصيد ، وانتظرتة ؛ فلما عاد قامت في وجهه واستأذنت في الوصول إليه على خلوة وسكون بال وقلة شغل ؛ فلم يلتفت إليهم ، ولا عاج عليهم - وكان أفر الحظ من سوء الأدب ، قليل التحاشي من أهل الفضل والحكمة - ثم قيل له : إن القوم وردوا في مهم لا يجوز التغافل عنه ، فاذن لهم ، فجلسوا بحضرته ، فقال : تكلموا ... فقال أبو بكر ؛ أما بعد . فإن الله [تعالى] قد حض على الجهاد ، وأمر بإعزاز الدين والذب عن الحريم والإسلام والمسلمين في الدهر الصالح ، والنزمان الملمئ ؛ فكيف إذا اضطرب الحبل وانتكثت مريرته وعُرى حريمه بالاستباحة وقصد ركنه بالهدم ، وأنت أيها المولى من وراء سعة أمير المؤمنين المطيع لله ، والحامل

لأعباء مهماته .. ؛ والمفزع إليك ، والمعول عليك ، فإن كان منك جد وتشمير فما أقرب العرج مما قد أظلم وأرعج . وإن كان منك توان وتقصير فما أصعبه من خطب وقد جئناك بحقوق عندك ما بلغك من توسط هذه الطائفة أطراف الموصل وما والاها ، وأن الناس قد جلوا عن أوطانهم ، وقُتِلوا في أديانهم .. للرعب الذي أذهلهم ... ؛ وإنما هم بين أطفال صغار ، وبساء ضعاف ، وشيوخ قد أخذ الزمان منهم ، فهم أرض لكل واطئ ، وبهب لكل يد ؛ وشباب لا يقفون لعدوهم لقلة سلاحهم . وسوء تأديبهم في القراع والدفاع ؛ ونحن نسألك أن تتوحي في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما يزللك عنده ... ثم اندفع على بن عيسى فقال : أيها الأمير ، إن الصغير يُتدارك قبل أن يكبر ، فكيف يجوز ألا يستقبل بالجد والاجتهاد وهو قد .. كبر . والله إن بنا إلا أن يظن أهل الجبل وأذربيجان وخراسان أنه ليس لنا ذاب عن حريمتنا ، ولا ناصر لديننا ، ولا حافظ لبيضتنا ، ولا مفرج لكربتنا ، ولا من يهيم شيء من أمورنا ، فإله الله ، لا تجرئ علينا شماقتهم بنا ، وخذ بأيدينا بقوتك ... ، وعزك وسلطانك ، وأوليائك وأعوانك ، واكتب قبل هذا إلى عدة الدولة بما يبعثه على حفظ أطرافه ، وجراسة أكخافه ... ثم رفع الأنصاري رأسه وقال : ، وقال العوامي : فقال عز الدولة : مازوى عنى ما طرق هذه البلاد ، ولقد أشرقت عليه ، وفكرت فيه ، وما أحببت تجشم هذه الطائفة على هذا الوجه . وما أعجبنى هذا التقريع من الصغير والكبير ، وما كان يجوز لي أن أنعس على هذه الكارثة ، وأنعم بالعيش معنا ، ولعمري إن الغفلة [علينا] أغلب ، والسهو فينا أعمل ، ولكن فيما ركبتموه منى تهجين شديد ، وتوبيخ فاحش ، وإنكم لتخلنون أنكم مظلومون بسلطانى عليكم ، وولايتى لأموركم ؛ كلا . ولكن كما تكونون يولى عليكم ؛ هكذا قول صاحب الشريعة فينا وفيكم ؛ والله لو لم تكونوا أشباهى لما وليتكم .. ؛ ولو خلا كل واحد منا بعيب نفسه لعلم أنه لا يسعه وعظ غيره ، وتهجين سلطانه ؛ أياظن هذا الشيخ أبو بكر الرازي أنسى غير عالم بنفاقه ، ولا عارف بما يشتمل عليه من خيره وشره ؛ يلقانى بوجه صلب . ولسان هدار يرى من نفسه أنه الحسن البصرى يعظ الحجاج بن يوسف ، أو واصل بن عطاء بأمر بالمعروف " وكما لاحظنا أن مسرح الأحداث في هذا المشهد

قد انتقل إلى الكوفة وقد كشف لنا هذا المشهد من خلال الوصف والسرد والحوار بعضاً من ملامح شخصيات العلماء والشيوخ كما عرَى حقيقة شخصية عمر الدولة ؛ فالعلماء كما رأينا شديداً القلق على الإسلام شديداً الإشفاق على الرعية حاولوا بطريقة مهادنة توجيه النصيحة لعز الدولة منوهين بما يجب عليه فعله في مواجهة الأزمه مؤكدين له استعدادهم التام للتضحية والكفاح والمساندة تحت رايته . أما عمر الدولة فهو شخصية متعجرفة ، وافرة الحظ من سوء الأدب والدليل على ذلك عدم احترامه للعلماء والمشايخ الذين لم يلتفت إليهم وهم أهل الفضل والحكمة إلا بعد أن نُصِخَ ممن حوله بضرورة الإذن لهم ، ومما يؤكد سوء أدبه ذلك التقريع واللوم الذي وجهه للعلماء وخاصة لأبي بكر الرازي ، وعز الدولة أيضاً إنسان مستهتر بشؤون الرعية لا يقوم بواجبه نحوها وليس أدل على ذلك من انشغاله بالطرد والصيد في مثل تلك الظروف البشعة التي تعاني منها البلاد ؛ وعندما حاول الدفاع عن نفسه أمام المشايخ والعلماء استشهد بالقول المأثور " كما تكونون يولى عليكم " كما عرّا عدم مواجهته للأزمة إلى الغفلة والسهو . وهكذا استغل أبو حيان المشهد السابق في عرض فكره السياسى على مائدة الأدب موجهاً النقد اللاذع لأصحاب السلطة محدداً واجبهم تجاه الرعية من خلال عرضه لذلك المشهد بما اشتمل عليه من حوار على ألسنة الشيوخ والعلماء فهو يقوم دائماً بدور الناصح ولكن من وراء حجاب ؛ ومن خلال تعريته أيضاً لذلك النمط البشرى الواقعى - عز الدولة - فهو لم يصفه إلا بما اكده التاريخ (٢٥).

ونظراً لسوء الأحوال الاقتصادية وزيادة الضرائب وسوء توزيع الثروة والتفاوت الطبقي فترة حكم عز الدولة فقد انتهرت الطائفة الثانية من العامة التي أشرنا إليها والتي اتجهت للسلب والنهب فرصة مهاجمة الروم لحدود الدولة ففجرت ما بداخلها من بركان متحفر ، وهبت إلى السلاح لا لتشهده في وجه الروم وإنما لتحصل به على الرزق . وقد بجحت عصائب الفتيان تلك وهم مايسمون "بالعيارين" في أن يكون لهم السبادة بعداد ؛ وهذا هو موضوع المشهد الثالث من اللوحة الذى بدأه أبو حيان بسؤال الوزير له "هل سمعت في أيام الفتنة بغربية ؟ قلت كل ما كنا فيه [كان] عربياً مدبعا عجباً

شبيحاً ، حصل لنا من العيارين فواد ، وأشهرهم ابن كبرويه ، وأبو المدود . وأسود الزيد وشنت العاره ، وانصل الذهب ، وتوالى الحريق ... فمن غريب ما جرى أن أسود الزيد كان عبداً يأبى إلى قنطرة الزيد ويلتقط النوى ويستلعم من حضر ذلك المكان بلهو ولعب ، وهو غريان لا يتوارى إلا بخرقه . ولا يؤبه له ، ولا يبالي به ، ومضى على هذا دهر ، فلما حلت النفرة ؛ أعنى لما وقعت الفتنة ، وفشا الهرج والمرج ، ورأى هذا الأسود من هو أضعف منه قد أخذ السيف وأعمله ، طلب سيفاً وشحذه ، ونهب وأغار وسلب ، وظهر منه شيطان فى مسك إنسان ، وصبح وجهه ، وعذب لفظه ، وحسن جسمه ، وعُشِق وعُشِق . والأيام تأتى بالغرائب والعجائب ، وكان الحسن البصرى يقول فى مواعظه : المعتبر كثير . والمعتبر قليل . فلما دُعِيَ قائداً وأطاعه رجال وأعطاهم وفرق فيهم ، وطلب الرئاسة عليهم ، صار جانبه لا يُرام ، وحماه لا يُضام .

فما ظهر من حسن خلقه - مع شره ولعنته ، وسفكه للدم ، وهتكه للحرمة ، وركوبه للفاحشة ، وتمرده على ربه القادر ، ومالكه القاهر - أنه اشترى جارية كانت فى النخاسين عند الموصلى بألف دينار ، وكانت حسناء جميلة ، فلما حصلت عنده حاول منها حاجته ، فامتنعت عليه ، فقال لها : ما تكرهين منى ؟ قالت : أكرهك كما أنت . فقال لها : فما تحبين ؟ قالت : أن تبيعنى ، قال لها : أؤخير من ذلك أعتقك وأهب لك ألف دينار ؟ قالت نعم ، فاعتقها وأعطاه ألف دينار بحضرة القاضى ابن الدقاق عند مسجد ابن رغبان فعجب الناس من نفسه وهمة وسماحته ، ومن صبره على كلامها ، وترك مكافأتها على كراهتها ، فلو قتلها ما كان أتى ما ليس من فعله فى مثلها .

قال الوزير : هذا والله طريف ، فما كان آخر أمره . قلت : صار فى جانب أبى أحمد الموسوى وحماه . ثم سيره إلى الشام فهلك بها " وتتجلى الملامح القصصية فى المشهد السابق فى التركيز على شخصية أسود الزيد ؛ ذلك الرجل الفقير الحقير الوضيع الذى كان ينحایل للحصول على قوت يومه ولا يملك من الملابس إلا خرقه يتوارى بها ؛ وعندما هجم الروم انتهر الفرصة فشحذ سيفاً ونهب وسرق فتبدل حاله وعظمت مكانته إد راس الناس . وصار جانبه لا يرام ، وحماه لا يضام واكتسب القيادة

والزعامة بأن ورع الأموال والعطايا فاشترى حب الجماهير وطاعتهم بعد أن كان كماً مهملًا لا أحد يقيم له ورثا وليس له أدب. اعتبار، ثم يصرح أبو حيان في قصة ذلك الرجل عظة لمن يعظ وغيره ثم يعتبر بالأيام قد ترفع من شأن الحفيظ إذا ساعده الحظ وهنا يبرر الياجس الذي كان يسكن في حاطر أبي حيان ويطفو على السطح من حين إلى حين ويربط هذه اللوحة في نفس الوقت بسانقتها وفي هذا سخرية لادعة من أصحاب السلطة وقد يبال القيانة والرئاسة أراذل الناس الذين لا يستحقون تلك المناصب وليسوا أهلاً لها؛ ولا لتحل تبعاتها ومن ناحية أخرى يؤكد لأصحاب الجاه والسلطان أن الأيام دول فلا تغتروا بالمناصب فهي ليست دائمة ولقد قالها صريحة إن الله إذا أراد أن يعظم حقيراً قدر وإذا شاء أن يصغر عظيماً قدر فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه. إنها دروس في السياسة ونصائح للسلطة يقدمها أبو حيان على مائدة الإمتاع والمؤانسة بذكاء ودهاء. ويواصل أبو حيان قصة أسود الزيد بنفس المشهد السابق ويواصل رسم ملامح شخصيته التي لم تتغير من داخلها برغم ما حدث خارجها من تغيير فقد ظهرت آثار الرفاهية على وجهه ولكنها مجرد قشرة خارجية فقط فالشر والحقارة والنسوء يسكن أعماقها. وهنا نتساءل كيف تفسر قصة أسود الزيد وتصرفه مع الجارية في المشهد السابق؟ والإجابة واضحة فأسود الزيد لم يسلك هذا السلوك الإنساني مع الجارية إلا ليكتسب المزيد من الشعبية وحب الجماهير؛ ويعرض هذا المشهد ينقد أبو حيان السلاطين نقداً لاذعاً الذين انشغلوا بالقصف والعزف والطرد وتركوا البلاد فرسة لغارات الروم؛ وثغرات العامة الذين عاثوا في الأرض مفسدين فسرَقوا ونهبوا وسلبوا؛ ولا أرى في هذا المشهد كما يرى دكتور محمد رحب النجار أن أبا حيان يمتدح فيه أبطال الثورات الشعبية من الشهاب والعيارس الذين يرتقى بهم إلى درجة البطولة الشعبية^(٢٦) والدليل على ذلك رسمه لشخصية أسود الرمد بنلك البشاعة والحقارة والذي كان أهم ملمح من الملامح القصصية في المشهد السابق بحانب السرد والحوار الذي دار بينه وبين الجارية ثم الحامية التي ذكر فيها أبو حيان نبيه ذلك الرجل

أما المشهد الرابع والآخر في تلك النوبة فهو ما سنطالع ، ن بطلق عليه مصطلح السيرة
 أدبية ، هـ - أبو حيان يسؤال الوزير فأنه (وحيث سئمت في هذه الحالات -
 فند - ومضى سمند - ح - النهاية إلى بين السورين وشنوا العارة واكتسحوا ما
 يحدوا في مري من ذهب ونيار - وأثاث - وما كنت دخرته من ثروات العم - وحر -
 السكاكر على الجارية في الدار بطلوبها بالمال ، فانشقت من رجاها ، ودفنت في يوم
 وأمسيب وما املك مع الشيطان فجرة ، ولا مع القر - تقري - فالراوى والبطل -
 شخص واحد هو أبو حيان ولعلنا نتساءل من أين أتى لأبي حيان الذهب والأثاث - قد
 عُرف بفقره وكثرة شكواه ٩٩ .! ولكن ليس هذا ما يعنينا فلعله يذكر ذلك أمام الوزير
 ليتعاطف معه ويجزل له العطاء ، ولكن ما يهمنا هو أن ذلك المشهد يصور لنا ظاهرة
 اجتماعية خطيرة : فقد انحلت طبقات الفقراء ، واقسمت شؤون البلاد ، وترغم
 العيثارون فيها أمور الناس

الخاتمة :-

لقد كان أبو حيان في كتابه الإمتاع والمؤانسة من الكتاب العرب الذين لهم فضل
 السبق في وضع اللبانات الأولى لفن القصة التي اكتملت عناصرها الفنية فيما بعد .
 فقد توافرت بعض من الملامح القصصية فيما عرضنا له من لقطات ولوحات كالسرود
 والحوار وتصوير الشخصيات وغير ذلك .

ولإعجاب الوزير بأسلوبه الممتع في القص اقترح عليه أن يمارس تلك الحرفة
 فأنلا (قال الوزير هذا في حسن ، وأظنك لو تصديت للقصص والكلام على الجميع ،
 لكان لك حظ وأعرس السامعين العاملين والخاضعين والمحافظين) (٢٧) . وهذه شهادة
 مهمة أمست بأهدانها أبو حيان وتوبها بآ عتزاز ، ولكنه يحرص في الوقت ذاته على
 تحريرها وتحديد المستوى الأدبي الذي يطمح أن تدرج فيه حكاياته (٢٨) ، ومن ثم فهو لا
 - صر - يكون فصاحا للعامة فير ، على الوزير رافضا اقتراحه فأنلا : (إن التصدي
 لعامة حذوه - وطلب الرفعة بينهم صعه والتشبه بهم نقيصة ، وما يعرض لهم أحد إلا

أعطاهم من نفسه وعلمه وعقله ولوثته ونفاقه وريائه أكثر مما يأخذ منهم من إجلالهم
وقبولهم وعطائهم وبذلهم (٢٩) . فالتوحيدى كان يعرف قدر نفسه وفيه وإبداعه الذى لا
يبذل إلا للخاصة من المثقفين .

المواهب

- ١- أبو حيان التوحيدى الامناع والمؤانسة تحقيق احمد اسير و احمد الزين .
ط المكتبة العصرية بيروت . ص د-ص
- ٢- المصدر نفسه . ج٢ . ص ٢٦
- ٣- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٨٩
- ٤- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- ٥- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٩٠ .
- ٦- إحسان عباس ، أبو حيان التوحيدى . ط دار بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٢٤-٢٥ .
- ٧- أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة . ج٢ . ص ١٨٨ - ١٨٩ .
- ٨- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٩٠ .
- ٩- زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدى أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٤م . ص ٢٢٦ .
- ١٠- أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة . ج٢ . ص ٢-٣ .
- ١١- محسن جاسم الموسوى ، سرية التوحيدى مجلة النقد الأدبى - فصول - المجلد الرابع عشر ، العدد الثالث - خريف ١٩٩٥ ، ص ١٧١ .
- ١٢- أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة . ج٢ . ص ٢-٣ .
- ١٣- أحمد بن محمد المقرئ الفيومى ، المصباح المنير ، ط دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ج١ ، ص ١٤٩ .
- ١٤- أبو حيان التوحيدى ، الإمتاع والمؤانسة . ج٢ . ص ٤٠ .
- ١٥- المصدر نفسه . ج٢ . ص ٢٨
- ١٦- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٦٨-١٦٩
- ١٧- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٧٤-١٧٥
- ١٨- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٦٦

- ١٩- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٧٨-١٨٠
- ٢٠- المصدر نفسه . ج١ . ص ٥٨-٦٠
- ٢١- المصدر نفسه . ج٢ . ص ٨-٩
- ٢٢- زكريا إبراهيم ، أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء .
ص ١٦-١٧ .
- ٢٣- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ط البايي الحلبي ، ج٢ ، ص ١٦٣ .
- ٢٤- أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج٢ . ص ١٥٢-١٥٤ .
- ٢٥- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٥٥-١٥٧ .
- ٢٦- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٥٧-١٦٠ .
- ٢٧- المصدر نفسه . ج٢ . ص ٨٨-٩١ .
- ٢٨- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،
ط دار النهضة المصرية ، ١٩٦٥ ، ج٢ ، ص ١٨ .
- ٢٩- أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج٢ . ص ٩١-٩٦ .
- ٣٠- المصدر نفسه . ج٢ . ص ٩٧ .
- ٣١- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٤٧-١٥٠ .
- ٣٢- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٤٧ .
- ٣٣- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٥٠ .
- ٣٤- المصدر نفسه . ج٢ . ص ١٥٠-١٦٢ .
- ٣٥- حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،
ج٢ . ص ٤٨ .
- ٣٦- محمد رحب النجار ، قراءة فولكلورية في أدب التوحيدي ، مجلة النقد الأدبي -
فصل - المجلد الرابع عشر ، العدد الرابع ، شتاء ١٩٩٦ . ص ٢٥٨
- ٣٧- أبو حيان التوحيدي ، الإمتاع والمؤانسة ، ج١ . ص ٢٢٥

٣٨- أحمد درويش ، مرد الحاكى والمحكى - دراسة فى بنية الإمتاع والمؤانسة ، مجلة

النقد الأدبى - فصول - ، المجلد الرابع عشر ، العدد الرابع ، شتاء ١٩٩٦ ، ص ٧٢

٣٩- أبوحيان التوحيدى . الإمتاع والمؤانسة ، ج١ ، ص ٢٢٥

نقائض جرير والفرزدق

« محاولة جديدة للتقوير »

دكتور فوزي محمد أمين
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

قد يكون غريباً أن نرى في فن النقائض محاولة لإذابة العصبية القبلية ، وإقراراً لقيم جديدة في مجتمع البصرة الذي كان على عهد بني أمية ينتقل بخطى واسعة من حياة بدوية قبلية إلى حياة مدنية مستقرة تتجاوز نطاق الهيكل القبلي ، وتنظمه تيارات ثقافية ودينية تدفعه إلى التحضر والرقى^(١) .

ونحن بهذا القول قد نبدو كمن يسبح ضد التيار فلا تكاد تذكر النقائض إلا وتذكر معها الصحة الجاهلية يراها الباحثون فيما اشتملت عليه النقائض من ذكر للأيام والرقائع ، وفيما قامت عليه من نزعة عرقية عصبية ، وفيما حشيت به من فحش وعري ، وذكر للعورات . ونحن لا ننكر أن كل أولئك كان مادة النقائض ، ولكن مادة النقائض شيء ، وأثرها - في زعمنا - شيء آخر ، وقد يكون المردود النهائي مغايراً كل المغايرة لبواعث القول ومادته . ونحن نرى أن أمر " النقائض " قد يختلف تماماً إذا غيرنا زاوية النظر ، وعدلنا من طرق المعالجة ، ووضعنا ما تحويه من التفاصيل في إطاره الصحيح ، حينئذ قد يتضح لنا أن ما ظنته من أمرها جاهلياً إنما هو إسلامي ، وأن ما خيل إلينا أنه يمثّل لقيم قديمة كان إرساء لقيم جديدة أخذت تفعل فعلها في المجتمع العربي منذ ظهور الإسلام .

لقد تعودنا أن نتناول النقائض تناولاً تفكيكياً تحزيبياً ، بمعنى أننا ندرس مثلاً ما قال الفرزدق ثم ندرس ما قال جرير أو العكس ، محاولين أن تصل إلى خصائص كلا الشعارين ، وما يميز البيادي من التالي ، وما يدور حوله كل منهما ، محتفظين لكل منهما باستقلاله عن الآخر ، واقعين في أسر المدلول الحرفي للكلمة " النقائض " من أن ما يقوله شاعر ينقض ما يقوله الآخر ويهدمه ، مفترضين خصومة بين الشعارين كتلك التي تصورها الخصومة الفتية ، ومثل هذه النظرة التفكيكية لن تخرج بغير ما درج عليه الباحثون من أن النقائض كانت صورة جاهلية .

(١) انظر شعر البصرة في العصر الأموي - دراسة في السياسة والاجتماع ، د. عون الشريف قاسم ، ص ٢٥ وما بعدها ،

ط - بيروت والخرطوم ، ١٩٩١ .

ونحن في محاولتنا هذه نريد أن ننظر إلى التناقض نظرة جديدة تقوم على التكامل لا على التضاد ، وترى أن ما قاله الفرزدق وما قاله جرير يتمم بعضه بعضا ، أو هو عمل فني لا يقوم على صوت واحد ، وإنما تتعدد فيه الأصوات ، تتنافر لتصل إلى تألف ، وتتضاد لتبلغ بالقاري، رؤية واحدة .

وقد لا يعدو عملنا إعادة ترتيب التفصيلات والجزئيات ، ووضع كل منها في سياقه من حيث النظرة الشاملة ، ونحن - بعد - على ثقة من أن هذا الإجراء ستكون له نتائج المفيدة وربما الجديدة أيضاً ، فالكل قد يكون في كثير من الأحيان أكبر من مجموع الأجزاء .

وإذا كنا سنقتصر القول على تناقض جرير والفرزدق فلأن هذين الشاعرين - في نظرنا - عصب حركة التناقض فلم يكن غسان السليطي والبعيث سوى مقدمة لظهور الفرزدق على المسرح ، ولم يكن الأخطل سوى عنصر طارئ على ساحة التناقض ولم يكن غير ظهير للفرزدق ، وإذن فالفرزدق يجزىء عن كل هؤلاء الشعراء الذين اختاروا الموقف المقابل لموقف جرير في ساحة التناقض .

وربما كان من المفيد هنا أن نذكر أن الخصومة بين الشاعرين كانت لا تتجاوز ساحة الفن ، أما فيما وراء ذلك فكل الشاعرين يكن للآخر تقديرا ومودة ، يقول الفرزدق : « ويل ابن المراغة ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري ، وأحوجني مع شهواتي إلى وقه شعره »^(١) ، ويقول جرير لابن لجأ مستنكرا أن ينسب إلى نفسه شعر الفرزدق : « أهذا شعرك كذبت والله ولو مت ، هذا شعر حنظلي ، هذا شعر الفريد »^(٢) ويعني بالفريد الفرزدق ، ويقول الفرزدق عن فنه وفن جرير : إني وإياه لنغترف من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهز »^(٣) .

وهذه الأقوال تشي بتقدير كل من الشاعرين لفن قرينه ، واعترااف كل منهما بمقدرة صاحبه الفنية .

(١) الأغاني ج ٨ ، ص ١٢ .

(٢) الأغاني ج ٢١ ، ص ٣٥٠ .

(٣) طبقات نحول الشعراء ج ١ ، ص ٣٧٧ .

ومن ناحية أخرى نرى أن كلا الشاعرين كان لا يروق له أن يسمع شعره إلا في ضوء شعر الآخر ؛ قال الفرزدق لخالد بن كلثوم الكلبي : « أنشدني بعض شعر ابن المراغة » فجعل ينشده حتى انتهى فقال له : « أنشد نقائضها التي أحببته بها ، فقال خالد : ما أحفظها ، فقال الفرزدق : « ياخالد أتحفظ ما قاله في ولا تحفظ نقائضه ، والله لأهجون كلبا إن لم تقم حتى تكتب نقائضها »^(١١) .

والذي يلفتنا في هذا الخبر أن الفرزدق سمع من خالد ما قال جرير ، ورأى أن ما قال جرير ينبغي أن يقرن دائما بما قاله هو .

ونخرج بالنتيجة نفسها حينما نرى جريرا بين يدي الحجاج ينشده ما قاله الشعراء في هجائه قبل أن ينشد ما ردّ به عليهم ، ومن الطبيعي - والأمر كذلك - أن نفهم أن مغزى ما يقوله أي من الشاعرين لا يتم إلا في ضوء ما يقوله الآخر .

* * *

ربما كان من الضروري هنا أيضاً أن نشير إلى البون الشاسع بين النقائض وبين شعر العصبية ، بين صوتي جرير والفرزدق وحولهما الناس يصيحون ، ويصفقون ، ويستفرقون في الضحك وبين تلك الأصوات التي كانت تتضح حنقا ومرارة ، وتقطر ألماً وحقدًا ، وتترنّف دمعاً ودما في ساحة الصراع الحقيقية من مثل ما نسمعه من قول زفر بن الحارث الكلابي إثر موقعة مرج راهط :

أرى الحرب لا تزدد إلا تماديا	أرني سلاحي - لا أبالك - إنني
مقيّدٌ دمي ، أو قاطعٌ من لسانيا	أتاني عن مروان بالغيب أنه
إذا نحن رُقعتا لهن المشائيا	ففي العيس منجاةٌ وفي الأرض مهرب
ولا تفرحوا إن جتكم بلقائيا	فلا تحبوني إن تغيّبت غافلا
وتبقى حزازاتُ النفوس كما هيا	فقد ينبت المرعى على دمن الثرى

(١١) الأغاني ، ج ٢١ ، ص ٣٢١ .

أَتَذْهَبُ كَلْبٌ لَمْ تَنْهَلْهُ رِمَاحَنَا وَتَتْرَكَ قَتْلِي وَأَهْطُ هِيَ مَا هِيَ^(١)

إن صوت زفر هنا صوت نازق متهور ، والحديث هنا جد وما هو بالهزل ، ومقاطع الشعر صدى لخرجات السيوف ، والشاعر يقول شعره ودماء القتلى لما تحف ، معركة قتل فيها - كما يقال - تسعة آلاف ، لم يضحك رجال من قيس بعدها كما تقول الروايات - ١٠٠!! وشتان هذا وتصفيق الناس وصفيرهم حول جرير والفرزدق ؛ إذ كانوا يدركون أن نقائض جرير والفرزدق ليست من العصبية وإن اتخذت العصبية مادة لها ، إنما هي حركة فنية غايتها الفن أولاً وأخيراً ، ويدل على ذلك قول ذلك الأعرابي الأسدي الذي شهد لجرير قلما قيل له : أما والله لقد أوجعكم (يعني في الهجاء) أجاب محاوره : « يا أحمق ! أو ذاك يمنعني أن يكون شاعراً »^(٢) .

ولو لم تكن الحركة في إدراك الناس آنذاك حركة فن لما وجدنا شاعرا مثل الراعي وقد دمه جرير بقصيدته البائسة الذائعة يقول بعد أن سمع مغنيا يغني ببعض شعر جرير : « لو اجتمع على هذا جميع الجن والإنس ما أغنوا فيه شيئا . ثم قال لمن حضر : ويحكم ألام على أن يغلبني مثل هذا »^(٣) .

كذلك فما نظن اهتمام فقهاء الحجاز بهذه الحركة ، وتتبع أخبارها إلا دليلا على ذلك ، ولو أنهم وجدوا فيها ما يشير نعرات الجاهلية لما تتبعوها ، ولما توقف فقيه مثل سعيد بن المسيب عن التكبير للصلاة لسمع الجديد من أخبار جرير والفرزدق^(٤) .

ومن هنا نرى أستاذنا الدكتور شوقي ضيف دقيقا كل الدقة وهو يؤكد على الناحية الفنية في النقائض وعلى أن هدفها لم يكن إثارة العصبية ، وعلى أنها كذلك ليست إلا لونا من المناظرات الأدبية لا يقصد بها الجد الخالص ، وإنما كان يراد بها إلى اللهو والتسلية ، وأن تملأ أوقات الناس في البصرة^(٥) .

* * *

(١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ، ص ٥٤١

(٢) الأغاني ج ٨ ، ص ٦

(٣) السابق ص ٩

(٤) السابق ص ٧٨

(٥) انظر كتاب التطور والتجديد في الشعر الأموي ص ١٦٢ وما بعدها

وثمة أخرى نريد تصحيحها أو توضيحها تتمثل فيما شاع من رأي بأن بني أمية عمدوا إلى إحياء النزعات العصبية واستغلالها لتثبيت ملكهم ، ومن هنا كان تشجيعهم غير المعلن لحركة الثنائى التي تنفخ في جذوة العصبية وتشعل أوارها ، وهذا رأي - رغم شيوعه - واضح التهافت ، فما تظن البيت السفيناني أو المرواني كان حريصا على أن تظل هذه العصبية مضطربة متسكرة وقد اصطلى كلاهما بنيرانها ، والذي يتابع السياسة الأموية متابعة دقيقة يرى أنها كانت تحاول إخماد هذه العصبية - مضرية كانت أو مبنية - بتفتيتها لتضمن استقرار الحكم ، وعدم الخروج عن قبضة السلطة المركزية ؛ ومن هنا كانت هذه الصلاحيات الواسعة التي يعطيها خلفاء بني أمية لولايتهم ، ولابد من الإشارة هنا إلى زياد بن أبيه ، ونائبه سمرة بن جندب وما فعلاه لإخضاع عصيات البصرة^(١) ، كذلك لابد من الإشارة إلى الحجاج ، وإلى إخضاعه الصارم للقبائل في البصرة والكوفة وفي ظل أمثال هذين الواليين ما كان من الممكن للمجتمع البدوي - كما يقول الدكتور عون الشريف قاسم - أن يحافظ بصرامة ولدى طويل من الزمن على التوازن بين نظمته الموروثة وسلطة الأمير الصاعدة التي لا تقهر^(٢) .

ولعل أقوى حدث يدل على ما ذهبت إليه من سياسة بني أمية ذلك الذي جري في خراسان على عهد سليمان بن عبد الملك ، إذ أراد الوليد بن عبد الملك في آخر أيامه أن ينحى أخاه سليمان عن ولاية العهد ، وأن يجعلها لابنه عبد العزيز ، ولما مات الوليد دون أن يتم الأمر ، وجاء سليمان ، يادر قتيبة بن مسلم والي خراسان بإعلان التمرد ، وجاهر بعدم البيعة لسليمان ، وحش الناس على ذلك ، لكن وكيع بن حسان التميمي داهم قتيبة في جموع من تميم وقتله ، وأعاد الطاعة لسليمان .

ونو كان الأمر أمر عصبية يحرص عليها بتو أمية ليادر سليمان بشكر تميم ، وإعلاء شأن وكيع بن حسان ، ولكن سليمان يفاجئا على العكس من ذلك بصب سخطه على تميم ، فيخطب الناس في عرفات ذاكرة غدرهم ، ووثوبهم على سلطانهم ، وإسراعهم إلى الفتق^(٣) . وكان

(١) انظر ابن الأثير ، ج ٣ / ٢٨٤

(٢) شعر البصرة في العصر الأموي ، ص ٤٠

(٣) التفتيح ، ج ١ ، ص ٣٦٦

سليمان تنبه إلى أن فعل نيم مهما كانت نتائجه الجزئية لا ينبغي أن يتقدم على طاعة الوالي الأمري مهما كانت حفواته وسقطاته . وما تلك بسياسة قوم يريدون إضرام نار العصبية تعظيماً للكهيم

ومن هذا المطلق ينبغي أن نفهم توجهات النظام الأمري في المواجهة بين الولاة المضربين والولاة اليمينيين ، فما كان ذلك - في زعمنا - إلا نتيجة لموازات وحسابات تحرص على تحجيم كل من الطرفين .

هذا إلى أن عوامل أخرى كانت تعمل عملها في تفتيت العصبية وتذويبها منها نظام الديوان الذي عامل القبائل عشائر متفرقة ، ومنها ما تفرضه الحياة المدنية من ضوابط والتزامات .

وفي هذا الإطار ينبغي أن تدرس حركة النقائض ، وأن نفهمها فهماً مغايراً يقوم على أنها حركة فنية ترمي في تأثيرها النهائي إلى تذويب العصبية لا إثارتها ، حركة تقوض العصبية وإن كانت العصبية مادتها ، ومن هنا نفهم تشجيع بني أمية غير المعلن لها ، واهتمام خلفائهم بتتبع أخبارها^(١١) ، ومحاولات بعض ولائهم تسمير ضرامها الفني كما في إلينا من أخبار يشر بن مروان أو غيره .

وتحن لا ننكر - بعد - أن بعض الولاة تصدى لشاعري النقائض ، وعنف بهما ، وهذا قد يكون لتجاوز في مرامي الحركة . والتجاوز وارد ، ولا نستطيع كبح جرح الفنان في بعض الأحيان ، وقد يكون راجعاً لضيق عطن بعض الولاة ، وعجزهم عن إدراك وظيفة الفن ، ولا ينبغي أن نفترض أن كل الولاة يدركون وظيفة الفن ، وقد يكون راجعاً لتعرض صريح لبعض سياسات الدولة^(١٢) ، على أية حال كان هذا استثناء خارجاً على النسق العام الذي كان يشجع

١١- انظر الأغاني ج ٨ - ٨١

١٢- مثال لذلك سبيل خالد القسري للفردق . وفي ظننا أنه لم يكن لعصبية - كما توهم البعض - وإنما هو لمناجاة الفردق حفر مهر المبارك الذي انده عليه خالد . انظر الأغاني ج ٢١ ص ٣٧٩

الحركة ، ويغري بين أقطابها لتستمر ، وتستمر فاعلياتها في إقرار روح جديدة ، وليس أدل على ذلك من أن التناقض ظلت متوهجة أكثر من خمسة وأربعين عاما .

* * *

التناقض - إذن - ليست حركة عصبية ، وإنما كانت أداء هازلا لحكاية العصبية ، ولا بأس - والأمر كذلك - أن ننظر إلى التناقض على أنها لون من ألوان المسرح الباكر في تاريخنا الفني ، توفرت لها - على نحو من الأنحاء - معظم عناصر المسرح ، فالمريد مكان للعرض ، وهناك جمهور من النظارة يتمثل في أولئك المتحلقين حول كل من الشعراء ، وهناك توزيع عفوي للأدوار لم يتقيد بالانتماء القبلي فكلا الشعراء من تميم ، ولكن الفرزدق يقوم بدور حامي تميم ، بينما يقوم جرير بدور المدافع عن قيس ، وفي الوقت ذاته يحاول الفرزدق أن يجسد قيم الجاهلية وأعرافها ، بينما يقف جرير في الناحية المتأصلة مجسدا للقيم الجديدة التي أظلت المجتمع العربي بعد الإسلام .

ثم هنالك - فضلا عن ذلك - ألوان من الإخراج المسرحي ، وألوان من الشباب التي يؤدي بها الدور ، يقول الحجاج للشاعرين : اثنياني في لباس أبائكما في الجاهلية ، فلبس الفرزدق الديباج والحز ، ويجلس في قبة ، ويأتي جرير لابسا درعا متقلدا سيفاً ، حاملا رمحا ، يركب فرسا وحوله أربعون فارسا من يربوع ، وتكون المفارقة ، وتتطلق سخرية جرير من الفرزدق :

لبستُ سلاحي والفرزدقُ لعبةً عليه وشاحا كرجٍ ويلايلسه
أعدوا مع الحلي الملائبَ فإنما جريرٌ لكم بعلٌ وأنتمُ حلاله^(١)

فهل يتعدى فن الإخراج المسرحي ذلك ، صحيح أنه إخراج بدائي ، ولكنه إخراج على أية حال .

(١) طبقات نحرولشعر ج ١ ص ٦٤

وشبيه بذلك قصة الشاعرين والأسرى حينما طلب إلى كل منهما أن يضرب بسيفه أسيرا روميا ، ودس للفرزدق سيف كهام لا يقطع ، وأعطى لجرير سيف قاطع ، وكانت المفارقة أن الفرزدق هذا التباه المتعش يشرب بسيفه فلا يحدث أثرا ، وضرب جرير فيقصل رقبة الأسير عن جسده^(١) ، ويكون ذلك مادة لا تنفد لسخرية جرير بالفرزدق .

وقد يكون إخراج هذا المشهد فظا خشنا ، الضرب فيه حقيقة ، والقتل كذلك ، ولكنه إخراج يتناسب مع مشاعر وطباع مازال للبداءة فيها نصيب ، ثم ما لنا نعجب لهذا الإخراج الخشن ، وقد رأينا بعض رواد المسرح الحديث يدعون إلى ما يعرف بمسرح القسوة ، يخيّلون فيه مشاهد الدم والقتل على أنها واقع حي^(٢) .

وكثيراً ما صاحب الأداء الشعري للتناقض أداً حركياً ، فحينما أنشد جرير قصيدته البائية :

« أَقْلَى اللّوم عاذِلُ والعتابُ »

ويلغ قوله :

« بها برص يجانب إسكتيها »

وضع الفرزدق يده على فيه ، وغطى عنقه متوقفاً قول جرير :

« كعتقفة الفرزدق حين شابا »

وينصرف " الفرزدق " بين سخرية المتحلقين ، وهو يقول : « اللهم أخزه ، وإلّه لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكن طمعت ألا يابه فغطيت وجهي »^(٣) . فماذا يكون الأداء المسرحي غير هذا ؟!

(١) طبقات فحول الشعراء . ج ١ . ص ٤

(٢) نظرية المسرح الحديث . اريك ببتلي . ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت ، بغداد . ١٩٧٥ . ص ٤٧ وما بعدها

(٣) الأغاني . ج ٨ . ص ٣٥

وإذا كان الأداء المسرحي يقتضي أن يكون هناك تناسب بين اللغة والشخصية فإن هذا التناسب لا تخطئه الأذن في شعر الشعراء ؛ فالفرزدق يختار لغته من معجم جاهلي بحت ، ومنتقي غريب اللفظ ، ويصوغ عباراته على نحو ما كان يصنع الفحول في الجاهلية ؛ فتبدو العبارة منتفخة متعجرفة ، أما جرير فكان على العكس من ذلك مألوف اللفظ ، طبع العبارة ، قريبا في شعره من ذوق العامة .

* * *

يبقى - بعد ذلك - أن مسرح النقائض قد ترك لكل واحد من الشعراء أن يقوم بإعداد دوره ، وأن الحوار ليس أنبيا بمعنى أن أحد الشعراء يبدأ ثم تمضي مدة قد تستغرق أياما قبل أن يرد الثاني ، وقد يوهم هذان الفارقان بأن النقائض ليست من المسرح في شيء ، إذ عادة ما يكون هناك مؤلف واحد للعمل المسرحي^(١) ، وعادة ما يكون الحوار أنبيا ، ولكن علينا ألا تعرض النقائض على معايير المسرح ، ونطلب أن تضاهي هذه المعايير مضاهاة صارمة ، فلم تكن - كما أسلفنا القول - سوى صورة باكرة فيها غير قليل من السذاجة والعفوية والعشوائية ، ثم علينا أن نعلم - من ناحية أخرى - أن معايير المسرح - هذه التي نحتكم إليها - لم تثبت على مرّ العصور أمام مقتضيات الظروف والأحوال ، وأمام جماعات الكتاب والمؤلفين ، وليس لنا أن ننعي على مسرح النقائض سذاجته وعفويته ، وقد بدت هذه السذاجة وهذه العفوية مطمحا بعيد المنال لدى عديد من كتاب المسرح ، فحاولوا اصطناعها حين عز عليهم وجودها ، وهذا ما نراه في بعض المسرحيات العالمية مثل " الليلة نرتجل التمثيل " ومثل " ست شخصيات تبحث عن مؤلف " .

أما أن الحوار ليس أنبيا فهذا لا يخرج النقائض من إطار المسرح طالما أن قول البادئ كان يظل حيا في أفواه الناس وفي آذانهم ، في مجالسهم وأسماعهم حتى يرد التالي ، فالفاصل الزمني بين القول وجوابه ليست له قيمة حقيقية .

(١) قد يكون من المفيد هنا أن تشير إلى فن " المخطّطية " وهو فن من الفنون التي عرقها مسرحنا العربي في طور من أطوارها . وفي هذا الفن كان الممثل يختار دوره ، ويقوم بإعداد الحوار المناسب

ثم لماذا نجعل معايير المسرح الغربي هي المثال المحتذى ، ولماذا لا تكون النقائص صورة
لمسرح عربي له معايير الخاصة به ، وله قوانينه التي تفرضها مقتضيات الذوق العربي ،
ومتطلبات المجتمع الذي كان في طور انتقال من البداوة إلى التحضر ؟!

* * *

والحقيقة أن كلا الشاعرين أجاد في تأدية دوره ، نجح الفرزدق كما نجح جرير ، جسد
الفرزدق شخصية المنتفش الأجوف ، رجس جرير شخصية الهازل " المهرج " الذي يلاحق
شخصية الفرزدق المنتفشة المتباذخة ، يرشقها بسهام السخرية ، ويرجمها بالضحكات ينتزعها
من جمهور النظارة . وإذا كنا نتحدث عن الشخصية التي جسدها كل من الشاعرين فإننا نعني
الشخصية الفنية التي اختار كلاهما أن يبدو بها على مسرح النقائص ، وقد تكون هذه
الشخصية مفارقة في كثير أو قليل لشخصيته الحقيقية التي لا يهمنها سوى القدر الذي
يضيء مثلنا للشخصية الفنية ، فمثلا نحن لا يهمننا من شخصية الفرزدق سوى بعض أوصاف
خلفية وخلقية مثل قصره ودماسته وتكرشه فضلا عن جنبه الذي عرف عنه ، وعن ميل واضح
إلى الهزل دلتنا عليه بعض أخباره ، فهذه الأوصاف إذا قرنت بشخصية الفرزدق الفنية اتضحت
لنا فيها مفارقة مضحكة ، وبدا أمانا الفرزدق قصيرا يتطاول ، وجبانا يدعي الشجاعة ،
وهازلا يرسم على وجهه أمارات العبوس والجهامة ، وهذه المفارقة تجعل من شخصية الفرزدق
الفنية شخصية سهلة الاختراق أمام رشقات جرير النافذة الساخرة .

كذلك قد لا نهتم من شخصية جرير الحقيقية إلا بما عرف عنه من رقة وتورع إذا قرنا بما
نجد في شخصيته الفنية من الفحش الهازل تبين لنا أن هذا الفحش وسيلة لا غاية .

على أننا - في كل الأحوال - ينبغي أن نضع في اعتبارنا ذلك البون الفاصل بين الفن
والواقع ، فمن الخطأ الفادح أن نفترض ذلك التطابق الحرفي بين ما يصوره الشاعر فنا ، وما
يحياء حقيقة

ها نحن مع الفرزدق - يدخل إلى ساحة النقائص ، وحقيقة كان دخوله مسرحيا بكل ما تحمله الكلمة من معان ، فقد ذهبت إليه - فيما يقال - نساء مجاشع يستغثن به حينما عجز البعيث عن دفع لسان جرير عنهن ، وكان الفرزدق - فيما يقال أيضا - قد قيد نفسه ، ونذر ألا يفك قيده إلا إذا أتم حفظ القرآن الكريم ، ولكنه إزاء استصراخ نساء مجاشع له يفك القيد، ويتطلق ليحمل ما تفرضه عليه واجبات القبيلة قائلا :

فإن يك قيدي كان نذراً نذرتَه فما بي عن أحسابِ قومي من شغلٍ
أنا الضامنُ الراعي عليهم وإنما يدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلي^(١١)

والبيتان لا يفصحان عن طبيعة هذا القيد الذي قيد به الفرزدق نفسه ، أهو قيد حقيقي أو معنوي ؟! وعلى أي حال فنحن لا نرى في قصة هذا القيد إلا لونا من الأداء التمثيلي ، يدفع بالفرزدق إلى ساحة المسرح محوطا بهالة من الزهو والخيلاء ، موضوعا في إطار الدور الذي رسم له ، أو رسمه لنفسه ، وحسبك - منذ البداية - أن ترى الفرزدق يعلي شأن القبيلة على شأن الدين ، ويترك حفظ كلام الله - سبحانه - إلى حفظ أحساب قومه .

والمضحك - بعد ذلك - أننا ترى الفرزدق يستدير إلى " البعيث " بالتقريع والتعنيف وقد فشل في مهمته أمام جرير :

دعاني ابنُ حمراءِ العجاني ولم يجد له إذ دعا مستأخراً من دعائيا
فنفقتُ عن سُميمةٍ حتى تنفسا وقلت له : لا تخش شيئا ورائيا
أرحتُ ابنَ حمراءِ العجاني فعدت فقارته الوسطى وإن كان نائيا
فإن يدعني باسمي " البعيث " فلم يجد ليما كفى في الحرب ما كان جانيا^(١٢)

والفرزدق هنا يبدو أشبه بالفتوة " الذي أرسل أحد صبيته للقيام بمهمة فشغل فيها فأخذه بالتعنيف والتقريع لأنه اضطره أن يتولاها بنفسه ، وهو أكبر منها . ومثله ينبغي أن

(١١) النقائص ج ١ ص ١٢٨

(١٢) نفسه ج ١ ص ١٦٩

يدخر لجلال الأعمال ، ثم لعلك لاحظت استنكاف الفرزدق أن يدعوه " البيعث " باسمه مجردا ،
فبأي طريقة - إذن - كان يريد الفرزدق أن يدعوه " البيعث " ؟ !!

هكذا منذ البداية تتحدد معالم الشخصية التي يجدها الفرزدق ، وغضي معه في هذه
التصيدة الاقتحائية فترى الخطوط تتضح ، ونرى منطلقات الشخصية تبدو واضحة جلية ، فهي
شخصية لما تزل تحيا بفاهيم جاهلية ، وتكفي على قيم العصبية ، وتتباذخ بالآباء والأجداد :

يا أي أب يا ابن المراغة تبتغي	رهاني إلى غايات عمي وخاليا
هلم أبا كابني عقالي تعدد	وواديهما يا ابن المراغة واديا
تجد فرعه عند السماء ، ودارم	من المجد منه أترعت لي الجوابيا
بني لي به الشيخان من آل دارم	بناء يرى عند المجرة عاليا ^(١)

وعلى طول رحلة الفرزدق مع النقائض لا تهدأ هذه التغمّة ، فهو لا يمل تعداد آياته
وأجداه ، وعرضهم في صور مجسدة كأنهم أحياء مائلون أو أوثان معبودون :

إن الذي سمك السماء بني لنا	بيتا دعائمه أعز وأطول
بيتا بناه لنا الملك وما بني	حكم السماء قايته لا يتقل
بيتا " زرارة " محتجب بفتائه	ومجاشع وأبو الفوارس نهشل ^(٢)

وينظر إلى " جرير " وقومه في احتقار وازدراء ، قأين هم من مجاشع ؟! وأين هؤلاء
الرعاع الذين يدفعهم الناس عن المناهل من أجداد الفرزدق الذين كانوا يلبسون حلل الملوك :

إن الزحام لغيركم فتحيّتوا	ورد العشي إليه يخلو المنهل
حلك الملوك لباسا في أهلنا	والسباغات إلى الرعى تتسربل ^(٣)

(١) النقائض ج ١ ص ١٩٨

(٢) نفسه ج ١ ص ٢٦

(٣) نفسه ج ١ ص ٢٦١

ويبلغ به التباذخ أن يدعو " جريرا " إلى متافرة - كترك التي كانت تحدث في الجاهلية :

هلم نواف مئة ثم نأل بنا وبكم قضاة أو نؤرا
ورعط ابن الحصين فلا تدعهم ذوي يمن وعاطمني خطارا
هناك لو نبت بني كليب وجدتهم الأدقاء الصغارا^(١)

* * *

العصية - اذن - مفتاح شخصية الفرزدق ، وإذا كان هناك بيت للفرزدق يصلح أن يعبر
عن شخصيته تعبيرا جامعا فلن يكون إلا قوله :

أولئك آبائي فجنتي بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع^(٢)

هو ملتفت دائما إلى الماضي ، يرى فيه غناء عن الحاضر ، ولا يهم أن يضع الحاضر
ظلالا بقي الماضي ، يخاطب " جريرا " بشأن حادث الأسرى الذي أشرنا إليه آنفا :

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب ، أو ليا مثل دارم^(٣)

إن نجاح جرير في قتل الرومي ، وعجز للفرزدق لن يغير من الأمر شيئا ، فلن يبدل بأب
جرير أبا آخر يستطيع أن يتساوى مع دارم جد الفرزدق ، وهكذا يعز الإنسان إذا عز قديمه ،
والأمور كلها بخير طالما بقي الماضي سليما .

ويتجلى لنا هنا التشبث بالماضي في أن " الفرزدق " لا يرى قوة له ولا لقومه إلا في
ظله ، وكأنما توقف به الزمن عنده :

تعالوا فعدوا يعلم الناس أينا لصاحبه في أول الدهر تابع^(٤)

(١) التفاضل ، ج ١ ص ٢٦١

(٢) نفا ، ج ٢ ص ٦٩٩

(٣) نفا ، ج ٢ ص ٦٧

(٤) نفا ، ج ٢ ص ٧

وهكذا تظل صور الماضي تتشال في شعر الفرزدق متوهجة حية ، يلونها الحنين بألوانه الساحرة ، وينقلها لنا الفرزدق كأنها واقع مرئي ، انظر إليه مثلاً يصور آباءه وما كان بيتهم وبين أمير الحيرة :

وأنا لتجري الخمر بين سراتنا وبين أبي قابوس فوق التعارق
لذن غدوة ، حتى نروح وتاجه علينا ، رذاكي المسك فوق المنارق^(١)

وتتردد كلمة " الجاهلية " في كثير من الاحترام في شعره :

في حومة غمرت أباك بحورها في الجاهلية كان والإسلام^(٢)

بل إنه ليحلر له في بعض الأحيان أن ينتزع صورة من وثنية الجاهلية وأصنامها كما نرى في وصفه لجنان قومه وحولها المعتفون :

تفرغ في شيزى كأن جفائها حياض حبي منها ملاء ونصف
ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم في الجاهلية عكف^(٣)

أما وقائع الماضي وأيامه فتمثل في شعره واقعا حيا بتفصيلاتها الدقيقة ، وتعاريجها الخفية ، وهي لحمه هذا الشعر وسداه ، ولا تريد أن تخوض في تفاصيل هذه الأيام ، فحسبنا منها ذلك الإسياب المفيض الذي تكفل به أبو عبيدة معمر بن المثنى في شرحه .

* * *

على أن العجيب بعد ذلك أننا نقع في شعر الفرزدق وهو الذي يجسد كل تلك القيم الجاهلية على صور مأخوذة من مادة إسلامية كما نرى في قوله :

وكان لهم كيكرك ثمود لما رغا ظهرا قدمهم دمارا^(٤)

(١) النقاظ ، ج ٢ ، ص ٧٨٦ .

(٢) نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٣) نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٤) نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

وقوله :

فإنك من هجاء بني نضير كأهل النار إذ وجدوا العذابا
رجوا من حرّها أن يستريحوا وقد كان الصديد لهم شرايا^(١)

وقوله ذاكرة الحجاج في واقعة قتيبة بن مسلم :

فلما عتا الجهاد حين طغى به غنى قال : إنّي مرتقٍ في السلام
فكان كما قال ابن نوح : سأرتقي إلى جبلٍ من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبة البيضاء ذات المحارم^(٢)

بل إنه يعبر جريرا أنه خرج عن جماعة الإسلام :

وألقيت من كفيك جبل جماعةٍ وطاعة مهديّ شديد التّقائم^(٣)

غير أن هذه المادة الإسلامية تبدو غريبة على الجسد الشعري للفرزدق ، وهي تشكل - في زعمنا - مفارقة أخرى في الشخصية ، ولابد أن جمهور النظارة آنذاك كان يكتم الضحك ، وهو يرى الفرزدق يبدو متدثرا بدثار إسلامي ، وكأنه - كما نرى في رسوم الأطفال المتحركة في أيامنا - فأر يتنكر في هيئة قط لينجو مما يترصده منه ، غير أن هذا القناع الزائف سرعان ما يسقط حين نرى أن نظرة الفرزدق إلى الإسلام نظرة قبلية محضة ، فهو حين يذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يذكره في معرض فخر قبليّ ، وكأنه في نظره لا يعدو واحدا يسلكه في نظم آياته العظام من أمثال مجاشع ونهشل :

ما النبي محمد يجلي به عتا العى بمصدق مأمور
خير الذين وراءه وأمامه بالمكرماتٍ مبشرٍ ونذيرٍ
إن النبوة والخلافة والهدى فينا وأول من دعا بطهور^(٤)

(١) التّقائم ج ١ ص ٤٩٨

(٢) نفسه ج ١ ص ٣٤٨

(٣) نفسه ج ١ ص ٣٧٤

(٤) نفسه ج ٢ ص ٩١٣

على أن شخصية الفرزدق - كما صورتها أشعاره - كانت تحمل في داخلها معاول هدمها ، ففيها حماقة واضحة ، وحسبك أن ترى من آي هذه الحماسة ما تنناه لنفسه ولحبوبته في مقدمة قصيدته الفائية :

فيا ليتنا كنّا بعيرين لا نرد على منهل إلا نشل ونثقف^(١)
كلانا به عريخاف قراقه على الناس ، مطلي المسعر ، أخشف^(٢)

فلم نر محبا قبل الفرزدق تمتى أن يكون هو ومحبوبته بعيرين يطردهما الناس ، ويتذفونهما كلما وردا منهلا من المناهل !! ، ولم نر محبا قبل الفرزدق ولا بعده ، تمتى لنفسه ومحبوبته الجرب حتى يعتزلها الناس !! أما كان أمام الفرزدق ما يؤدي هذا المعنى في شكل رقيق ؟! أليست تلك هي الحماسة بعينها ؟!

ومن الحماسة أيضا ما نراه من تهديده الحفي للحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة بالهرب منه !! ولعل " الفرزدق " أول إنسان يهدد خصمه بالهرب !! وقد تكرر ذلك منه ، فمن قبل عدو هروبه من زياد بن أبيه إعجازا له وإعيا ، وإليك قوله في تهديد الحارث :

أحارثُ داري مرتين هدمتها وكنت ابنَ أخت لا تُخاف غوائله
وقبلك ما أعييتُ كاسرَ عيته " زيادا " فلم تقظدر عليّ حائله^(٣)

وطبيعي أن تصحب هذه الحماسة حدة في الانفعال ، وهذا ما نراه منه حين يضيق بجرب فينتطلق عاريا من الفن في سباب مباشر ، يختار عباراته مما يجري على ألسنة العامة :

* إذا أنت (يا ابن الكلب) ألفتك نهشل ولم تكُ في حلفٍ فما أنت صانع؟!^(٤)
* تصاغرت (يا ابن الكلب) لما رأيتني مطع الشمس في صعبٍ عزيزٍ معاقله^(٥)

(١) النقا، ج ٢ ، ص ٥٥٣ . المسعر : أصول الفخذين ، أخشف : يابس الجلد .

(٢) نقه ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ .

(٣) نقه ، ج ٢ ، ص ٧٠٠ .

(٤) نقه ، ج ٢ ، ص ٦٢٢ .

وفضلا عن ذلك ففي شخصية الفرزدق - كما بدت على مسرح التناقض - تناقض واضح
فبينما هو يفتخر بأبيه محيي المروءات كما يزعم ، وفي هذا ما فيه من رد اعتبار المرأة وإعلاء
كرامتها ، نراه يعود فينتقض كل ذلك ، ويرى أن موت المرأة هو أهون الفقد :

وأهون مفقود إذا الموت ناله على المرء من أصحابه من تقتعاً^(١)

* * *

غير أن هنالك جانبا نجح الفرزدق في تجسيده خير نجاح هو ما تحتاجه مثل شخصيته من
ثقل الظل ، وفقدان القدرة على الفكاهة ، وعجزه عن صوغ الرشفة الساخرة التي نجح فيها
صاحبه ، فتراه حين يقع على شيء من ذاك ، يخونه الإيجاز ، ويسرف في السرد ، وتبوء في
يديه العبارة ، كما ترى في مثل قوله :

تركت جريرا وهو في السوق حابس عطية هل يلقي به من يبادلُه
فقالوا له ردّ الحمارَ فائسَه أبوك لثيمٍ رأسُه وجحافلُه
وأنت حريص أن يكون مجاشعُ أياك ولكن ابنته عنك شاغله^(٢)

هكذا تتفخ اللقطة ، وتتناثر ، ويتحول ما هو مفروض أن يتم في صورة رشفة خاطفة إلى
حكاية ، قيمل السامع وينفر ، ومثل هذا كثير في شعر الفرزدق ، وهو - في زعمنا - جانب
متمم للشخصية التي يجسدها الفرزدق ، والتي تبدو وكأنها جسد محنط يخرج علينا من أغوار
الجاهلية .

* * *

هذه شخصية الفرزدق كما بدت على مسرح التناقض ، ولو أن مؤلفا مسرحيا أراد رسم
دور لشخصية تمثل الرؤية القديمة بتباذخها الأجوف ، لما رسمها كما رسمها الفرزدق ، ولو أن
مخرجاً أجهد نفسه في اختيار وجه يؤدي هذا الدور لما اختار مثل الفرزدق .

(١) التناقض، ج ٢، ص ٨٣٢ .

(٢) نفسه، ص ٦٣٦ .

وإذا كنا نذهب إلى أن التناقض بهذا الأداء الهزلي لحكاية العصبية إنما هي تفرغ للرؤية القديمة ، وتقويض لها ، فما كان ذلك ليتم إلا بتجسيد هذه الرؤية ، ووضعها تحت العين بكل ما فيها من تناقضات ، وهذا هو الدور الذي كان متروفاً بالفرزدق ، وقد أداه بمهارة فائقة ، أما " جرير " فقد أنيط به تفرغ هذه الرؤية ونقضها ، وسرى أنه أدى ذلك - أيضاً - بمهارة فائقة استحوذت على إعجاب جمهور النظارة .

* * *

يدخل " جرير " إلى الساحة ، ولعل أحداً لم يلتفت إلى أنه أراد أن يكون قرداً مجرداً ، لا يتكلم على حسب ، ولا يرتكن إلى نسب ، وإنما سلاحه فنه ، ولا تظن أنه كان من باب المصادفة أن يضمن قصيدته الأولى التي ردّ بها على " الفرزدق " هذه الشكوى من أبيه الذي منعه حاجته ، وضمن عليه بآله :

وإني لعفُ الفقيرُ مشتركُ الغنى	سريعُ إذا لم أرض داري انتقاليا
وإني لأستحيك والخرقُ بيتنا	من الأرض أن تلقى أخاً لي قاليا
وقائلةُ والدسُعُ يحدرُ كحلها	أبعدَ جريرُ تُكرمون المواليا
فردى جمالَ الحيّ ثم تحملي	فما لك فيهم من مقام ولا ليا
تعرّضت فاستمرت من دون حاجتي	فحالكُ إنني مستمرُ لحاليا
وإني لغرورُ أعللُ بالنسي	عشيّة أرجو أن مالك ماليا
فأنت أبي مالم تكن لي حاجة	فإن عرضت أيقنت أن لا أبا ليا ^(١)

على أن هذه الأبيات تجسد لنا أيضاً خطوطاً أخرى فارقة بين شخصيتي " جرير " و" الفرزدق " فجرير هنا يبدو شخصية محبة محبوبة :

وإني لأستحيك والخرقُ بيتنا	من الأرض أن تلقى أخاً لي قاليا

(١) التناقض ، ج ١ ، ص ١٧٧ .

وهو إنسان لا يعيش لنفسه وإنما يعيش للجماعة :

وإني لعفّ الفقر مشترك الغنى

وهذه قيمة إن لم تكن جديدة فقد أكدّها الإسلام ، ودعا إليها ، وصارت مطلباً مثاليا للجماعة الإسلامية في مجتمعاتها الجديدة .

إن هذه الأبيات التي افتتح بها جرير دوره أبيات مهمة في تحديد سمات الشخصية ، وبيان مناحي توجهها .

* * *

يواجه " جرير " " الفرزدق " وكان عليه أولاً أن يقوِّض له بتاً « الذي يرتكن إليه ، ويوضح له ما ينخر فيه من تفسخ وتحلل ، ولم يكن أمامه إلا الفن يلجأ إليه ، وإلا ما يوجد به خياله الشاعر ، ولقد وقع على ضالته في أولئك القيون الذين كانوا يلوذون بمجاشع قوم " الفرزدق " ، فاتخذ منهم معوله لهدم معقل العصبية الذي يتحصن به صاحبه ، وإلحراق واحة الآباء والأجداد التي كان يستروح فيها أنسام الماضي ، وماذا يبقى من حديث العصبية بعد أن شكك " جرير " في نسب " غالب " أبي الفرزدق إلى أبيه " صعصة " ، إنما " غالب " ابن لـ " جبير " ذلك القين الذي اتصلت به " ليلي " زوج " صعصة " :

فديتُك يا فرزدقُ دينُ ليلى تسزور القينَ حجاً واعتماراً

فظل القينُ بعد تكاحِ ليلى يُطيرُ على سبالكم الشُّرَكَاراً^(١)

ويعرض أمر " غالب " و " جبير " وكأنه قضية تشغل الناس ، وكل يدلي فيها بدلوه ، فمنهم من يثبت ، ومنهم من ينكر ، ولكن تشابه غالب بجبير قطع قول كل قائل :

يقولون : كلا ليس للقينِ غالبُ بلى ، إن ضربَ القينِ بالقينِ يعرفُ

ولما رأوا عمتيَ جبيرا لغالبِ أبان جبير الربيعة المتقرف^(٢)

(١) التقاتض ، ج ١ ، ص ٢٥٢ -

(٢) نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ -

والعجيب - بعد ذلك - والرائع في فن " جرير " أنه يمضي وكأن نسبة " غالب " إلى
القيون قد أصبحت حقيقة ثابتة ، فيبني عليها ما شاء له خياله من مواقف ، هذا " جبير " قبل
موته يوصي " غالباً " أبا الفرزدق ، فماذا كانت وصاته ؟!

وأوصي جبير إلى غالب
فقال : ارفقن بلى الكتيّف وحكّ المشاعبي بالمبرد^(١)

وهذه " حدراء " زوج الفرزدق تأتف منه ، ولا تدري كيف تصنع - وهي سليمة أسرة
كرمة- بما يكلفها الفرزدق من أمور القيون :

حدراء أنكرت القيون وريحهم والحُرُّ يمنعُ ضيمَه الإنكارُ
لما رأت صدأ الحديدِ بجلده قاللون أوروُ ، والبثان قصار
قال الفرزدق رُعِي أكيارنا قالت : وكيف ترقع الأكيار؟!^(٢)

ويظل " جرير " ينوع على هذا المعنى ويقرع ، ويثال خياله الثرّ فبأتي بالغريب المضحك،
ويقوم لجبير - ذلك القين - واقعا نابضا ، فيصبح في أذهان العامة أعرف من نهشل ومجاشع
وزيد الفوارس وغيرهم ممن رصع بهم الفرزدق شعره ، ونظمهم عقد تباذخ - فإذا فرغ " جرير " من
قضية الآباء استدار إلى الأحوال فأمطر الفرزدق بوابل من سخرياته ، ووصم " ضبة " أخواله
بكل المنديات والمخزيات :

كان الفرزدق إذ يعودُ بخاله مثل الذليل يعودُ تحت القُرْمَلِ
وانخر يضبة إن أملك منهم ليس ابنُ ضبةَ بالمعمّ المخول^(٣)

ويقول :

وجدنا بيت ضبة في معدّ كبيت الضبّ ليس بقدي سوري

(١) النفاذ ج ٢ ، ص ٨٠٠ .

(٢) نفسه ، ص ٨٥٣ .

(٣) نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ - القرمز : شجر ضعيف لا يشرك له .

وجدناهم قنازع ملزقات بلا نيع تيت ولا نضر^(١)

ومضي " جرير " يكشف عن تناقض شخصية " الفرزدق " بين ما يدعيه لنفسه ولقومه وبين ما هو وما هم عليه في الواقع ، ومن خلال إبراز هذا التناقض يتضح خواء القيم القديمة وهزالها ، فهاهي القبيلة التي يقف " الفرزدق " معداً مفاخرها يقتل " الزبير " أمام رجالها وهم ينظرون :

دعوا المجد إلا أن تسرقوا كزومكم وقينا عراقيا ، وقينا يمانيا
تراغيتم يوم الزبير كأنكم ضباعٌ يذي قار تمنى الأمانيا^(٢)

وإذا كان " الفرزدق " يتباهى بأيام قبيلته الماضية ، فإن في هذه الأيام ما يخزي ، وحسبهم ما حدث لهم في يوم " الرحران " الذي قتل فيه زعماءهم :

تصف القيون وغيركم يعصى بها يا ابن القيون ، وذاك فعلُ الصيقل
وبرحران تخضضت أصلاؤكم وفزعتم فزع البطسان العزل^(٣)

ولغير قوم الفرزدق أن يتحدثوا عن الشجاعة ، أما هم فماذا يقولون والناس تعرف مخازبهم :

تسيل عليهم شعبُ المخازي وقد كانوا لسوءتها قرارا^(٤)

وطبيعي - بهذا الصدد - أن يتحدث " جرير " عن الماضي ، ويذكر وقائعه وأيامه ، ولكن حديثه عن الماضي كان - في جانب كبير منه - يأتي لتعرية ما يتصاول به الفرزدق ولكشف الزيف فيه .

* * *

(١) التناقض ج ١ ، ص ٢٤٩

(٢) نفسه ج ١ ، ص ١٧٩

(٣) نفسه ج ١ ، ص ٢٣٩

(٤) نفسه ج ١ ، ص ٢٥١

على أن " جرير " في كشفه عن تناقض الرؤية القديمة استغل عنصر آخر كان له خطره
هو ما اتصف به الفرزدق من قصر ودمامة ، فاتكأ على ذلك ليلفت إلى البون بين القول وبين
القدرة عليه ، إن هي إلا عبارات متنفخة لا تحمل رصيذا ، والفرزدق يقول كما كان يقول
القدماء ولكن الذي ينظر إلى هيئته الخلقية يجد الفرزدق في قوله لا يعدو القرد في تقليدها ،
قد تعبد هيئة الحركة ولكنها لا تعي مغزى ما تقوم به ؛ ومن هنا تأتي شدة السخرية في وصف
" جرير " له بالقرد :

* ضعا قردكم لما اختطفت فؤاده ولا بن وثيل كان خدك أضرا^(١)
* عشية لاقى القرد قرد مجاشع هريتا أبا شيلين في الغيل قسورا^(٢)

ومن هذا المنطلق يضغط " جرير " على صفة القصر في الفرزدق :

لقد ولدت أم الفرزدق فاجرا وجاءت بوزوان قصير القوائم^(٣)

ومرة أخرى يقرن القصر بالثرثرة والفيش :

إذا بطنت فانت يا ابن مجاشع عند الهوان جنادق نثار^(٤)

هو كلام ولا فعل ، وجعجة ولا طحن ، وجرير - يعد - أن يقول :

لا يخفين عليك أن مجاشعا لو يُنْفَخُون من الخثور لطاروا
إذ يؤسرون فلا يفك أسيرهم ويقتلون فتسلم الأوتار
وفايشونك والعظام ضعيفة والمخ ممخّر الهنائه رار^(٥)

(١) التناقض ج ٢ - ص ٨٢٦ -

(٢) نفسه ج ٢ - ص ٩٩٧ -

(٣) نفسه ج ١ - ص ٣٩٥ -

(٤) نفسه ج ٢ - ص ٨٥٩ - وأجندوف : القصير ، والنثار : كثير الكلام -

(٥) نفسه ج ٢ - ص ٨٦٦ -

وله بعد ذلك أن يسخر من تهديدات الفرزدق هذه السخرية اللاذعة :

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا أبشر بطول سلامة يامريع^(١)

وعلى هذا أيضا ينبغي أن نحمل هذه الصفات والألقاب التي ابتدعها " جرير " لوصف الفرزدق وقومه منها مثلا " حوض الحمار " وصفا لغالب أبي الفرزدق ، وكذلك " بنو ضوطني " و " بنو جوشي وجخجخ والقذام " وصفا لقوم الفرزدق ، إنها ألقاب تجسد ما تتطوي عليه الرؤية القديمة من فيش وادعاء .

ولابد أن هذه الألقاب ذاعت بين الناس ، وتداولتها ألسنة العامة ، ولا بد أن العامة أيضاً كانوا يتلقفون هذه الألقاب في شغف ويرددونها كما رددوا من قبل بعض أقواله ذات الإيقاع الصوتي المميز التي وصم بها البعيث من مثل :

أنت ابن هاتيك وتيكا وتيكا
أشبهت منها شها يخزيكا
يا ابن التي كانت تمشي جيكي
كأن بين إستيها ديكا^(٢)

وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على التحام " جرير " بالعامة ، وإحساسه بما يرضي أذواقها ، وهذا جانب متمم للشخصية التي جسدها جرير على مسرح النقائض

وإذا فرغ " جرير " من تفريغ الرؤية القديمة فأوقف صاحبه عاريا من الماضي ، وأوضح له أنه يتشبث من هذا الماضي بقبض ريح ، كان عليه أن يعرض صاحبه على معايير الرؤية الإسلامية ليبين له أنه استبدل ما هو أدنى بما هو خير ، وليبين له أن تشبثه بالماضي عزله عن مجتمع جديد يعيش في ظل قيم جديدة ، ومن هنا جاء لذع السخریات التي يطلقها جرير ، ويدمج بها صاحبه :

(١) النقائض ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٢) انظر ديوان جرير تحقيق د . نعمان محمد أمين ، ط . دار المعارف ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ وانظر تعليق أستاذنا الدكتور محمد محمد حسين على هذه الظاهرة في شعر جرير في كتابه الهجا والهجا من (صدر الإسلام) .

إن حجاج البيت يدفعون الفرزدق ويردونه كما يرد الدرهم الزائف :

نفاك حجاج البيت عن كل شعر كما رُدَّ ذو النميتين المزيف^(١)

وجبريل عليه السلام يقبح وجوه مجاشع لقاء غدرهم بالزبير :

يقبح جبريل وجوه مجاشع وتتعى الحواري النجوم الطوالع^(٢)

والفرزدق وقومه كلاب النار :

وأنتم كلاب النار ترمي وجوهكم عن الخير ، لا تفشون باب المراد^(٣)

وفي موسم الحج تراه خبيث المدخل والمشهد :

وجدنا الفرزدق بالموسمين خبيث المداخل والمشهد^(٤)

ثم هو رجس لا يظهر :

إن الفرزدق حين يدخل مسجدا رجسٌ فليس طهره بطهور^(٥)

ولا ينبغي أن يقارن نفسه بقيس فستان مجاتته وغشياته المواخير وسهر فرسان قيس على

ثغور الإسلام :

قيس تببت على الثغور جيادهم وتببت عند صواحب الماخور^(٦)

والفرزدق في سبيل المال يضحى بأي شيء حتى ولو كان الدين :

فإنك لو تعط الفرزدق درهما على دين تصراتية لتصرفا^(٧)

* * *

(١) القناص ج ٢ ص ٥٦٩ .

(٢) نقه ج ٢ ص ٦٩٥ .

(٣) نقه ج ٢ ص ٧٨١ .

(٤) نقه ج ٢ ص ٧٩٨ .

(٥) نقه ج ٢ ص ٩٣٦ .

(٦) نقه ج ٢ ص ٩٣٩ .

(٧) نقه ج ٢ ص ٩٩٦ .

تبقى بعد ذلك مسألة ما في النقائض من فحش ، وربما يتحرج كثيرون من قراءة النقائض لما فيها من ذكر للعورات ، ووصف سافر لأفعال الجنس ولكن علينا أن نأخذ إلى هذه المسألة في ضوء عدة اعتبارات :

الأول : أن المجتمع آنذاك كان لا يجد في ذكر هذه الألفاظ أو في سماعها تحرجاً ، ومن شاء فليراجع فصلاً من تاريخ الطبري أو غيره من كتب التراث ليرى أن هذه الألفاظ كانت تجري على الألسنة في عديد من المواقف دون تحجب ، وسوق الجاحظ في رسالة القيان عديداً من الشواهد التي تؤكد هذا ، ويقول : " وإنما وضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة ، ولو كان الرأي ألا يلفظ بها ما كان لأول كونها معنى ، ولكن في التحريم ، والصون للغة العرب أن ترفع هذه الأسماء والألفاظ منها " (١) .

وفي موضع آخر يسخر ممن يظهر النسك والتشفي والانتقاض عند ذكر هذه الألفاظ فيقول : " وأكثر من تحجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من المعرفة والكرم والتبيل والوقار ، إلا بقدر هذا التصنع " (٢) .

الثاني : أن الفكاهة ارتبطت وما زالت ترتبط بهذا اللون من التعبير العاري في جانب منها ، رأينا ذلك في أبيات " خيال الظل " لابن دانيال الموصلية ، بل ما نزال نراه على بعض خشبات مسرحنا الحديث في عصر نزعهم فيه أننا بلغنا شأواً من التحضر ، فما بالك بمجتمع عصر النقائض الذي كان أقرب إلى البداوة ، وفي البداوة خشونة ، وفي فكاهاتها غلظة .

الثالث : أنه ينبغي أن ننظر إلى ما تقع عليه من صور الجنس في النقائض على أنها صور وظفت توظيفاً فنياً ، وحسبك أن ترى أنها أوقفت الفرزدق على شفير هار من نسبه الذي يتبعج به وينتفش ، وحسبك أيضاً أن ترى من خلالها خور القيم القلبية . وعجزها ، ولعل في تلك الصور الساخرة التي عرضها " جرير " مصوراً أمر " لبللى " جدة الفرزدق مع " القيون " ،

(١) رسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون . ط الخانجي ، ص ٩٣

(٢) نفسه ، ص ٩٢

وأمر " جعثن " أخته مع " المنقري " مما تجده في تنويعات وتشكيلات ما يصور خواء ما يصيح
به الفرزدق من قيمه البالية -

ولعلنا في نظرتنا هذه لم نحاوز ما استقرت عليه جمهرة الباحثين والنقاد المحدثين في
تقومهم للجنس في الأعمال الأدبية المحدثه ، ولا يقال : إن الجنس في الأعمال الأدبية المحدثه
تأتي صوره محجوبة مغطاة ، أو مكثفٌ فيها باللمح والإشارة ، فلكل عصر طبائعه وظروفه .
ومهما كان من أمر فإن هذا الجانب في النقائض كان له إسهامه الفعال في تقويض الرؤية
القديمة ، وتفريقها ، والعلو عليها .

* * *

نجحت النقائض - إذن - في تفريغ الرؤية القديمة ، والعلو عليها ، وإذا كان شعر جرير
حظي بإعجاب العامة ، وحظى شعر الفرزدق بإعجاب علماء اللغة ؛ فهذا يدل دلالة واضحة
على ما بقي من الرؤية القديمة ، على أننا - في النهاية نقول : إن دور الفرزدق في تفريغ الرؤية
القديمة لا يقل عن دور جرير ؛ فقد كان تجسيد هذه الرؤية القديمة أولى الخطوات لتفريقها .

المصادر والمراجع

- ١- الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، ط . بيروت .
- ٢- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . دار المعارف .
- ٣- تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشايب ، ط . القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٤- التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د . شوقي ضيف ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف .
- ٥- ديوان جرير ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط . دار المعارف .
- ٦- رسالة القيان من مجموع رسائل الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، نشر الخانجي ، القاهرة .
- ٧- شعر البصرة في العصر الأموي ، دراسة في السياسة والاجتماع ، د . عون الشريف قاسم ، ط . بيروت والخرطوم ، ١٩٩١ .
- ٨- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط . القاهرة .
- ٩- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي ، د . إحسان النص ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ١٩٧٣ .
- ١٠- العصر الإسلامي ، د . شوقي ضيف ، ط . دار المعارف بمصر .
- ١١- الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير ، ط . لايدن ، ١٨٦٧ ، ١٨٧٤ .
- ١٢- نظرية المسرح الحديث ، اريك بنيتلي ، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروت ، بغداد ، ١٩٧٥ .
- ١٣- نقائض جرير والفرزدق ، أبو عبدة معمر بن المثنى ، لايدن ، ١٩٠٥ .
- ١٤- الهجاء والهجاءون (صدر الإسلام) د . محمد محمد حسين ، ط . النهضة ، بيروت ، ١٩٧١ .

الأعراض المرضية عند مراجعي المستشفيات النفسية في ضوء بعض المتغيرات

د. عبدالرحمن سليمان الطريري
أستاذ علم النفس المشارك - كلية التربية
جامعة الملك سعود / الرياض / السعودية

الرياض ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

ملخص

الأعراض المرضية عند مراجعي المستشفيات النفسية في ضوء بعض المتغيرات

د. عبدالرحمن سليمان الطيزي

استاذ علم النفس المشارك - كلية التربية

جامعة الملك سعود / الرياض / السعودية

مراجعو المستشفيات النفسية يتباينون من حيث الأعمار، الحالة الاجتماعية، عدد الأبناء، المؤهل الدراسي، والمهنة، هل لهذه المتغيرات دور في وضوح الأعراض المرضية لديهم أم لا؟ الجواب على هذا السؤال كان هدف هذه الدراسة. ومن أجل ذلك تم استخدام قائمة مراجعة الأعراض SCL 90 وتم تحقيق مؤشرات الصدق والثبات لها على المجتمع السعودي حيث كانت مؤشرات دالة. أما عينة الدراسة النهائية فكانت ٨٧ فرداً من مراجعي المستشفيات النفسية حيث تم تطبيق الأداة واستمارة المعلومات عليهم. النتائج التي تم التوصل إليها بينت أنه لا يوجد فروق بين أفراد العينة عند تصنيفهم حسب المتغيرات السابق الإشارة إليها في وضوح الأعراض أو عدم وضوحها ماعداً على متغير الجنس إذ وجد فروق بين الذكور والإناث كما وجد أن الأعراض كما تقاس من خلال الأداة ليس لها ارتباط دال مع متغيري العمر وعدد أفراد الأسرة.

الأعراض المرضية عند مراجعي المستشفيات النفسية في ضوء بعض المتغيرات

المقدمة:

الوقوف على الأعراض الحقيقية للمرض الذي يعاني منه المريض يعتبر هدفاً يسعى إليه العاملون في مجال العلاج النفسي، ذلك أن تحديد الأعراض ومعرفتها على حقيقتها يشكل خطوة أساسية تقود إلى تحديد المرض أو المعاناة التي يمر بها الفرد. ويأتي اهتمام العلماء بمعرفة الأعراض الخاصة بكل مرض وتحديداتها من أجل تحديد الأمراض التي تدل عليها الأعراض فالأعراض ليست هي الأمراض بل هي مظاهر خارجية أو علامات تدل على الأمراض. وحول العلاقة بين العرض والمرض يقول كمال دسوقي ١٩٧٤ "فالعرض هو ظاهر المرض لا باطنه، وإشارة وجوده لا نوعه أو حقيقته، فارتفاع درجة الحرارة أو معدل التنفس أو ضغط الدم وغيرها من التغيرات الفيزيولوجية أعراض. وفي الجانب العقلي أيضاً القلق المجهم، والخوف الذي لا مبرر له، وحدة الإنفعالات، واضطراب الذاكرة هي أيضاً أعراض". ومن الجهود المبكرة للعلماء إزاء الأعراض المرضية في المجال النفسي جهود أميل كراپلين Emil Kraepelin إذ لاحظ أن الأعراض في الأمراض النفسية تكون على شكل مجموعات مما جعله يستنتج أن مجموعات الأعراض Syndromes تعبر عن أعراض معينة وبناءً على ذلك وضع أول تصنيف للأمراض النفسية (الزيادي وخيري ١٩٦٨). وقد توالى جهود العلماء إزاء تصنيف الأمراض النفسية والأعراض الدالة وذلك نتيجة التطور في أدوات التشخيص وكذا التعرف على كثير من أسرار الأمراض وأسبابها المحدث لها وقد وضعت الجمعية الأمريكية للطب النفسي عام ١٩١٧ أول تصنيف للأمراض النفسية وأعراضها ثم عدل عام ١٩٣٤ وعدل أيضاً مع بداية الحرب العالمية الثانية لكي يشمل الأمراض النفسية الناجمة عن المواقف الضاغطة كما يحدث في الحروب وحالات الفواجع. وقد توالى الجهود حول الأمراض النفسية والأعراض الدالة عليها حتى أوجدت جمعية الطب النفسي الدليل التشخيصي والإحصائي

للإضطرابات العقلية المعروف Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders DSM وما طرأ عليه من تعديلات وإضافات وقد صنفت الأعراض الدالة على الأمراض إلى أعراض مباشرة وأعراض غير مباشرة كما صنفت إلى أعراض عضوية وأخرى نفسية كما أن من التصنيفات للأعراض الأعراض الحركية، المعرفية، الإرادية، الإنفعالية، والوجدانية. وتجدر الإشارة إلى أن الأعراض تتداخل فيما بينها، إذ قد تجد عرضاً من الأعراض مؤشراً أو علامة على أكثر من مرض فعلى سبيل المثال إرتفاع درجة الحرارة من الممكن أن يكون دالاً على التهاب اللوزتين أو من الممكن أن يكون مؤشراً للتهاب في الأذن أو قد يدل على مرض في المعدة وهكذا. وهذا الأمر صحيح في العلل والأمراض النفسية فالأمراض العصبية يوجد من التداخل في الأعراض الدالة عليها وكذا الأمراض الذاتية تتداخل أعراضها الدالة عليها، كما أن الإنحرافات والإضطرابات السلوكية يوجد تداخل بين أعراضها. فأعراض الإكتئاب قد تتداخل مع أعراض الهستيريا أو توهم المرض وكذا أعراض الفصام قد تتداخل مع أعراض البارانونيا وتأتي قيمة الجهود المكثفة من قبل العلماء والباحثين للوصول إلى تحديد واضح وجلي حول أعراض الأمراض من أجل الوصول إلى تشخيص دقيق وصائق. ولقد تجلت هذه الجهود فيما قامت به الجمعية الأمريكية للطب النفسي بتطوير دليل الأمراض العقلية وتجديده بين فترة وأخرى من أجل تضمينه كل ما هو جديد حول الأمراض النفسية وأعراضها حتى يمكن التفاعل مع الأمراض وفق تصنيفات وبناءً على محكات واضحة ومحددة تسهل فيما بعد التعامل مع المرض وعلاجه. وقد مر الدليل بمراحل هي DSM-1, DSM-2, DSM-3, DSM-III-R. وتجدر الإشارة إلى أن الدليل لن يكون كافياً وحده في عمليات تحديد المؤشرات المرضية، بل لا بد من أدوات وأساليب تشخيص صادقة وثابتة تمكن من تشخيص الأمراض وفق الأعراض المصاحبة لها والدالة عليها.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الشكوى التي يردها الإخصائيون النفسيون الذين يعملون في المستشفيات والعيادات النفسية وفحوى هذه الشكوى تتمثل في أنهم وفي كثير من الأحيان يجدون صعوبة في تحديد نوع المرض الذي يعاني

منه المريض والسبب كما يرون تداخل الأعراض وعدم وجود أدوات قياس دقيقة تمكنهم من معرفة هذه الأمراض وتحديدتها بصورة قاطعة ونهائية. ولقد تكرر سماع هذه الشكوى من قبل الباحث عند زيارته للمستشفيات والعيادات النفسية كما سمعها من طلابه الذين يدرسون في قسم علم النفس ولاسيما من قبل من هم على وشك التخرج. وقد يكون لهذه الشكوى ما يبررها لاسيما إذا علمنا أن معظم الأدوات والمقاييس المستخدمة من قبل الإخصائيين في المستشفيات والعيادات النفسية وضعت لبيئات مختلفة عن بيئتنا الاجتماعية وتختلف من حيث الثقافة والقيم والنظام الاجتماعي بشكل عام، كما أنه لم تجر على هذه الأدوات دراسات متعمقة كما لم يتم تقنينها واستخراج معايير لها وبما يتناسب مع المجتمع الذي ستطبق فيه بعد ترجمتها. وقد يكون من المناسب الإشارة إلى أن بعض الأدوات تم ترجمتها بغثها وسمينها ودونما غريلة وتمحيص لها مما يجعل بعض بنودها غير مناسبة على الإطلاق ويؤدي بالتالي إلى رفض المفحوصين الإجابة على مثل هذه البنود أو عدم فهمها لإختلافها عن السياق الحضاري والثقافي وقد تتم الإجابة عليها مجاملة ومن ثم ستكون النتيجة خطأ التشخيص.

ونتيجة لهذا الوضع الذي لمس الباحث وبما فيه من تدمير وعدم راحة ضمير لدى الإخصائيين النفسيين جاءت فكرة هذه الدراسة من أجل فحص كفاءة إحدى أدوات القياس المهمة في المجال الإكلينيكي ومعرفة مدى إمكانية تمييزها بين المجموعات المرضية المختلفة والتي تراجع المستشفيات النفسية. وقد وقع الاختيار على الأداة المسماة بقائمة مراجعة الأعراض Symptoms Check List SCL 90 نظراً لكونها إحدى الأدوات المستخدمة في المجال الإكلينيكي وذلك بغرض معرفة كفاءتها وقدرتها على التمييز بين المرضى وتحديد الأعراض المرضية لديهم. ويمكن عرض مشكلة الدراسة بالأسئلة الآتية:

- ١ - هل تتوفر لقائمة مراجعة الأعراض الموصفات السيكمترية وبالأخص الصدق والثبات عند تطبيقها على العينة السعودية؟
- ٢ - هل يوجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الأعراض ومتغيرات العمر وعدد أفراد الأسرة؟
- ٣ - هل يوجد فروق ذات دلالة في الأعراض بين الموضي المراجعين للمستشفيات النفسية باستخدام قائمة مراجعة الأعراض في عملية التشخيص. وفق

متغيرات: الجنس، المهنة، والمؤهل الدراسي، والحالة الإجتماعية؟
٤ - هل يوجد فروق ذات دلالة في الأعراض بين المرضى المراجعين للمستشفيات النفسية حسب المقاييس الفرعية المكونة لقائمة مراجعة الأعراض عند تصنيف العينة حسب متغيرات: الجنس، المهنة، الحالة الإجتماعية، والمؤهل الدراسي؟

مصطلحات الدراسة:

١ - الأعراض المرضية:

هي مجموعة العلامات والدلالات التي يمكن أن يستدل من خلالها على وجود مرض من الأمراض عند أحد الأفراد وقد تظهر هذه الأعراض على شكل مجموعة لتدل على مرض أو اضطراب من الاضطرابات وسيتم تحديدها وفق درجات الأفراد على المقياس بصورته الكلية وكذا وفق درجاتهم على المقاييس الفرعية.

٢ - مراجعو المستشفيات النفسية:

مجموعة من الأفراد الذين يعانون من بعض الأعراض أو لديهم شيء من الشكاوى جاءوا إلى المستشفيات النفسية طلباً للمساعدة من أجل التخلص من هذه الأعراض أو الشكاوى.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها دراسة ميدانية استهدفت الوقوف على فعالية إحدى أدوات القياس الإكلينيكي في الكشف عن الفروق في الأعراض لدى مراجعي المستشفيات النفسية بالإضافة إلى معرفة فيما إذا كان هناك علاقة بين ظهور الأعراض ومتغيري العمر وعدد أفراد الأسرة عند أفراد عينة الدراسة ذوي الخصائص الديموغرافية المختلفة والمتمثلة في العمر، الجنس، المؤهل الدراسي، نوع المهنة، عدد أفراد الأسرة، والحالة الإجتماعية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة هي أول دراسة تعمل في المجتمع السعودي وباستخدام أداة قائمة مراجعة الأعراض حسبما يذهب إليه علم الباحث. كما أن الجهد الذي عمل على المسعى

العربي إقتصصر على ترجمة الأداة من أصلها الإنجليزي من قبل غيد الرقيب البحيري إذ لا يوجد في كراسة التعليمات أي معلومات عن صدقها وثباتها كما لم يتمكن الباحث من الوقوف بجهوده الذاتية على أي دراسات استخدمت هذه الأداة. وبإختبار الأداة على أرض الواقع تكون هذه الدراسة قدمت معلومات جديدة عن هذه الأداة وكفاءتها في المجتمع السعودي بالإضافة إلى المعلومات الممكن تقديمها حول مجموعات المرضى المراجعين وبالأخص الفروق في الأعراض عند مقارنتها على ضوء متغيرات متعددة. وهذا الجهد من شأنه أن يمكن الإخصائيين النفسيين من استخدام قائمة مراجعة الأعراض في عمليات التشخيص بكل ثقة وبدون تردد.

الدراسات السابقة

في دراسة أجراها Osberg, Timothy, 92 تم بموجبها إجراء محاكاة لسلوك لفظي لشخص يعاني من أعراض ذهان الفصام (الشيزوفرينيا). ومن خلال أسلوب الملاحظة قام الباحث بتأكيد وإبراز التفكير والحديث المضطرب الذي يعاني منه مرضى الشيزوفرينيا سواء في محتوى أو صيغة خصائص مرض الشيزوفرينيا كما وردت في الدليل التشخيصي والإحصائي للإضطرابات العقلية DSM-III-R وقد قيم ٢٧ طالباً من طلاب علم النفس هذا المنولوج الذي تم بموجبه محاكاة سلوك وواقع مرضى ذهان الفصام (الشيزوفرينيا) بأنه مفيد ونافع للوقوف والتعرف على الأعراض الدالة على هذا المرض. ومن الدراسات المهمة بتحديد الأعراض ما قام به Gropper, Michael, 1991 وقد استهدفت هذه الدراسة مساعدة الأخصائيين في تشخيص وتحديد الأعراض التي توجد عند مدمني الكوكايين وتمييزها عن تلك الأعراض البيولوجية والاجتماعية الناجمة عن مشاكل أخرى وقد اعتمدت هذه الدراسة على دليل تشخيصي يتضمن أسئلة من شأنها الكشف عن عمق إدمان الكوكايين من قبل المرضى المراجعين. وبتطبيق هذا الدليل تبين للباحث قائمة الدليل في إعطاء وصف اكلينيكي للحالة المرضية.

ومن أجل تحسين ظروف مرضى ذهان الفصام (الشيزوفرينيا) وبالأخص فيما يتعلق بإدراك الألوان والكلمات إذ أنهم يعانون من صعوبة في ذلك وهذه من الأعراض الدالة عليهم أجرى Rosse, Richard, B 1992 وآخرون دراسة على عشرة من مرضى ذهان الفصام (الشيزوفرينيا) حيث وضع لهم برنامج حمية لمدة أربعة أيام وقد ترتب على هذا البرنامج انخفاض مستوى حامض التراجيتوفان في الدم عند جميع أفراد العينة وقد ترتب على ذلك تحسن في أداء المفحوصين على اختبار تسمية الألوان والكلمات. وفي دراسة علاجية أجرى Allan, Heidi 1992 دراسة على مريض يبلغ ٤٥ عاماً ومريضة عمرها ٢٤ عاماً وكلاهما من مرضى الشيزوفرينيا الذين اتضحت عليهم أعراض السلوكيات المضطربة. وباستخدام برنامج علاج عقلي سلوكي مع المريضين لوحظ تحسن في قدرتهما على التكيف مع المثيرات الضاغطة كما لوحظ تعاون المريضين واستجابتهما في خفض الأعراض المرضية. إصابات الرأس البسيطة والآثار النفسية المترتبة عليها وأعراضها كانت محل دراسة تم فيها تطبيق قائمة الأعراض الإنفعالية والجسدية والعقلية الخاصة بالذاكرة، حيث تم تطبيق "قائمة على ٢٢٣ من المتطوعين. وقد بين أفراد العينة خبراتهم الحالية " هذه الأعراض، كما طلب من أفراد العينة أن يفترضوا تعرضهم لإصابات في الرأس نتيجة حوادث سيارات، وطلب منهم أن يوضحوا الأعراض الممكن استمرارها لمدة ستة أشهر بعد الحادث. كما تم تطبيق الأداة على عينة قوامها ١٠٠ فرد من المصابين فعلاً بحوادث في الرأس وقد اتضح من النتائج أن العينتین أبدتا أعراضاً متشابهة نتيجة حوادث الرأس سواء العينة المضابطة التي تخيلت تعرضها للحوادث أو العينة المرضية التي مرت وتمر فعلاً في ظرف الإصابة Mittenberg, Wiley, et al 1992. الأعراض الممكن ملازمتها للإعياء المزمن كانت محل دراسة أجراها Ray, C 1992 وآخرون وقد بلغ عدد أفراد العينة ٢٠٨ من المرضى بالإعياء المزمن وقد طبق عليهم مقياس من شأنه الكشف عن الأعراض الخاصة بمعاناتهم وتم بناءً عليه إجراء تحليل عاملي وقد اتضح وجود أربعة مكونات من الأعراض وهي الأعراض الإنفعالية، وأعراض التعب والإعياء، والأعراض الجسدية، والأعراض المرتبطة بالمشاكل العقلية. وعندما تم التعامل مع المكونات بشكل منفرد تبين وجود علاقة بين أعراض الإعياء، والأعراض الجسدية والأعراض العقلية مع بنود أداة القياس. لكن الأعراض الإنفعالية لم تكن ذات

علاقة بهذه البنود رغم أنها ذات علاقة مع المكونات الأخرى.

في دراسة استمرت ثمان سنوات على تسع من النساء من أجل معرفة ما إذا كان التوتر السابق للطمث يتغير مع الوقت والعمر أم لا. تم اختيار نساء أعمارهن تتراوح بين ٢٥-٤٦ سنة. وقد عملت الدراسة عام ١٩٨٢ ثم أعيدت في عام ١٩٩٠ وقد طلب من أفراد العينة تسجيل الأعراض النفسية والبدنية المصاحبة للدورة الشهرية. وقد أوضحت النتائج أنه لا يوجد علاقة بين ظهور الأعراض والعمر فالعمر ليس له تأثير في بروز أو اختفاء الأعراض المصاحبة للدورة الشهرية التي تمر بها النساء Backstrom,Torbjorn,et al 1991. الشخصية، والفعالية العقلية، وكذا المشاكل السلوكية كانت هدفاً لدراسة على مجموعة من الأطفال بلغت ٧٨ طفلاً يبلغون من العمر ٦-١٢ سنة، وقد تبين أن الأعراض الإكتئابية ترتبط بانخفاض مفهوم الذات وترتبط كذلك بمركز التحكم الخارجي وترتبط بانخفاض قدرة الإدراك الاجتماعي عند الأولاد. أما عينة النساء ذوات المؤشرات الإكتئابية العالية فقد لوحظ عليهن إرتفاع قدرة الإدراك الاجتماعي ولكن ليس بصورة جوهرية. وقد أثبتت النتائج عدم أهمية الشخصية وكذا عدم أهمية الجنس من حيث الذكورة والأنوثة في ظهور الأعراض الإكتئابية (Kershner,Jodi,G;Cohen,Nancy,J.1992).

في دراسة على ٤٠ من الأفراد الذين يعانون من اضطرابات انفعالية، تبين أن ثلاث مجموعات فرعية تنبثق من المجموعة الكلية. وقد سميت المجموعة الأولى بمجموعة الذكور ذات الأعراض الذهانية. أما المجموعة الثانية فكانت معظمها من النساء أما المجموعة الثالثة فكانت ذات طابع اكتئابي في شخصياتهم بالإضافة إلى عصبيتها وضياح في شخصيتها Furukawa,T;Sumita,Y.1992.

حول الأعراض الإكتئابية التي يبديها الأفراد تركزت الدراسة التي أجراها Edel Sohn,Gail et al 1992 على مجموعة من الأفراد الصغار بلغت ١٢١٢ وكان السؤال الذي طرحه الباحثون هو هل ما يبديه الأطفال من أعراض اكتئابية يمثل أكثر من تحولات مرحلية ناتجة عن مراحل النمو وقد تبين من نتائج الدراسة أن الأعراض الإكتئابية ظلت مستقرة ولم تتغير خلال فترة أربعة أشهر. وقد أوضحت النتائج ارتباط الأعراض الإكتئابية مع مناقشة كثير من القضايا والمهام الأكاديمية والعلاقات مع الزملاء والتركيز في الفصل الدراسي، كما أن

العلاقة بين الأعراض وهذه القضايا ظلت بنفس المستوى دون تغيير طوال فترة الأربعة أشهر وهي التي أجريت فيها الدراسة حيث تم الإختبار وإعادة الإختبار. وعن أعراض الإكتئاب يورد قانز الحاج ١٩٨١ مجموعة من المؤشرات منها الصداع، التعب، الأرق، نقص الشهوة الجنسية، عدم الاهتمام واللامبالاة، البطء في التفكير، اليأس والقنوط، والشعور بانعدام الجدوى. عن الخواف يورد عماد عبدالرازق ١٩٨٧ بعض المواقف والظروف التي يبرز بها الخواف مثل الخوف من الأماكن المرتفعة والخوف من الجسور، الخوف من ترك البيت أو السير في الشارع بالإضافة إلى الخوف من الأماكن المظلمة والأماكن المزدحمة. إزاء الوسواس القهري تبين من دراسة أحمد عبدالخالق ١٩٩٢ أن الأطباء الذكور هم الأقل متوسطاً أما أعلى المتوسطات فكان من نصيب طالبات المدارس الثانوية كما تبين من نفس الدراسة أن متوسطات الطلبة والطالبات أعلى من متوسطات العاملين من مدرسين وموظفين ومن الجنسين أيضاً. وبالمقارنة حسب الجنس تبين أن فروقاً جوهرية توجد بين طلاب الثانوي وطالبات الثانوي على مقياس الوسواس القهري وكذلك توجد فروق جوهرية بين المدرسين والمدرسات حيث كانت قيم إختبار "ت" دالة في كلا الحالتين.

القلق نال اهتمام أحمد عبدالخالق ١٩٩٢ وتبين من دراسة على عينات مصرية، سعودية، كويتية، قطرية، يمنية، ولبنانية أن فروقاً جوهرية توجد بين الذكور والإناث في جميع العينات ماعدا اللبنانية وقد اتضح من النتائج أن الإناث أعلى في متوسط القلق من الذكور. المدرسون والموظفون وطلاب المدارس لثانوية والجامعة وجد فرق فيما بينهم بالنسبة للقلق إذ تبين من دراسة أحمد عبدالخالق ١٩٩٢ أن المدرسين والموظفين أقل في متوسطاتهم على مقياس القلق من متوسطات طلاب الثانوي والجامعة.

منهج الدراسة وأجراءاتها:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي والمبني على النزول إلى الميدان معثلاً في المستشفيات والعيادات النفسية واختبار الأداة عملياً مع أفراد يراجعون هذه المستشفيات والعيادات.

١ - عينة الدراسة:

استخدم في هذه الدراسة عينتان العينة الأولى كانت من أجل الدراسة الإستطلاعية وقد بلغت هذه العينة ٣٦ فرداً من مراجعي المستشفيات النفسية في الرياض، المملكة العربية السعودية، وقد استخدمت المعلومات المستقاة من هذه العينة بهدف التحقق من صدق وثبات أداة قائمة الأعراض. وقد تم اختيار العينة بناءً على موعد المراجعة للمستشفى، حيث تم أخذ جميع الحالات التي راجعت خلال الفترة المحددة وبلغ متوسط عدد الحالات اليومية ثلاث حالات.

أما عينة الدراسة النهائية فقد اشتملت على ٨٩ فرداً وتم حذف حالتين لعدم اكتمال المعلومات لهما لتكون العينة بصورتها النهائية ٨٧ حالة وقد تم اختيار العينة بنفس الطريقة التي تم بها اختيار عينة الدراسة الإستطلاعية إذ تم التطبيق على جميع الحالات التي راجعت مستشفى الصحة النفسية بالرياض خلال فترة إجراء الدراسة والتي كانت خلال الخامس عشر من شهر ربيع الأول وحتى الخامس عشر من شهر ربيع الثاني لعام ١٤١٦هـ.

وقد اشتملت العينة على ذكور وإناث وعلى أفراد من أعمار متعددة وذوي مؤهلات دراسية مختلفة ومهن متنوعة. والجدول رقم (١) يعطي تفصيلاً للعينة حسب مجموعة المتغيرات وقد تراوحت الأعمار بين ١٥ سنة و ٦٦ سنة أما عدد أفراد الأسرة فتراوح بين ٢ أفراد و ١٢ فرداً. وكما هو واضح من الجدول التقارب بين عدد الذكور والإناث والتقارب بين أعداد أصحاب المؤهلات من الابتدائي والثانوي والمتوسط وكذا التقارب في عددي العزاب والمتزوجين أما فئة المعلمين فهم الأكثر بين فئات المهن وقد يكون المعلمون إما خريجو جامعة أو خريجو معاهد إعداد المعلمين والتي هي في مستوى الثانوي.

جدول (١)

بيان بتوزيع أفراد العينة حسب الجنس، الحالة الاجتماعية،

المهنة، والمؤهل الدراسي

توزيع أفراد العينة حسب الجنس	العدد	توزيع أفراد العينة حسب المؤهل الدراسي	العدد	توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية	العدد	توزيع أفراد العينة حسب المهنة	العدد
ذكر	٤٤	ابتدائي	٢٣	متزوج	٤٠	طالب	٢٤
		متوسط	٢٥			معلم	٣٧
أنثى	٤٣	ثانوي	٢٣	أعزب	٤٧	أخرى	٢٦
		جامعة	١٦				
المجموع	٨٧		٨٧		٨٧	-	٨٧

٣ - أداة الدراسة واجراءات صدقها وثباتها:

سبق الإشارة إلى أن الأداة المستخدمة في هذه الدراسة هي قائمة مراجعة الأعراض SCL 90 Symptoms Check List والتي وضعها في الأساس كل من ليونارد ر. ديروجيتس، ورونالد س. ليبمان ولينو كوفي Leonard R. Derogatis, Ronald S. Lipman and Lino Covi وقد ترجمها إلى اللغة العربية عبد الرقيب البحيري عام ١٩٨٤. وتتكون الأداة من ٩٠ عبارة تقريرية تتوزع على تسعة مقاييس فرعية هي الأعراض الجسمية وبنوده (١، ٤، ١٢، ٢٧، ٤٠، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٨)، الوسواس القهري وله عن البنود (٣، ٩، ١٠، ٢٨، ٢٨، ٤٥، ٤٦، ٥١، ٥٥، ٦٥)، الحساسية التفاعلية وبنودها (٦، ٢١، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٤١، ٦١، ٦٩، ٧٣)، الإكتئاب وبنوده (٥، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢٢، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠)، بالإضافة إلى عبارات لا تنتمي لأي مقياس من المقاييس الفرعية وهي (١٩، ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٦، ٨٩). وقد قام الباحث الحالي بمراجعة الأداة للتأكد من مناسبة بنودها للبيئة الحضارية والثقافية وأدخل تعديلات طفيفة على بعض البنود فالبند ٢١ كان نصه «الشعور بالخجل والاضطراب مع الجنس الآخر» وتم

تعديله ليكون «الشعور بالخجل والاضطراب مع الآخرين» أما البند ٥٣ فكان نصه «الإحساس بأن شيئاً يقف في زورك» وعُدل ليكون «الإحساس بأن شيئاً يقف في حلقك» أما البند ٧٠ فنصه «الشعور بضيق في الأماكن المزدحمة كالأسواق والسينما» وقد حذفت كلمة السينما لأنه لا يوجد سينما عامة في السعودية (مرفق ١). وبعد ادخال هذه التعديلات المحدودة أجريت دراسة استطلاعية على الأداة بهدف التحقق من صدقها وثباتها وقد بلغت العينة ٣٦ فرداً. وقد حسب معامل الثبات للأداة بصورتها الكلية وللمقاييس الفرعية المكونة لها باستخدام طريقة ألفا وكما يتضح من جدول رقم (٢) فإن معاملات الثبات للأداة بصورتها الكلية وللمقاييس الفرعية عالية وذات دلالة.

جدول رقم (٢)

معاملات ثبات الأداة بصورتها الكلية ومقاييسها الفرعية

المقاييس	الأداة بصورتها الكلية	الأعراض الجسدية	الوسواس القهري	الحساسية الثقافية	الإكتئاب	القلق	العداوة	قلق الخواف	البارانويا التخيلية	النهائية	أشياء أخرى
معامل الثبات	٠.٩٧	٠.٨٨	٠.٧٩	٠.٩١	٠.٨٨	٠.٨٧	٠.٧٩	٠.٨٠	٠.٦٦	٠.٨٢	٠.٧٣

وحيث أن الإتساق الداخلي سواءً على مستوى علاقة البنود بالدرجة الكلية أو على مستوى علاقة المقاييس الفرعية بالدرجة الكلية يمثل صورة عن مدى تجانس جزئيات الاختبار وهذا بدوره يبرز المجال السلوكي أو الصفة المقاسة من خلال الاختبار فإن هذا يعتبر شكلاً من أشكال تحقيق صدق الاختبار Anastasi 1982 وقد عمد الباحث من أجل تحقيق صدق الأداة في المجتمع السعودي إلى حساب معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية وبين المقاييس الفرعية والدرجة الكلية وكما يتضح من الجدول رقم (٣) فإن جميع البنود ذات معاملات ارتباط دالة عند مستوى ٠.٠١. ماعداً البند السادس عشر والبند الرابع والسبعين إذ لم تكن معاملات ارتباطهما دالة. وقد يكون السبب في عدم دلالة هذين البندين صغر حجم العينة الإستطلاعية وهذا ما تؤكد فعلاً في الدراسة النهائية إذ أصبحت معاملات ارتباط جميع البنود دالة.

جدول رقم (٣)

معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية لأداة مراجعة الأعراض

البند	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨
معامل الارتباط	٠.٤٠	٠.٦٢	٠.٦٣	٠.٤٠	٠.٥٦	٠.٥٥	٠.٥٧	٠.٤٢	٠.٤٦	٠.٣٦	٠.٦٠	٠.٤١	٠.٥٧	٠.٤٣	٠.٤١	٠.٥٩	٠.٥٩	٠.٤٠
البند	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦
معامل الارتباط	٠.٤٩	٠.٥٠	٠.٥٩	٠.٤٢	٠.٥٧	٠.٦٦	٠.٥٠	٠.٦١	٠.٤٢	٠.٧٣	٠.٦٢	٠.٧١	٠.٧٥	٠.٥٢	٠.٦٦	٠.٤٨	٠.٤٩	٠.٥٨
البند	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤
معامل الارتباط	٠.٥٦	٠.٥٢	٠.٥٨	٠.٦٧	٠.٦٧	٠.٤٤	٠.٥٨	٠.٤٤	٠.٤٤	٠.٤٦	٠.٤٧	٠.٥٨	٠.٥٧	٠.٥٧	٠.٦٠	٠.٥٣	٠.٥٩	٠.٥٤
البند	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢
معامل الارتباط	٠.٦٣	٠.٦٣	٠.٧٧	٠.٥٠	٠.٥٣	٠.٣٧	٠.٦٩	٠.٥٧	٠.٤٤	٠.٦٧	٠.٥٧	٠.٥٢	٠.٥٧	٠.٥٥	٠.٥٧	٠.٥٣	٠.٦٧	٠.٧٣
البند	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠
معامل الارتباط	٠.٧٠	٠.٦١	٠.٥٦	٠.٣٦	٠.٥٩	٠.٦٣	٠.٥٨	٠.٥٧	٠.٥١	٠.٦٠	٠.٥٩	٠.٦٧	٠.٦٧	٠.٦٠	٠.٦٧	٠.٤٤	٠.٤٤	٠.٤١

* ليس له دلالة احصائية

هنا معاملات ارتباط المقاييس الفرعية بالدرجة الكلية فجميعها كانت ذات دلالة

عند مستوى ٠.٠٥. وذلك كما يتضح في الجدول رقم (٤).

جدول رقم (٤)

معاملات الارتباط بين المقاييس الفرعية والأداة بصورتها الكلية

المقاييس	الأعراض الجسمانية	الوموس التهدي	الصلابة التفاعلية	الإكتئاب	القلق	العدالة	القلق الغواقي	البلاستيكية	الاعتمادية	أخرى
معامل الارتباط	٠.٧٨	٠.٨٢	٠.٨٦	٠.٨٧	٠.٩٠	٠.٧٨	٠.٨١	٠.٨١	٠.٨٨	٠.٨٨

كما يتضح من النتائج السابقة فإن قائمة مراجعة الأعراض قد تحقق لها

مواصفات صدق وثبات دالة في المجتمع السعودي يشجع على استخدامها في المجال

الإكلينيكي. هذا وقد أعاد الباحث إجراءات الصدق والثبات على العينة النهائية

وتبين أن ثبات الأداة بصورتها الكلية ٠.٩٧. أما معاملات ارتباط البنود بالدرجة

الكلية فأصبحت جميعها دالة عند مستوى ٠.٠٥. ماعدا البند ٧٤ فأصبح دالاً ولكن

عند ٠.٠٥.

تطبيق الأداة ونصيحها:

استغرق متوسط الوقت للإجابة على الأداة ٣٥ دقيقة أما عملية التصحيح فيعطى ١ للإجابة بمطلق، و٢ لنادر، و٣ لأحيان، و٤ لكثير، وه لدائم وبذلك تكون أعلى درجة على المقياس ٤٥٠ بينما أقل درجة ٩٠. وقد ساعد في عملية تطبيق الأداة الإحصائيون النفسيون والإحصائيات النفسيات العاملون في المستشفى. كما تم تطبيق استمارة المعلومات العامة بجانب أداة الدراسة والتي تضمنت حقولاً عن العمر، المهنة، الحالة الاجتماعية، عدد أفراد الأسرة، المؤهل الدراسي، والجنس.

فروض الدراسة:

حيث لا يوجد دراسات سابقة أجريت في المجتمع السعودي باستخدام قائمة الأعراض يمكن أن تعطي فكرة عن الأعراض المرضية بالعلاقة مع متغيرات الدراسة كما أنه لا يوجد أساس منطقي لصياغة الفروض بصورة موجهة لذا فقد تم صياغتها بصورة صفرية.

- ١ - لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في الأعراض بين مراجعي المستشفى عند تصنيفهم حسب متغيرات الحالة الاجتماعية، الجنس، المهنة، والمؤهل الدراسي باستخدام قائمة مراجعة الأعراض بصورتها الكلية.
- ٢ - لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في الأعراض بين مراجعي المستشفى عند تصنيفهم حسب متغيرات الحالة الاجتماعية، الجنس، المهنة، والمؤهل الدراسي باستخدام المقاييس الفرعية.
- ٣ - لا يوجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الدرجة على القائمة بصورتها الكلية ومتغيرات العمر وعدد أفراد الأسرة.
- ٤ - لا يوجد علاقة ذات دلالة احصائية بين الدرجات على المقاييس الفرعية للأداة ومتغيرات العمر وعدد أفراد الأسرة.

الإجراءات الإحصائية:

لقد استخدم في تحليل نتائج هذه الدراسة مجموعة من الأساليب الإحصائية وهي اختبار ت، اختبار كروسكال والس، اختبار مان ويتني وكذا معامل ارتباط بيرسون.

نتائج الدراسة

النتائج الواردة في الجداول ٥، ٦، ٧، ٨ كلها ترتبط بالفرض الأول والذي ينص على أنه لا يوجد فروق في الأعراض كما تقاس على الأداة بمسورتها الكاملة بين مجموعات العينة عند تصنيفهم حسب متغير الحالة الاجتماعية، الجنس، المهنة، والمؤهل الدراسي. وبالرجوع إلى جدول رقم (٥) نجد أنه لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية بين المتزوجين والعزاب في الأعراض المرضية إذ بلغت قيمة ت ١٠.٤ وهذه النتيجة تؤيد الفرض الأول.

جدول رقم (٥)

اختبارات حسب متغير الحالة الاجتماعية

$$N = 87$$

متغير الحالة الاجتماعية	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
متزوج	٤٠	٢٢٤.٨٣	٨٥	١٠.٤	غير دالة
لعزب	٤٧	٢١٩-٢١			

النتائج الواردة في جدول رقم (٦) ترتبط بمتغير الجنس ودوره في إيجاد الفروق في الأعراض بين الذكور والإناث ويتضح من النتائج وجود فروق ذات دلالة بين الذكور والإناث في الأعراض المرضية كما تقاس من خلال الأداة بصورتها الكلية والفروق لصالح مجموعة الإناث وقد بلغت قيمة ت - ٤.٦ عند مستوى أقل من ٠.١. وهذه النتيجة تختلف عن سياق الفرض الذي ينص على أنه لا يوجد فروق بين أفراد المجموعة في الأعراض المرضية وبناءً على هذه النتيجة يتم رفض الفرض جزئياً.

جدول رقم (٦)

اختبارات حسب متغير الجنس

$$N = 87$$

متغير الجنس	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
ذكور	٤٤	١٩٢.١٥	٨٥	-٤.٦	٠.٠٠٠١
إناث	٤٣	٢٤٣.٧٠			

وتواصلًا مع النتائج الخاصة بالفرض الأول نجد النتائج في الجدول رقم (٧) أنها ليست ذات دلالة احصائية وذلك باستخدام طريقة كروسكال والس لتحليل التباين إذ بلغت قيمة ك^٢ ٢٨,٢ وهذه غير دالة عند مستوى ٠,٥ ر. وهذا يعني أنه لا يوجد فروق بين مجموعة المعلمين، ومجموعة الطلاب، والمجموعة الثالثة المصنفة فئة المهن الأخرى. وهذه النتيجة تتفق مع سياق الفرض الذي ينص على أنه لا يوجد فروق بين أفراد العينة في الأعراض المرضية.

جدول رقم (٧)

تحليل التباين باستخدام طريقة كروسكال والس حسب متغير المهنة

$$N = 87$$

متغير المهنة	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ك ^٢	مستوى الدلالة
معلمون	٣٧	٢٩,٣٤	٢	٢٨,٢٨	غير دالة
طلاب	٢٤	٤٨,٥٤			
فئة المهن الأخرى	٢٦	٤٦,٤٤			

النتيجة الأخيرة الخاصة بالفرض الأول نجدها في الجدول رقم (٨) وكما يتضح من النتائج الواردة في هذا الجدول يتبين أنه لا يوجد فروق بين أفراد العينة عند تصنيفهم حسب مؤهلاتهم الدراسية، إذ أن حملة الشهادة الابتدائية وحملة الشهادة المتوسطة وحملة الشهادة الثانوية وحملة الشهادة الجامعية لا يوجد فروق دالة فيما بينهم في الأعراض المرضية كما تقاس من خلال أداة مراجعة الأعراض بصورتها الكلية. وقد بلغت قيمة ك^٢ ٢٠,٢ وهي غير دالة عند مستوى ٠,٥ ر. وهذه النتيجة تؤيد الفرض الأول من أنه لا يوجد فروق بين ذوي المؤهلات المختلفة في الأعراض المرضية.

وبناءً على النتائج السابقة يمكن أن نستنتج أنه لا يوجد فروق بين أفراد العينة عند تصنيفهم حسب الحالة الاجتماعية وحسب المؤهل الدراسي وحسب المهنة، إلا أنه يوجد فروق بين الذكور والإناث لصالح الإناث في الأعراض المرضية مما يدل على وضوح الأعراض لديهم وربما كثرة المعاناة ووفق هذه النتائج يقبل الفرض الأول بصورة شبه كاملة ولا يرفض إلا في الجزء الخاص بمتغير الجنس.

جدول رقم (٨)
تحليل التباين باستخدام طريقة كروسكال والس حسب
متغير المؤهل الدراسي

ن = ٨٧

نوع المؤهل الدراسي	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ك ^٢	مستوى الدلالة
إبتدائي	٢٣	٤٤.٥٢	٣	٢.٢٠	غير دالة
متوسط	٢٥	٤٣.٠٨			
ثانوي	٢٣	٤٧.٩٦			
جامعة	١٦	٣٥.٨٠			

النتائج الخاصة بالفرض الثاني والذي ينص على أنه لا يوجد فروق دالة بين أفراد العينة في المقاييس الفرعية المكونة لأداة مراجعة الأعراض توجد في الجداول أرقام ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، وبالرجوع لجدول رقم (٩) والمتضمن لقيم اختبارات للمقاييس التسعة بعد تصنيف العينة إلى متزوجين وعزاب، يتضح من النتائج الواردة في الجدول أنه لا يوجد فروق دالة بين العزاب والمتزوجين في كل المقاييس الفرعية وهي الأعراض الجسدية، الوسواس القهري، الحساسية التفاعلية، الإكتئاب، القلق، العداء، قلق الخوف، البارانتويا، والذهانية. وهذه النتائج تتسق مع الفرض الصفري من أنه لا يوجد فروق بين العزاب والمتزوجين في المقاييس الفرعية.

جدول رقم (٩)
اختبارات للمقاييس الفرعية حسب متغير الحالة الاجتماعية

ن = ٨٧

المقاييس الفرعية	الحالة الاجتماعية	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
الأعراض الجسدية	متزوج	٤٠	٢٧.٥٠	٨٥	١.٩١	غير دالة
	أعزب	٤٧	٢٣.٦٤			
الوسواس القهري	متزوج	٤٠	٢٣.٧٣	٨٥	٠.٠٥	غير دالة
	أعزب	٤٧	٢٣.٨١			

(تابع) جدول رقم ٩:

المقاييس الفرعية	الحالة الإجتماعية	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
الحساسية التفاعلية	متزوج	٤٠	٢٢ر٥٥	٨٥	٢٥ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	٢٢ر٨٩			
الاكتئاب	متزوج	٤٠	٣٦ر٥٣	٨٥	٥٥ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	٢٥ر١٣			
القلق	متزوج	٤٠	٢٥ر٤٠	٨٥	١٧٧ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	٢١ر٩١			
العداوة	متزوج	٤٠	١٤ر٣٣	٨٥	٢٢ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	١٤ر٠٦			
قلق الخوف	متزوج	٤٠	١٥ر٥٣	٨٥	١٨٥ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	١٣ر١٣			
البارانويا التخيلية	متزوج	٤٠	١٢ر٦٨	٨٥	٤١٦ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	١٣ر٠٩			
الذهانية	متزوج	٤٠	٢٤ر٩٨	٨٥	٩٤ر	غير دالة
	أعزب	٤٧	٢٣ر١٩			

النتائج الواردة في جدول رقم (١٠) يتبين منها أن هناك فروقاً ذات دلالة احصائية بين الذكور والإناث على جميع المقاييس الفرعية بدون استثناء في الأعراض الجسمية، الوسواس القهري، الحساسية التفاعلية، الاكتئاب، القلق، العداوة، قلق الخوف، البارانويا التخيلية وفي الذهانية. وهذه النتائج تتناقض مع الفرض الصفري ولا تؤيده وبالأخص عند تصنيف العينة حسب متغير الجنس. وقد كانت جميع قيم اختبارات دالة عند مستوى أقل من ٠.٥.

جدول رقم (١٠)

اختبارات للمقاييس الفرعية حسب متغير الجنس

ن = ٨٧

المقاييس الفرعية	الجنس	عدد الأفراد	المتوسط	درجة الحرية	قيمة ت	مستوى الدلالة
الأمراض الجسدية	ذكر	٤٤	٢٢,٢٠	٨٥	٢,٤٩-	٠,٠٠١
	أنثى	٤٣	٢٨,٧٩			
البراسم القهري	ذكر	٤٤	٢٠,٥٢	٨٥	٤,٣١-	٠,٠٠٠١
	أنثى	٤٣	٢٧,١٤			
الحساسية التفاعلية	ذكر	٤٤	٢١,٣٠	٨٥	٢,١٨-	٠,٠٣
	أنثى	٤٣	٢٥,٢١			
الاكتئاب	ذكر	٤٤	٢٢,٣٠	٨٥	٢,٠٩-	٠,٠٠٣
	أنثى	٤٣	٢٩,٥٣			
القلق	ذكر	٤٤	٢٠,٥٠	٨٥	٢,٥٦-	٠,٠٠١
	أنثى	٤٣	٢٧,٠٢			
العدوة	ذكر	٤٤	١٢,١٧	٨٥	٤,٠٥-	٠,٠٠٠١
	أنثى	٤٣	١٦,٣٣			
قلق الغراف	ذكر	٤٤	١٢,١٥	٨٥	٢,٦٠-	٠,٠٠١
	أنثى	٤٣	١٦,٤٩			
البازنويا التخيلية	ذكر	٤٤	١١,٧٠	٨٥	٢,٦٧-	٠,٠١
	أنثى	٤٣	١٤,٢١			
الذهانية	ذكر	٤٤	٢١,٢٠	٨٥	٢,٣٦-	٠,٠٠١
	أنثى	٤٣	٢٧,٠٧			

كما هو واضح من النتائج فإن الإناث تتضخ لديهن الأعراض المرضية أكثر من الذكور على جميع المقاييس الفرعية المكونة لأداة مراجعة الأعراض. وهذه النتيجة تتفق مع ما سبق عرضه حول الفروق بين الذكور والإناث على الأداة بصورتها الكلية فالفرق كان لصالح الإناث إذ كان وضوح الأعراض المرضية لديهن أكثر من الذكور.

وباستقصاء فيما إذا كان هناك فروق على المقاييس الفرعية بين أفراد العينة عند تصنيفهم حسب متغير المهنة تبين من النتائج الواردة في الجدول رقم (١١) أنه لا يوجد فروق دالة بين أفراد العينة من المعلمين والطلاب وقسمة المهن الأخرى على جميع المقاييس ماعدا المقياس السادس والذي هو مقياس العداوة إذ تبين أن قيمة ك^٢ ٧٥ و ٧٥ دالة عند مستوى أقل من ٠.٥ ر. وهذه النتيجة تتفق بشكل شبه تام مع الفرض الصفري الذي وضعه الباحث ماعدا النتيجة المرتبطة بمقياس العداوة.

جدول (١١)

تحليل التباين للمقاييس الفرعية حسب متغير المهنة
باستخدام طريقة كروسكال والس

ن = ٨٧

المقاييس الفرعية	نوع المهنة	عدد الأفراد	رتبة للمتوسط	درجة الحرية	قيمة ك ^٢	مستوى الدلالة
الأعراض الجسدية	معلم	٣٧	٤٠.٠٩	٢	١,٧٩	غير دالة
	طالب	٢٤	٤٥.٠٢			
	أخرى	٢٦	٤٨.٦٢			
الوسواس القهري	معلم	٣٧	٤٠.٩٣	٢	٢,٧٧	غير دالة
	طالب	٢٤	٥١.٢٩			
	أخرى	٢٦	٤١.٦٣			
الحساسية التفاعلية	معلم	٣٧	٣٦.٩٦	٢	٢,٢٤	غير دالة
	طالب	٢٤	٤٩.٤٥			
	أخرى	٢٦	٤٤.٣٥			
الإكتئاب	معلم	٣٧	٤٢.٣٨	٢	٢,٢٤	غير دالة
	طالب	٢٤	٤٢.٨١			
	أخرى	٢٦	٤٥.٩٨			
القلق	معلم	٣٧	٣٨.٥٨	٢	٢,٩٦	غير دالة
	طالب	٢٤	٤٨.٠٠			
	أخرى	٢٦	٤٨.٠٢			

(تابع) جدول رقم ١١:

المقاييس اللغوية	نوع المهنة	عدد الأفراد	رتبة المتوسط	درجة الحرية	قيمة ك ^٢	مستوى الدلالة
العداوة	معلم	٣٧	٢٥٧٨	٢	٧٧٧٥	٠.٢
	طالب	٢٤	٥٣٦٩			
	أخرى	٢٦	٤٦٧٥			
قلق الخراف	معلم	٣٧	٣٩٣٩	٢	٣٠٠	غير دالة
	طالب	٢٤	٥٠٨٥			
	أخرى	٢٦	٤٤٢٣			
البارانويا	معلم	٣٧	٤٠٨٠	٢	٢١٠	غير دالة
	طالب	٢٤	٥٠٢١			
	أخرى	٢٦	٤٢٨٣			
التعاطية	معلم	٣٧	٣٧٨٠	٢	٣٩٤	غير دالة
	طالب	٢٤	٤٩٤٦			
	أخرى	٢٦	٤٧٧٩			

وإزاء نتيجة مقياس العداوة والتي كانت دالة عند مستوى أقل من ٠.٥ .
تم استخدام اختبار مان ويتني لمعرفة بين أي من المجموعات توجد الفروق
الجوهرية وقد تبين كما في الجدول رقم (١٢) أن الفرق بين فئة الطلاب وفئة المهن
الأخرى غير دال إذ بلغت قيمة ز -٧٨. كما أن الفرق بين فئة المهن الأخرى
والمعلمين لم يكن دالاً أيضاً إذ بلغت قيمة ز -١٥٦. أما الفرق الجوهرى فكان بين
فئة الطلاب وفئة المعلمين إذ بلغت قيمة ز -٢٨٥. وهي دالة عند مستوى أقل
من ٠.٥. والفرق لصالح فئة الطلاب حيث أن رتبة متوسطهم أعلى من رتبة
متوسط المعلمين. وهذه النتيجة تعني أن أعراض العداوة تظهر بصورة أوضح
عند الطلاب أما المعلمون فهذه الأعراض أقل وضوحاً عندهم.

جدول رقم (١٢)

اختبار مان ويتني على مقياس العداء حسب متغير المهنة

الفئات	مجموع الأفراد	قيمة U	قيمة W	قيمة Z	مستوى الدلالة
فئة المهن الأخرى والطلاب	٥٠	٢٧٢	٦٥٢	٠.٧٨	غير دالة
فئة المهن الأخرى والمطعمين	٦٣	٣٦٩.٥	٩٤٣.٥	٠.١٥٦	غير دالة
فئة الطلاب والمعلمين	٦١	٢٥١.٥	٩٣٦.٥	٠.٢٤	٠.٠١

النتيجة الأخيرة المرتبطة بالفرض الثاني مبنية على أساس تقسيم أفراد العينة على حسب مؤهلاتهم الدراسية وكما يتضح من النتائج الواردة في الجدول رقم (١٣) فإنه لا يوجد فروق ذات دلالة عند تقسيم العينة إلى أصحاب المؤهل الإبتدائي، وأصحاب المؤهل المتوسط، وأصحاب المؤهل الثانوي، وأصحاب المؤهل الجامعي في جميع المقاييس الفرعية المكونة لقائمة مراجعة الأعراض. وهذه النتيجة تتفق بصورة كاملة مع الفرض الصفري الذي وضعه الباحث وتؤكد مما يجعلنا نقبل الجزء الخاص بمتغير المؤهل الدراسي.

جدول رقم (١٣)

تحليل التباين للمقاييس الفرعية حسب متغير المؤهل الدراسي

باستخدام طريقة كروسكال والس

$$N = ٨٧$$

المقاييس الفرعية	المؤهل الدراسي	عدد الأفراد	رتبة المتوسط	درجة الحرية	قيمة K ^٢	مستوى الدلالة
الأعراض الجسدية	إبتدائي	٢٣	٤٩.١٣	٣	٢.١٥	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤١.٤٠			
	ثانوي	٢٣	٤٣.٩١			
	جامعة	١٦	٣٧.٧٣			
الرموس التهريري	إبتدائي	٢٣	٣٩.٤٦	٣	١.٨٩	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤٥.٥٢			
	ثانوي	٢٣	٤٧.٩٦			
	جامعة	١٦	٣٩.٥٠			

(تابع) جدول رقم ١٣:

المقاييس الفرعية	المؤهل الدراسي	عدد الأفراد	رتبة المتوسط	درجة الحرية	قيمة ك ^٢	مستوى الدلالة
الحساسية التقاطعية	إبتدائي	٢٣	٤٥٨٠	٣	٢,٧٤	غير دالة
	متوسط	٢٥	٢٨٢٢			
	ثانوي	٢٣	٤٩١١			
	جامعة	١٦	٤٠١٧			
الإكتئاب	إبتدائي	٢٣	٤٩٠٧	٣	٢,١٦	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤٥٤٢			
	ثانوي	٢٣	٤١٣٣			
	جامعة	١٦	٢٥١٠			
القلق	إبتدائي	٢٣	٤٣٤٣	٣	٦,٥٢	غير دالة
	متوسط	٢٥	٢٨٩٨			
	ثانوي	٢٣	٥٢٩٣			
	جامعة	١٦	٢٥١٣			
المداوة	إبتدائي	٢٣	٤٣٧٨	٣	٢,١٥	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤٠٦٤			
	ثانوي	٢٣	٥٠٥٢			
	جامعة	١٦	٣٧٠٧			
قلق الخوف	إبتدائي	٢٣	٣٩٢٦	٣	٢,٠٣	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤١٨٨			
	ثانوي	٢٣	٤٩٣٥			
	جامعة	١٦	٤٣٧٣			
البارانويا التخيلية	إبتدائي	٢٣	٤٥٣٣	٣	٢,٩٩	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤٤٦٦			
	ثانوي	٢٣	٤٦٩١			
	جامعة	١٦	٣٣٥٣			

(تابع) جدول رقم ١٣:

المقاييس الفرعية	المؤهل الدراسي	عدد الأفراد	رتبة المتوسط	درجة الحرية	قيمة χ^2	مستوى الدلالة
الذهانية	إبتدائي	٢٢	٤٢ و ٨٠	٣	٤,٤١	غير دالة
	متوسط	٢٥	٤٤ و ٣٦			
	ثانوي	٣٣	٥٠ و ٣٦			
	جامعة	١٦	٣٢ و ٩٣			

الفرضان الثالث والرابع واللذان ينصان على أنه لا يوجد علاقة بين الدرجات على القائمة بصورتها الكلية أو على مقاييسها الفرعية ومتغيرات العمر وعدد أفراد الأسرة نجد نتائجهما في الجدول رقم (١٤) وكما يتضح من هذه النتائج فإنه لا يوجد علاقة دالة بين الدرجة الكلية ومتغير العمر كما لا يوجد علاقة دالة بين الدرجة الكلية وعدد أفراد الأسرة.

كما أن النتائج تبين أنه لا يوجد علاقة دالة بين الدرجات على مقاييس الأعراض الجسدية، الوسواس القهري، الحساسية التفاعلية، الإكتئاب، القلق، العداء، قلق الخوف، البارانويا التخيلية، والذهانية، وبين متغير العمر أو متغير عدد أفراد الأسرة، ماعدا مقياس قلق الخوف فقد تبين أنه ذو علاقة دالة مع عدد أفراد الأسرة وهي علاقة عكسية (-٢٣ر) أي أنه إذا ارتفعت الدرجة على مقياس قلق الخوف قل عدد أفراد الأسرة والعكس صحيح.

جدول رقم (١٤)

معامل الارتباط بين الدرجة الكلية ودرجات المقاييس الفرعية

ومتغيري العمر وعدد أفراد الأسرة

المقاييس	الدرجة الكلية	الأعراض الجسدية	الوسواس القهري	الحساسية التفاعلية	الإكتئاب	القلق	العداء	قلق الخوف	البارانويا التخيلية	الذهانية
العمر	٠,٦	١,١	٠,٨	٠,١	٠,٦	٠,٥	٠,٦	٠,٢	٠,١	١,٣
عدد أفراد الأسرة	١,٤	٠,٥	١,٥	٠,٨	٠,٧	١,٧	٠,٧	٠,٢٣*	٠,٦	١,٦

* معامل ارتباط دال عند مستوى ٠,٥.

وبشكل عام فإن معاملات الارتباط تقترب من الصفر وبهذه النتيجة يتم قبول الفرضين الصفرين الثالث والرابع بصورة شبه كاملة ماعدا النتيجة الخاصة بعلاقة الارتباط بين قلق الخواف ومتغير عدد أفراد الأسرة. والرسوم البيانية الواردة في المرفق (٢) تبين واقع معاملات الارتباط بصورة حسية مشاهدة. إذ نلاحظ الانتشار لأفراد العينة وعدم وجودها أو حتى اقترابها من أن تشكل خطأ مستقيماً أو تجتمع حوله مما يؤكد ضعف معاملات الارتباط.

المناقشة والاستنتاجات:

باستعراض النتائج السابقة يتضح أن الفرض الأول والذي ينفي وجود فروق ذات دلالة بين أفراد العينة عند تصنيفهم حسب متغيرات الحالة الاجتماعية، الجنس، ومتغير المهنة، ومتغير المؤهل الدراسي قد تحقق بصورة شبه تامة ماعدا الجزء الخاص بالفروق بين الجنسين إذ تبين وجود فروق بين الذكور والإناث ولصالح الإناث، وهذا يعني أن وضوح الأعراض المرضية عند النساء أكثر منها عند الرجال وذلك عند استخدام الأداة بصورتها الكلية وبمقارنة هذه النتيجة مع نتيجة دراسة Kershner, Cohen 1992 نجد أن كلا الدراستين أوضحتا وجود فروق بين الذكور والإناث في ظهور الأعراض ولصالح الإناث إلا أن الفروق في هذه الدراسة كانت جوهرية بينما الفروق في دراسة Kershner, Cohen لم تكن دالة. ووفق نتائج هذه الدراسة يمكن أن نستنتج أنه لا اعتبار لحالة الفرد الاجتماعية أو مهنته أو المؤهل الدراسي الذي يحمله في ظهور الأعراض المرضية، إذ أن الناس متساوون في هذه الأشياء ومهما كانوا عزاباً أو متزوجين أو ذوي مؤهلات عالية أو ذوي مؤهلات منخفضة أو سواء كانوا طلاباً أو معلمين أو من فئة المهن الأخرى فهم جميعاً بنفس الدرجة من حيث ظهور الأعراض الدالة على وجود المرض لديهم. أما الجنس فهو متغير مهم يمكن من خلاله ملاحظة الفروق في الأعراض بين الذكور والإناث.

فيما يتعلق بفرضية عدم وجود فروق دالة بين أفراد العينة على المقاييس الفرعية جاءت النتائج مؤيدة لهذا الفرض مع متغير الحالة الاجتماعية وعلى كل المقاييس الفرعية وكذا مع متغير المؤهل الدراسي، ومع متغير المهنة ماعدا على مقياس العداء إذ جاءت النتيجة دالة على هذا المقياس وقد تبين أن الطلاب هم

الأكثر في وضوح الأعراض المرضية لديهم وقد تكون المرحلة العمرية التي يمرون بها لها دور في هذا الشأن لاسيما أن أعراض العدوانية هي الأكثر وضوحاً بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي للطلاب فهم ما يزالون لم يتكثروا بصورة واضحة من حيث وضعهم الاجتماعي. أما متغير الجنس فقد تبين أثره في بروز الفروق بين أفراد العينة على كافة المقاييس الفرعية وهذه النتيجة تتفق مع النتيجة الخاصة بالأداة بصورتها الكلية مما يدعم أهمية الاختلاف في الجنس في ظهور الأعراض المرضية ووضوحها.

النتائج الخاصة بالارتباط بين الأداة بصورتها الكلية أو مقاييسها الفرعية مع العمر وعدد أفراد الأسرة جاءت مؤيدة لانتفاء العلاقة الدالة بل واقتراب معظم معاملات الارتباط للعلاقة الصفرية ولم يشذ عن ذلك إلا مقياس قلق الخواف إذ جاء معامل ارتباطه بعدد أفراد الأسرة دالاً. أما معاملات الارتباط والتي جاءت جميعها ضعيفة وغير دالة فهي تنسجم مع نتائج دراسة Backstrom 1991 وزملائه وعليه يمكن أن نستنتج عدم أهمية العمر من حيث الصفر والكبير في ظهور الأعراض المرضية أو اختفائها فالمرضى مهما كانت أعمارهم تتضح لديهم الأعراض المرضية ولا فروق فيما بينهم مردها الاختلاف في العمر.

المراجع

أولاً - المراجع العربية:

- ١ - أحمد عبد الخالق. المقياس العربي للوسواس القهري. دار المعرفة الجامعية. ١٩٩٢.
- ٢ - جورستش، لوشين، ناج، جاكويز. دليل تعليمات قائمة القلق الحالة والسمة. دار نشر الثقافة بالأسكندرية. ١٩٩٢.
- ٣ - عماد عبدالرازق. الأعراض والأمراض النفسية وعلاجها. دار الفكر، عمان. ١٩٨٧.
- ٤ - فائز الحاج. الإكتئاب. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٩٨١.
- ٥ - كمال بسوقي. الطب العقلي والنفسي: علم الأمراض النفسية التصنيفات والأعراض المرضية. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٣.
- ٦ - ليونارد، دميروجاتز رونالد س. ليبمان، لينو كوفي. قائمة مراجعة الأمراض. (ترجمة، عبدالرقيب البحيري، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤.
- ٧ - والتر ج. كونيل، د. كوستيلو، تيموثي، قابيان ل. روك. علم نفس الشواذ. (ترجمة، محمود الزيايدي ومحمد خيرى. دار النهضة العربية، ١٩٨١، ص ١١.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

1. Anastasi, ANNE. Psychological testing. Macmillan Publishing Co. New York. 1982
2. Allen, Heidi; Bass, Carol. (1992). Coping tactics management of acutely distressed schizophrenic patients, behavioral psychotherapy. Vol. 20(1).
3. Backstrom, Torbjorn; Hammarback, Stefan (1991). Premenstrual syndrome: Psychiatric or gynaecological disorder. Annals of Medicine. Vol. 23(6).
4. Edelsohn, Gail; Ialongo, Nick; Werthamer, Larsson; Lisa; Crockett, Lisa; et al. (1992). Self reported depressive symptoms in first grade children: Developmentally transient phenomena. Journal of the American Academy of child and adolescent Psychiatry. Vol 31(2).

5. Furukawa, T; Sumita, Y.(1992). A cluster Analytically derived subtyping of chronic affective disorders. *Acta psychiatrica scandina vica* Vol.85(3)
6. Groper, Michael (1992). The many faces of cocaine: The importance of psychosocial assessment in diagnosing and treating cocaine abuse. *Social work in health care.* Vol. 16(2).
7. Kershner, Jodi, G; Cohen, Nancy, J; (1992). Maternal depressive symptoms and child functioning. *Journal of applied developmental psychology.* Vol. 13(1).
8. Mittenberg, Wiley, Digiulio, Diane, V, Perrin, Sean, Bass, Anthony, E. (1992). Symptoms following mild head injury: expectation as actiology. *Journal of Neurology, Neurosurgery and Psychiatry.* Vol. 55(3).
9. Oberg, Timothy, M. (1992) The disordered monologue: A classroom demonstration of the symptoms of schizophrenia. *Teaching of Psychology.* Vol. 19 (1).
10. Ray, C; Weir, R; Cullen, S; Phillips, S; (1992). Illness perception and symptom components in chronic fatigue syndrome. *Journal of psychosomatic research.* Vol. 36(3).
11. Ross, Richard, B, Schwartz, Barbara, L, Zlotolow, Susan, Banay Schwartz, Miriam et al. (1992). Effect of a low tryptophan diet as an adjuvant to conventional neuroleptic therapy in schizophrenia. *clinical Neuropharmacology.* Vol. 15(2).



مرفق رقم (١)

قائمة مراجعة الأعراض

تعديل عبد الرحمن سليمان الطويري

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات عامة:

العمر:

المهنة:

الحالة الاجتماعية: متزوج: غير متزوج:

عدد أفراد الأسرة:

المزهل الدرامي:

سبب مراجعة المستشفى:

.....

.....

الجنس: ذكر: أنثى:

قائمة مراجعة الاعراض

SCL-90

تعليمات

فيما يلي قائمة بالمشاكل والشكاوي التي قد يعاني منها عامة الناس. اقرأ كل عبارة بدقة. وبعد التأكد من انطباق العبارة عليك أرجو أن تضع علامة داخل أحد المربعات الموجودة إلى يمين السؤال والتي تصف معاناتك أحسن وصف. أي إلى أي مدى تنطبق عليك هذه المشكلة خلال الشهر الماضي حتى اليوم. ضع علامة (✓) داخل أحد المربعات وبما يناسب اجابتك مع عدم اغفال الاجابة عن اي عبارة. إذا غيرت رأيك في الاستجابة، امح العلامة الاولى تماماً وضعها في المربع المناسب.

اقرأ المثال الاتي قبل أن تبدأ.

مثال

	مطلقاً	نادراً	أحياناً	كثيراً	دائماً
العبارات					
ما مقدار معاناتك من الاعراض الآتية:					
الشعور بالألم في أسفل الظهر					

	العبارة	مطلقاً	نادراً	أحياناً	كثيراً	دائماً
	ما مقدار معاناتك من الأعراض الآتية:					
١	الصداق.					
٢	سرعة الانتفعال أو الاضطراب الداخلي.					
٣	وجود أفكار أو خواطر أو الفاظ غير مرغوب فيها لا تفارق بالك.					
٤	الشعور بالإعياء أو الإغماء أو الدوخة.					
٥	فقدان الاهتمام الجنسي أو اللذة الجنسية.					
٦	الشعور بالحساسية تجاه الآخرين.					
٧	الاعتقاد بأن شخصاً ما يستطيع السيطرة على أفكارك.					
٨	المقاء اللوم على الآخرين في معظم متاعبك.					
٩	الصعوبة في تذكر الأشياء.					
١٠	الانشغال الزائد فيما يتعلق بالقذارة والاهمال.					
١١	الشعور بسرعة المضايقة والاستثارة.					
١٢	الاحساس بالألم في القلب أو الصدر.					
١٣	الشعور بالخوف في الأماكن المفتوحة أو الشارع.					
١٤	الشعور بالخمول أو قلة النشاط.					
١٥	التفكير في إنهاء حياتك.					
١٦	سماع أصوات لا يسمعوها الآخرون.					
١٧	رعشة الجسم.					
١٨	الشعور بعدم الثقة في معظم الناس.					

	السيارات	مطلقاً	نادراً	أحياناً	كثيراً	دائماً
	ما مقدار معاناتك من الأعراض الآتية:					
١٩	ضعف الشهية للطعام.					
٢٠	البكاء بسهولة.					
٢١	الشعور بالخجل أو الاضطراب مع الآخرين.					
٢٢	الشعور بأنك محبوس أو مقيد الحركة.					
٢٣	رعب مفاجيء بدون سبب.					
٢٤	شورات مزاجية لا يمكنك السيطرة عليها.					
٢٥	الشعور بالخوف من أن تخرج من المنزل بمفردك.					
٢٦	لوم نفسك على الأحداث التي تمر بك.					
٢٧	الاحساس بالام أسفل الظهر.					
٢٨	عدم القدرة على اتمام أعمالك.					
٢٩	الاحساس بالوحدة.					
٣٠	الاحساس بالانقباض.					
٣١	القلق على الأشياء بصورة مبالغ فيها.					
٣٢	الشعور بعدم الاهتمام بما حولك.					
٣٣	الشعور بالخوف.					
٣٤	الاحساس بأن مشاعرك يمكن أن تخرج بسهولة.					
٣٥	الاعتقاد بأن الآخرين يطلعون على أفكارك الخاصة.					
٣٦	الشعور بأن الآخرين لا يفهمونك أو لا يتعاطفون معك.					

	الملاحظات	مطلقاً	نادراً	أحياناً	كثيراً	دائماً
	ما مقدار معاناتك من الأعراض الآتية:					
٣٧-	الشعور بعدم صداقة الناس لك أو أنهم لا يحبونك.					
٣٨	الاضطرار إلى إعادة التأكد من أفعالك (تعيد وتزيد).					
٣٩	الاضطرار إلى أداء أعمالك ببطء شديد حتى تتأكد من دقتها.					
٤٠	الاحساس بخسربات القلب وزيادة سرعتها.					
٤١	الاحساس بالغثيان واضطراب المعدة.					
٤٢	الاحساس بأنك أقل من الآخرين.					
٤٣	الشعور بالآلام في العضلات.					
٤٤	الشعور بأن الآخرين يراقبونك أو يتحدثون عنك.					
٤٥	صعوبة الاستغراق في النوم.					
٤٦	صعوبة اتخاذ القرارات.					
٤٧	الشعور بالخوف عند السفر بالقطارات أو الاتوبيسات.					
٤٨	الصعوبة في التقاط أنفاسك.					
٤٩	الاحساس بنوبات من المخونة أو البرودة في جسمك.					
٥٠	الاضطرار إلى تجنب أشياء أو أفعال أو أماكن معينة لأنها تسبب لك الإحساس بالخوف.					

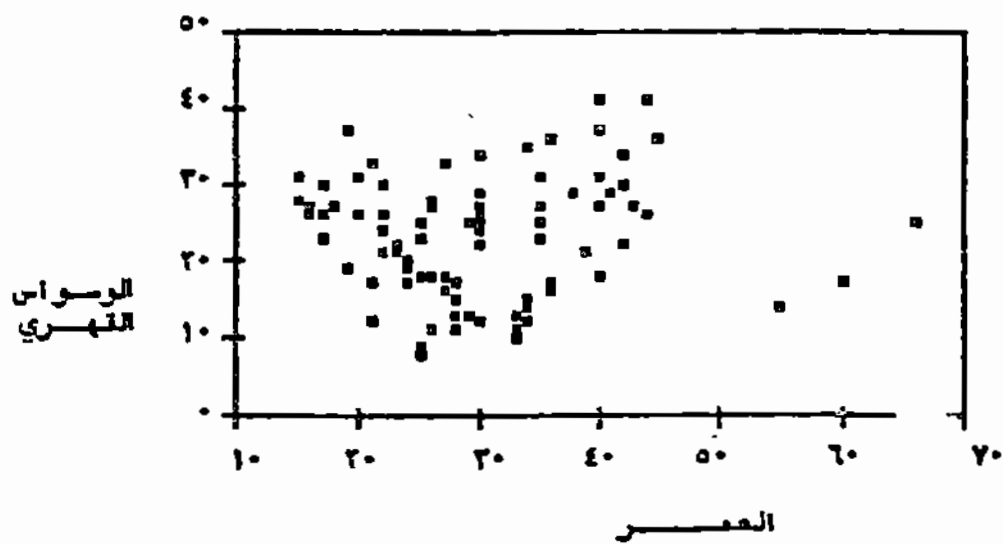
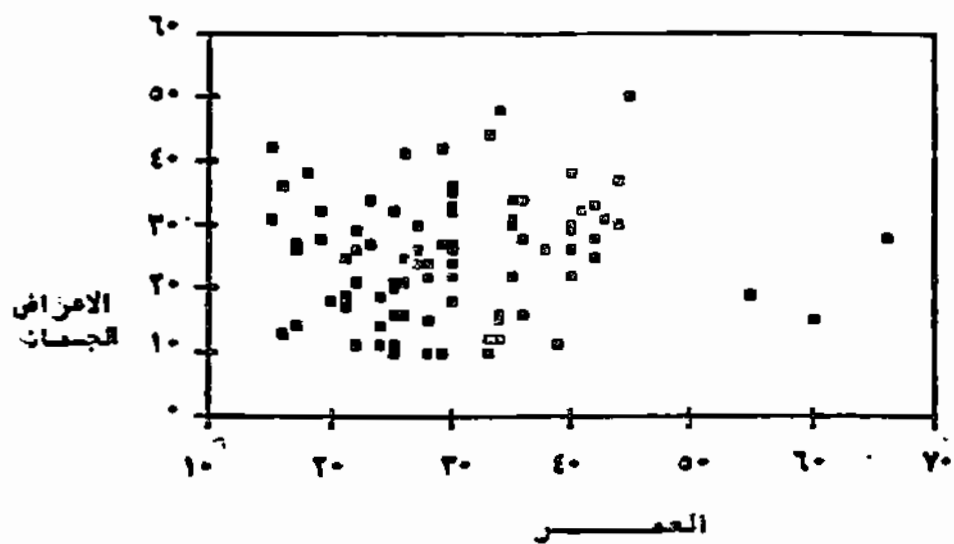
	العبارات	مطلقاً	نادراً	أحياناً	كثيراً	دائماً
	ما مقدار معاناتك من الأمراض الآتية:					
٥١	الإحساس بأن ذهنك خالي من الأفكار.					
٥٢	تتميل في أجزاء من جسمك.					
٥٣	الإحساس بأن شيئاً يقف في حلقك.					
٥٤	الإحساس باليأس من المستقبل.					
٥٥	صعوبة في التركيز.					
٥٦	الشعور بضعف في أجزاء من جسمك.					
٥٧	الشعور بالتوتر أو أنك مشدود داخلياً.					
٥٨	الشعور بثقل في أذرعك أو أرجلك.					
٥٩	التفكير في الموت.					
٦٠	الافراط في تناول الطعام.					
٦١	الشعور بالاضطراب والخسوف عندما يتحدث الناس عنك أو يراقبوك.					
٦٢	الشعور بأن أفكارك ليست من صنعك.					
٦٣	الإحساس بدافع ملج لأن تضرب أو تجرح أو تؤذي شخصاً معيناً.					
٦٤	الاستيقاظ من النوم في المسمعات المبكرة من الصباح.					
٦٥	الاضطرار إلى تكرار نفس الأعمال كاللمس والعد والغسيل.					
٦٦	نوم مضطرب أو غير مريح.					
٦٧	الشعور بدافع ملج لتكمير أو تخريب الأشياء.					

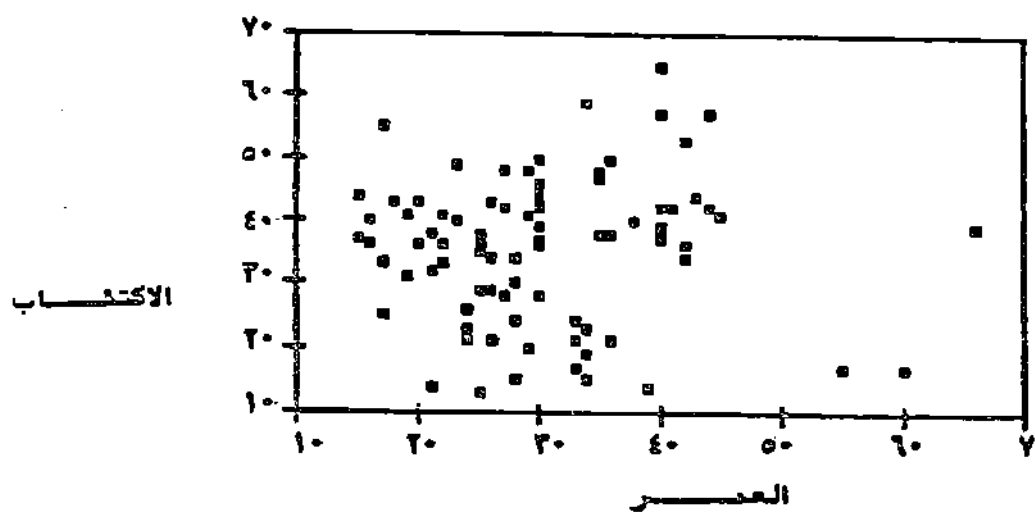
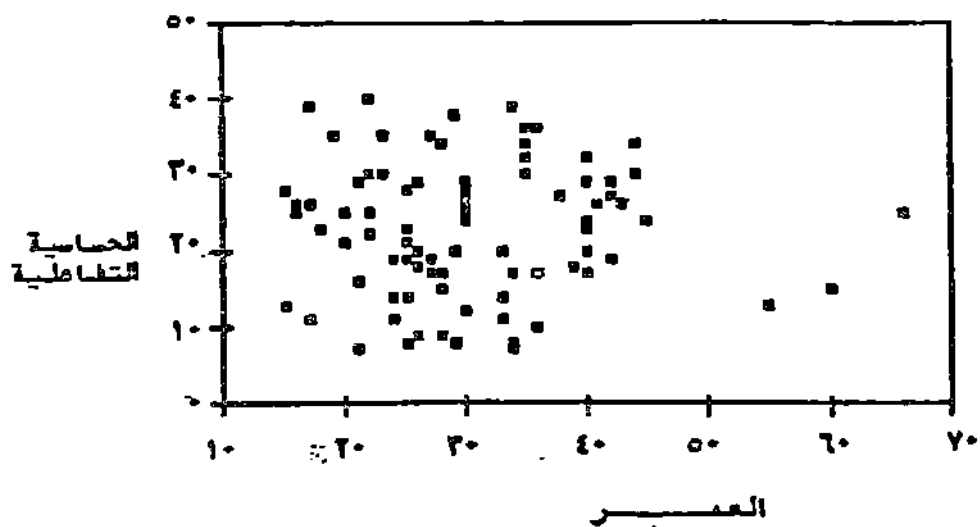
	العبارة	مطلقاً	نادراً	أحياناً	بعض الأحيان	دائماً
	ما مقدار معاناتك من الأعراض الآتية:					
٦٨	وجود أفكار أو معتقدات لديك لا يشاركك فيها الآخرون.					
٦٩	الإحساس بالخجل والهيبية في وجود الآخرين.					
٧٠	الشعور بضيق في الأماكن المزدحمة كالأسواق.					
٧١	الشعور بأن كل شيء عناء في عناء (الدنيا تعب في تعب).					
٧٢	الشعور بتوترات من انفزع أو الذعر بدون سبب معقول.					
٧٣	الإحساس بالاضيق عند تناول طعام أو شراب في مكان عام.					
٧٤	الدخول في كثير من الجدل والمناقشات.					
٧٥	الشعور بالتوتر عندما تكون بمفردك.					
٧٦	الشعور بأن الآخرين لا يعطونك ما تستحق من ثناء وتقدير على أعمالك وإنجازاته.					
٧٧	الشعور بالوحدة حتى في وجود الآخرين.					
٧٨	الشعور بعدم الاستقرار لدرجة لا تمكنك من الجلوس هادئاً.					
٧٩	الشعور بأنك عديم الأهمية.					
٨٠	الشعور بأن الأشياء المألوفة تبدو غريبة أو غير حقيقية.					

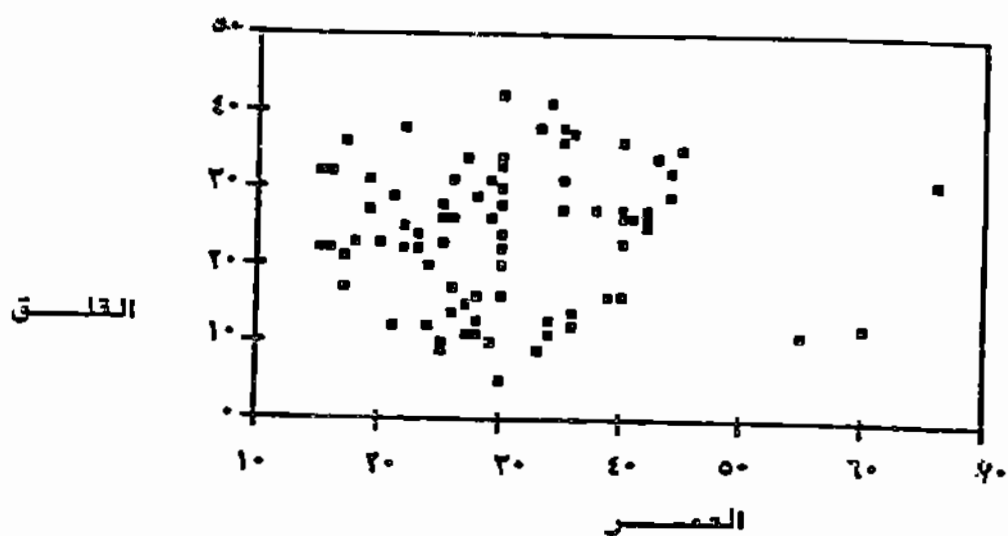
	الصفات	مطلقاً	نادراً	أحياناً	كثيراً	دائماً
	ما مقدار مفانئك من الاعراض الآتية:					
٨١	نوبات من الصراخ وقذف الأشياء.					
٨٢	الشعور بالخوف من الإغماء في الأماكن العامة.					
٨٣	الإحساس بأن الناس سوف يأخذون قرصتك لو مكنتهم من ذلك.					
٨٤	أفكار عن الجنس تسبب لك اضطراباً شديداً.					
٨٥	أفكار تسيطر عليك بأنك لا بد وأن تعاقب على ذنوبك.					
٨٦	الاعتقاد بأنك مدفوع لعمل أشياء معينة.					
٨٧	الاعتقاد بأن هناك شيئاً خطيراً قد حل بجسمك.					
٨٨	عدم الشعور بأنك قريب من أي انسان آخر.					
٨٩	الشعور بالذنب.					
٩٠	الاعتقاد بأن هناك تغييراً قريباً قد طرأ على أفكارك.					

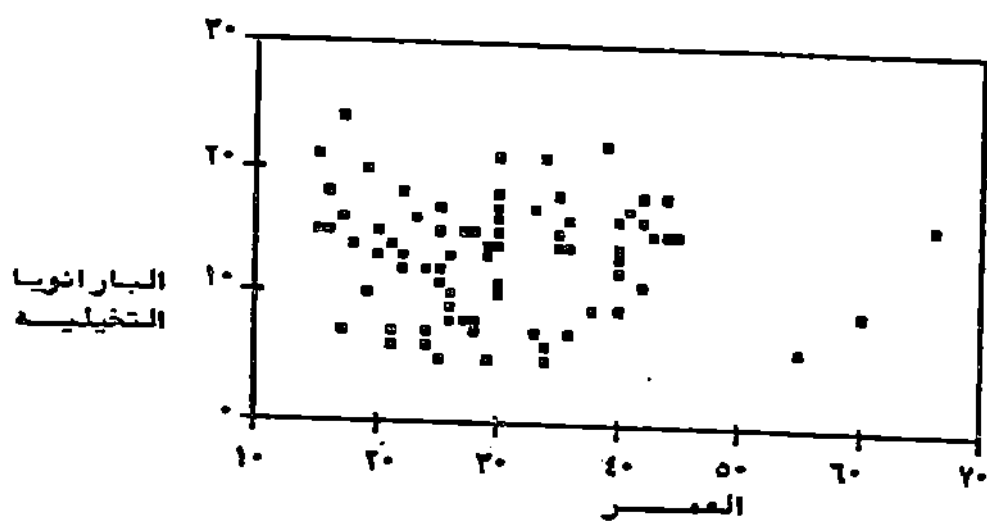
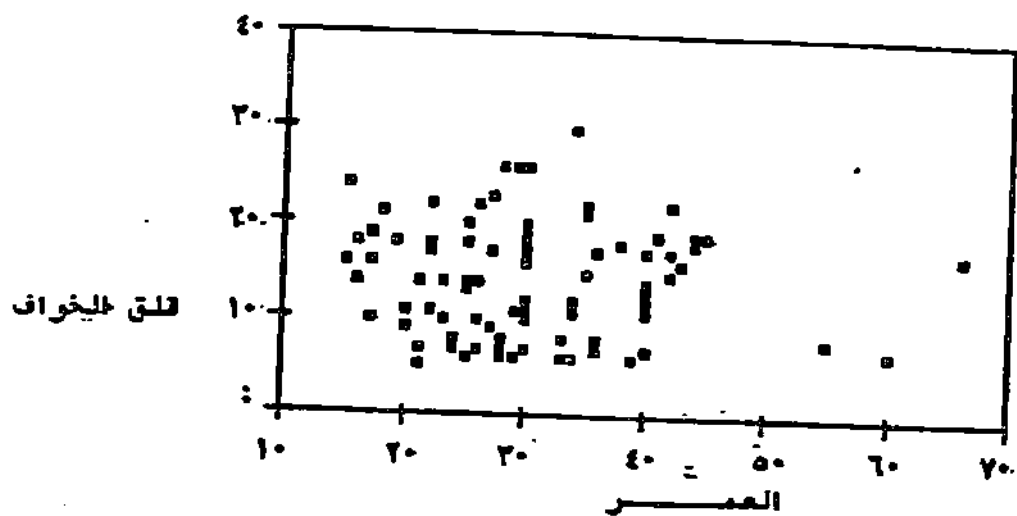
مرفق رقم (٢)

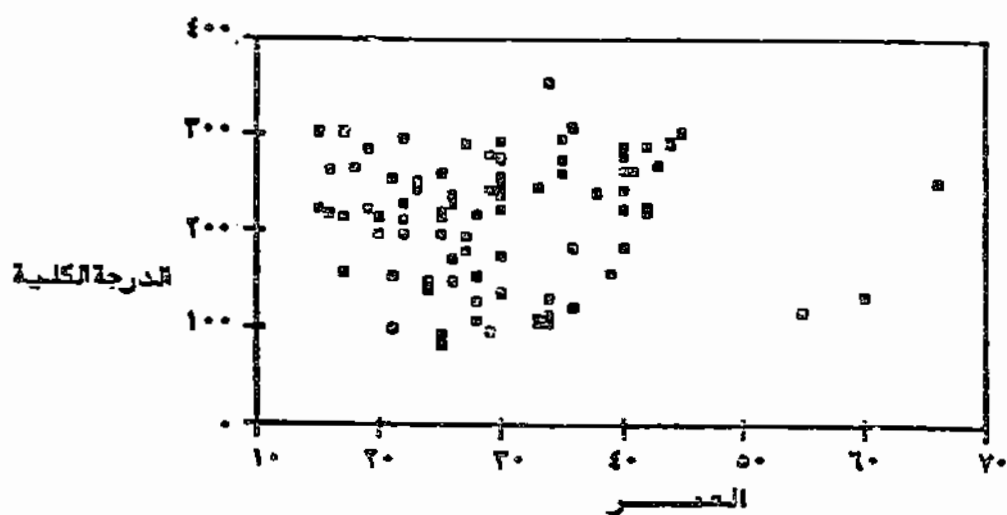
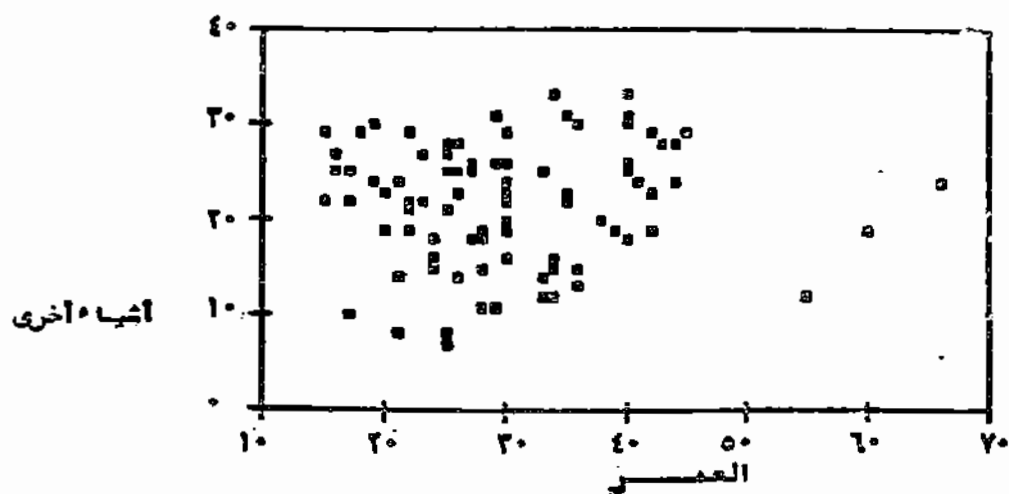
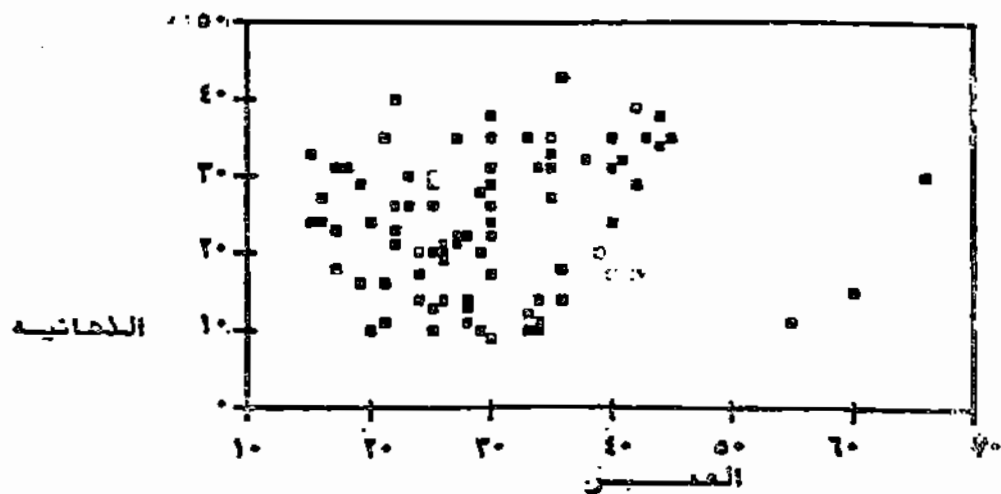
الرسوم البيانية لمعاملات الارتباط







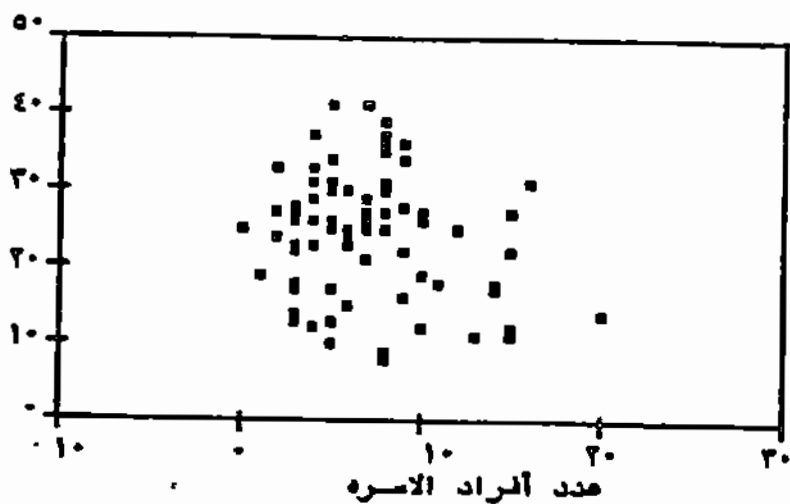




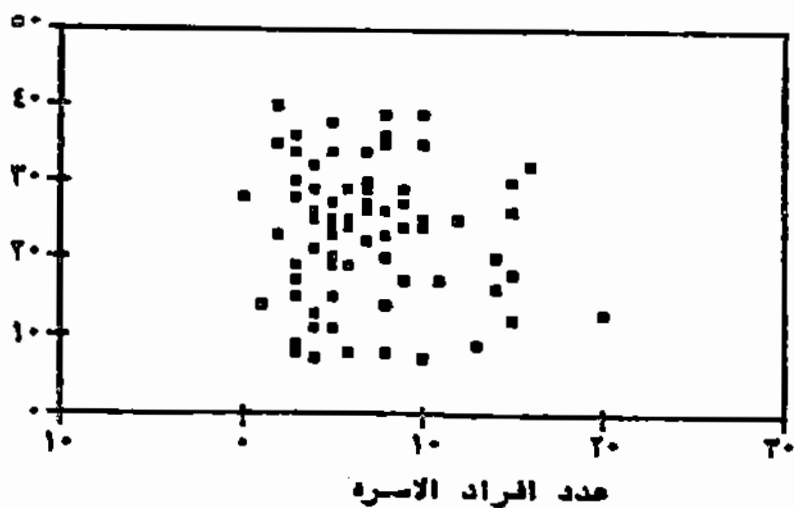
الامراض
الجسمانية

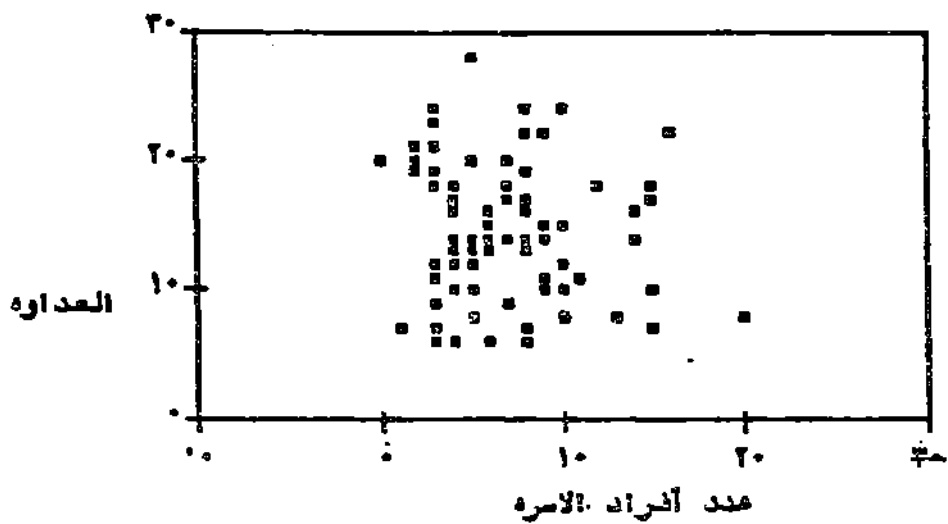
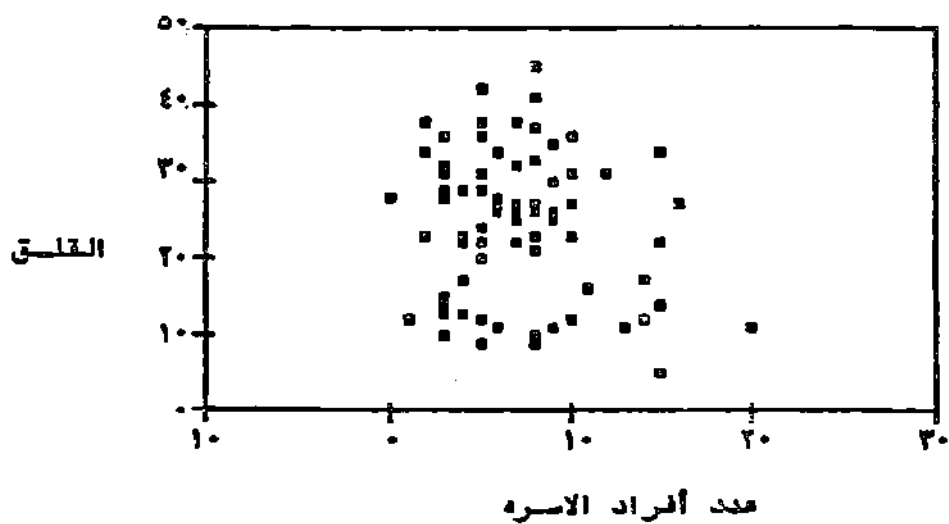
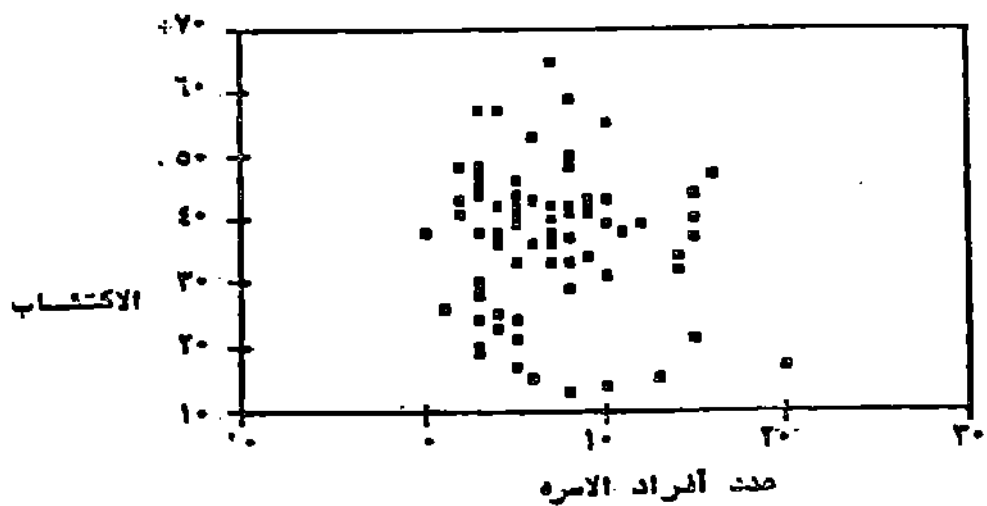


الوسواس
القهري

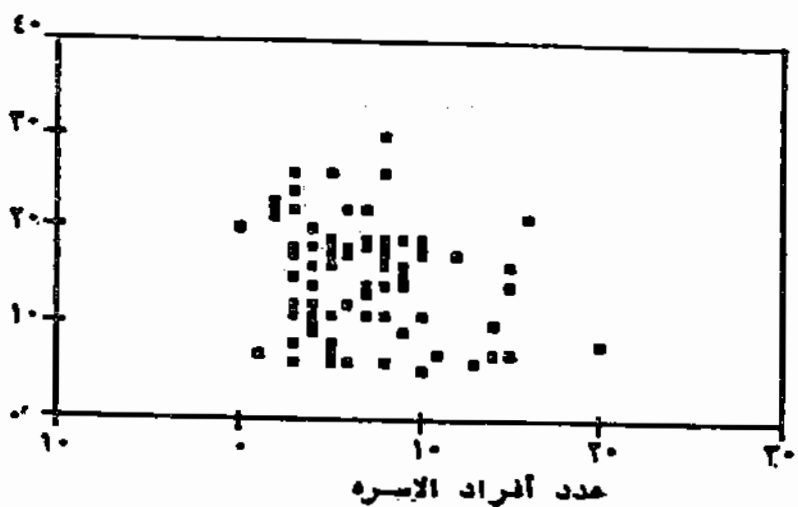


الحساسية
التفاعلية





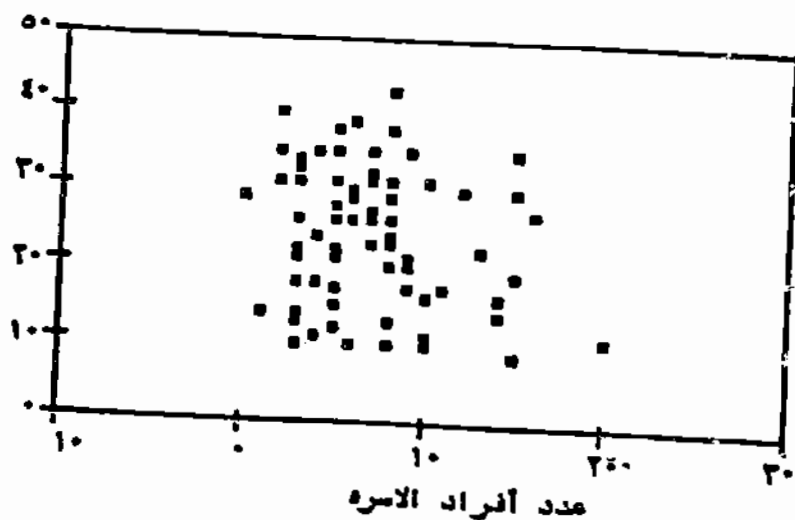
قلق الخواف

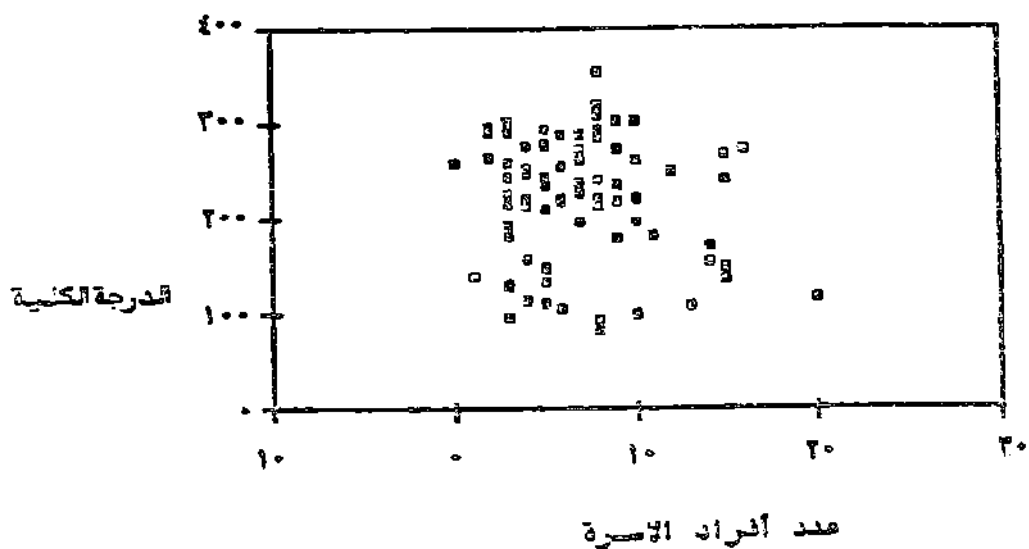
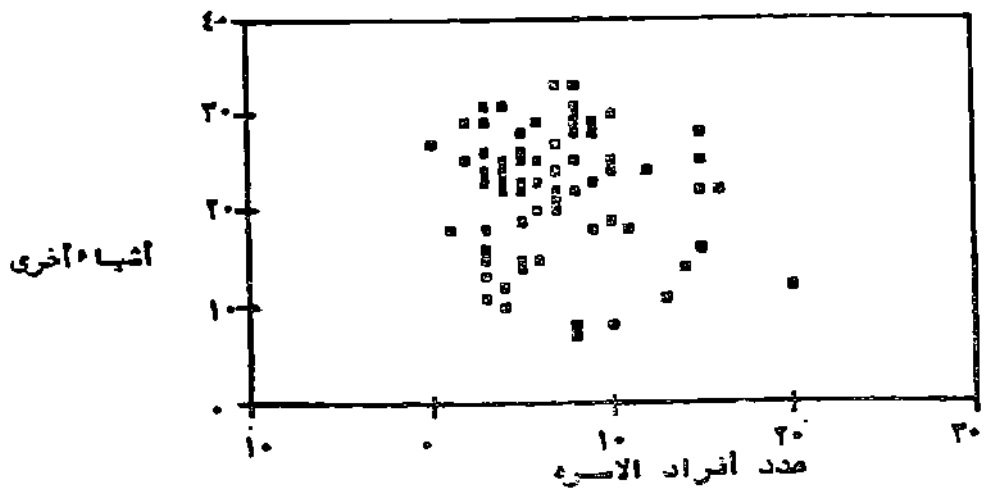


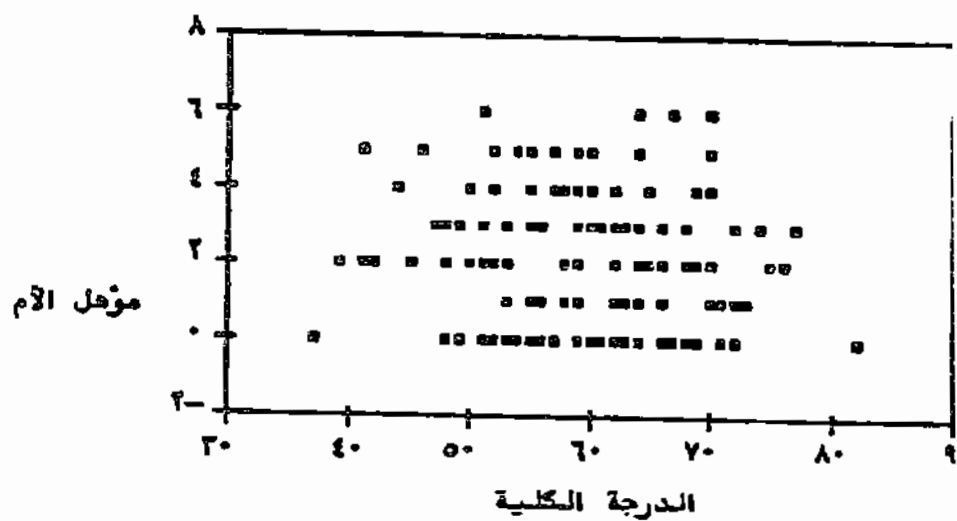
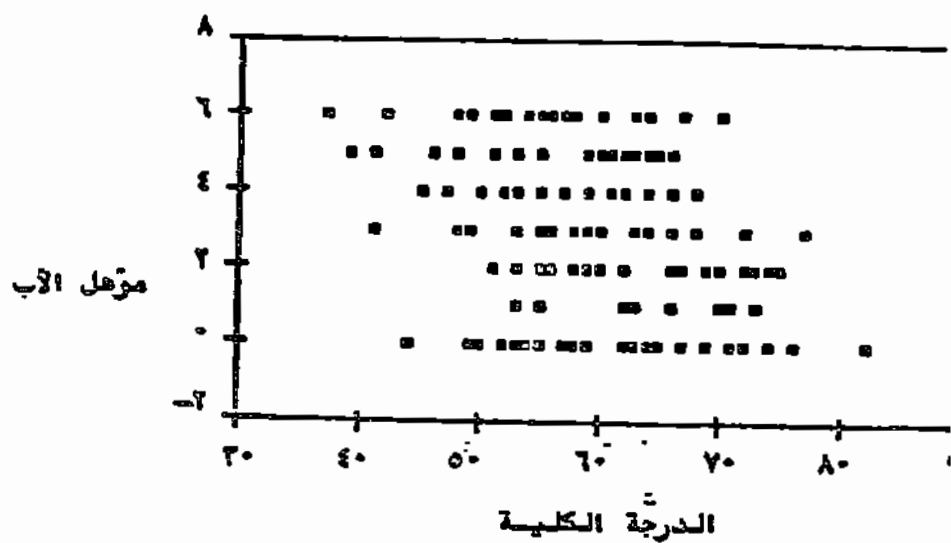
البارانويا
التخلييه

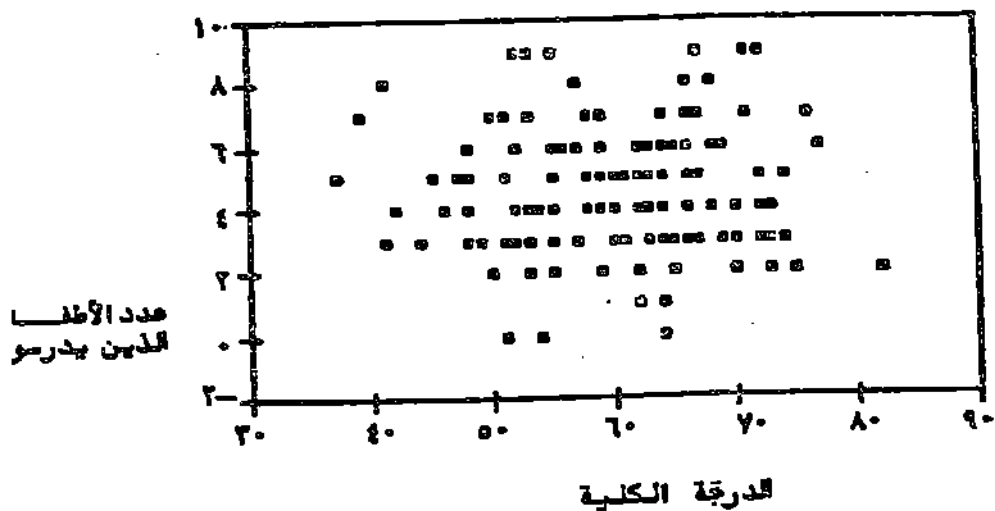
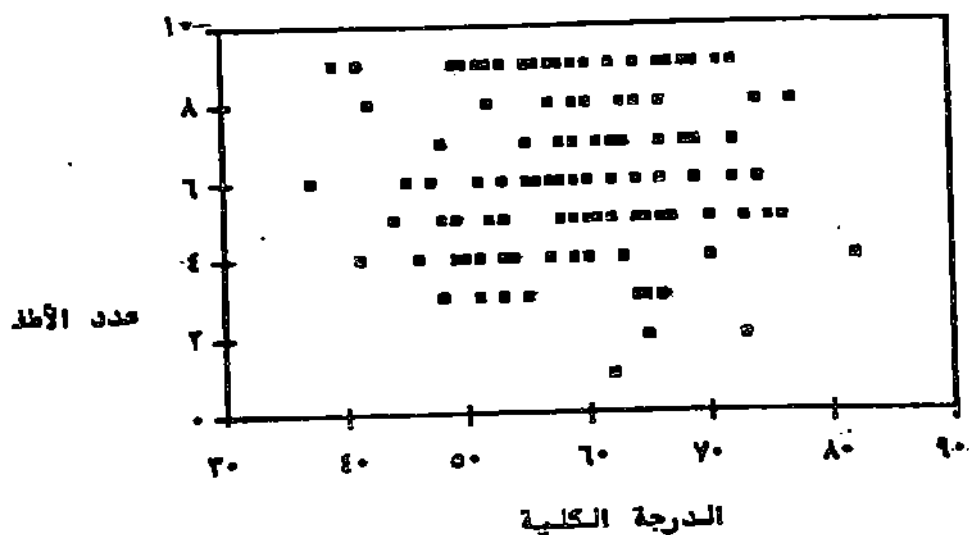


الذهانية









الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

إعداد

د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

ورئيس قسم التاريخ

جامعة الملك سعود - كلية التربية

فرع أبها

(١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

الدور الحضاري لنشاط التجارة بين

شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

الثابت أن أعظم الثقافات وأقواها تأثيراً في حضارة شمالي وغربي أفريقية هي التي تعود إلى عصر الإسلام ، حتى إن العالم الأوروبي ، ظل لبضعة قرون ، يعتقد أن بلاد السودان عامة والصحراء في شمالها ليست سوى جزء من العالم الإسلامي^(١) . لقد حدث أن اعتنق معظم سكان الحزام السوداني الإسلام بحماس^(٢) ، وعن طريق الإسلام دخل قدر كبير من مظاهر الحضارة الإسلامية البلاد ، وبرز في رحاب الإسلام ، بتلك البلاد ، عدد كبير من العلماء الأفريقيين السود الذين كتبوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة ، ومن بينها التاريخ الوطني لبلادهم^(٣) . ثم بالإسلام ظهرت الدول الإسلامية في أفريقية ، التي ناضلت ضد الاستعمار الأوروبي . إذن لم يخطئ المؤرخون حين قالوا : - إن بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لأفريقية السوداء . والمقصود بالعصر التاريخي هنا ، ازدهار الحضارة الأفريقية الوطنية الإسلامية ، والحق أن العصر الذهبي في تاريخ البلاد الإسلامية الأفريقية ، أو تاريخ السودان الأوسط والغربي ، بمعنى آخر ، هو العصر الوسيط . ففي ذلك العصر ، برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في تلك البلاد ، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة ، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة ، التي خطت بالحياة في أفريقية الإسلامية تلك الخطوات الحضارية القوية^(٤) .

ففي الحقبة التي تمتد من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، إلى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، حفلت بلاد غرب أفريقية بالآلاف من العلماء والرحالة والتجار المسلمين من شتى أصقاع العالم الإسلامي ، من المشرق ، ووادي النيل بصفة خاصة ، ومن بلاد المغرب العربي في شمال أفريقية بصفة عامة ، كما سافر عدد كبير من مسلمي غربي أفريقية لأداء فريضة الحج وطلب العلم في الأزهر و مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وشمال

أفريقية، ونهضت تلك البلاد التي أمها المسلمون الأفريقيون لشتى الأغراض، بما ينبغي عليها من الرفاء، الذي سحله التاريخ، من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال وتذليل سيل العلم، بجانب تبادل المنافع التجارية، بل اختلطت دماء أهل البلاد بغيرهم من المسلمين، مما زاد الرابطة ووثق العلاقة. وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة المدن الأفريقية الزاهرة، حدود القارة، أمثال : كومي صالح في غان، ومالي، وجني، وتبكت (تبكتي)، وولاته، وتكده وونقاره، وكور، وكاتسينا، وصكت وغيرها^(٥).

لقد تطلعت بلاد السودان الأوسط والغربي إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية، ولم تحلْ وعورة الصحراء دون اجتيازها، فطرق القوافل -التي تعد بالعشرات- تخترقها منذ أقدم العصور. ويمكن التماس ثلاثة منابع رئيسة للتأثير الإسلامي في أفريقية السوداء عامة، وهي:-

- ١ - من شمال أفريقية عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والأعلى.
 - ٢ - المتبع المصري عن طريق التوبة وطرق القوافل الشرقية إلى برنر فبلاد الهَرسَا.
 - ٣ - من بلاد العرب عبر البحر الأحمر إلى الحبشة ثم بلاد اليروربا والأشانتي.
- وعن هذه المنابع الثلاثة، وصلت الثقافة العربية والإسلامية إلى العناصر السوداء، وساعد على ذلك وقوع مصر والسودان في طريق الحج، واهتمام أولي الأمر فيها بتيسير أمور السفر إلى الأراضي المقدسة منذ فجر الإسلام، بل إن شمال أفريقيا ووادي النيل عامة، كانا من أهم المراكز والمنابع التي زحفت منها الدعوة الإسلامية، وكانت مصر، ثم المغرب، أسبق الأقطار إلى اعتناق الإسلام، ثم زحف الإسلام جنوباً مخترقاً الصحراء إلى بلاد التوبة وبلاد غربي أفريقية^(٦).

وقد أُنشِر الإسلام مبكراً في بلاد غرب أفريقية ، ومن الأدلة التاريخية على ذلك ، مذكّره البكري، من أنه حوالي عام (٦٠هـ/٩٧٩م) ، كان يوجد بالحلي الإسلامي بمدينة غانه أو كومي صالح ، عاصمة إمبراطورية غانه ، اثنا عشر مسجداً ، وقد زار البكري غانه عام (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) ، وذلك قبل سقوطها بقليل ، وأدرك فيها هذا العدد من المساجد ، بجانب عدد من المدارس القرآنية والإسلامية بالقسم الإسلامي^(٧) . و أورد البكري، كذلك ، أن بني أمية أرسلوا جيشاً في صدر الإسلام لفتح بلاد السودان، وأن ذرية هذا الجيش استقرت في بلاد غانة ، وأن حملة إسلامية كانت موجهة لمطاردة البربر، وصلت في حركتها إلى بلاد السنغال حوالي عام (١٠٢هـ/٧٢٠م) وعادت بكميات كبيرة من الذهب^(٨) . وعن القَلْقَشَنْدَرِي، أن أهل غانه أسلموا أول الفتح^(٩) وقد أسلم أحد ملوك غانه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهو تلوتان بن تكلان، ويقال إنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين^(١٠) . ويقال - كذلك - إن أربعة من جيش عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) (٧١٧-٧٢٠م) هاجروا إلى كاتم، وأن بعض بني أمية توجهوا إلى كاتم عند محتهم سع بني العباس^(١١) . ولاشك أن لهذه التحركات الإسلامية تأثيراً جزيئاً في التعريف بالإسلام في تلك البلاد منذ زمن مبكر، وهي خلاصة لأدلة تاريخية على قدم الإسلام في غرب أفريقية ، توضح أن العلاقات بين هذه البلاد وشمال أفريقيا بل وآسيا وأوروبا ترجع إلى زمن سحيق، وهي علاقات كما بدأت بحارية تبودلت فيها منتجات وسط أفريقية وغربها بالسلع الخارجية عن طريق القوافل، ثم نشطت حركة التبادل التجاري والمواصلات بعد دخول الجمل أفريقية حوالي القرن الأول قبل الميلاد، كما أن الفتح الإسلامي لمصر وشمال أفريقية ، قد أدت إلى دفع المسلمين شمالاً حتى الأندلس وفرنسا^(١٢) .

لذلك يمكن القول ، إن أفريقية ، وعلى الأخص غربها ووسطها ، لم تعزل تجارياً وحضارياً عن شمالها ، وعن أوروبا وآسيا في أي فترة من فترات التاريخ ؛ وكان لهذا الاتصال المستمر أثره البشري في حياة الزنوج في تلك البلاد ، فضلاً عن الآثار الاقتصادية والحضارية والثقافية ، ومن بينها عقيدة الإسلام بدرجة ما ، هناك الأثر الجنسي الذي أدى إلى ضغط العناصر البيضاء من البربر والعرب على تلك البلاد منذ أزمنة مرغلة في القدم ، واختلاطهم بأهلها ، وقد أدى هذا إلى امتزاج دمائهم بالدماء الزنجية حتى تغيرت ألوان أهل غرب أفريقية ، مما يصعب معه وصفهم بالزنوج . ومن أجل هذا الاندماج ، جاء وصف المؤرخين والجغرافيين العرب لبلاد السودان دقيقاً ، فيقول الإصطخري مثلاً عن السودان : "إنهم ليسو بنوبة ولا بزنج ولا من البجّة ، إلا أنهم جنس أشد سواداً من الجميع وأصفى" (١٣) .

بعبارة أخرى : لقد وجد الإسلام طريقه من شمال أفريقيا إلى بلاد السودان الأرمسط والغربي منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) ، لا عن طريق الفتوح الحربي والضغط والقهر ، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكُتب والمدارس والمساجد ؛ لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة القوية عن طريق الحرب ، بدليل أن الإسلام ، في تلك البلاد ، ظفر بأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً وليس بالمستضعفة منها ، ثم نما وترعرع في المدن الكبرى التي أقامها المسلمون واستقروا فيها ، فتمت وكبرت واشتهرت ، وأدى ذلك إلى قيام الدول التاريخية الإسلامية الأفريقية الكبرى خلال فترة العصور الوسطى (القرن الثاني إلى العاشر للهجرة / الثامن إلى السادس عشر للميلاد) ، وهي ممالك إسلامية سادت ردهاً من الزمن ، وأسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى تلك المناطق ، كما ساعدت على نشر

التراث الإسلامي . هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته تلك الممالك في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، فاستمر دفع الحضارة الإسلامية في أفريقيا في الانتشار والازدهار حتى بلغ مداه وانتشاره في القرن الرابع عشر للهجرة (القرن التاسع عشر الميلادي).^(١٤)

لقد كان للنشاط التجاري العربي والإسلامي عبر الطريق الصحراوي الغربي منذ القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن الخامس منه، الأثر الكبير في تلك النُّقْلة الحضارية الهائلة التي حظيت بها بلاد غرب أفريقيا خلال فترة العصور الوسطى ؛ لأن التجار العرب قد تمكنوا مع بداية الفتوحات الإسلامية من التوغل في مدن بلاد المغرب المختلفة، ومن ثم في المراكز التجارية السودانية^(١٥). ومن الجدير بالذكر أن التجار البربر كانوا قد سبقوا العرب في نشاطاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي، كما استقروا مع العرب في ممارسة أعمالهم التجارية بتلك المناطق . وفي خلال هذا التقدم كانت الصحراء هي الطريق الرئيسة لعملية التوغل العربي التجاري إلى الجنوب، ويبدو أن هذا التوغل هو الذي هيا المجال للعرب ليس فقط لممارسة تجارة الصحراء ، بل للالتقاء والاختلاط مع بربر الصحراء والتأثير عليهم ، وحدث الأمر نفسه بالنسبة للأفريقيين في بلاد السودان الأوسط والغربي . لذلك لعبت تجارة القوافل دوراً بارزاً في التفاعل الحضاري بين مراكز الحضارات القديمة، مثلما عملت على توسيع الاتصالات بين شمال القارة ووسطها وغربها . كما عملت هذه التجارة على تنشيط حركة المواصلات والتبادل التجاري، فازدادت المعرفة بثروات تلك البلاد، وازدادت النقلة من وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط على أثر دخول الجمل أفريقية - كما سبق القول - وقلّت الأعطال والمخاوف التي تكنف السفر داخل الصحراء ، ولوحظ هذا الازدياد وهذا النشاط منذ القرن الرابع الميلادي تقريباً^(١٦) . وكان سكان شمال أفريقية من فينيقيين ويهود وإغريق ورومان وبربر وعرب يشجعون تجارهم على تنمية علاقاتهم التجارية

وغيرها مع غرب أفريقيا ، وعقد هؤلاء التجار معاهدات تجارية مع مواطني غرب أفريقيا في العصر الرسطي^(١٧).

وبزيادة الاتصالات وسهولتها ، كثرت هجرات عربية من الشرق وشمال أفريقيا إلى بلاد السودان جنوبي الصحراء ولاسيما بعد ظهور الإسلام . فبعد الفتح العربي الإسلامي لمصر عام (٢٠هـ - ٦٤١م) ، وما تلاه من فتح شمال أفريقيا ، وصلت حملات إسلامية إلى منطقة كاوار (Kawar) قرب بحيرة تشاد حوالي عام (٤٦هـ - ٦٦٦م) ، وإلى السنغال عام (١٠٢هـ - ٧٢٠م) ، وأدت إلى استقرار أعداد كبيرة منهم في بلاد السودان على حافة الصحراء ، وإلى اختلاط هؤلاء بالسكان الأصليين ، مما كان له أكبر الأثر في تغيير ألوان الزنوج - عبر القرون - في تلك المناطق ، حتى كان استخدام كلمة " أسود " للدلالة على سكان مناطق السافانا جنوبي الصحراء أدق من كلمة زنجي^(١٨) . ولكثرة الآثار الشرقية والإسلامية وتنوعها في العصر الإسلامي ، ظل العالم الأوروبي لبضعة قرون ، يعتقد أن بلاد السودان والصحراء في شماليها ، ليست سوى جزء من البلاد الداخلة في نطاق العالم الإسلامي^(١٩).

تمكن المسلمون في شمال أفريقيا - بعد ذلك - أن يحتكروا تجارة القوافل عبر الصحراء ، بل وتمكنوا من أن يتصلوا بقلب أفريقيا اتصالاً مباشراً . ولأسباب دينية وتجارية أصر المسلمون في شمال أفريقيا على احتكارهم المطلق للقيام بدور الوسيط مع الأقاليم الداخلية في أفريقيا عبر الصحراء . ولذلك اقتصر نشاط التجار المسيحيين على المناطق الساحلية من بلاد شمال أفريقيا^(٢٠) . لهذا كله يمكن القول :- إن هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم المغرب ، وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء ، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي ، وازداد بعد ذلك بدخول الإسلام في القارة الأفريقية .

ومن المعروف أن هناك ثلاثة طرق رئيسة صحراوية تربط بلاد المغرب في الشمال ببلاد السودان في الجنوب عبر الصحراء ، وهي : -

١ - الطريق الشرقي : الذي يربط المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) بالسودان الغربي (كوار وكاتم) عبر صحراء فزان .

٢ - الطريق الأوسط : يربط المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) بالسودان الأوسط (كوكو) عبر الصحراء الوسطى .

٣ - الطريق الغربي : يربط المغرب الأقصى (المملكة المغربية حالياً) بالسودان الغربي (غانة والتكرور ومناجم الذهب) عبر الصحراء الغربية^(٢١) .

لقد كانت هذه الطرق تبدأ من مصر وطرابلس وتونس وتلمسان ومراكش متجهةً إلى الجنوب ، فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز الرئيسية في غربي أفريقية ، مثل غانة القديمة ، وإلى تنبكت (تيمبوكتو) ولايات الهوسا وكاتم - برنو . وقد تتصل بعض هذه الطرق في الصحراء ثم تتفرع إلى جهات مختلفة . فمثلاً القافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولاً صوب المغرب إلى أوجله ومرزوق ، وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كاتم - برنو بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر جنوباً إلى أن تصل إلى غايط (Gatt) حيث تلتقي بقافلة أخرى من تونس ، ثم تتجه صوب الجنوب إلى ولايات الهوسا عن طريق أهير (Ahir) . ووصف لنا المؤرخ فاجي (Fage) تلك الصلة التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وغربي أفريقية فيما بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر الميلادي ، حيث ذكر عدة طرق تجارية في تلك الفترة^(٢٢) . ويذكر المؤرخ بوفيل (Bovil) أربعة طرق رئيسة كانت تربط بين الشمال والجنوب وهي^(٢٣) :-

١ - من سجلماسة إلى ولاته ، ثم توجه إلى بلاد السنغال وأعالى نهر النيجر حيث الذهب .

٢ - ومن غدامس إلى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غايط وأهير .

٣ - من طرابلس إلى البرنو ونهر تشاد ماراً بفزان وكوار .

٤ - ومن قونية (Cyrenaica) إلى رداى عن طريق كفرة .

وقد أصبحت كل هذه المراكز تجارية وثقافية مشهورة ، وكان فيها أسواق مشهورة يؤمها كثير من التجار من شتى البلاد المغربية . وقد قام كل منها بنشاط في نشر الإسلام والثقافة العربية في مختلف الأزمان . وكان أولئك التجار يجلبون معهم إلى غربي أفريقية تلك البضائع المطلوبة كالحرير والسروج والتحاس والملح وأدوات شتى من منسوجات، فيبيعونها ، ويشتررون الذهب والجلود والعاج والعبيد^(٢٤) .

لقد كانت هذه العلاقة التجارية بين العرب وغربي أفريقيا التي بدأت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) هي بداية انتشار الإسلام واللغة العربية في أفريقيا بصفة عامة . ولقد استمرت هذه العلاقة بطريقة سليمة طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في القارة الأفريقية . فالتجارة ، بطبيعة الحال ، تلزم إيجاد لغة للتخاطب بين البائع والمشتري ، كما تولد الصلة الحميمة بينهما . وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية؛ فمن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم، فوضعت هذه العلاقة التجارية الحجر الأساس للعربية في أفريقية ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلمات وتعابير في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في تلك الربوع الأفريقية ، واندمج بعضها في اللغات المحلية وخاصة بعد انتشار الإسلام، ومما

يؤكد هذا ، وجودُ كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الأفريقية مثل لغتي الهوسا والفلاني،^(٢٥) وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تُصدَّرُ إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام . ثم بالإسلام ظهرت الممالك الإسلامية الكبرى مثل غانا ومالي وصنغي وكاتم ، وهي ممالك أفريقية . والراجح أن يكون الإسلام قد دخل غانا عن طريق السلم ، وانتشر بالطريقة نفسها ، فيكونُ التجار والدعاة الذين دخلوها أفراداً ووفوداً هم الذين قاموا بنشره ثم اتسعت رقعة كثيراً بعد حركة المرابطين ، وتوغل في غرب أفريقية ووسطها . وما يذكر أن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة . وبفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي^(٢٦) . ولقد كان للثقافة الإسلامية العربية أثر واضح في حكومة غانا القديمة قبل دخول المرابطين . فالمسلمون هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فلذلك كانوا هم الذين يتولون إدارة الدواوين ، ومنهم الوزراء الذين كانوا يساعدون الملوك الوثنيين . وقد ذكر البكري ((أن تراجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحب بيت ماله ، وأكثر وزرائه))^(٢٧) . ثم أخذت مملكة مالي دور غانا بعد اختفائها من المسرح التاريخي السياسي^(٢٨) ، فواصلت عملية نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، التي بلغت أوجها بين القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) وأصبحت من كبرى الدول الإسلامية التي قامت في غربي أفريقية في تلك العصور . وكان أهلها متمسكين بالإسلام ومتحمسين له وخاصة قبيلة الماندينجو . وقد أعطى ابن بطوطة صراحة لهذه المملكة عند زيارته لعاصمتها مالي في سنة (٧٥٣هـ / ١٣٥٢م) ، وقد أعجب بشدة عنايتهم بحفظ القرآن الكريم حيث قال : ((وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تُفكُّ عنهم حتى يحفظوه ، ولقد دخلتُ على القاضي يوم العيد وأولاده

مقيدون، فقلت له: أَلَا تُسَرِّحُهُمْ؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن)) . وقال أيضاً: " مررت يوماً بشاب من أهل مالي حسن الصورة، عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي :- ما فعل هذا؟ أَقْتَلَ؟ ففهم عني الشاب وضحك، وقيل لي :- إنَّما قُيِّدَ حتى يحفظ القرآن " (٢٩) .

هذا، ويتضح مما سبق أن الإسلام قد دخل غربي أفريقيا ووسطها أولاً بطريقة سُمِّيَّة، وهي طريقة التجارة والدعوة . وبما أن دولة غانا كانت أقدم دولة أفريقية في تلك المنطقة، فمن الطبيعي أن يدخل الإسلام ثم ينتشر منها إلى البلاد المجاورة . وبعد سيطرة المرابطين على دولة غانا، وسيطرة المسلمين التامة على طرق القوافل التجارية منذ مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة عن طريق الفتح والتجارة والدعوة . وبهذا اتسع نطاق الإسلام إلى البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . وفي ظل هذا الازدهار وتلك الحماية التي وجدتها تجارة القوافل، تسربت الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد جديدة لم تطأها أقدام المسلمين، فوصلوا أراضي دندي، ويوري، ونوبى، ثم توغلوا جنوباً حتى بلاد الأشانتي وداهومى (٣٠) .

تلا انتشار الإسلام، أن انتشرت اللغة العربية، وقد ساعد على انتشارها والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها، أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادَّعت الأصول الشرقية . لقد ادَّعى ملوك مالي والتكرور وصنغي وبرنو والحرسا والثلايين وغيرهم، أنهم انحدروا أصلاً من العرب، وأن أسلافهم الأوائل جاعوا من الشرق، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقيا الإسلامية حجرة القبائل إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشار

الإسلام. ثم إن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل شوا (في تشاد) والفلاني والماندنجو^(٣١). وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية، ولم تحلّ وعورة الصحراء دون اجتيازها^(٣٢).

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غربي أفريقيا بعهود الممالك الإسلامية الأفريقية الكبرى في غانا ومالي وصنغي ثم برنو، وممالك الهوسا والتكاررة والفلايين. فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها واستُخدمت في شتى الأغراض وأُوقِيت بها. لقد استخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء، ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي. ووجد في اللواوين الرسمية زمن دولة الممالك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد، لا بد من تصدير المكاتبات بها^(٣٣).

لذلك يتضح من هذا العرض السريع، أن اللغة العربية كانت اللغة الأم في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية، واستمرت كذلك حتى قيام الخلافة الصكيه التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في شمال نيجيريا وعاشت حتى مطلع القرن العشرين. فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكومة، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من بلاد نيجيريا^(٣٤) مع وجود اللغات المحلية كلغة الهوسا والفلاني والبرنو وغيرها، ثم هي من بعد، لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات. ومعنى آخر :- كانت اللغة العربية هي اللغة المسائدة (Lingua Franca). وقد تفانى ملوك تلك البلاد في نشر الإسلام واللغة العربية بين الزنوج. وذكر ابن حوقل أن ملك أردغست (تيوتان) كان شديد الحماس

لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب^(٣٥). وكانت اللغة العربية في غانه وولاته ونيمه (Nima) هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات، واحتلت هذه اللغة في غانه وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى، بل زادت عليها؛ إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة الدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في تلك العصور، أكثر من هذا، شهد بعض المكشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلام سكان غربي أفريقية باللغة العربية، يفوق إلام أوروبا باللغة اللاتينية في العصر الوسيط^(٣٦).

وكما سبق، فإن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل الأفريقية ليث العقيدة الصحيحة. وأقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر الذين استقروا في غانه وغيرها من بلاد السودان، والذين اتصلوا بتلك البلاد، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية، بدليل استعانة ملوك غانه بهم في أجل أعمالهم.

وبالإضافة إلى الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام في شانه، فهناك عامل آخر ساعد على نشره في الممالك المجاورة لها، وذلك هو الهجرة التي قام بها التجار المسلمون من غانه إلى المدن الأخرى، وخاصة إثر غزو قبائل الصرصر الوثنية لغانا والاستيلاء عليها^(٣٧)، فانتشروا في البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير في نشر الدين والثقافة العربية في أفريقية.

وتعدّ مرحلة انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية على أيدي ملوك مالي أيضاً من المراحل الهامة في تاريخ تطور وانتشار اللغة العربية على نطاق واسع في بلاد السودان الأوسط والغربي . ففي هذه المرحلة ازدهرت الحركة العلمية ، وعُرف عن السلطان كتنك موسى أنه استقدم عدداً كبيراً من العلماء ، ولاسيما من الحجاز ومصر والمغرب والأندلس^(٣٨) ، فاستأثرت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء . وكان ازدهار حركة التبادل التجاري بين مالي والخورارج ، من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مالي^(٣٩) . ومن المدن التي اشتهرت بكثرة علمائها : تنبكت (تنبكتو) ومالي وجنى وجار^(٤٠) ، حتى إنه عندما تدهورت دولة مالي سياسياً، بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في قلب أفريقيا . وأهم مركز ثقافي في تنبكت (تنبكتو) : مسجد سنكري أو جامعة سنكري، ففيها كان العلماء من كل فنون العلوم الإسلامية، وأكثر العلماء من البيض من قبيلة جدالة بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه أحمد بابا الذي نقل عنه السعدي الكثير مما أورده في كتابه " تاريخ السودان"^(٤١) .

وقد وُجدت المدارس الكثيرة في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد، مثل مدارس غانه ومالي . ويقول ابن بطوطه عن أهل مدينة مالي :- إنهم قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلب علم^(٤٢) . وبجانب الاهتمام بالقرآن ، كما ذكر ابن بطوطه، هناك الاهتمام بلغة القرآن، وهي اللغة العربية التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي غربي أفريقيا عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية . ويقول توماس أرنولد " غدت اللغة العربية لغة مخاطبة بين قبائل نصف القارة"^(٤٣) . ويقول ديشان (Deschan) : " ولم تكتف قبائل الممالك الأفريقية بدخول الإسلام، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد"^(٤٤) .

وهناك خصائص معينة في نطاق حروف العربية بين مسمي عربي أفريقية. وأما طريقة الكتابة، فهي طريقة المغاربة، مما يوضح أثر شمالي أفريقيه في ذلك، قول القلقشندي " وكتاباتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة وقد ورد إلى السلطان الناصر كتاب من موسى (سلطان مالي) بالخط المغربي" (٤٥) ساعد ازدهار إمبراطورية مالي الإسلامية واتساع رقعتها وعظمة ملوك المسلمين وثقانيهم من أجل خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية، ولا سيما لغات الهوسا وصنفي والفلاني، فاستخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة الفلانية ولا تزال إلى اليوم.

كذلك يُضمُّ إلى هذا الدور ما قامت به مملكة كانت - برنو من جهود كبيرة لنشر الإسلام ولغته العربية، تلك المملكة، التي تأسست قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ثم دخل إليها الإسلام عن طريق التجار أولاً ثم انتشر تدريجياً، كما دخلت اللغة العربية وانتشرت، ولقد ساعد في انتشارها وجود عدد كبير من العرب فيها، ووجود صلة تجارية وثقافية وسياسية مع البلاد العربية الإسلامية. والمشهور أن الإسلام وصل إلى كانت من مصر مباشرة (٤٦). ومن أشهر دعاة الإسلام في كانت محمد بن ماني في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). واشتهر حكام برنو بحماستهم للدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية، حتى إن الماي عثمان بن زينب (ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) ادعى أنه من نسل عثمان بن عفان (٤٧).

كان العامل التجاري من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول بحيرة تشاد وماجاورها، وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من طرابلس وتتجه إلى الجنوب عن طريق فزان ويلما إلى أد تصل إلى كانت، وهذا مما سهل وصول التجار المسلمين إليها، وبالتالي دخول الإسلام. فلاشك أن التجار

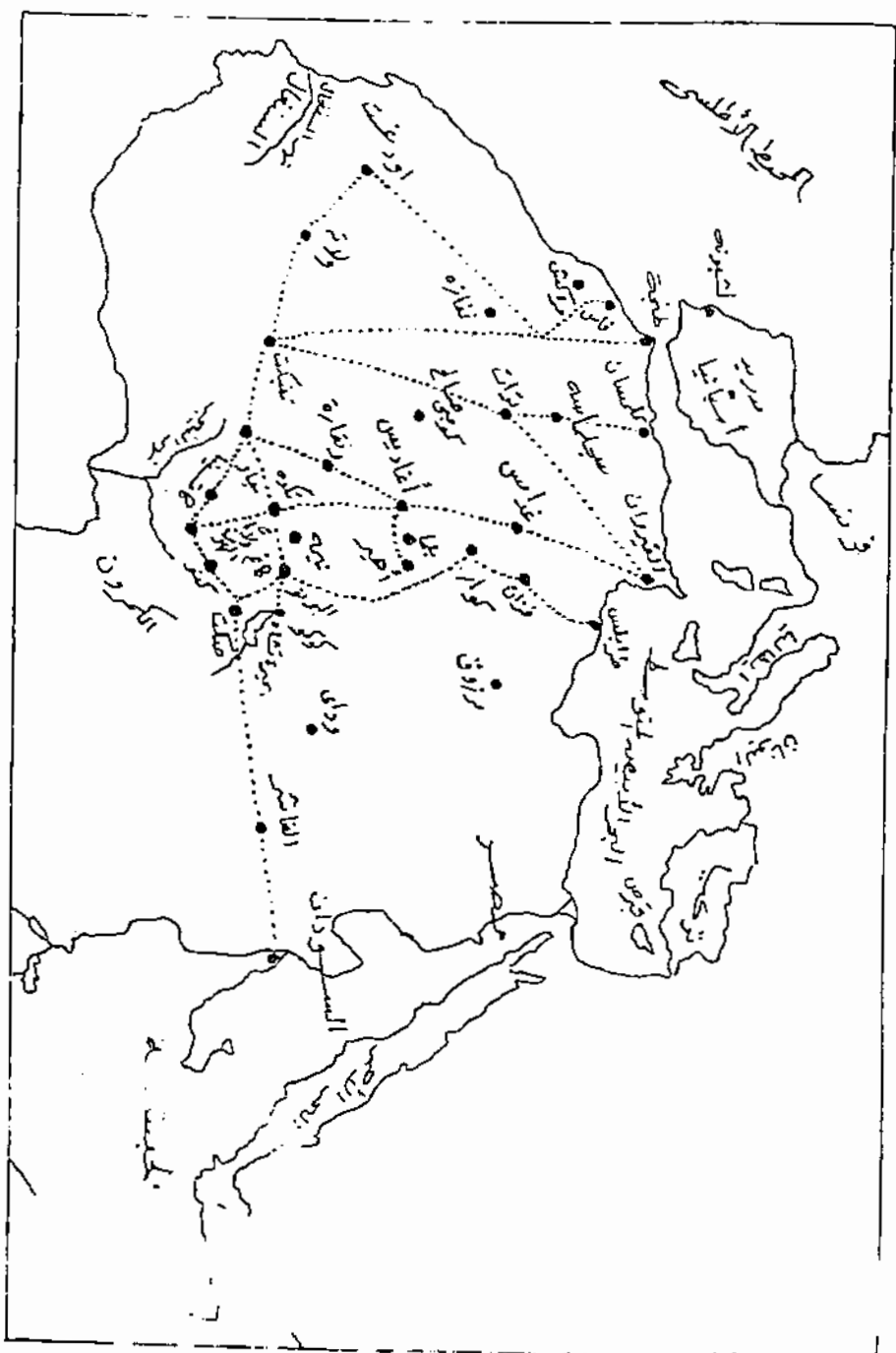
هم الذين أدخلوا الإسلام إلى تلك المنطقة . وقد ذكر محمد بلر ابن الشيخ عثمان بن فودي في كتابه إنفاق الميسور :- أن الإسلام دخل كاتم عن طريق التجار والمسافرين . وأضاف محمد بلر أن أهل هذه البلاد يهتمون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه ، والكتابة باللغة العربية منذ وقت بعيد^(٤٨) .

وفي خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، شهدت مملكة برنو عصراً مزدهراً بالفتوحات والتقدم السياسي والثقافي، ذلك هو عصر الملك إدريس ألوما (٩٧٩-١٠١٢هـ/١٥٧١-١٦٠٣م) ، وهو الملك العادل الشجاع التقى ، حسب ما يصفه لنا مؤرخه أحمد بن فرطوا (Fartuwa) . فقد قام هذا الملك بعدة غزوات ، واستولى على المناطق الواقعة في غربي كئو كلها حتى وصل إلى كئو (في شمال نيجيريا) ، وهكذا وصلت مملكة برنو إلى أوجها^(٤٩) وكانت كذلك إلى أن ظهرت الثورة الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) .

لقد استطاع ملوك كاتم وملوك برنو في أيام ازدهار دولتهم إيجاد علاقة سياسية وتجارية بين دولتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة مصر وطرابلس وتونس ومراكش ، وكذلك الحجاز بسبب الحج^(٥٠) . وقد أورد لنا المؤرخون بعض المراسلات التي جرت بين هذه المملكة وتلك البلاد العربية . والظاهر أن هذه العلاقة بدأت بسبب الحج ، إذ إنه من المعروف : أن كثيراً من ملوك كاتم - برنو كانوا يؤدون تلك الفريضة ، ويذكر لنا ابن خلدون وصول رسول من كاتم في سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) إلى أبي عبد الله محمد (المستنصر الأول) أحد خلفاء بني حفص بتونس ، وكان الرسول يحمل معه هدايا ثمينة إلى الخليفة^(٥١) . وقد أورد أيضاً القلقشندي نص الرسالة التي كتبها ملك برنو عثمان برّي بن إدريس (٧٩٤-٧٩٦هـ/١٣٩١-١٣٩٣م) إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بمصر يستجد به صديقه^(٥٢)

خريطة
توضح أهم المدن
والمراكز التجارية
في غرب إفريقيا
شمال وغرب إفريقيا
في عصر الإمبراطورية
الرومانية

المدن	•
المناطق	



ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة، فقد انتشر فيها التعليم ، وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء ، ومما ساعد في نشر اللغة العربية: وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها الذين اشتهروا باسم قبيلة شوا (Shawa) ، وهذه القبيلة - التي سبقت الإشارة إليها - تسكن الحدود الشرقية للبرنو بجوار نهر تشاد^(٥٣).

مما تقدم ، نستطيع أن نقول: إن حركة التبادل التجاري بين شمالي وغرب أفريقية ، ونشاطها المستمر ، وازدهار التجارة واستمرارها على مر الأزمان والأجيال، قد ساعد إلى حد كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في القارة الأفريقية جنوب الصحراء ، والفضل يرجع إلى التجار والدعاة الذين قاموا بالمخاطرة واجتازوا الصعاب . ويعتبر ذلك من أهم الإيجابيات لدخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في المغرب وأفريقيا ، فساعد كذلك على توسيع شبكة الاتصالات الإنسانية والاقتصادية داخل القارة السمراء، فأتيحت -بفعل ذلك- لبقية العالم، شرقاً وغرباً، فرصة الاستفادة منها، وتنمية ثروته وموارده . وإن استقرار العرب في المدن والمراكز الأفريقية ببلاد السودان ، كان بدون شك عاملاً كبيراً في أن تصبح هذه المدن مركز لقاء واختلاط بين العرب وغيرهم من الشعوب الأفريقية في شمالي وغربي الصحراء . وبرزت أولى نتائج هذا التواجد بإيجاد مؤسسات إسلامية ثابتة في المدن الأفريقية التي ازدهرت في العصور الوسطى بالتجارة والثقافة وعامل الدين، وهذه المؤسسات تتمثل في المساجد ومراكز التعليم، وقد وصلت قمة ازدهارها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، كما قامت هذه المؤسسات -بدورها- في تعزيز علاقات الاختلاط بين المجموعات السكانية المختلفة في داخل هذه المدن التجارية والثقافية . وبازدياد

توغل وانتشار التجار العرب في المراكز التجارية المختلفة في بلاد غربي أفريقية .
تتج عن ذلك نشوء عدة مناطق استقرار ثابتة ، تجارية وإسلامية . فمن بين تلك
المراكز التجارية الناشئة في السودان الغربي - على سبيل المثال - كان هناك الحي
الإسلامي في مدينة غانة، تلك المدينة التي شهدت نشاط التجار العرب كالمغاربة
والمصريين والحجازيين والعراقيين وأهل الشام واليمنيين^(٥٤) ، الذين استقروا
وانتشروا في تلك البلاد ، لاسيما أن مدينة غانة كانت المدخل الوحيد للوصول إلى
مناجم الذهب الواقعة جنوبها . وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر
الميلادي) استمر الوجود التجاري في مدينة غانة وغيرها في الازدياد^(٥٥) ولعل من
أوضح نتائج هذا التواجد هو ازدياد قيمة التجارة في غانه، إضافة إلى نمو
الاتصالات التجارية ما بين غانة من جهة وما بين مناطق المغرب الأوسط والأقصى
من جهة أخرى . وقد ساعد وجود التجار العرب في المراكز التجارية في السودان
الغربي ، بل توغلهم المكثف فيه ، على حدوث عمليات الاختلاط والتزاوج بين
العرب والزنوج في مراكز التجارة السودانية الأفريقية في بلاد غربي أفريقية ، كما
أدى إلى قيام النشاطات التجارية الواسعة بين المراكز التجارية في الشمال والمراكز
التجارية في الجنوب . وأصبحت تلك المراكز بدرورها مراكز لقاء بين العرب
والأفريقيين في جنوبي الصحراء ، ويظهر أثر ذلك واضحاً في التأثير الإسلامي
الحضاري في تلك المنطقة منذ دخول الإسلام فيها في القرن الأول الهجري (السابع
الميلادي) إلى أن ازدهر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)^(٥٦) .

" الحواشي والتعليقات "

- ١ - للمزيد من التوضيحات انظر • محمد محمد زيتون • " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري " مجلة كلية العلوم الاجتماعية • جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض • العدد (٣) (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢١١ وما بعدها • H.H. Johnston.

A History of the Colonization of Africa by An Alien Races (Cambridge, 1913) pp. 15-20; B- Davidson.

Old Africa Re-discovered (London, 1959) pp.70-73.

- ٢ - ويقال إن بلاد السودان ، تعني بلاد السود ، ومن ثم فإن كلمة السودان المأخوذة من هذا اللفظ تدل على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة أفريقية • وقد جرى العرب وكذلك الأوروبيون على قصر هذه التسمية على الجزء الشمالي من تلك الأقطار، أو إطلاقها بصفة أعم على تلك المنطقة شبه الصحراوية من أفريقية التي تغلغل فيها الإسلام، وتقسم المنطقة من الناحية العملية إلى ثلاثة أقسام هي :-
(١) السودان الغربي، ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر • (٢) السودان الأوسط، ويشمل حوض بحيرة تشاد • (٣) السودان الشرقي • وهناك تعريف آخر لبلاد السودان في العصور الوسطى، حيث إنها المنطقة الممتدة من حوض السنغال في المحيط الأطلسي غرباً إلى ساحل الصومال في المحيط الهندي شرقاً، وهي كذلك بلاد غربي أفريقية • للمزيد من التفصيلات انظر، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران

السعدي • تاريخ السودان • تحقيق هوداس (Houdas) (باريس، ١٩٦٤م) ص ٩ ومابعدھا • دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة " السودان " مج ١٢ ، ص ٣٢٧-٣٢٩؛ المر سيد أحمد العراقي • " ملامح تطور الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي " مجلة التاريخ والمستقبل، كلية الآداب، جامعة المنيا، المجلد الثالث ، العدد الثاني (١٩٩٣م) ص ٥٦٩ •

٣ - للمزيد انظر • إبراهيم علي طرخان • " قيام امبراطورية مالي الإسلامية " دراسات في التاريخ القومي الأفريقي • مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الأول سنة (١٩٧٠م) مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٠م • ص ٤-٦ • محمد محمد زيتون " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب " ص ٢١٩-٢٢١

٤ - انظر معلومات أكثر في : عماد الدين إسماعيل أبو الفداء • تقويم البلدان • تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان (باريس: دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م) ص ١٥١ ومابعدھا، محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة • رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار • تحقيق علي المنتصر الكتاني، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ج ٢، ص ٧٨١-٧٩٨ ، إبراهيم علي طرخان • " الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي " مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، العدد (٢) (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) (القاهرة : دار النهضة للطباعة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص ٩ •

٥ - عبد الرحمن السعدي . تاريخ السودان ، ص ٢٥ وما بعدها ، أمين محمود . " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " مجلة الفیصل ، (١٨) (١٣٩٨هـ/١٩٦٨م) ص ١٩-٢٢ . وللمزيد من التفصيلات عن الصلات بين الجزء الغربي من العالم الإسلامي وحواضر العالم الإسلامي الشرقية في الحجاز والشام والعراق وفارس انظر، محمد بن أحمد بن جبیر: رحلة ابن جبیر (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ت) ص ٤١ وما بعدها . غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية . تقديم ومراجعة : أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ج-١ ، ص ٤١-٥٨ ، محمد محمد إبراهيم زغروت . " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين " مجلة الدارة ، العدد (١) سنة (١١) (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ١١٥ وما بعدها ، السيد أحمد العراقي . " انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقية عبر التاريخ " مجلة دراسات أفريقية . المركز الإسلامي بالخرطوم، العدد (١) رجب (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٠٢-١٠٣ . S.M. Imamuddin

"Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt in the tenth Century A.C." Islamic Culture Vol. (38) (1964). pp.9-14.

٦ - للمزيد من التوضيحات انظر . عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم . كتاب فتوح مصر وأخبارها (لیدن : مطبعة بريل، ١٩٢٠م) ص ١٧٠ وما بعدها ، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . فتوح البلدان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٢١٤ وما بعدها ، محمد محمد زيتون . " العلاقات الثقافية بين

القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ٠٠٠" ص ٢١٢ ومابعدها،
 غيثان بن علي بن جريس " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى
 الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " مجلة العرب ج٧-٨ سنة
 (٢٦) (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ٤٤٧ ومابعدها ، غيثان بن علي بن
 جريس " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحيشة وبلاد النوبة
 وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية بالرياض . العدد (٨) رجب (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص
 ٤١٢ ومابعدها .

٧ - أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري . " المغرب في ذكر بلاد أفريقية
 والمغرب " وهو جزء من كتاب الممالك والممالك . نشره راندون
 (Randon) (الجزائر : د . ن ، ١٨٥٧م) ص ١٧٤-١٧٥ .

٨ - المصدر نفسه ، ص ١٧٩ . وللمزيد من التفاصيل انظر أيضاً . آدم
 عبد الله الألوري . موجز تاريخ نيجيريا (بيروت : د . ن ، ١٩٦٥م)

٩ - أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة
الإنشاء . (القاهرة : طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٠٦م) ج٥ ، ص
 ٢٨٤ .

١٠ - عبد الرحمن السعدي . تاريخ السودان ، ص ٤٣ ومابعدها؛ دائرة
 المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة " السودان " مج ١٢ ،
 ص ٣٢٨ ومابعدها . R. Palmer. The Bornu.

Sahara and Sudan (London, 1936) pp. 6-7, 149.

١١- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي • معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) ج ٤ ، ٤٣٢ ؛ إبراهيم علي طرخان ، " غانة في العصور الوسطى " المجلة التاريخية المصرية (التي تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) مج ١٣ ، (١٩٦٧م) ص ٥١-٥٤ .

١٢- عمرو بن بحر الجاحظ • كتاب التبصر بالتجارة • تحقيق حسن حسني عبد الوهاب • (بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦م) ص ٣٤ ؛ آدم الألوري • موجز تاريخ نيجيريا ، ص ٣٥ .

J.Fage. An Introduction to the History of west Africa (Cambridge,1959) pp.21-22, Nehemiah Levizion.

" The Long March of Islam in the western Sudan" in the middle Ages of African History, ed. hy. Roland Oliver (London, 1967) pp.13-14.

١٣- أبو إسحاق إبراهيم الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي • كتاب مسالك الممالك • تحقيق ام • دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٢٧م) ص ٢٩-٣٠ • وللمزيد من التفصيلات عن اختلاط أهل غرب ووسط أفريقيا بمن حولهم من الشعوب انظر • أبو القاسم ابن حوقل التصحيح • كتاب صورة الأرض • تحقيق ام • دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٩م) ، ص ١٠٤ وما بعدها ؛ أبو علي أحمد بن رسته • كتاب الأعلاق النفيسة • تحقيق ام • دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص ٣٤٧ وما بعدها • محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها " ص ١١٨ وما بعدها ؛ محمد ريتون " العلاقات الثقافية بين القرون وبين المراكز الفكرية فـي

١٣٠٢هـ/١٨٨٥م) ص ٧٨ ومابعدھا، محمد زغروت، " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فیھا " ص ١٢١ ومابعدھا.

١٦- محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فیھا " ص ١٢٠ ومابعدھا، إبراهيم علي طرخان " البرتغاليون في غرب أفريقيا " حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة، (مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٧م) مج ٢٥، ج١ (مايو ١٩٦٣م) ص ١٢-٢٧.

H. Johnston. A History of the Colonization pp.15-20, 24.

١٧- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ١١ ومابعدھا، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية، مادة " السودان " مج ١٢، ص ٣٢٦ ومابعدھا.

١٨- الإصطخري، مسالك الممالك، ص ٣٤-٣٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٠٤ ومابعدھا، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨، ج٤، ٤٣١-٤٣٢.

١٩- محمد زيتون، " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب " ص ٢١١ ومابعدھا H. Johnston.

A History of the Colonization, pp. 15-20; B. Davidson. Old Africa, pp. 70-73.

٢٠- وللمزيد من التفصيلات انظر، السر سيد أحمد العراقي " تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري (مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ١٤٧-١٤٨.

S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah...." pp. 10 ff.

٢١- محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها... " ص ١١٥ وما بعدها؛ أمين محمود عبد الله " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " ص ١٩-٢١؛ غيثان بن علي بن جريس " بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية " ص ٤٤ وما بعدها .

٢٢- J.Fage. An Atlas of African History (Cambridge, 1958) pp.17-18.

٢٣- E.W. Bovil. The Golden Trade of the Moors, pp.52-53.

٢٤- للمزيد من التفاصيل، انظر: الجاحظ: التبصر بالتجارة، ص ٢٤، المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص ٢١٥ وما بعدها، السر سيد أحمد العراقي: "تجارة القوافل وأثرها الحضاري" ، ص ١٥١-١٥٢ .

S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah" pp. 11 ff.

٢٥- ولغة الفلاني تعرف باسم لغة القولي أو الفلدي، وهي اللغة التي تتحدث بها قبيلة الفلاني أو الفلانيون المنتشرون في بلاد غربي أفريقيا حتى غرب بلاد السودان الحالية (جمهورية السودان) .

٢٦- البكري ، من كتاب المسالك والممالك . ص ١٧٥-١٧٧، محمد زيتون " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب... " ص ٢١٢ وما بعدها .

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 61-62, J.S. Trimingham. Islam in West Africa (Oxford, 1959) pp. 13-15.

٢٧- البكري، من كتاب المسالك والممالك، ص ١٧٨ وما بعدها

٢٨- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج٢، ص ٧٨١ وما بعدها

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 90-92; Encyclopodia of Islam, Vol.4, pp.489-491.

٢٩- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج٢، ص ٧٩٠-٧٩١

٣٠- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ٩ وما بعدها، وللمزيد من التفاصيل انظر محمد بلو بن الشيخ عثمان بن قودي: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق وتنج (Whitting) (لندن، ١٩٥١م)، وحققه أيضاً أبو بكر قُمي في القاهرة (١٩٦٤م) ص ٤-٣، حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية (القاهرة: د.ن، ١٩٦٣م) ص ٩٩، السيد أحمد العراقي، نظام الحكم في الخلافة الصكبية (١٨٠٤-١٩٠٣م) (الخرطوم: د.ن،

١٩٨٣م) ص ٧-١٥،

H.A.S. Johnston. The Fulani Empire of Sokoto (London, 1967) pp.17-19; Murray Last. The Sokoto Caliphate (London, 1967) pp.46-7.

٣١- قبائل الماندنغو أكبر القبائل الأفريقية في غربي أفريقيا في العصور الوسطى، ومن أول من اعتنق الإسلام، وهم مؤسسو مملكة (مالي) الإسلامية. أما الفلاني فقد سبقت الإشارة إليهم، وهم الذين أسسوا الخلافة الصكبية بقيادة الجاهد الأكبر عثمان بن قودي، ولهم دور كبير في نشر الإسلام، في بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

٣٢- للمزيد من التفاصيل، انظر محمد زغروت، "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها" ص ١١٨ وما بعدها.

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 44ff; S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah..", pp. 12ff.

٣٣- إبراهيم طرخان . " الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي " ص ٣٦ . ولزيد من التفصيلات ، انظر: دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية: مادة " السودان " مج ١٢ ، ص ٣٢٨ وما بعدها . غيثان بن علي بن جريس . " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام " ، مجلة المورخ العربي، العدد (١) . مج (١) (القاهرة، ١٩٩٣م) ، ص ١٣٣ وما بعدها .

٣٤- نجريتا، تسمية أطلقها المورخ الروماني بليني (Plinns) نسبة إلى نهر النيجر . وبليني (مات حوالي ١١٥م) هو الذي أطلق على نهر النيجر اسمه الذي اشتهر به (Nigris) ، ومعناه نيل الأجناس السوداء . انظر، إبراهيم طرخان . " الإسلام واللغة العربية " ص ٨ وما بعدها .

٣٥- ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٩٨-١٠١، ١٠٤ وما بعدها .

٣٦- إبراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية (القاهرة : د.ن ، ١٩٧٣م) ص ١٥٤-١٥٧ ، E.W. Bovil.

The Golden Trade, pp. 42 ff, S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain" pp. 12 ff.

٣٧- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ج ٢، ص ٧٨٦

وما بعدها، E.W. Bovil. The Golden Trade, pp.90-100

- ٣٨- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٧٨٥ وما بعدها، إبراهيم طرخان،
دولة مالي الإسلامية، ص ١٥١، محمد محمد زيتون، "العلاقات
الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب" ص ٢١١
وما بعدها.
- ٣٩- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق، ج١، ص ٢٢ وما بعدها، ابن
بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٧٨٥، إبراهيم طرخان، دولة مالي
الإسلامية، ص ١٥١-١٥٢.
- ٤٠- إبراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ١٥٢، وما بعدها.
- ٤١- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، ص ١٤ وما بعدها، إبراهيم
طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص ١٥٥ وما بعدها، وأحمد بابا يلقب
بالتبكي من (تبكت أو تمبكتو) في (جمهورية مالي حالياً)، وهو من
أشهر علماء غرب أفريقية في العصور الوسطى، وكذلك السعدي من
علماء أفريقية المشاهير وله مصدر تاريخي جيد عن بلاد السودان تحت
عنوان : (تاريخ السودان).
- ٤٢- ابن بطوطة، تحفة النظار، ج٢، ص ٧٨١
- ٤٣- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن،
وعبد المجيد عابدين (القاهرة : د. ن. ، ١٩٥٧م) ص ٣٤٩.
- ٤٤- ديشان (H. Deschan) ، الديانات في أفريقية السوداء ، ترجمة :
أحمد صادق (القاهرة : د. ن. ، ١٩٦٩م) ص ١٣٢-١٣٣
- ٤٥- القلقشندي، صج الأعشى، ج٥، ٢٩٨. ولزيد من التفاصيل
انظر: محمد زيتون: "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز
الفكرية في المغرب" ص ٢١٦، وما بعدها.

- ٤٦ - إبراهيم طرخان: امبراطورية البرنو الإسلامية (القاهرة: د. ن، ١٩٧٥م) ص ١١٢-١١٣، محمد زغروت . العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها . ص ١١٩ وما بعدها، S.M. Imamuddin " Commercial Relation of Spain with Ifriqyah..." pp. 13-14.
- ٤٧ - إبراهيم طرخان . امبراطورية البرنو الإسلامية، ص ١١٣، وما بعدها .
- ٤٨ - محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي . إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص ١٠-١١
- ٤٩ - أحمد بن فرطرا . تاريخ ابن إدريس وغزواته (كنو : د. ن ، ١٩٣٢م) ص ١٣٦-١٣٧ .
- ٥٠ - محمد زيتون: " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب . . . " ص ٢٢٢ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس: بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج١، ص ٢٣-٢٥، ٤٢-٥٠، ٢٥٩ وما بعدها، S.M. Imamuddin "Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt..." pp.12-14.
- ٥١ - ابن خلدون، كتاب العبر، ج٣، ص ١٣٦-١٣٧ . (ويذكر الناصري أيضاً في كتابه: الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج٥، ص ١٠٤ وما بعدها " أن رسول ملك برنو قَدِمَ إلى المنصور في سنة (٩٩٠هـ) ومعه هدية إليه من العبيد والإماء والكساء فقوبل بحفاوة عظيمة . وكان ملك البرنو يطلب من أمير المؤمنين المنصور المدد من العساكر والبنادق ومدافع النار، فاشتَرَطَ عليه أن يدخل في بيعته أولاً. فقبل الرسول ذلك، وكسب صورة البيعة التي أخذها الرسول إلى ملك برنو .

- ٥٢- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٨ ، ص ١١٦ وما بعدها .
- ٥٣- هاجرت قبيلة شوا إلى البرنو في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، ويقال إنهم كانوا من قبيلة بني هلال التي طُردت من مصر في العهد الفاطمي ، طردهم الخليفة الفاطمي المستنصر . واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة والبطش ؛ ولذلك استفاد منهم ملوك البرنو في الجيش . انظر Akin mabogunje. The land and the people of West Africa (Ibadan,1972) pp.27-9.
- ٥٤- لمزيد من التفاصيل انظر ، ابن خلدون: كتاب العبر ، ج٦ ، ص ٢٢ ، ٤١ . ابن حوقل ، صورة الأرض . ص ٦٠ ، البكري ، كتاب المسالك والممالك ، ١٥٨ ، ياقوت الحموي . معجم البلدان ، طبعة مصر (١٩٠٦م) ج٤ ، ص ١٨٢ ، محمد زيتون: " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب " ، ص ٢١٦ ، وما بعدها ، محمد إبراهيم زغروت . " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها " . ص ١٢٣ ، وما بعدها ، S.M. Imamuddin . "Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt..." pp. 9-14.
- ٥٥- البكري ، كتاب المسالك والممالك ، ص ١٧٥-١٧٦ .
- ٥٦- صباح إبراهيم الشخلي . " النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري " مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر . المنظمة العربية للدراسات والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد . ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص ٢٩-٤٤ ، محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها " . ص ، ١١٦ . وما بعدها .

**الأوبئة البيطرية وآثارها الاقتصادية
والاجتماعية والصحية على مصر
فى عصر اسماعيل
١٨٦٣-١٨٧٩م**

دكتور

**فوزى السيد السيد المصرى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة طنطا**

كان تفشى الأوبئة البيطرية فى مصر فى عصر اسماعيل له آثار خطيرة على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية فى مصر، كما كان لها أثر كبير على دخول مصر إلى عصر التكنولوجيا الحديثة، وإذا كانت الأوبئة البيطرية فى مصر فى تلك الفترة قد أثرت على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية سلبيا فإنها من جهة أخرى أثرت إيجابيا على دخول التكنولوجيا إلى مصر حيث وجد إنه من الأفضل اقتصاديا الاعتماد على قوة البخار فى المزارع الكبيرة بدلا من الاعتماد على الماشية.

وكانت الأوبئة البيطرية منتشرة فى مصر منذ فترة طويلة قبل عصر اسماعيل، حيث كانت موجودة فى عهد جده، إذ تفشت الأمراض بين الماشية ولم تكن هناك أدوية لعلاجها^(١)، كما لم تكن هناك أدنى عناية طبية علمية بها - فى بداية عهده - وكانت تترك لتلقى قدرها المحتوم ، أما الخيول فكان يقوم على علاجها البيطرة الذين أخذوا فتنهم بالممارسة من غير دراية أو علم^(٢). ورغم اهتمام محمد على بطب الحيوان واستدعائه طبييين بيطريين من فرنسا لعلاج الحيوانات المريضة إلا أن هذا النوع من الطب لم يتقدم إلى الأمام فى البداية بالسرعة التى تقدم بها

Hamont, P.N.: Le Egypte Sous Mohamed Ali, P. 127. (١)

Dunne . J. H. : An Introduction to the history of (٢)
education in Modern Egypt. P. 132.

طب الإنسان، لأن الناس لم تكن تهتم بصحة الحيوان قدر اهتمامها بصحة الإنسان^(١). وظلت الأريثة البيطرية تفتك بالحيوانات فى عصره رغم انشاء مدرسة للطب البيطرى عام ١٨٢٨م،^(٢) تخرج منها العديد من الأطباء البيطريين الذين الحقوا بأسلحة الجيش المختلفة كما أخذوا على عاتقهم مهمة مواجهة تلك الأريثة^(٣).

وعلى الرغم من الجهد الكبير الذى بذل فى سبيل تنظيم تلك المدرسة وتحقيق الهدف المنشود من إنشائها إلا أنها واجهت بعض العراقيل التى أعاقت تقدمها، فعلت الشكوى من انحطاط مستوى خريجيه العلمى^(٤)، ورغم ذلك فقد أصبح يقوم على علاج الخيل والدواب لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث طائفة من خريجي المدرسة ريعثاتها إلى أوروبا الذين طبقوا العلم على العمل.

(١) كلوت بك : ترجمة محمد مسعود ، لحة عامة إلى مصر، ص.ص ٦٥٧-٦٦٠.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على، ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٣) اسماعيل محمد زين الدين : الموظفون الأجانب ودورهم فى الادارة المصرية ١٨٢٠-١٨٨٢، ص ٨٧.

(٤) ديوان المدارس : دفتر ٥ مدارس عربى ، ج ٥ ص ٢٦١٨ وثيقة ٣٠٧ ، إلى ديوان الجفالك فى ١١ جماد ثان ١٢٦١هـ.

الوباء فى عام ١٨٦٣:

وعلى الرغم من أن أمراض الحيوان كانت قد أخذت فى الإنحسار فى مصر فى الفترة التى سبقت عصر اسماعيل إلا أنه ما أن تولى الحكم عام ١٨٦٣م إلا وعادت الأوبئة البيطرية الكرة حيث تفشت بشكل وبائى وبلغ الوباء من حدته أنه قضى على الماشية المستخدمة فى إدارة السواقي والأعمال الزراعية الأخرى مما شكل تهديدا خطيرا لمحصول القطن الذى كان فى طور النمو فى تلك الفترة وكان على الحكومة آنذاك ضرورة اللجوء لاستخدام الخيول والآلات البخارية فى الأعمال الزراعية، مما اضطر الوالى إلى أن يعلن عن عزمه عن شراء أربعين محراثا وطملبة بخارية لسد حاجة مزارعه^(١).

وأمام تفشى الوباء بتلك الصورة المفزعة قلم يكن أمام الحكومة من بد سوى اتباع العديد من الإجراءات الصحية المشددة مثل منع إقامة أسواق الماشية - لمنع اختلاط المواشى ببعضها - وعدم نقلها من قرية لأخرى^(٢)، وفرض الحجر الصحى البيطرى على المنطقة التى يتفشى فيها الوباء بعدد كبير من الخفراء^(٣)، ودفن الحيوانات النافقة

(١) American Archive.Vol.3. Despatch No.36.P. 221.U.S.

Consulate General . Alexandria, June, 18, 1863.

(٢) دفاتر معية تركى : دفتر ٥٢٦، ص ٨٧ رقم ٣٦٧ فى ١٠ ذى الحجة ١٢٧٩هـ (٢٩ مايو ١٨٦٣) أمر كريم إلى مدير البحيرة.

(٣) دفاتر معية تركى : دفتر ٥٣٤ ص ٨٢، وثيقة ١٨ فى ١٦ محرم ١٢٨٠هـ (٣ يوليو ١٨٦٣م) من مدير المتوفية إلى المعية.

دون سلخها فى حفر عميقة خارج البلدة وعدم إلقتها فى النيل أو فى
الترع. وهددت الحكومة بمقاب كل من يخالف تلك الإجراءات
بالسجن (١).

وعلى الرغم من تلك الإجراءات الصارمة التى اتبعتها الحكومة
لتطويق الوباء ومنع انتشاره إلا أن تلك الجهود باءت بالفشل بعد انتقال
الوباء إلى الدلتا وتفشيته فيها خلال أيام قليلة وأدى إلى القضاء على
٨٠٪ من الماشية الموجودة فيها ، مما أدى إلى تفجير مشكلة أخرى
وهى حدوث نقص خطير فى اللحوم اللازمة لغذاء الإنسان (٢). مما اضطر
الحكومة إلى إتباع بعض الإجراءات لتعويض هذا النقص مثل الاهتمام
بمعامل تفرخ الدجاج والتوسع فيها ، وإصلاح المتهدم وإدارة ماكان
متعطلا منها ، وكل ذلك بهدف إنتاج الدجاج لتعويض نقص اللحوم ،
فضلا عن التوسع فى إنشاء أبراج الحمام للمساعدة فى حل تلك
المشكلة (٣).

(١) دفاتر معية تركى : دفتر ٥٣١ ج ٢ ، صادر الاقادات دواوين واقاليم ،
ص ٣٥ ، وثيقة ٣٤ فى ١٦ محرم ١٢٨٠ هـ (٣ يوليو ١٨٦٣م) من المعية إلى
مدير القرية .

(٢) American Archive. Vol.3. Despatch No.36 Op. Cit. P. 221

(٣) على شلبى : الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤٧-
١٨٩١ ، ص ٣٤٨.

ولما كان ذلك الوباء المخيف قد حرم الفلاح من أهم أداء يعتمد عليها في عمله ، فإن الحكومة لم تجد بدا من استيراد الماشية من الخارج لحل الأزمة فاستوردت مواشى جديدة بسعر مائتين وخمسين دولارا للرأس الواحدة^(١). وكانت تستورد من سوريا والاتااضول^(٢) بالإضافة إلى الاستيراد من السودان^(٣).

ولما كانت إعاشة العمال والماشية تستهلك حوالى ثلث غلة الأرض المنزرعة، فقد وجد أنه من الأفضل اقتصاديا أن يتم استخدام البخار في المزارع الكبيرة حيث أن سعر الفحم غير مرتفع فضلا عن إمكانية الحصول عليه بسهولة من إنجلترا والولايات المتحدة^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن خسارة مصر نتيجة وباء الماشية في هذا العام بلغت عشرة ملايين دولار فضلا عن المبالغ الأخرى التى انفقست

(١) American Archive. Vol. 3. Despatch No. 36. Op. Cit. P.221.

(٢) صالح رمضان محمود : الحياة الاجتماعية في مصر في عصر اسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩، ص ١٦٤.

(٣) محافظ معية عربى ، محفظة ٥ وثيقة رقم ٢٠٦ فى ٨ شعبان ١٢٨٠ هـ (١٨ يناير ١٨٦٤م) من مفتش عموم عهد وابورات سليم باشا بالمديرية إلى مدير إسنا

(٤) American Archive.Vol.3. Despatch No.36 Op.Cit. P 221

لاستيراد الماشية وشراء الآلات البخارية لاستخدامها فى الزراعة ، مما كان له أثره الكبير على قيمة الأرباح المتوقعة من أسعار القطن المرتفعة آنذاك (١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن نسبة الإصابة بوباء الماشية فى مصر قد انخفضت إلى حد كبير خلال السنوات الثلاث التالية لهذا العام ، بل أنه انقطع تماما من البلاد فى منتصف عام ١٨٦٧م (٢). ورغم هذا فإن الوباء الذى اجتاح مصر عام ١٨٦٣م كان له أثره الكبير على أعداد الماشية التى تناقصت إلى حد كبير لدرجة جعلت الحكومة مستمرة فى سياسة استيراد الماشية ووضعها فى الحجر الصحى لمدة خمسة عشر يوما لمنع انتشار العدوى إلى الداخل من المواشى التى قد تكون مصابة بالوباء أثناء استيرادها (٣).

الوباء فى عام ١٨٦٨:

على الرغم من انخفاض نسبة الإصابة بالوباء فى السنوات الأربع السابقة إلا أنه عاود الظهور مرة أخرى فى مصر فى صيف عام ١٨٦٨م

(١) American Archive . Vol .3. Desptch No. 36. Ibid, P. 221

ملحق رقم ١

(٢) F.O. 78/1969 No. (.) from Lord Lyons to Lord Stanley, Constantinople, June, 26, 1867.

(٣) F.O. 78/1983. No. 9 from H.M.S Consulate to Lord Stanley Alexandria, March 20 th 1867.

وانتشر بشكل مخيف حيث ظهرت الاصابة به فى (اقليم طنطا) فى شهر يوليو^(١). ونعد يومين فقط من ظهور الاصابة به فى طنطا ظهرت إصابات أخرى فى المنطقة ما بين القاهرة والجيزة وأسفر الوباء عن موت نصف أعداد الماشية التى أصابها المرض^(٢) ولم يكد يمر شهر على ظهور الوباء فى (اقليم طنطا) إلا وكانت لجنة التفتيش الصحى قد أعلنت عن تفشى الوباء فى محافظات الصعيد وخاصة بنى سويف والفيوم وأسيوط^(٣) وتذكر تقارير وزارة الخارجية البريطانية أن تقارير موظفى الصحة ولجنة التفتيش الصحى المصرية كانت تتسم بالفموض الشديد ولا تنم عن شئ سوى انتشار الوباء فقط^(٤).

F.O. 78/2042. No 17. from G. E.Stanley to Lord Stantley. (١)

Alexandria, 5 July, 1868.

F.O. 78/2041. No. 76. from Edio Stanton to Lord (٢)
Stanley, Alexandria July 7, 1868.

F.O. 78/ 2041. Her Majesty's Consulate, Alex- Henry V. (٣)
Consul delegate to Egypt. B.of the health, to Colonel
Stanton, August 6, 1868.

F.O. 78/2041, No. 89. from Edw - Stanton to lord (٤)
Staenley Alex. August 7. 1868 .

ورغم أن تقارير موظفي الصحة ولجنة التفتيش الصحي كانت تتسم بالغموض وعدم الإفصاح عن حجم الإصابة بالوباء، فإن الحكومة كانت تلجأ في بعض الأحيان إلى التستر تماماً على وباء الماشية وعدم الإفصاح عن حدوثه عندما انتشر بالبلاد في مارس ١٨٦٩م^(١).

وإذا كانت الحكومة قد تسترت على حدوث وباء الماشية في عام ١٨٦٩م، ربما لعدم شدة الإصابة به أو لعدم إثارة الفزع بين الأهالي فإنها لم تستطع أن تستتر على حدوثه في عام ١٨٧١م حيث ظهر الوباء في أول يونيه من هذا العام، وكانت بدايته غير شديدة حيث ظهر في بعض المناطق فيما بين القاهرة وبنى سويف. واعتقدت الحكومة أن ذلك الوباء قد حدث نتيجة الإصابة بالعدوى من الحيوانات الواردة من افريقيا، ولذا فقد بادرت الحكومة بوضع كل الحيوانات القادمة من الساحل الافريقى إلى ميناء السويس تحت الحجر الصحي^(٢). ورغم هذه الإجراءات فإن الحكومة لم تتمكن من السيطرة على الوباء وحصره في مناطق ظهوره حيث لم يكد شهر يونيه ينتصف إلا وكان ذلك الوباء قد تفشى في كل أنحاء مصر^(٣).

F.O. 78/2094. No 7. from Col. to Stanton, March 2, (١)
ملحق رقم ٢ . 1869.

FO. 78/2187. No.1. from Lionel Moore to Earl Granville , (٢)
Alexandria, June 1 , 1871.

F.O. 78 /2188 . No 6. from H. B.M. Consulate Cairo , (٣)
E.T. Rogers to Earl Granville, Cairo, 16 june 1871.

وإزاء تفشى الوباء بهذه الصورة المفزعة فإن الحكومة اضطرت إلى اتخاذ اجراءات أخرى أكثر صرامة، فحُرمت ذبائح الماشية ذات القرون ، ومنعت بيع اللحم البقرى فى محاولة منها لخصر الوباء والقضاء عليه إلا أنها فوجئت بظهور وباء آخر بين الخيول . وكان الوباء الجديد متخذاً شكلاً آخر عن وباء الماشية حيث أنه يهاجم الخيول وتستمر إصابتها به لمدة يومين أو ثلاثة وبعدها تلقى الخيول المصابة به حتفها على الفور^(١)، وكانت الحكومة تضطر إلى شراء الخيول اللازمة لإسطبلاتها من الشام لتعويض النقص الذى حدث نتيجة لتفشى وباء الخيول^(٢) .

ومن الواضح أن فصل الصيف كان دائما الفترة المناسبة لظهور وباء الماشية فى مصر وتفشيه بها وكلما ازدادت شدة الحرارة إزداد الوباء حدة، حتى إذا ما أوشك الصيف على الانتهاء تكون حدة الإصابة بالوباء قد خفت إلى حد كبير وتلاشت الإصابة به ، فلم يكد صيف ١٨٧٢م يحل إلا وظهرت الإصابة بوباء الماشية (الطاعون البقرى) مرة أخرى فى أول يولييه وكان ظهوره هذا العام فى قرية قرب أسيوط .

(١) F.O 78/2188.No.7. from E.T. Rogers to Earl Granville, Cairo, june 18, 1971.

(٢) محافظة الداخلية ، أوامر تركى . محفظة ٣ ف ٦٥ فى ٨ شعبان ١٢٧٥ هـ (١٣ مارس ١٨٥٩م) من محمد سعيد الجنباب العالى إلى صاحب السعادة ناظر الداخلية

وخوفا من أن يتفشى الوباء كالعام السابق فإن الحكومة لم تتوانى فى إتخاذ الاجراءات السريعة لمنع انتشاره^(١).

ولم يكد يمر شهران على ظهور الإصابة بطاعون الماشية فى الصعيد إلا واشتدت وطأته فى المناطق التى ظهر بها حيث أن ثلاثة أرباع عدد الماشية الموجودة بإسنا قد نفق^(٢)، وخوفا على صحة الأهالى من انتقال العدوى اليهم من لحوم الماشية فقد استقدمت الحكومة طبيبا بيطريا أجنبيا ليحمل بمحل الإدارة الصحية بالقاهرة وكلفته بالكشف على المواشى المخصصة للذبح قبل ذبحها وبيع لحومها للأهالى ومنحته مرتبا شهريا قدرة ٨٠٠ قرشا^(٣).

وكعادة كل صيف يظهر وباء الماشية فى مصر، وكان ظهوره هذا العام فى مديرية اسيوط بصعيد مصر فى يونيو عام ١٨٧٣م . وكاجراء وقائى فقد بادرت الحكومة بمنع انتقال الماشية من الصعيد الى المناطق الأخرى خوفا من انتقال عدوى الوباء إليها.^(٤) وقد أدت الإصابة بالوباء

(١) F.O. 78/2231 No. 22. from Stanton to Earl Granville,

Alex - July 1st 1872.

(٢) F.O. 78/2231 No. 7. from H.H. Calvert to Colonel

Edward Stanton. Alex, August 30, 1872.

(٣) دفاتر المجلس المخصوص . دفتر ١٧ وثيقة ٢٠٤ ص ٦٣ فى ٢٢ صفر ١٢٩٠هـ (٢١ ابريل ١٨٧٣م) من المجلس المخصوص إلى ديوان الداخلية.

(٤) F.O. 78/2285. No. 5 from Vivian to Earl Granville

Alexandria, June 16- 1873.

إلى موت خمسة وأربعين رأس ماشية بمديرية أسيوط وحدها فى الفترة من ٢٦ مايو إلى ٧ يونيو من نفس العام^(١).

الوباء فى عام ١٨٧٤:

أما فى عام ١٨٧٤م فقد حل الوباء بمصر مبكرا عن مواعده المعتاد حيث ظهرت الإصابة به فى فصل الربيع وذلك عندما تفشى فى مديريات الغربية والمنوفية والدقهلية فى منتصف شهر مارس من ذلك العام^(٢) ، ولم يكد فصل الصيف يبدأ إلا واشتدت وطأة الوباء وانتقلت عدواه إلى الأقصر والمدن القريبة منها فى صعيد مصر حيث أصيبت به ١٦٠ بقرة فى الأقصر وحدها ونتج عنه موت نصف عدد الأبقار التى أصيبت به . فضلا عن موت ٢٠٪ من الجاموس الموجود بها نتيجة إصابتها بذلك الوباء أيضا . ومما تجدر الإشارة إليه أن نسبة نفوق الماشية التى ماتت نتيجة للإصابة بهذا الوباء كانت أعلى بين مواشى الطبقات الفقيرة عنها لدى الموسرين مما زادهم فقرا على فقر^(٣) والمرجح أن ذلك حدث لعدم

(١) F.O. 78/2285. No.5. from I. Mackie to the Hon. H.C.

Vivian .Alex - june 14.1873.

(٢) F.O 78 / 3007. No 23 from H.H. Calvert to C. vivian,

Alex- March 18 - 1874.

(٣) F.O. 78/3010. No. 16 . from H.M., Legal V. consulate to

the Marquis of Salisburg. Cairo, 22 July, 1874.

قدرتهم على الاتفاق على علاجها أو لأن الحكومة كانت تهتم بعلاج مواشيها أولا قبل مواشى الأهالى، أو لتستر الأهالى على إصابة مواشيهم بالوباء .

ومما تجدر الإشارة اليه أن الأوبئة البيطرية التى أصابت قطعان الأبقار والجاموس فى مصر فى هذا العام لم تقتصر على الماشية فقط بل أصابت حيوانات أخرى، حيث ظهر وباء خطير بين صفار الخنازير فى مدينة الاسكندرية ، وخوفا على الصحة العامة فقد بادرت الحكومة باتخاذ بعض الاجراءات الوقائية مثل منع بيع وذبح هذه الحيوانات كما فرضت حجرا صحيا على الخنازير الواردة من الخارج الى مصر لمدة عشرة أيام^(١).

ولما كان وباء الماشية فى هذا العام قد حدث مبكرا فى فصل الربيع فكان من الممكن القضاء عليه مبكرا قبل أن تزداد حدته مع شدة حرارة الصيف، ولكن الكثير من الأهالى ممن أصيبت مواشيهم بالوباء لم يبلغوا عنها^(٢). وربما كان ذلك راجعا إلى يأس الأهالى من شفاء مواشيهم لتوالى ظهور الوباء فى مصر منذ عدة سنوات متوالية، أو

(١) F.O. 78/3007 No.3, from C Vivian to the Marquis of Salisbury. Cairo. Jan 3 1st 1874

(٢) F O 78/3007 No 31 from H.M. Consulate to. H.H Calvert to Vivian Alex May 10, 1874 ملحق رقم ٤

لأنهم كانوا يرون أن هذا الوباء إنما هو عقاب إلهي نزل بهم ويعتقدون "أن أمراضها آتية من الله" ومن ثم فلن يستطيع أحد علاجها^(١). ونتج عن هذا التستر إطالة أمد الإصابة بالوباء مما حدا بالوالى إلى أن يطلب من الدائرة السنية أن توافيه بتقرير يومية عن مدى الإصابة به فى كل أنحاء القطر^(٢).

الوباء فى عام ١٨٧٦:

ومن الجدير بالذكر أن أخبار الإصابة بوباء الماشية قد انقطعت طوال عام ١٨٧٥م وحتى منتصف العام التالى حيث أعلن مجلس الصحة عن تفشى الإصابة بمرض التيفوس بين الخيول، وأن الإصابة بهذا الوباء قد وصلت إلى حد مخيف أصيب به مايقرب من خمسمائة من الخيول الخاصة بسلاح الفرسان، وأن الإصابة بهذا الوباء بدأت فى مدينتى الأسماعيلية والتل الكبير فى شهر يوليو. ثم انتقلت عدواه إلى اصطبلات سلاح الفرسان الموجودة بمدينتى الزقازيق ومنيا القمح، وقد ذكر "كوليس باشا" الجراح البيطرى الذى عهد اليه بمهمة فحص وعلاج تلك الخيول بأن سبب تفشى الوباء يرجع إلى العقبات التى صادفها أثناء مهمته من المجلس الصحى فضلا عن تكتم الهيئات العسكرية على

(١) Hamont P.N. : Op. Cit . P.P. 128. 129.

(٢) دفاتر معية عربى : دفتر ٣ ص ٣٧ وثيقة ١٩ فى ٨ ذى القعدة ١٢٩١هـ.

(١٨ ديسمبر ١٨٧٤م) من سعادة مهر دار خديوى إلى الدائرة السنية.

إصابة الخيول بهذا الوباء، ولكن د نيروتسوس بك رئيس مجلس الصحة رد على ذلك بأن المجلس لم يقصر ولم يضع أى عراقيل أمام الجراح البيطرى ، وأرجع تفشى الوباء إلى قلة الجراحين البيطريين «حيث لا يوجد غير جراح بيطرى واحد لكل اقليم» (١).

وقد أعلن مجلس الصحة أن حدوث الإصابة بهذا الوباء جاء نتيجة لجلب بعض الخيول من الحبشة أثناء عودة الحملة المصرية منها، وأعلن انه تم القيام بالعديد من الاجراءات الصحية لتطويق هذا الوباء ، وأعلن أيضا أن إدارته ستظل عاجزة عن القيام بواجبها الصحى على الوجه الأكمل فى هذا المجال بسبب قلة الجراحين البيطريين المدربين فضلا عن عدم الاهتمام بنشر الوعى الصحى البيطرى بين عامة الشعب (٢).

وفى صيف هذا العام - وكالعادة - ظهرت الإصابة بوباء الماشية فى صعيد مصر وخاصة فى مديرتى إسنا وقنا خلال الفترة من أول مايو حتى منتصف أغسطس وكان لهذا أثره على تصدير المنتجات الحيوانية كالجلود والقرون إلى الخارج . أما عن وباء التيفوس فقد تفشى بشدة بين الخيول فى شهر أغسطس وأودى بحياة مئات الخيول بالقاهرة وحدها، وكان متخذًا شكلين أحدهما حاد والآخر أخف حده ، وقد وجد أن حقن

F.O. 78/2506. No 28. from H.H. Calvert to C.A. (١)

Cookson . Alex . August 26, 1876.

F.O 78/2506 No. 28 . Ibid

(٢)

الكينا وحمض (الكربوليك) تحت الجلد مفيد فى علاج مثل هذه الحالات (١).

وللقضاء على ذلك الوباء ومنع انتشار عدواه فقد نبه رئيس مجلس الصحة على الشرطة مشددا بالابلاغ عن أى حصان مريض ، كما نبه مشددا على محافظ القاهرة بمنع إرسال الخيول المريضة الى الصعيد ، كما منع جلب أية خيول من المناطق المصابة ، ورغم التنبيهات المشددة التى أعلنها رئيس مجلس الصحة فإن كثيرا من الأهالى - من المناطق المصابة بالوباء - تقدموا بالعديد من الشكاوى إلى مجلس الصحة ينتقدون فيها تراخى السلطات الحكومية وإهمالها فى تنفيذ الإجراءات التى طالب مجلس الصحة بتنفيذها للقضاء على الوباء ، وأن هذا يمثل تهديدا خطيرا للصحة العامة فى البلاد (٢).

وقد اشتدت حدة الإصابة بالتيفوس بين الخيول فى شهر سبتمبر من نفس العام حيث انتقلت عدوى الوباء إلى الوجه البحرى ونتيجة لذلك فقد فرضت الدول الأوربية حظرا على انتقال الخيول المصرية اليها (٣).

وفى أكتوبر من نفس العام ظهرت الإصابة بوباء التيفوس بين الخيول فى الاسكندرية، وعلى الفور سارع مجلس الصحة يعاونه بوليس

F.O.78/2506.No.29. from H.H. Calvert to C.A.Cookson. (١)

Cairo, September , 1,1876.

F.O. 78/2506. No. 29. Ibid . (٢)

F.O. 78/2506. No 54. from A. Cookson to the Earl of (٣)

Derby . Alex. 2 ed September 1876.

المدينة ببذل قصارى جهده لتنفيذ اجراءات صحية غير عادية، منها دفن الخيول النافقة فى حفر عميقة يبلغ عمقها ثلاثة أمتار بعيدا عن المدينة، وفرضت على صاحب الحصان الميت دفع ستة عشر قرشا للأشخاص المكلفين بالدفن ، ولكن الحكومة ألغت تلك الضريبة بعد زيادة عدد الخيول النافقة نتيجة للوباء^(١). ومما تجدر الإشارة إليه أن الإجراءات الصحية التى أقرها مجلس الصحة قد نفذت بدقة فى الاسكندرية أكثر من أى مديرية أخرى^(٢). ويرجع ذلك إلى وجود المجلس الصحى بها واشرافه على تنفيذ تلك الاجراءات.

ومن الواضح أن وباء تيفوس الخيل الذى تفشى فى هذا العام كان أشد فتكا وأكثر خسارة للجميع سواء بالنسبة للحكومة أو للأهالى حيث بلغ عدد الحيوانات التى لاقت حتفها من جراء الإصابة به فى الوجه البحرى وحدة حوالى ثلاثة وثلاثين ألف رأس مابين جمل وحصان وبغل وحمار موزعة كالتالى: الشرقية ٤٧٠٠ رأس ، القليوبية ٢٠٠٠ رأس، الدقهلية ٤٥٠٠ رأس ، المنوفية ١٢٠٠ رأس ، الغربية ٤٠٠٠ رأس ، البحيرة ٤٦٠٠ رأس ، القاهرة ٦٣٠٠ رأس ، الاسكندرية ٢٥٠ رأس ، السويس ودمياط ٤٥٠ رأس ومن خلال هذه الأعداد نلاحظ أن أعلى نسبة للوفيات بهذا الوباء كانت فى القاهرة تليها الشرقية ثم البحيرة

F.O. 78/2506. No 32. from H.H. Calvert to C.A. (١)

Cookson . Alex. October 4th 1876.

F.O. 78/2506. No 56. from C.A.Cookson to Earl of (٢)

Derby Alex. 5th, October 1876.

فالدقهلية والغربية بينما كانت أقل نسبة للموت به فى الاسكندرية ، وهذا يرجع إلى تطبيق الإجراءات الصحية التى أقرها مجلس الصحة بكل دقة (١).

وبما لاشك فيه أن هذا الوباء كان مدمرا وفتاكا لدرجة أنه فتك بثلاثة آلاف رأس من خيول سلاح الفرسان البالغ عددها أربعة آلاف حصان . كما قضى على ثلاثة آلاف وخمسمائة حصان من إجمالى الخيول المملوكة للحكومة وعددها خمسة آلاف حصان (٢).

وفى صيف عام ١٨٧٧م ظهرت إصابات جديدة بوباء الماشية فى الوجه البحرى، لكن الإصابة به كانت منخفضة إذا ماقيست بمثيلاتها فى الأعوام السابقة (٣).

وكما بدأت سنوات حكم اسماعيل بتفشى وباء الماشية فقد اختتمت بتفشيه أيضا، وفى صيف ١٨٧٩م - وكالعادة - تفشى وباء الماشية فى صعيد مصر حيث حدثت الإصابة به فى مديرتى قنا والأقصر،

(١) F.O. 78/2506. No 41. from H.H. Calvert to H.C.Vivian
Alex . December 4, 1876.

(٢) American Archive.Despatch No. 85. Vol. 13 P. 32. Agency
and Consulate General of the U.S.in Egypt, Cairo, Dec.
28, 1876.

(٣) F.O. 78/2637. No 29. from H.H. Calvert to C.Vivian.
Alex. Septmber 17, 1877.

وقد بادرت السلطات الصحية على الفور باتخاذ كافة التدابير الوقائية
لحصر الوباء ومنع انتشاره . ورغم كل تلك الإجراءات التى بذلتها
الحكومة لمقاومته فانها لم تفلح فى القضاء على الوباء الذى افترس
معظم الماشية التى يمتلكها الأهالى^(١) .

وأمام تفشى الوباء بهذه الصورة وفتكه بمواشى الأهالى فقد قررت
الحكومة معاقبة أصحاب المواشى التى تموت نتيجة اهمالهم بتوقيع
غرامة مالية عليهم^(٢) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن توالى حدوث الإصابة بأوبئة الحيوانات
طوال عصر اسماعيل تقريبا قد زاد حال الفلاح يؤسا على يؤس حيث زاد
عليه الظلم ، وتدهور انتاج القطن ، ونفقت الماشية وساءت أحوال
الأهالى^(٣) مما اضطر الخديو فى بعض الأحوال إلى استيراد السممن

(١) F.O. 78/3010. No 17. from H.M.S. legal V. Consulate
to the Marquies of salisburg. Cairo. 29 July 1879.

(٢) محافظ مجلس الوزراء نظارة الداخلية محفظة ١١/٢/أ مصلحة الصحة
العمومية (الأوبئة) مجموعة ١٥ صحة ، وثيقة ١٨١ فى ٢٣ جماد آخر
١٢٩٧ هـ (٣ يونيو ١٨٨١م) من رئيس مجلس عموم الصحة إلى ناظر
الداخلية.

(٣) أبو نظارة زرقاء ، العدد ٢٢ ، السنة الثالثة يوم الثلاثاء ١٩ أغسطس
١٨٧٩ م.

والماشية من الخارج وتوزيعها مجاناً على الفلاحين أو بيعها لهم بأسعار مخفضة (١).

ورغم شدة تفشى أوبئة الماشية فى مصر طوال عصر اسماعيل تقريباً ، فقد كانت هناك بعض السنوات التى لم تظهر فيها الإصابة بالوباء ، ورغم ذلك فقد كان البعض يروح الاشاعات المبالغ فيها عن حدوث الإصابة بالوباء فى وقت تحصيل الضرائب المفروضة على الماشية ، وكان الهدف من ذلك هو التهرب من دفع تلك الضرائب (٢).

ولما استعصى على الحكومة مواجهة أوبئة الحيوانات بسبب تستر الأهالى على الحيوانات المصابة لديهم وعدم الإبلاغ عنها ، أو بسبب تهاون مشايخ البلاد فى الإبلاغ عن الحالات المصابة ، فقد أصدر مجلس الصحة قانون الصحة البيطرية الذى يعاقب صاحب الحيوان الذى يموت ويدفن دون إبلاغ المجلس الصحى عنه بتفريعه مبلغ مائة قرشا ، كما يعاقب كل من يلقى بجثث الحيوانات النافقة فى المجارى المائية أو البرك بتفريعه مبلغ مائتى قرشا . أما شيخ البلد أو حكيم القسم أو حكيم بيطرى المديرية الذى يعلم بحدوث الإصابة بالوباء دون الإبلاغ عنه

(١) يوسف بدر الدين : الطب الاجتماعى . اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاته . ص ٣٦٠.

(٢) محافظ معية عربى . محفظة ١٣ . وثيق ٥٥٧ فى ١٥ ربيع آخر ١٢٨٥ هـ (٥ أغسطس ١٨٦٨ م) من اسماعيل صديق باشا ناظر المالية إلى المعية السنية . ملحق رقم ٥ .

فيعاقب بتفرعه مبلغ ثلاثمائة قرشا، وعلى الطبيب البيطرى الذى يتلقى تقرير شيخ البلد عن حدوث إصابة أن يبلغ التقرير إلى المجلس الصحى فى خلال مدة لا تتجاوز ٢٤ ساعة وإلا تعرض للعقاب^(١).

ولما كان الضرر قد تسرب إلى صحة الأهالى من جراء تناول لحوم مصابة بالوباء أو عدم توخى الأصول الصحية التى يجب اتباعها بمحلات الذبيح أو فى تجارة الجزارة مما أدى إلى حدوث الكثير من الضرر للأهالى بسبب عدم وجود " سلخانات عمومية". ولذا فقد قررت الحكومة انشاء سلخانات عمومية فى القاهرة، وطنطا والمنصورة، وفى بعض المراكز الكبيرة، وأصدرت لها لائحة خاصة لإدارتها وتنظيم «تجارة الجزارة» حفاظا على الصحة العامة^(٢).

وهكذا فإن الأوبئة البيطرية التى تفشت فى مصر فى عصر اسماعيل كان لها اثارها السلبية على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية حيث نتج عن تفشى تلك الأوبئة خسارة مصر لعشرات الملايين من الجنيهات نتيجة موت عشرات الآلاف من الحيوانات واستيراد غيرها بأسعار مرتفعة مما أثر على قيمة الارباح المتوقعة من أسعار القطن المرتفعة فى تلك الفترة. كما أن محصول القطن هو الآخر قد تأثر فى

-
- (١) محفوظات مجلس الوزراء. نظارة الداخلية، محفظة ٢/٩/أ، مجموعة ٩ داخلية، مصلحة الصحة - خدمات بيطرية فى ٤/٨/١٨٨٠.
- (٢) محفوظات مجلس الوزراء. نظارة الداخلية، محفظة ٢/٧/ب خطاب وأرد من صحة مصر العمومية لنظارة الداخلية. بتاريخ ٢٢ يوتية ١٨٨١م، مجموعة ٦ طب بيطرى.

بعض السنوات بسبب تفشى الربا، وموت أعداد هائلة من الماشية مما أدى إلى تعطل السواقى والأعمال الزراعية الأخرى بينما كان المحصول لا يزال فى طور النمو.

وإذا كان تفشى الأوبئة البيطرية قد أثر على الثروة الحيوانية فإنه أثر من جهة أخرى على صحة الانسان حيث انتقلت اليه عدوى بعض أمراض الحيوان نتيجة أكل لحوم مصابة بالربا، وخاصة ويا (القلاع الحيوانى) مما جعل الحكومة تهتم بالثروة الداجنة فضلا عن الاهتمام بإنشاء السلخانات العمومية.

وكان توالى تفشى الأوبئة البيطرية فى مصر فى عصر اسماعيل بمثابة كوارث نزلت على رأس الفلاح قبل غيره حيث فقد مواشيه وتعطلت أعماله الزراعية وازدادت حياته بؤسا على بؤس . كما أثر تفشى الأوبئة على صادرت الحكومة من المنتجات الحيوانية كالعظام والجلود التى انخفضت كمية الصادرات منها إلى حد كبير مما أثر سلبا على الدخل القومى لمصر فى تلك الفترة .

وإذا كان للأوبئة البيطرية التى تفشت بمصر آثارها السلبية على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والصحية فى مصر فى عصر اسماعيل فإنها من جهة أخرى كان لها آثارها الايجابية على دخول مصر إلى عصر التكنولوجيا المتقدمة حيث كانت إعاشة الماشية تستهلك قدرا كبيرا مما تغلة الأرض، فضلا عن الخسائر المادية التى لحقت بالبلاد من جراء نفوق أعداد هائلة من الماشية، ولذا فقد وجد أنه من الأفضل اقتصاديا استخدام قوة البخار فى المزارع الكبيرة نظرا لرخص أسعار الفحم وسهولة الحصول عليه من الخارج فى تلك الفترة.

ملاحق البحث

عشرة ملايين دولار قيمة خسائر مصر نتيجة نفشى
وباء الماشية بها عام ١٨٦٣م

American Archive, Vol. 3 P 221. Despatch No. 36.

U.S Consulate-Alex. June 18. 1863

Hon William H. Sweward,

Secretary of State,

Washington,

Sir,

The murrain among Egyptian Cattle which in my last 2 mentioned as subsiding, has taken a new start, and threatens to equal in virulence that of the year 1847 which carried off almost the whole stock in the country . Even the new Supplies which come from upper Egypt, the Barbary Coast, and Anatolia in Asia Minor Soon fall victims to the disease. On some large estates all the animals employed in turning the water, sheals and the other processes of agriculture have been destroyed. This is a serious injury to the growing Cotton Crops, requiring an immediate resort to horses and steam machinery.

In fact, I am informed that the Vice Roy intendes, imitating the successful experiments of his uncle Halim pacha, to Order at once forty steam ploughs and steam pumps to supply apart of the necessities of his own plantations. The loss to Egypt from murrain will, it is supposed , not fall short of ten million dellars which will considerably reduce the profits expected from the present high prices of cotton.

At first, it was hoped by vigorous, sanitary measures, such as prohibiting cattle fairs and the removal of cattle from one village to another, and by buying the dead at once, entire, including skins, hoofs and horns, to confine the pestilence to the west side of the Nile where it commenced, but all hope of resistance failed a few days since when it crossed over the Delta where it soon destroyed seventy or eighty per cent for the cattle on the estates on which it has appeared in consequence of the panic thus occasioned, although all beef is slaughtered and brought to market under the surveillance of the government health officers, it was ceased to be a favorite article of food. My servant tells me this morning that none is to be had in the market.

The result of the diminution of cattle will doubtless be the importation of new stock which is said to be worth about \$ 250 a head, besides, as already mentioned, the extended use of steam machinery such as steam ploughs and steam pumps in agriculture. It requires perhaps one third of the land to sustain the laborers and animals needed in cultivating it, and it is found on large estates more economical to use steam, especially when, as now, coal can be bought at \$ 10 a ton including original Cost and expense of transportation from England. It Seems to me that in the supply of machinery of his kind, the manufacturers of the United States ought to be able to compete with England which now almost monopolizes this branch of industry.

إنتشار طاعون الماشية في مصر وتكتم الحكومة على أخباره

F.O. 78/2094. No. 7. from Col.to Stanton . March 2, 1869.

I am directed by the earl of clarsendon to transmit to you an extract of a despatch from H.M. made to him by a member of the Belgian gov. with respect to the a llegend existance of the Cattle plague in Egypt although the fact is Concealed by authorities and I am to instruct you to make immediate inquiries in to this matter with the view of ascertaining whether there is any what foundation for this report.

سوء حالة ماشية الطبقات الفقيرة المصابة بوباء الماشية

**F. O. 78/3010. No. 16. from H. M. Legal V.
Consulate to the Marquis of Salisbury. Cairo, 22
July, 1874.**

I have the honour to transmit to your lordship translation of a report from the consulate agent at Luxor respecting the progress of Cattle plague in his district.

It appears there from that three fourths of the Cows at Luxor and kurnac have been attacked by the disease and that half the number of casses have proved fatal . The deaths on Buffaloes have been 20 per Cent.

The loss of Cattle that are Owend only by natives may increase the distress which is already appearent in the poor classes of the people in that district.

ملحق رقم ٤

-
- ١- عدم صحة التقارير الطبية الخاصة بالوباء .
 - ٢- تكتم الأهالي عن وجود الإصابة بالوباء بين مواشيهم .
-

**F.O . 78/3007 . No. 31. from H M: Consulate to
H. H. Calvert to vivian . Alex . May 10 , 1874.**

I have the honour to inform you that at a meeting of the Egyptian Board of health today, it was decided that no further annotation should be made on Bills of health relative to the existance of Cattle - plague in Lower Egypt, the disease having ceased to exist about the middle of April.

The information given in afurther medical report on the disease Contains no trustworthy statistical details of the mortality among Cattle, as the natives are prone to conceal the existence of the malady among their animals, but it has appearently been slight and the medical reports has inferentially drawn from the fact of his not having noticed any cases (....) his tom of inspection, that the disease has now disappeared.

تزويج الاشاعات عن اصابة المواشى بالوباء للتهرب من
دفع الضرائب المفروضة عليها

محافظ معية عربى. محفظة ١٣ وثيقة ٥٥٧ ، قى ١٥ ربيع
الآخر ١٢٨٥هـ (٥ أغسطس ١٨٦٨م) من اسماعيل صديق باشا ناظر
المالية الى المعية السنية .

ما بلغ مسامع افندينا عن ظهور مرض فى البهائم نفق بسببه كثير
منها: خبر مصطنع مبالغ فيه اشاعه المتبعون فى زمن تحصيل عوايد
اليهائم لقصد ، ومع هذا فقد ألفنا مجلسا من الحكماء وبعثناه الى
الجهات التى يقال عن حدوث المرض فيها ، فذهبوا وحققوا ووضعوا هذا
التقرير ، وهو مرسل اليكم ومن اطلعكم عليه تعلمون الحقيقة
فتعرضونها على مسامع افندينا.

المصادر والمراجع

أولا: وثائق غير منشورة:

- ١- وثائق عوبية :
 - ١- دفاتر معية سنية عربى :
دفتر رقم ٣ .
 - ٢- دفاتر معية سنية تركى :
أرقام ٥٢٦ ، ٥٣١ ، ٥٣٤ .
 - ٣- دفاتر ديوان مدارس عربى :
دفتر رقم ٥ .
 - ٤- محافظ معية سنية عربى :
أرقام ٥ ، ١٣ .
 - ٥- محافظ الداخلية :
محفظه ٣ أوامر تركى .
 - ٦- محافظ مجلس الوزراء : (نظارة الداخلية):
أرقام ١١/٢ أ ، ٧/٢ ب

ب- الوثائق الأجنبية :

* الأرشيف الأمريكى: (الموجود بدار الوثائق القومية
بالقاهرة)

- 1- American Archive . Vol 3. Despatch No. 36.
- 2- American Archive. Vol. 3. Despatch No. 85.

* وثائق وزارة الخارجية البريطانية: (الموجودة بدار
الوثائق القومية بالقاهرة)

- 1- F.O. 78/1969. No . (.).
- 2- F.O. 78/2187. No 7.
- 3- F.O . 78/ 2258 No. 5.
- 4- F.O. 78/2188. No. 6.

- 5- F.O . 78/ 2188 No. 7.
- 6- F.O . 78/ 2094 No. 7.
- 7- F.O . 78/ 2231 No. 7.
- 8- F.O . 78/1983 No. 9.
- 9- F.O . 78/ 3010 No. 16.
- 10- F.O . 78/ 3010 No. 17.
- 11- F.O . 78/ 2042 No. 17.
- 12- F.O . 78/ 2231 No. 22.
- 13- F.O . 78/ 3007 No. 23.
- 14- F.O . 78/ 3007 No. 24.
- 15- F.O . 78/ 2506 No. 28.
- 16- F.O . 78/ 2506 No. 29.
- 17- F.O . 78/ 2637 No. 29.
- 18- F.O . 78/ 3007 No. 31.
- 19- F.O . 78/ 2506 No. 32.
- 20- F.O . 78/ 2506 No. 41.
- 21- F.O . 78/ 2506 No. 54.
- 22- F.O . 78/ 2506 No. 56.
- 23- F.O . 78/ 2041 No. 76.
- 24- F.O . 78/ 2041 No. 89.

ثانياً: الدوريات:

أبو نظارة زرقاء - العدد ٢٢. السنة الثالثة ، فى ١٩ أغسطس
١٨٧٩م.

ثالثاً: الرسائل العلمية:

- ١- اسماعيل محمد زين الدين : الموظفون الأجانب ودورهم فى الادارة المصرية ١٨٢٠ - ١٨٨٢ - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٨٣م.

رابعاً: المراجع العربية:

- ١- أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم فى مصر فى عصر محمد على ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
- ٢- صالح رمضان محمود: الحياة الاجتماعية فى مصر فى عصر اسماعيل ١٨٧٩-٦٣م، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٧م.
- ٣- كلوت بك ، ترجمة محمد مسعود : لمحة عامة إلى مصر، ج٢ ، مطبعة إبي الهول، القاهرة ، بدون .
- ٤- على شلبى : الريف المصرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٨٤٧-١٨٩١م ، طبعة أولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
- ٥- يوسف بدر الدين : الطب الاجتماعى ، بحث منشور فى اسماعيل بمناسبة مرور ٥٠ سنة على وفاته، القاهرة، ١٩٤٥م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

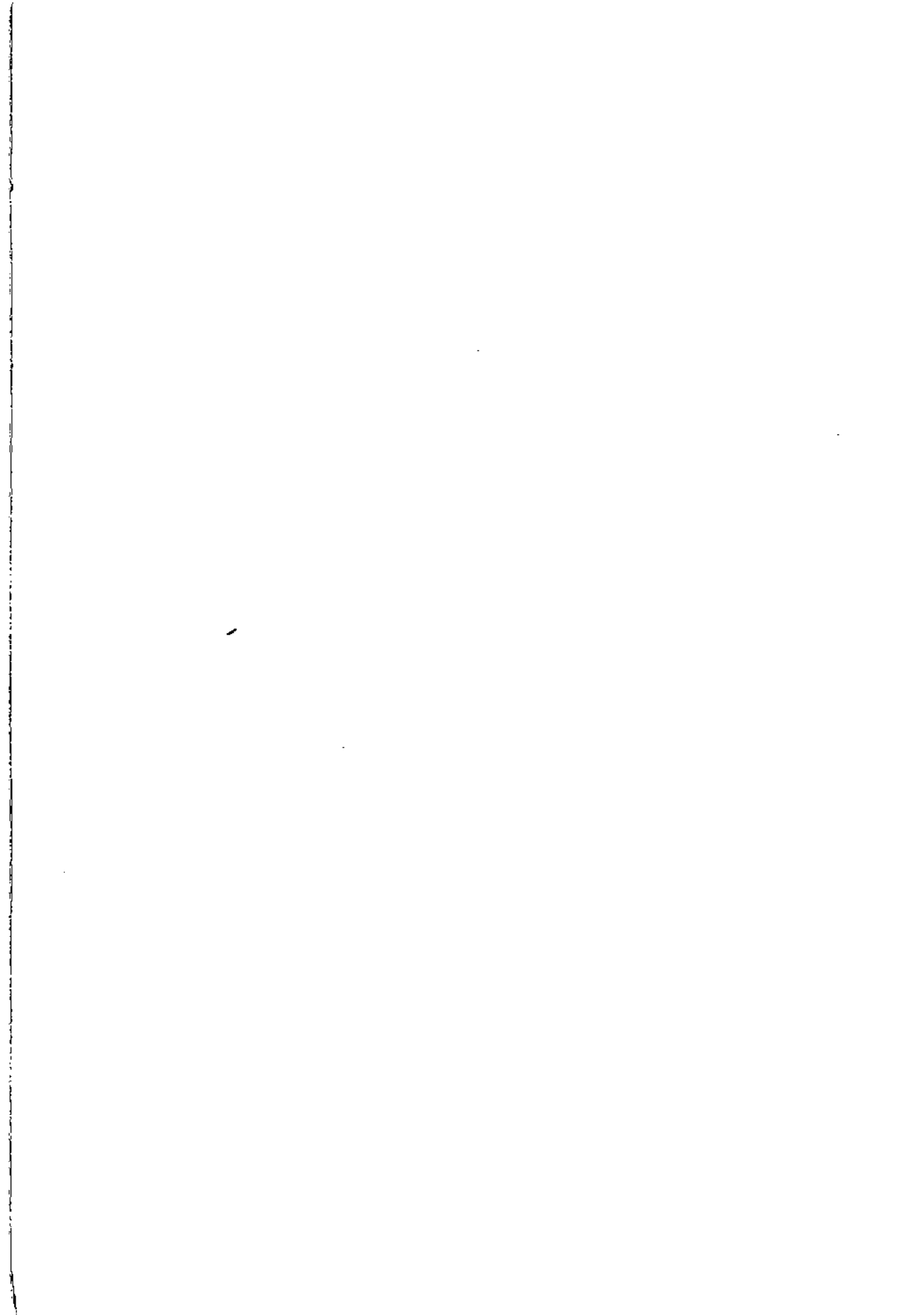
- 1 - Dunne . J. H. : An Introduction to the history of Education in Modern Egypt , London, 1968.
- 2- Hamont. P.N. Le Egypte sous Mohamed Ali, Paris , 1943.

آراء ابن خلدون في " ولاية العهد "

بين النظرية والواقع التاريخي

دكتور / عبد المنعم عبد الحميد سلطان

كلية الآداب بسوهاج



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العلامة الكبير عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) غنى عن التعريف، بماله من آثار علمية تتم عن نبوغه وعبقريته، وقد أفاض الباحثون في الإشادة بمظاهر عظمتهم في العديد من فروع المعرفة، فهو المُنشئ الأول لعلم الاجتماع الإنساني، وهو إمام ومجدد في علم التاريخ وبحوث التربية والتعليم وغيرها من المباحث حتى يقال أنه لم يغادر أي فرع من فروع المعرفة في عصره إلا لَم به (١).

وموضوع هذا البحث يتناول دراسة حول آراء ابن خلدون في "ولاية العهد" كما جاءت في مقمته، ونص في البداية نوضح للقارئ أننا لا نقصد التحامل أو التجنى على أفكار هذا للعالم الجليل، أو نحاول تجريح آرائه عن عمد، ولكننا نخطف معه في بعض الآراء عن ولاية العهد، والتي سوف تعرض لها بموضوعية، مع إلقاء الضوء عليها من منظور تاريخي، اعتماداً على النص الذي أورده ابن خلدون في مقمته، وما أورثته في المقابل المصادر المختلفة من نصوص ووثائق حول تفاصيل ما أجمله ابن خلدون من آراء في "ولاية العهد" نتعرب من الحقيقة حول هذا الموضوع الذي ترك أثراً خطيراً على مجريات الأحداث في الدولة الأموية والعباسية من بعدها.

يذكر ابن خلدون في مقمته تحت عنوان "مصل في ولاية العهد" قوله: "أعلم لنا نعمنا للكلام في الإمامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة، وأن حقيقتها النظر في مصالح الأمة لدينهم، فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، ويتقون بنظره لهم في ذلك كما وتقوا به فيما قبل" (٢). وابن خلدون في الفقرة التمهيدية السابقة يحاول الربط بين امرين ليس بينهما علاقة مسببة أو إلزام منطقي، فهو يربط بين مهام الخليفة في حياته من النظر في مصالح المسلمين لدينهم، وتقهم فيما يقوم به في هذا المجال، ويتبع ذلك بأن الخليفة مطالب بأن ينظر في مستقبل المسلمين بعد مماته، فيحدد لهم شخص خليفته ويقيم عليهم من يتولى أمورهم بعد موته، ويلزم المسلمين بأن يتقوا في اختياره لهم كما كانوا يتقون في أفعاله السابقة، وبهذا يلقى ابن خلدون بمسئوليته اختيار ولي العهد على الخليفة في حياته، ويضع على كاهله إنجاز هذه المهمة، كما يلزم المسلمين بالسمع والطاعة له، واحترام هذا الاختيار امتداداً لتقهم السابقة فيه.

(١) انظر التفاصيل: عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج١ تحقيق طلي عبد الواحد وقلي، القاهرة ١٩٧٩، ص ١١٥ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ج٢، القاهرة ١٩٨١، ص ٦١١. ومنلحق بالبحث النص الكامل لمصل في ولاية العهد.

ونحن لا ندرى من أين استقى ابن خلدون أثلته الشرعية أو حجته الفقهاء التي أوجبت هذا الإلتزام على الراعى والرعية ، فهو لم يوضح ذلك فى النص الذى بين أيدينا ، على النقيض فإن هذا الإلتزام بنيه السنة النبوية ، والأحداث التاريخية ، فالرسول (ص) كان حريصا على أن يترك أمر الخلافة لاختيار المسلمين بعد موته ، فلم يرد عنه نص أو إشارة واضحة إلى من يكون خليفته من بعده ، فهذا ما اتفق عليه جمهور الصحابة (٣) . والليل على ذلك اختلاف المسلمين فى سقيفة بنى ساعدة حول من يخلف الرسول (ص) ، وما جرى من جدل بين المهاجرين والأنصار حول من له الحق فى خلافة المسلمين بعد الرسول (ص) حتى استقر الأمر لأبى بكر الصديق (٤) . بعد خطب طويل ، وقد صرح أبو بكر قبيل وفاته لأصحابه بما يفيد أن الرسول (ص) قد ترك أمر خلافة من بعده ، ليرتك الأمر شورى بين المسلمين ، فقال : "وددت أنى كنت سألت رسول الله (ص) لمن هذا الأمر ؟ فلا ينازعه أحد ، وددت أنى كنت سألته : هل للأصناف فى هذا الأمر نصيب " (٥) . ولو كان الرسول (ص) قد أشار إلى من يخلفه بعد وفاته ما كان عمر بن الخطاب قد قال عبارته المشهورة عندما ألح عليه المسلمون أن يستخلف عليهم حيث قال : "إن استخلفت فقد استخلف من هو خير منى - يعنى أبابكر ، وإن لا استخلف فلم يستخلف من هو خير منى - يعنى الرسول (ص)" (٦) . فلا توجد سنة تلزم عمر بن الخطاب بأن يستخلف قبل وفاته .

ومن النصوص السابقة يتضح أن الرسول (ص) ، وهو الإمام الأول للمسلمين وموضع الثقة المطلقة منهم فى حياته وبعد مماته ، ولصوتهم للصحة فى كل أفعالهم ، لم يقم باختيار من يخلفه ولو فى هذا الفعل مصلحة للمسلمين لكان الرسول قد استنبه ليعتدى به من يأتى بعده من الخلف . ولم يحدث للعهد إلا بعد ذلك فى حالتين الأولى عهد أبى بكر إلى عمر بن الخطاب ، والأخرى عهد عمر إلى أصحاب الشورى ، وهما ما احتج بهما ابن خلدون على ما جاء فى النص السابق ، فيذكر ذلك بقوله : "وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازها وانقيادها إذ وقع بعهد أبى بكر رضى الله عنه لعمر بمحض من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر

(٣) انظر التفاصيل : عن عدم استخلاف الرسول ومنقشة رأى الشيعة فى ذلك (ابن خلدون ، مقدمه ج٢ ، ص ٦١٥ وما بعدها ، السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٩ وما بعدها) .

(٤) عن أحداث سقيفة بنى ساعدة انظر على سبيل المثال : تاريخ الطبرى (طبعة دار المعارف ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٩ ، ابن عبد ربه ، للعقد القريب ، ج ٥ ، ص ١١-١٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ١٩٠-١٩٤) .

(٥) انظر : تاريخ الطبرى ، ج ٢ ، ص ٤٣١

(٦) ابن حزم ، الفصل فى الملك والأهواء والشذل ، ج ٤ ، جده ١٩٨٢ ، ص ١٧٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ .

رضى الله عنه وعنه، كذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة بقية العشرة (٧) وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين ففوض بعضهم إلى بعض. فاتفق أمر عثمان لذلك ولوجبوا طاعته، والملا من الصحابة حاضرون للأولى والثانية ولم ينكره أحد منهم فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد، عارفون بمشروعيته. والاجماع حجة كما عرف* (٨).

ونحن نتفق مع ابن خلدون في هذا للنص فيما يخص عهد أبي بكر إلى عمر وعهد عمر إلى أصحاب الشورى، وقد أيد الفقهاء وكتاب النظم هذه العهود، ولكن وضعوا لها شروطا يجب اتباعها عند اختيار ولي العهد بعد ذلك منها: أن الإمام عليه قبل الاختيار "أن يجهد رأيه في الأحق بها والأقوم بشروطها" (٩)، وأن العهد لا يكون صحيحا إلا "إذا قصد فيه صمن الاختيار للأمة"، ولم يحاب بذلك بهوى "إذ لا نفى ولا إجماع على المنع، إنما أنكر من أنكر من الصحابة ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية، وغيره من بنى أمية لأنهم غير مرضى عنهم" (١٠). والوقائع التاريخية تشير إلى أن أبا بكر عندما عزم على اختيار عمر بن الخطاب لولاية عهده، كان مثالا في ذهنه أحداث السقيفة وما حدث فيها من جدل غثيف بين المهاجرين والأنصار، وما أعقب ذلك من غضب عناصر من بنى هاشم لتخطي على بن أبي طالب في منصب خلافة النبي، لذلك اجتهد أبو بكر لتجنب المسلمين منبة الاختلاف بعد موته (١١).

ولم ينفرد أبو بكر بالأمر، ولكن تشاور مع كبار الصحابة، واستمع إلى رأيهم في عمر، وبعد أن اطمان على موافقتهم (١٢) أعلن ترشيحه على الملا، وقال للناس "أترضون من استخلفت عليكم؟ قلتي ما استخلفت عليكم إذا قربه، وإني قد استخلفت عليكم عمر فأسمعوا له واطيعوا، فإني والله ما ألوذ من جهد للرأى، فقالوا سمعنا وأطعنا" (١٣).

(٧) يقصد العشرة للذين بشرهم الرسول (ص) بالجنة (النظر: المقدمة، ح ٢، ص ٢٥٥)

(٨) المقدمة، ح ٢، ص ٦١٢

(٩) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٩

(١٠) ابن حزم، الفصل ٥٥، ص ١٢، ١٦، ١٧

(١١) ابن كتيبة، الإمامة والسياسة، القاهرة ١٩٦٧، ح ١، ص ١٦، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ح ٥، ص ١٠ -

١١، الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٢٦

(١٢) أنظر: الإمامة، ح ١، ص ٢٤ - ٢٥، العقد، ح ٥، ص ٢٠، ابن الأثير، الكامل، ح ٢، ص ٢٧٢ -

٢٧٣

(١٣) تاريخ الطبري، ح ٣، ص ٤٢٨، الكامل، ح ٢، ص ٢٧٣

وفى أول خطاب وجهه عمر الى المسلمين أظهر زهده فى الخلافة ولكن الناس تصسكوا به ورغبوه خليفة لهم، فيروى النص، أنه سعد المنبر فقال : "ما لنا إلا رجل منكم، ولولا أنى كرهت أن أرد أمر خليفة رسول الله ما تقلدت لمركم، فأتى الناس عليه خيراً" (١٤) .

وواضح مما سبق ان اختيار عمر قد تم على مراحل، كان آخرها البيعة العامة من جانب جمهور المسلمين، وموافقهم على خلافة بمحض رغبتهم، فليس هناك إلزام أو تحايل فى هذا الاختيار، ونلاحظ نفس الشيء فى المثال الثانى لولاية العهد وهو اختيار عثمان بن عفان من بين أصحاب الشورى اللذين رشحهم عمر ليتولى أحدهم منصب الخلافة فبعد ان تم اختيار عثمان ، أعلن المسلمون عن بيعتهم العامة له فى مسجد الرسول (ص) فى المدينة (١٥) دون جبر أو إلزام.

وبعد الفقرات التمهيدية التى جاءت فى فصل " ولاية العهد " يصل ابن خلدون الى جوهر الموضوع الذى كان يمهده له منذ البداية وذلك فى قوله : " ولايتهم الإمام فى هذا الأمر (ولاية العهد) وإن عهد الى أبنه أو أبنه لانه مأمون على النظر لهم فى حياته، فأولى ألا يحتل فيها تبعة بعد مماته، خلافا لمن قال باتهامه فى الولد والوالد، أو لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد (١٦) كما فعل معاوية لابنه يزيد" (١٧).

ومن الضروري هنا مد الثغرة بين القول النظرى والحدث التاريخى فى رواية ابن خلدون، الذى استهل بالنظرية ثم أعطى تطبيقاً مغايراً لواقع المثال الذى استشهد به، حيث يربط بين نظام ولاية العهد الوراثى الذى ابتدعه معاوية بما حدث من عهد أبى بكر الى عمر ، وعهد عمر الى أصحاب الشورى، فهل كان فى المثالين السابقين أى تشابه يمكن أن نقيس به أحدهما على الآخر؟ فقد أجمع معظم المؤرخين أن معاوية يتولى عهد لابنه يزيد مبتدع وليس مقلداً، فقد قام بسابقة لم يعرفها المسلمون من قبل ، فمعاوية "لولا من عهد الى ابنه بالخلافة ، عهد بها الى ابنه يزيد ثم تبعه الكثير من الخلفاء على ذلك، وهو أول من استخلف فى حال صحته، والا فأبويكر لم يستخلف عمر الا فى مرض موته، وعمر لم يجعل الأمر شورى الا وهو مطعون" (١٨)، فمعاوية أول خليفة بايع

(١٤) تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ١٣٩

(١٥) تاريخ الطبرى، ج ٤ ، ص ٢٢٨ - ٢٣٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج ٤ ، ص ١٩٠ - ١٩١

(١٦) انظر اختلاف الفقهاء فى شأن جواز ولاية العهد للولد والوالد والشروط الواجب توافرها (المشورى،

الأحكام، ص ٩ - ١٠)

(١٧) ابن خلدون ، المقنعة ، ج ٢ ، ص ٦١٢ - ٦١٣

(١٨) التتشتدى ، صبح الأحمى، ج ١ ، ص ٤١٤

ولده في الاسلام (١٩)، في الوقت الذي يرى فيه البعض أنه "لا يجوز التوارث في الإمامة ، لانه لم يوجب ذلك نص قرآن ولا سنة ولا إجماع، ولا دليل ولا خلاف بين أحد من أهل الإسلام في أنه لا يجوز للتوارث فيها " (٢٠)، وابن خلدون نفسه يقول : "ولما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء، فليس من المقاصد الدينية، إذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده" (٢١) .

ويفهم من مجمل الاحداث وللروايات التاريخية ، أن فكرة ولاية العهد عن طريق الوراثة التي ابتدئها معاوية كانت موضع معارضة من جانب المسلمين في عصر الخلافة الراشدة ، وأن صحابة الرسول (ص) من المهاجرين والانصار كانوا يتخوفون من فكرة أن يسيطر بيت من بيوت قريش العريقة على منصب الخلافة ، وإن كانوا قد فكروا في مساعدة بأحقية قريش بوجه عام في خلافة المسلمين (٢٢) ولكنهم لم يذعنوا لما أعلنه للبعض عن أحقيته علي بن أبي طالب في خلافة الرسول (ص) (٢٣).

وعندما اختار أبو بكر عمر بن الخطاب ليخلفه بعد مشاوره للصحابه، سأل الناس "ترضون من استخلفت عليكم، فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة" (٢٤) ويندو من عبارة أبي بكر الأخيرة أنه يستجيب لمشاعر المسلمين بعدم استخلافه أحد لأخيه لمنصب الخلافة .

ونلاحظ أن عمر بن الخطاب عندما اختار سنة نفر من صحابة الرسول (ص) من المبشرين بالجنة ليختاروا أحدهم لمنصب الخلافة ، قد حرص على أن لا يكون من المرشحين ابن عمه "مسعود ابن زيد بن عمرو بن نفيل" رغم أنه كان واحدا من العشرة المبشرين بالجنة الذين ساروا على قيد الحياة وقال لمن حوله صراحة "لضرت مسعود بن زيد لقربته مني" (٢٥) وعندما اقترح بعض الصحابة أن يختار عمر ابنه عبد الله لمنصب الخلافة كان رفضه حاسما ، وقال : "صب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة" (٢٦) ووجه كلامه إلى عبد الله قائلا : "يا عبد الله إياك ثم إياك أن تتلبس بها" (٢٧) . وأشركه في الشورى للإستئناس برأيه دون أن يكون له من الأمر شيء (٢٨).

(١٩) انظر على سبيل المثال: الزبيرى ، نسب قريش، ج٤، ص١٢٧، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٣٩٨، الكامل، ج٣، ص٢٤٧

(٢٠) ابن حزم ، المصل ، ج٥ ، ص ١٢

(٢١) المتقدمة ، ج٢ ، ص ٦١٤

(٢٢) الشهر ستقى، الملل والنحل، ص ٢٦، الكامل ، ج٢ ، ص ١٩٣

(٢٣) ابن كتيبة ، الإملاء ، ج ١ ، ص ٢٤-٢٥ ، العقد ، ج٥ ، ص ٢٠ ، الكامل، ج٢ ، ص ٢٧٣

(٢٤) تاريخ الطبرى ، ج٢ ، ص ٤٢٨ ، الكامل ، ج٢ ، ص ٢٧٣

(٢٥) تاريخ اليعقوبى ، نفسه، ج٢ ، ص ١٦٠ ، تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٢٨

(٢٦) اليعقوبى ، نفسه ، ابن الأثير، الكامل ، ج٢ ، ص ٤٥٩

(٢٧) ابن كتيبة ، الإملاء ، ج ١ ، ص ٢٩ ، تاريخ الطبرى ، ج٤ ، ص ٢٢٨

(٢٨) الكامل ، ج٢ ، ص ٤٤٧

وبهمنا من أمر الشورى أن نوضح أن الاختيار في مرحله الأخيرة كان قد انحصر بين علي وعثمان ، وانقسم الناس بينهما ، وكان الخلاف حولهما متحصرا في رؤية كل منهما لمستقبل الخلافة من بعده، فعلى كان يعتقد منذ وفاة الرسول (ص) في أحقيته للخلافة، من منطلق قرابته للرسول (ص) وبالتالي قد ينسحب هذا الأمر على أحقيه أبنائه من بعده، أما عثمان فلم يعرف عنه تطلعه لمنصب الخلافة بعد وفاة الرسول (ص) ، مما مهد لقبول المسلمين لبيعة عثمان تأصيلا لمبدأ للشورى والبعيد عن فكرة الوراثة.

ومما يؤكد ذلك ما رواه ابن قتيبة أن عبد الرحمن بن عوف قال لعلي : " أبايعك على شرط عمر ألا تجعل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس ، فقال علي : مالك وهذا، إذا قطعتها في عنق، فإن على الاجتهاد لأمة محمد حيث علمت للقوة والأمانة استعنت بها، كان في بنى هاشم أو غيرهم" (٢٩) فتحول عنه عبد الرحمن ، وبيع عثمان الذي قبل التعهد بأن لا يجعل أحدا من بنى أمية على رقاب للعباد (٣٠).

وقد أدرك علي بن أبي طالب حقيقة أن كره الناس لفكرة الوراثة، وخوفهم من أن يتوارث بنو هاشم الخلافة هو السبب في عدم مبايعة بالخلافة، فتذكر للمصادر أنه قال لاتصاره، مبررا صرف الخلافة عنه "لأنهم كانوا يسمعونني وأنا أحاج لبا بكر فأقول : يا معشر قريش أنا لأحق بهذا الأمر منكم .. فخذوا إن وليت عليهم أن لا يكون لهم في الأمر نصيب .. فأخرجوني منها رجاء أن يتداولوها" (٣١) .

وكان عمر بن الخطاب أيضا يدرك ذلك، ويعلم أن للناس ترفض فكرة أن يتوارث الهاشميون للخلافة، ويذكر الرواة أنه ناقض هذا الأمر مع العباس عم النبي (ص) فقال له : " أنكم فضلتهم بالنبوة، فقالوا : إن فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيئا، وإن أفضل النصيبين بأيديكم" (٣٢). وهكذا يتضح من الروايات السابقة أن فكرة وراثة الخلافة كانت مرفوضة من جانب المسلمين، وأنه من المستحيل للمقارنة بين عهد أبي بكر إلى عمر وعهد عمر إلى أصحاب الشورى، وبين السابقة التي أكرم عليها معاوية بن أبي سفيان بأخذ البيعة لابنه يزيد في حياته لاتعدام الرابطة بينهما فلا يجوز القياس على متعارض.

(٢٩) ابن قتيبة، الإمعة ، ج ١ ، ص ٣٠ ، قرن: تاريخ الطبري ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٨

(٣٠) الإمعة : نفسه

(٣١) الإمعة ، ج ١ ، ص ٣٤ ، الكلل ، ج ٢ ، ص ٤٦٤

(٣٢) العقد الفريد ، ج ٥ ، ص ٣٢ ، الكلل ، ج ٢ ، ص ٤٥٨

ثم يبرر ابن خلدون ما فعله معاوية بقوله : "وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب ، والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه هو مراعاة المصلحة في اجتراح الناس ، واتفاق أهوائهم بإتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بنى أمية ، إذ بنوا أمية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها ، وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الإتيان واجتماع الأهواء .. وحضور أكابر الصحابة لتلك وسكوته عن دليل على انتفاء التريب فيه .. ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير ، وتدور المخالف معروف " (٣٣).

ويشير هذا النص لابن خلدون بعض التساؤلات للمهمة :

- ١- هل وافق الناس معاوية على بيعته لإبنه يزيد حتى يكون فعله حجة ؟
 - ٢- وهل كان إيثار معاوية لابنه بالعهد وعدوله عن الأفضل إلى المفضول مراعاة لمصلحة الناس ، ودون شبهة تحيز ، مما أدى إلى الإتيان واجتماع الأهواء ؟
 - ٣- وهل اتفق أهل الحل والعقد حينئذ على بيعته يزيد ؟ وهل كانوا من بنى أمية فقط بحيث لا يرضون سواهم ؟
 - ٤- وهل أجمع بنو أمية لأمرهم على يزيد ، ولم يعارض ما فعله معاوية أحد منهم ؟
 - ٥- ولخيراً .. هل سكوت أكابر الصحابة على بيعته يزيد ولم يعارضها إلا عبد الله ابن الزبير ، معها جعلها معارضة نادرة لا يعتد بها ؟
- وللإجابة عن هذه الأسئلة مستعتمد على ما أوردته المصادر التاريخية عن الطريقة التي مهد بها معاوية البيعة لابنه يزيد ، وكيف حصل على بيعته كبار الصحابة الذين تعال ابن خلدون بسكوته ، وموقف المعارضة من جانب البيت الأموي الذي كان بعض أفراده يرون أنهم أكثر إستحقاقاً بالخلافة من يزيد بن معاوية.

ولكننا في البداية يمكننا القول بأن مبدأ الوراثة في الخلافة - رغم أنه بدأ مرفوضاً من معظم المسلمين - إلا أن أكثر الأسر تناهسا في قريش (بنو هاشم وبنو أمية) كانوا يأملون أن تكون الخلافة فيهم أبداً الدهر ، وكانت تداعيات الأحداث تشير إلى أن مبدأ الوراثة سوف يأخذ طريقة إلى التطبيق سواء عن طريق بنو هاشم أو بنو أمية ، وكان بنو أمية أكثر جرأة في مطالبته بهذا الأمر ، وينكر اليعقوبي أن أبا سفيان بن حرب تخلف لفترة عن بيعته لبي بكر الصديق ، وقال : "لرضيتم يا بني عبد

مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم ؟ وقال لطي بن أبي طالب أمدد يدك بأبيك" (٣٤) ، وأبو سفيان نفسه دخل مجلس عثمان بن عفان بعد توليه الخلافة ، وقال : " ترقيها ترقيف للكرة (الخلافة) ، واجعل أوتادها بني أمية ، فإنما هو الملك " (٣٥) .

هكذا اعتبر كبير بني أمية أن وصول عثمان إلى الخلافة نصرا لمزرا للأسرة الأموية لأبد إن تعض عليه بالنواجذ ، ولعل هذا يوضح الكثير من حقائق الصراع بين علي ومعاوية بعد مقتل عثمان ، فبني أمية كانوا يرغبون في أن تستمر الخلافة فيهم ، فتروى للمصادر أن سعيد بن العاص الأموي سأل طلحة والزبير قبيل موقعة الجمل " إن ظفرتما فلن تجعلان الأمر ، قالا : لإحدانا أينما اختاره الناس ، قال سعيد : بل تجعلونه لولد عثمان ، فإنيكم خرجتم تطالبون بدمه ، فقالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأيتام ، فقال : فلا أراي أسعى إلا لإخراجها من بني عبد مناف " (٣٦) ، وتخلي سعيد عن تأييد طلحة والزبير .

وكما هو معروف فإن بني هاشم وبني أمية ينتمون إلى جدهم عبد مناف ، وعند الضرورة كان الأمويون يرون أن تكون الخلافة في بني عبد مناف ، ولكن هدفهم الأعظم أن تكون الخلافة في بني أمية ، وقد جاء في كتاب من على بعد توليه الخلافة إلى معاوية يدعوه للدخول في طاعته ، ويشير إلى أنه من اللطائف الذين لا تحل لهم الخلافة " (٣٧) ، وجاء رد معاوية ليضع نفسه على قدم المساواة مع على أسريا ، متغاضيا عن كلمة "الطلاق" أي الذين عفا عنهم للرسول بعد فتح مكة ودخلوا الإسلام بعدها ، وقال : أننا من بني "عبد مناف ليس لبغضنا على بعض فضل" (٣٨) ، وجاء رد على لجرح الأسرة الأموية ويكشف مواقفها ومكانتها قبل الإسلام وبعده فقال لمعاوية : " أما قولك أنا بنو عبد مناف فكنك ، ولكن ليس أمية كهاشم ، ولا حرب كبعد للمطلب ، ولا أبو سفيان كابي طالب ، ولا المهاجر كالطلق ، ولا المحق كالمبطل ، وفي أيدينا النبوة " (٣٩) .

وتوضح هذه النصوص أن الصراع في جوهره كان قبليا ، وكان كل فريق يريد أن يعلوا الآخر بالاستتار بأرفع المناصب وأشرفها وهو خلافة المسلمين ، واستمر هذا المنصب فيهم يتوارثونه أبد الدهر ، وعلى هذا استمر النزاع بين الجانبين .

(٣٤) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٢٦

(٣٥) المقرئ ، النزاع والتخلص ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٥٦

(٣٦) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣٧) المبرد ، الكامل في اللغة ، ج ١ ، ص ١٩١ ، الكامل ، ج ٣ ، ص ١٧٣

(٣٨) ابن قتيبة ، الإملاء ، ج ١ ، ص ١٠٣

(٣٩) المصدر السابق ، ص ١٠٤

وبعد قتل علي بن أبي طالب على يد أحد الخوارج (رمضان ٤٠ هـ / فبراير ٦٦١ م) (٤٠) بايع أنصاره ابنه الحسن بالخلافة (٤١) وكانت هذه البيعة أول حالة توريث للخلافة الإسلامية طبق فيها مبدأ الوراثة بصورة عملية ، ولكن الظروف المحيطة بالحسن اضطرته الى مصالحة معاوية حثا لنمائه للمسلمين ، وتنازل له عن الخلافة (ربيع الأول ٤١ هـ / أغسطس ٦٦١ م) (٤٢) وكان من بين شروط الصلح بين الحسن ومعاوية أن تكون الخلافة لمعاوية ما كان حيا ، فإن مات صار الأمر للحسن (٤٣).

وبذلك حقق معاوية حلم بنى أمية وأصبح خليفة لجميع المسلمين بعد أن بايعه أهل الكوفة فيما اصطلح على تسميته بعام الجماعة (٤٤) عقب تنازل الحسن ، ورغم ذلك فقد كانت مشاعر بعض المسلمين تنسم بالامتعاض والغضب للطريقة التي آلت بها الخلافة الى معاوية ، وكانوا يعتبرونه مقتصبا للخلافة بالقوة ، وأنه في نظرهم ملك مستبد (٤٥) ، فتذكر للرواية أن سعد بن مالك دخل على معاوية وهو بمسجد الكوفة يتلقى البيعة من الناس ، فقال : " للسلام عليك أيها الملك ، فغضب معاوية وقال ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك إن كنا قد أمرناك ، إنما أنت منتزح " (٤٦) .

وكان معاوية يدرك حقيقة ما قاله سعد بن مالك ، وأعلنه معاوية على الملأ في المدينة ومن على منبر رسول الله (ص) في أول زيارة لها بعد عام الجماعة ، حيث خطب في الناس قائلا " أما بعد ، فإنني والله ما وليتها بمجة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ، ولكني جالذتكم بسيفي هذا مجالدة ، وقد رضت لكم نفسي على عمل أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك نقرا شديدا .. " (٤٧) ، كما كان معاوية يقول عن نفسه " أنا أول الملوك " (٤٨) .

(٤٠) الفبيوري ، الأخبار الطوال ، ص ٢٠٢ ، العقد ، ح ٥ ، ص ٨٥ ، الكلل ، ح ٣ ، ص ٢١٠

(٤١) الإمامة ، ح ١ ، ص ١٢٧ - ١٣٨ ، البداية والنهاية ، ح ٤ ، ص ٤٢٧

(٤٢) راجع التفصيل : الإمامة ، ح ١ ، ص ١٤٠ ، تاريخ الطبري ، ح ٥ ، ص ١٦٢ ، المسعودي ، ح ١٦٦ ، الإشراف ، بيروت ١٩٨١ م ، ص ٢٧٦ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، ح ٢ ، ص ٦٦

(٤٣) الإمامة ، ح ١ ، ص ١٤٠ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ح ١ ، ص ٣٧٢ ، ص ٣٧٢

(٤٤) أنظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ح ٣ ، ص ٣٩٨

(٤٥) أنظر رأي ابن خلدون في النزاع بين علي ومعاوية وقوله : " وإن كان المصيب عليا ، فلم يكن معاوية قتما فيها بقصد الباطل ، إنما قصد الحق وأخطأ " (المتنمة ، ح ٢ ، ص ٦٠٤)

(٤٦) تاريخ اليعقوبي ، ح ٢ ، ص ٢١٧

(٤٧) ابن عبد ربه ، العقد ، ح ٤ ، ص ١٧١

(٤٨) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ح ٣ ، ص ١٩٨

وهل بعد هذا القول ، كان أحد يتوقع من معاوية أن يستن سنة أبي بكر وعمر في أعمالهما بوجه عام ، أو في سلوكهما تجاه ولاية العهد على وجه التحديد، وهل كانت هناك شبهة بأن معاوية سوف يخرج الخلافة من أسرته ويمتعيها عن ابنته ؟ مهما كلفه ذلك من مال يهدر وأرواح تمسك .. هذا ما ستوضحه في الصفحات التالية.

معارضة كبار الصحابة وابتناؤهم لبيعة يزيد بن معاوية

ذكر ابن خلدون في النص السابق عن بيعة معاوية لابنه يزيد أن "حضور لكبار الصحابة لذلك، وسكوتهم عليه دليل على انتفاء الريب فيه، ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي تفق عليه للجمهور إلا ابن الزبير، وندرة المخالف معروف" (٤٩)، ولكن الواقع التاريخي يؤكد غير ذلك. ينسب بعض المؤرخين فكرة أخذ البيعة ليزيد بن معاوية في حياة أبيه إلى المغيرة بن شعبة وإلى الكوفة، وذلك بأنه عندما علم بعزم معاوية على عزله عن ولايته، أراد أن يشغل معاوية بقضية أخذ البيعة لابنه يزيد حتى يشعر باحتياجه إليه في الكوفة، فبقى عليه ولا يعزله لمساعدته في هذا الأمر، فالتقى بمعاوية وقال له "قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان، وفي يزيد خلف فاعتمد له، فإن حدث بك حادث كان كهفا للناس، وخلفا منك، ولا تصفك دماء ولا تكون فتنة" فرحب معاوية بالفكرة (٥٠) وكان المغيرة بما عرف عنه من دهاء يدرك مدى خطورة ما أشار به على معاوية، فعندما خرج من لقائه، لقي كاتبه فقال له: "إرجع بنا إلى الكوفة، فوالله لقد وضعت رجل معاوية في عرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء" (٥١)

وكما سبق أن وضحا فإن فكرة ولاية العهد ليزيد، التي تقوم على مبدأ تكريس الخلافة الإسلامية في البيت الأموي، كانت تراود أحلام الأمويين منذ زمن بعيد، ومن المحتمل أن المغيرة قد أراد إثارة موضوع ولاية العهد ليزيد في ذلك الوقت لأغراض شخصية، ولكن لا يمكن القول بأن معاوية قد فوجئ بهذه الفكرة من جانب المغيرة، فما كان يغيب عنه مثل هذا الأمر للصوى. وتشير بعض الروايات، أن معاوية قد بدأ التمهيد لبيعة يزيد، ومزال الصن بن علي على قيد الحياة (٥٢) فعقد لهذا الغرض مجلسا في دمشق لوفود الأمصار، حضره الاصف بن برخس سيد بني تميم (٥٣)، وكان الأمر مديرا بأن يتبارى الخطباء في إظهار مزايا يزيد بن معاوية،

(٤٩) منتمة ابن خلدون، ج ٢، ص ٦١٣.

(٥٠) الإمامة، ج ١، ص ١٤٢، العقد، ص ٧٨، الكفل، ج ٣، ص ٣٤٩.

(٥١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٠، السيوطي، تاريخ الخلفاء، بيروت ١٩٨٦، ص ٢٢٩.

(٥٢) تاريخ خليفة بن خياط تحقيق أكرم العمري، بغداد ١٩٦٧، ج ١، ص ١٩٤، الإمامة، ج ١، ص ١٥٠.

المعصدي التنبيه والامراف، ص ٢٧٦، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٢١٤.

(٥٣) ابن خلدون، وليخت، ج ٢، ص ٤٩٩.

ويعتدون تأييدهم ليخلف أباه (٥٤) ، ولما طلب معاوية من الأخف ابداء رأيه ، اعترض على فكرة بيعة يزيد بولاية العهد ، ووجه حديثه الى معاوية بأن " أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يطيعون ليزيد ما كان للصن حيا " (٥٥) ، فتجادل معه المؤيدون ، ولكن الأخف أصر على موقفه ، وختم حديثه بقوله لمعاوية " إعلم أن لا حجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الصن والحسين ، وأنت تعلم من هما " (٥٦).

ويتضح مما سبق أن المجلس قد وقعت أحداثه قبل وفاة الحسن بن علي ، الذي اختلف المؤرخون حول سنة وفاته التي تتراوح بين سنتي (٤٩-٥١هـ) وإن كان معظمهم يرجح سنة ٥٠هـ (٥٧).

وقد أدرك معاوية منذ البداية أن المعارضة القوية لتولية ابنه يزيد ولاية عهده سوف تأتي من المدينة عاصمة الخلافة الراشدة ومقر صحابة الرسول (ص) وأبناء للخلفاء السابقين ، وخاصة من بني هاشم أكبر الأمر للمنافسة للأُمويين ، ولعله أدرك أيضا أنه لن يتمكن من مواجهة هؤلاء المعارضين إلا بالتخلص من الحسن بن علي الذي كان صاحب الحق في الخلافة بعده بمقتضى شروط الصلح بينهما.

وتكاد تجمع المصادر التاريخية ، أن معاوية بن أبي سفيان قد دبر مؤامرة لاغتيال الحسن بن علي ، وكانت لليد المنفذة للمؤامرة ، امرأة للحسن "جعدة بنت الأميت" التي مناهها معاوية بمائة ألف درهم وتزوجها من ابنه يزيد فحست للسهم لزوجها فلما مات ، وقى لها معاوية المال ولرسل اليها يقول: "إنتا نحب حياة يزيد ، ولولا تلك لولينا لك بترويجيه " (٥٨) وقال للصن وهو على فراش الموت: "سقيت السهم مرارا فلم اسق مثل هذا قط" (٥٩) ، وأراد الحسين أن يعرف منه من فعل به ذلك فرفض حتى لا يقتل الحسين بريئا وقال: "إن يكن صاحبي الذي لظن ، فالله لشد نقمة" (٦٠).

(٥٤) انظر التفاصيل: الإملاء ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، وما بعدها.

(٥٥) الإملاء ، ص ١٤٩.

(٥٦) ابن خلكان ، وفيات ، ج ٢ ، ص ١٤٨.

(٥٧) ابن خياط ، ج ١ ، ص ١٩٤ ، الإملاء ، ج ١ ، ص ١٥٠ ، المسعودي التنبيه ، ص ٢٧٦ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٤.

(٥٨) المسعودي ، مروج ، ج ٣ ، ص ٥ ، ابن خلكان ، وفيات ، ج ٢ ، ص ١٤٨.

(٥٩) محمد بن حبيب ، اسماء القتلى ، سلسلة نوازل المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٢ ، المجلد ٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، بيروت ١٩٨٩ ، ص ٢٨٦ .

(٦٠) اسماء القتلى ، ص ١٦٥ ، ابن الجوزي ، صفة ، ص ٢٨٦ .

ومن المرجح هنا أنه يشير إلى الممرض وصاحب المصلحة الحقيقية في كله وهو معاوية . لأنه ما كاد يصل خبر موت الحسن إلى معاوية في دمشق حتى أظهر سرورا عظيما وكبر وكبر الناس، ولما سألت زوجته عن سبب سروره أخبرها بموت الحسن ، وقال : " والله ما كبرت شماته بموته، ولكن استراح قلبي " (٦١) .

وهكذا استراح قلب معاوية بعد أن أزاح عن صدره هم الحسن بن علي وتخلص من أخطر المنافسين يومئذ لابنه يزيد في طريق ولايته للعهد ، ولم يعد أمامه من عقبات سوى محاولة إقناع أبناء الصحابة في المدينة ، وبدأ معاوية يتلمس طريقه للوصول إلى هدفه ، ومعرفة تطلعات المحيطين به في منصب الخلافة ، فبعد موت الحسن قال معاوية لعبد الله بن عباس، أصبحت سيد قومك من بعده ، فقال ابن عباس : "أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين ، فلا " (٦٢) ، لذلك صرح معاوية " أنه لم يبق الا إني وأبناؤهم ، فإني أحب إلى من أبنائهم " (٦٣) .

ويتضح من النص الأخير أن معاوية سيكرس كل جهوده ليكون ابنه وليا لعهد ، وهذا يتعارض مع مانكره ابن خلدون في قوله : " ولما أن يكون القصد بالعهد حفظ التراث على الأبناء فليس من المقاصد الدينية ، إذ هو أمر من الله يخصه من يشاء من عباده " (٦٤) ، ثم يناقض ذلك كله في فقرة أخرى عن أحقية معاوية لا يثار لبته بولاية العهد ومن تبعه بعد ذلك من الخلفاء بقوله : " لا يعاب عليهم إثار لبنتهم وأخوتهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك ، فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء " (٦٥) .

وكتب معاوية إلى عامله على المدينة يطلب منه أخذ بيعة أهلها بولاية العهد لابنه يزيد ، وقال أنه يتبع في هذا " سنة أبي بكر الهانئ المهدية " (٦٦) ولما عرض وإلى المدينة أمر البيعة على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وذكر له عبارة معاوية عن سنة أبي بكر " فقال له عبد الرحمن: كذبت، إن أبا بكر ترك الأهل والعشيرة ويبيع لرجل من بني عدى رضى دينه وأمانته واختاره لأمة محمد " (٦٧) . وقال عبد الله بن عمر : "بائع من يلعب بالقروذ والكلاب ، ويشرب

(٦١) الإملاء ، ج ١ ، ص ١٥٠ - ١٥١ ، وثيل ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٦٢) ابن قتيبة ، الإملاء ، ص ١٥١ .

(٦٣) ابن عبد ربه ، العقد ح ٥ ، ص ١١٨ .

(٦٤) مقنعة ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٦١٤ .

(٦٥) نفس المصدر ، ص ٦١٣ .

(٦٦) العقد ، ح ٥ ، ص ١١٩ .

(٦٧) نفس المصدر السابق والصفحة .

الخمير ، ويظهر للتسوق ، ما حجتا عند الله ، وقتل عبد الله بن الزبير : لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقد أفسد ديننا " (٦٨) .

فكتب والى المدينة الى معاوية بموقف رؤساء القوم فيها منبيعة ابنه يزيد بولاية العهد ، واستمر معاوية في محاولته لتحقيق هدفه ، فكتب أيضا الى زياد بن أبيه وكان واليا على البصرة بأن يدعو الناس قبله لبيعة يزيد ، فأرسل إليه زياد يقول : " فما يقول للناس إذا دعوناهم لبيعة يزيد ، وهو يلعب بالكلاب والقروء ، ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ، ويمشي على الدفوف ، ويحضرتهم الصين بن علي ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ، ولكن تأمره بأن يتخلق بأخلاق هؤلاء حولا وحولين فمسينا نموه على الناس " (٦٩) .

وكان الطعن في اخلاق يزيد بن معاوية مشهورا بين الناس يومئذ (٧٠) مما يمنع من توليته عهد الخلافة شرعا ، وابن خلدون يعترف بهذا في أكثر من نص ، فيقول : " إنه ظهر نسي يزيد عند الكافة من أهل عصره " (٧١) وأن " الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه " (٧٢) " فلا يجوز قتال للصين مع يزيد ولا ليزيد ، بل هي من فعلاته للمؤكدة لفسقه " (٧٣) .

والعجيب أنه رغم كل هذه للنصوص السابقة التي جاءت في مقدمة ابن خلدون وما أعلنته للمصادر المختلفة عن فسق يزيد الذي كان يسميه أهل المدينة " يزيد للقيود ، يزيد للخمور " (٧٤) ، إلا أنه في اعتقاد ابن خلدون أن شخصا واحدا من أهل ذلك العصر لم يكن يعلم شيئا عن فسق يزيد ، هو أقرب الناس إليه : معاوية ، فيذكر ابن خلدون قصورا " تدعو للضرورة الى بيان للحق فيها : فالأول منها ما حدث في يزيد من الفسق ليلم خلخته ، فإياك أن تظن بمعاوية رضى الله عنه أنه علم ذلك من يزيد ، فانه أحسن من ذلك وأفضل " (٧٥) .

وكيفما كان الامر ، فانه كان لابد لمعاوية أن يواجه أخطر المعارضين في معتقلهم ، ليصم قضية البيعة لابنه يزيد ، وتروى المصادر أنه زار بنفسه المدينة المنورة ، وجمع أبناء الصحابة في

(٦٨) تاريخ يعقوبي ، ج ٢ ، ص ٢٢٨

(٦٩) المصدر السابق ، ص ٢٢٠

(٧٠) ابنى حزم ، جمهرة أصناف العرب ، ص ١١٢

(٧١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ، ص ٢٢١

(٧٢) المصدر السابق ، ص ٢٢١

(٧٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣

(٧٤) الزبيرى ، نسب قریش ، ج ٤ ، ص ١٢٧

(٧٥) ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص ٦١٤

مجلسه في اجتماع متعلق ضم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي (٧٦) ولهم حجابهم ألا يدخل عليهم أحد، وكان أسلوب الاغراء والترغيب هو ما لجأ إليه معاوية في بداية كلامه اليهم، فقال لهم في معرض تقديمه لابنه يزيد: "ويزيد ابن أمير المؤمنين أخوكم، وابن عمكم، وأحسن الناس فيكم رايًا، وإنما أردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونون أنتم الذين تنزعون وتؤمرون، وتجيئون وتقصمون.." (٧٧).

وأراد معاوية إقناعهم بسلامة موقفه، وأنه لم يخرج عن سنة الرسول (ص) وأنه يسير على طريق الخليفتين أبي بكر وعمر فقال: "إن رسول الله (ص) قبض ولم يستخلف أحدًا، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر، فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين سنة نفر اختارهم من المسلمين، فصنع أبو بكر ما لم يصنعه رسول الله (ص) وصنع عمر ما لم يصنعه أبو بكر، لذلك رأيت أن أبايع ليزيد خوفًا مما وقع للناس فيه من الاختلاف" (٧٨)، من ذلك يتضح تلاعب معاوية بروايته للحدث السابقة عن ولاية العهد لإقناع مستمعيه بمشروعيته ترشيحه لابنه يزيد لخلافته.

ويشير ابن خياط بأن المجتمعين بمعاوية من أبناء الصحابة كانوا قد فوضوا عبد الله بن الزبير، ليتولى الرد على معاوية نيابة عنهم، لذلك عندما انتهت معاوية من كلامه، سكبت الجميع، فقال معاوية: "هات ما عندك يا ابن الزبير، فإنك لعمرى صاحب خطبة اليوم" (٧٩).

وكان رد ابن الزبير يتسم بالنكاء والقوة، فقد قد في عبارات قصيرة خطأ زعم معاوية أنه تتبع سنة السلف فيما هو مقدم عليه من البيعة لابنه وعرض عليه ثلاث خصال ليختار منها " أن يصنع ما صنع رسول الله (ص) مات ولم يعهد لأحد، وارتضى المسلمون أبا بكر، أو يصنع مثل أبي بكر، اختار رجلاً من قاصية كريش ليس من بني أبيه ولا من عشيرته فاستخلفه، أو أن يصنع ما صنع عمر الذي جعل الأمر شورى في سنة نفر من كريش، ليس فيهم أحد من ولده ولا من بني أبيه" (٨٠).

(٧٦) انظر الإمامة، ج ١، ص ١٤٩ - ١٥٠، العقد، ح ٥، ص ١٢٠.

(٧٧) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٧٨) الإمامة، ج ١، ص ١٦٢.

(٧٩) تاريخ ابن الخياط ج ١، ص ٢٠٢.

(٨٠) تاريخ ابن الخياط، ج ١، ص ٢٠٣، ابن كتيبة، الإمامة، ج ١، ص ١٦٢.

وقد صدم معاوية بهذا الرد الذي أيده باقي الحاضرين ، وكان يدرك أن أخطارهم دهاء ومراوغة هو عبد الله بن الزبير ، الذي لم يكتف بما عرضه على معاوية ، بل اقترح عليه أن يعتزل للخلافة ويبيع لابنه في حياته ، وقال له وكأنه يسخر منه " أ رأيت إذا بايعنا إبنك يزيد معك ، لأيكما نسمع ، ولأيكما نطيع ؟ لا نجمع البيعة لكما والله أبدا " (٨١).

وإزاء تمسك المعارضين بموقفهم الرافض لبيعة يزيد، أدرك معاوية استحالة إقناعهم بالمصياة واللين، فوجه اليهم تهديدا بالقتل إذا بدا من أحدهم لية بادرة أثناء دعوته لأهل المدينة لبيعة يزيد ، وأجلسهم في جمع من أهل المدينة وعلى رأس كل منهم رجلين من حرسه ولمرهم بقتل من يتقوه بكلمة منهم ، وصعد معاوية المنبر ، وخطب في الناس ، وزعم أن " هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم .. قد رضوا ويأبوا ليزيد بن أمير المؤمنين " (٨٢) ، فباع الناس ، ثم التصرف معاوية إلى الشام ، والناس في دهشة مما حدث (٨٣) .

وهكذا حصل معاوية على بيعة مزيفة من أبناء الصحابة لابنه يزيد ، ليورثه معارضتهم له بعد وفاته ، وليكونوا شوكة في حلقه طوال فترة خلافته.

(٨١) ابن الخياط ، ج ١ ، ص ٢٠٠

(٨٢) نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ، ابن قتيبة ، نفسه ، ص ١٦٣ - ١٦٤

(٨٣) ابن الأثير ، الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٥٤

معارضةبيعة يزيد من جانب بعض الأمويين

علل ابن خلدون اختيار معاوية لابنه يزيد " بالعهد دون سواه هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس .. إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم .. فآثروه بذلك دون غيره .. حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء .. " (٨٤) فهل اتفق بنو أمية علىبيعة يزيد ؟ واقع الاحداث يوحى بغير ذلك . فكما أثارنا محاولة معاوية أخذ البيعة لابنه يزيد في حياته معارضة أهل المدينة وعلى رأسهم هؤلاء النخبة من الصحابة وأبنائهم، فإن بعض أفراد الأسرة الأموية قد غضبوا لهذا الاجراء من جانب معاوية، لأن منهم من كان يرى أنه أحق بالخلافة من يزيد ، وكانت الثمائية من أهل المدينة تتشد لبياتا يتغنون بها على الملاء تقول :

والله لا ينالها يزيد حتى يحض هامة الحديد

إن الأمير بعده سعيد

يقصدون بذلك سعيد بن عثمان بن عفان ، الذي اعتبروه أحق بولاية العهد ومنصب الخلافة بعد معاوية ، فاستدعى معاوية سعيد بن عثمان إلى دمشق ، وأسمعه ما يقال في المدينة فلم يتكرر ذلك (٨٥) وتشاحن مع معاوية في عبارات جارحة ذكر فيها معاوية بفضل أبيه وأمه وأنه خير من يزيد وقال : " علام جعلت يزيد ولي عهدك دوني ، والله لأبى خير من أبيه ، وأمي خير من أمه ، وأنا خير منه " (٨٦) وبعد أخذ ورد ، استطاع معاوية معالجة الموقف بدهاء ، وأرضى سعيدا بأن يسند إليه ولاية خراسان (٨٧) .

أما مروان بن الحكم ، فلم يخف استياءه من تفضيل يزيد عليه، فعندما وصلته رسالة معاوية يأمره فيها بمبايعة يزيد، وأخذبيعة من لم يبايع من أهل المدينة، " خرج مغضبا في أهل بيته وأخواله من كنانة، حتى أتى دمشق ودخل على معاوية ، وقال له : لأم الأمور يا ابن أبي سفيان ، واعذل عن تأميرك للصبيان، واعلم أن لك من قومك نظراء، وإن لك على مناوتهم وزراء " (٨٨) . ورغم غضب معاوية ، إلا أنه كعادته احتوى الموقف ، فمدح مروان ، وزاد في أرزاقه وأصحابه

(٨٤) ابن خلدون ، المتمة ، ج ٢ ، ص ٦١٣

(٨٥) محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين ، ص ١٦٥

(٨٦) الأصبهاني ، الأغنى (طبعة الهيئة العامة للكتاب) ، ج ١٨ ، ٢١٨ ، ٢٦١ ، الكلل ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

(٨٧) الإملاء ، ج ١ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٨٨) مروج ، ج ٣ ، ص ٢٧ - ٢٨

" فكان أول ما رزق ألف دينار في كل هلال ، وفرض له في أهل بيته مئة مئة " (٨٩) ، إلا أنه ما لبث أن عزله عن المدينة وولى مكانه سعيد بن العاص (٩٠) .

ولم يكتف مروان بن الحكم بذلك ، بل يروى أنه حرص عمرو بن عثمان بن عفان على المطالبة بحقه في الخلافة ، وقال له : " ما أخذ هؤلاء الخلافة إلا باسم أبيك ، فما يمنعك أن تنهض بحقك ، فحن أكثر منهم رجالا " (٩١) ، فلما بلغ معاوية ذلك كتب إلى مروان يلومه على ذلك ، فرد عليه مروان محذرا بقوله " لما بعد يا معاوية ، فإني أبو عشرة ، وأخو عشرة ، وعم عشرة ، والسلام : (٩٢) .

وهكذا مهد معاوية الأمر لابنه يزيد مستعينا بشتى اللومائل ، سواء التهديد بالقتل كما فعل مع أبناء الصحابة في المدينة ، أو باغراء المال كما صنع مع مروان بن الحكم ، ومع عبد الله ابن عامر حين عزله عن البصرة ومنحه ما أصاب بها من مال وزوجه ابنته (٩٣) ، وأحيانا بالغدر والاعتقال كما فعل مع الحصن بن علي ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد حين خشي على سلطانه بالشام لميل الناس إليه ، لما كان عندهم من كآر أبيه في الفتوح ، فأمر معاوية للطبيب للنصراني ابن أنال بالاعتقال في منزله فمس له شربة مسمومة مات منها ، وكافأ معاوية الطبيب للقتل بأن ولاه خراج حمص ، ووضع عنه خراجه ما عاش (٩٤) .

وتمكن معاوية من تمام البيعة لابنه يزيد في حياته كما خطط لها ، وأصبح بذلك أول من استحدث البيعة لابنه في حياته في الإسلام (٩٥) ، وكان معاوية يظن أنه بهذا قد وطأ الأمور وتكلم الأعداء ، واخضع أعناق العرب ، وجمع لابنه يزيد من بعده ما لم يجمعه أحد ، ولكن للحولث ما لبثت أن أثبتت خطأ تكدير معاوية ، فقد بدأت الاضطرابات بعد موته مباشرة ، واشتبك يزيد في صراع عنيف مع خصومه الذين رفضوا الاعتراف بخلافته ، واتسم النزاع بالعنف واستباحت فيه الحرمات والدماء (٩٦) .

(٨٩) الإملاء ، ج ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٩٠) الزبيرى ، نسب قریش ، ص ١٠٩ ، للنزاع والتخلص ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٩١) الزبيرى ، نسب قریش ، ص ١٠٩ ، النزاع والتخلص ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٩٢) نسب قریش ، ص ١١٠ ، النزاع والتخلص ، ص ٨١ ، قرآن الطبرى ، ج ٥ ، ص ٥٣٦ .

(٩٣) تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢١٣-٢١٤ ، أحمد الشريف ، دور الحجاز في الحياة السياسية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٤٢٠ .

(٩٤) من تاريخ الطبرى ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ ، عبد المنعم ملج ، صير الخلفاء الأمويين ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٦٣ .

(٩٥) نسب قریش ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ، الاستيعاب ، ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

(٩٦) أحمد الشريف ، الحجاز ، ص ٤٢٥ .

وكان معاوية قبيل وفاته يدرك بعض هذه الاخطار ، فقد حذر يزيد من مقاومة أهل الحجاز ، وخاصة للصين بن علي وعبد الله بن الزبير ومن حولهم من أنصار (٩٧) ، لذلك كان أول شاغل ليزيد بعد توليه الخلافة سنة ٦٠ هـ / ٦٨٠ م ، هو الحصول على بيعة هؤلاء النفر للمعارضين له في المدينة ، خشية أن يظهروا للخلاف ويدعو كل منهم لنفسه (٩٨) .

وقد قضى يزيد فترة خلافه في مواجهة هذه الخصومة ، وروع المسلمون خلالها بمقتل الصين بن علي في كربلاء ، واجتياح مدينة الرسول (ص) وإباحتها للجنود بعد موقعة الحرة يقتلون الناس وينتهكون الحرمات ، ويشيعون الرعب والفرع ، وحصار مكة ورمي الكعبة بالمجاثيق إنتقاما من عبد الله بن الزبير الذي تزعم المعارضة بعد مقتل الصين بن علي (٩٩) .

فهل يمكن بعد أن عرضنا لما تقدم قبول الرأي القائل " إن الذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس " وأن "حضور أكابر الصحابة لتلك ومكوثهم عليه دليل على انتقاء الرب فيه" وأنه "لم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير .." (١٠٠) .

(٩٧) الجلظ ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، تاريخ الطبري ، ح ٥ ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٩٨) تاريخ الطبري ، ح ٥ ، ص ٢٢٨ - ٢٤٠ ، الكامل ، ح ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٩٩) الإمامة ، ح ١ ، ص ١٢٦ ، ١٨٥ ، ١٨٧ .

(١٠٠) انظر : ابن خلدون ، المقدمة ج ٢ ، ص ٦٦٣ .

فصل فى ولاية العهد*

اعلمنا قلنا قلنا الكلام فى الإمامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة، وأن حقيقتها النظر فى مصالح الأمة لدينهم ودنياهم ؛ فهو وليهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك فى حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، ويتقون بنظره لهم فى ذلك كما وتقوا به فيما قبل.

وقد عرف ذلك من للشرع بإجماع الأمة على جوازه واتعاده، إذ وقع بعهد أبى بكر رضى الله عنه لعمر بمضمر من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر رضى الله عنه وعنه. كذلك عهد عمر فى الشورى إلى الستة بقية العشرة، وجعل لهم أن يخشوا للمسلمين فتوى بعضهم إلى بعض، حتى أفضى ذلك إلى عبد الرحمن بن عوف، فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى على، فأثر عثمان بالبيعة على ذلك لموافقته إياه على لزوم الاقتداء بالشيخين فى كل ما يعين دون اجتهداه، فانهقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته. والملا من الصحابة حاضرون للأولى والثانية، ولم ينكره أحد منهم. فدل على أنهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته. والإجماع حجة كما عرف.

ولا يتهم الإمام فى هذا الأمر وإن عهد إلى أبيه أو ابنه لأنه مأمون على للنظر لهم فى حياته، فأولى ألا يحتل فيها تبعة بعد مماته، خلافا لمن قال باتهامه فى الولد والوالد، لو لمن خصص للهمة بالولد دون الولد، فإنه بعيد عن اللزوم فى ذلك كله، لاسيما إذا كانت هناك داعية تدعو إليه، من إثارة مصلحة أو توقع مضدة فتتفى للزعة عند ذلك رأسا، كما وقع فى عهد معاوية لابنه يزيد، وإن كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة فى الباب. والذى دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس، وفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بنى أمية؛ إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش وأهل للملة أجمع وأهل التغلب منهم؛ فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها، وعدل عن اللفاضل إلى المفضل حرصا على الاتفاق واجتماع الأهواء الذى شأنه أهم عند الشارع، وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مائة من سوى ذلك. وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه؛ فليموا ممن يأخذهم فى الحق هولاء، وليس معاوية ممن تأخذه العزة فى قبول الحق؛ فإتهم كلهم أجل من ذلك، وعدالتهم مائة منه. وفرار عبد الله بن عمر من ذلك إنما هو محمول على تورعه

* النص موضوع الدراسة، كما جاء فى مقدمة ابن خلدون، ج ٢، ص ٦١١-٦١٤

من الدخول في شيء من الأمور مباحا كان أو محظورا، كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير؛ وتدور المخالف معروف.

ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية، والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس، وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين، والنظر لهم؛ ولا يعاب عليهم إيثار أبنائهم وأخوانهم، وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك. فضأتهم غير شأن أولئك الخلفاء. فأنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك، وكان للوزع دينيا، فعند كل أحد وازع من نفسه، فعهدوا إلى من يرتضيه للدين فقط وأثروه على غيره، واكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه. وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت للعصبية قد أشرفت على غايتها من الملك. والوزع الديني قد ضعف واحتيج إلى للوزع السلطاني والعصباتي. فلز عهد إلى غير من ترتضيه للعصبية لردت ذلك للعهد، وانتقض لمره سريعا، وصارت الجماعة إلى للفرقة والاختلاف.

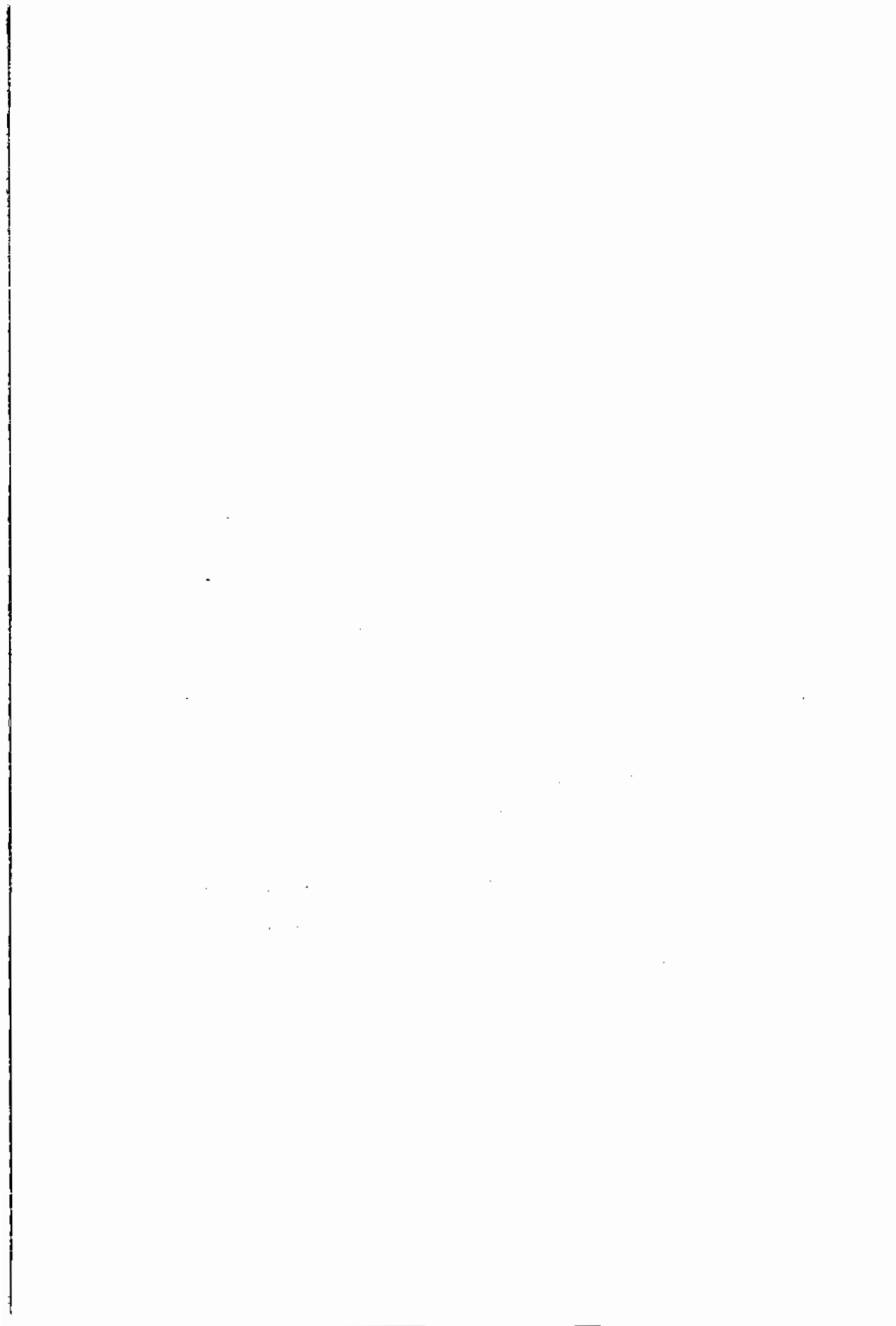
سأل رجل عليا رضي الله عنه ما بال للمسلمين أختلفوا عليك، ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر، فقال لان أبا بكر وعمر كنا والبين على مثلي وأنا اليوم والى على مثلك، يشير إلى وازع للدين. أفلا ترى إلى المأمون لما عهد إلى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماء الرضا، كيف انكرت للعباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعنه إبراهيم بن المهدي، وظهر من للهرج وللخلاف، وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الأمر، حتى باهر المأمون من خراسان إلى بغداد ورد لمرهم لمعاهدة فلا بد من اعتبار ذلك في العهد، فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات، وتختلف باختلاف المصالح، ولكل واحد منها حكم يخصه، لظفا من الله بعباده.

وأما ان يكون القصد بالعهد حفظ للترث على الإبناء قليل من المقاصد الدينية؛ إذ هو أمر من الله يخص به من يشاء من عباده، ينبغي أن تحصن فيه النية ما أمكن خوفا من العبث بالمناصب الدينية. والملك لله يؤتية من يشاء.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير : على بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠ هـ) للكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٨٧ .
- أحمد ابراهيم الشريف ، دور الحجاز فى الحياة السياسية ، القاهرة ١٩٨٤ .
- الأصفهاني : على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) الأغاني ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠ .
- ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ) صفة الصفوة ، بيروت ١٩٨٩ .
- ابن حزم : على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ) ١- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هاون ، القاهرة ١٩٧١ .
- ٢- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٦ أجزاء تحقيق عبد الرحمن عسيرة ، جدة ١٩٨٢ .
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) المقامة، تحقيق على عبد الواحد واقي، ٣ أجزاء، القاهرة ٧٩ - ١٩٨١ .
- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ م) وفیات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ٦٨ - ١٩٧٢ م .
- خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) تاريخ بن خياط ، تحقيق لكرم ضياء العمرى ، بغداد ١٩٦٧ .
- الدينورى : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، القاهرة ١٩٥٩ .
- الزبيرى : المصعب بن عبد الله المصعب (ت ٢٣٦ هـ) نسب قريش ، تحقيق ليفى بروخسسال ، القاهرة ١٩٨٢ .
- السيوطى : عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ) تاريخ للخلفاء ، بيروت ١٩٨٦ .
- الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

- ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ)
الاستيعاب فى لىماء الاصحاب ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ابن عبد ربه : أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ)
العقد الفريد ، بيروت ١٩٨٧ .
- عبد المنعم ماجد ، عصر للخلفاء الامويين ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ابن كتيبة للدينورى : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
الامامة والسياسة ، للقاهرة ١٩٦٧ .
- القلقشندي : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ)
صبح الاعشى فى صناعة الاثنا ، ٤ اجزاء ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ابن كثير: عماد الدين أبو القذا اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ)
للبداية والنهاية، القاهرة ١٩٩١ .
- الماوردي : أبو الحصن على بن محمد (ت ٤٥٠ هـ)
الاحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٨٣ .
- المبرد : محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)
الكامل فى اللغة والأكب ، بيروت بدون تاريخ .
- محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)
أسماء للمقتولين من الاشراف فى الجاهلية والاسلام ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٣ .
- للمسعودي : على بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ)
١- التنبيه والاشراف ، بيروت بدون تاريخ .
- ٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٩٨٦ .
- المعريزي : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ) .
- للنزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٨٤ .
- اليعقوبى : أحمد بن جعفر بن وهب (ت ٢٨٤ هـ)
تاريخ اليعقوبى ، بيروت بدون تاريخ .



المخاطر المناخية على الزراعة

في واحة الأحساء

إعداد

د. محمد إبراهيم محمد حسن شرف

١٩٩٦

مقدمة :

تعد الأحساء من أكبر واحات شبه الجزيرة العربية ، وأهم مناطق العيون المائية الطبيعية بها (١) ، وأقدم مراكز الاستقرار البشرى فيها ، وهى منطقة الانتاج الزراعى الرئيسية فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، ونفذ بها أكبر مشروع للرى والصرف على مستوى المملكة .

وتقع واحة الأحساء فيما بين درجتى عرض ٢٠ ٢٥ ° ، ٤٠ ٢٥ ° شمالاً ، وخطى طول ٣٠ ٤٩ ° ، ٥٠ ٤٩ ° شرقاً ، والواقع أن الواحة لا تحتل هذه المساحة الفلكية كاملة حيث تتخذ الواحة امتداداً على شكل زاوية قائمة - تقريباً - رأسها فى الجنوب الغربى ويمتد محورها الشمالى بطول حوالى ٣٠ كيلو متراً واتساع يتراوح بين ٣ ، ٧ كيلو مترات ويعرف بالواحة الشمالية ، ويمتد محورها الشرقى بطول ١٦ كيلو متراً واتساع يبلغ ثمان كيلو مترات فى المتوسط ، ويعرف بالواحة الشرقية . شكل رقم (١) .

وتقع الأحساء غرب الخليج العربى بحوالى ٧٥ كيلو متراً ، وكانت تتصل بالخليج عن طريق ميناء العقير - ميناء المملكة الرئيسى على الخليج العربى قبل أن يأخذ ميناء الدمام أهميته الحالية - ويربطه بالأحساء طريق برى يصل طوله نحو ١١٠ كيلو متراً .

وتحيط بواحة الأحساء مجموعة من الظواهر التضاريسية التى تؤثر فى بيئتها وتحدد ملامحها الجغرافية ، فتحيط بالواحة مجموعة من الكتل الجبلية الجيرية التى تتراوح ارتفاعاتها بين ٢٠٠ ، ٢٥٠ متر فوق سطح البحر مثل جبل ثليم ، جبل الركبان ، جبل أبو غنيمة فى الغرب ، جبل دخنة ، جبل الأربع فى الجنوب ، وجبل القارة ، جبل الشعبة فى الشرق ، فى حين تتخلل هذه الكتل الجبلية الكثبان الرملية التى يتزايد

(١) تشتمل الواحة على حوالى ١٦٢ عيناً طبيعية كما ذكر فى المصدر التالى :

Wokuti., Studies for the Project of Improving Irrigation and Drainage in The Region of AL HASSA, West Germany 1964, Vol 3.

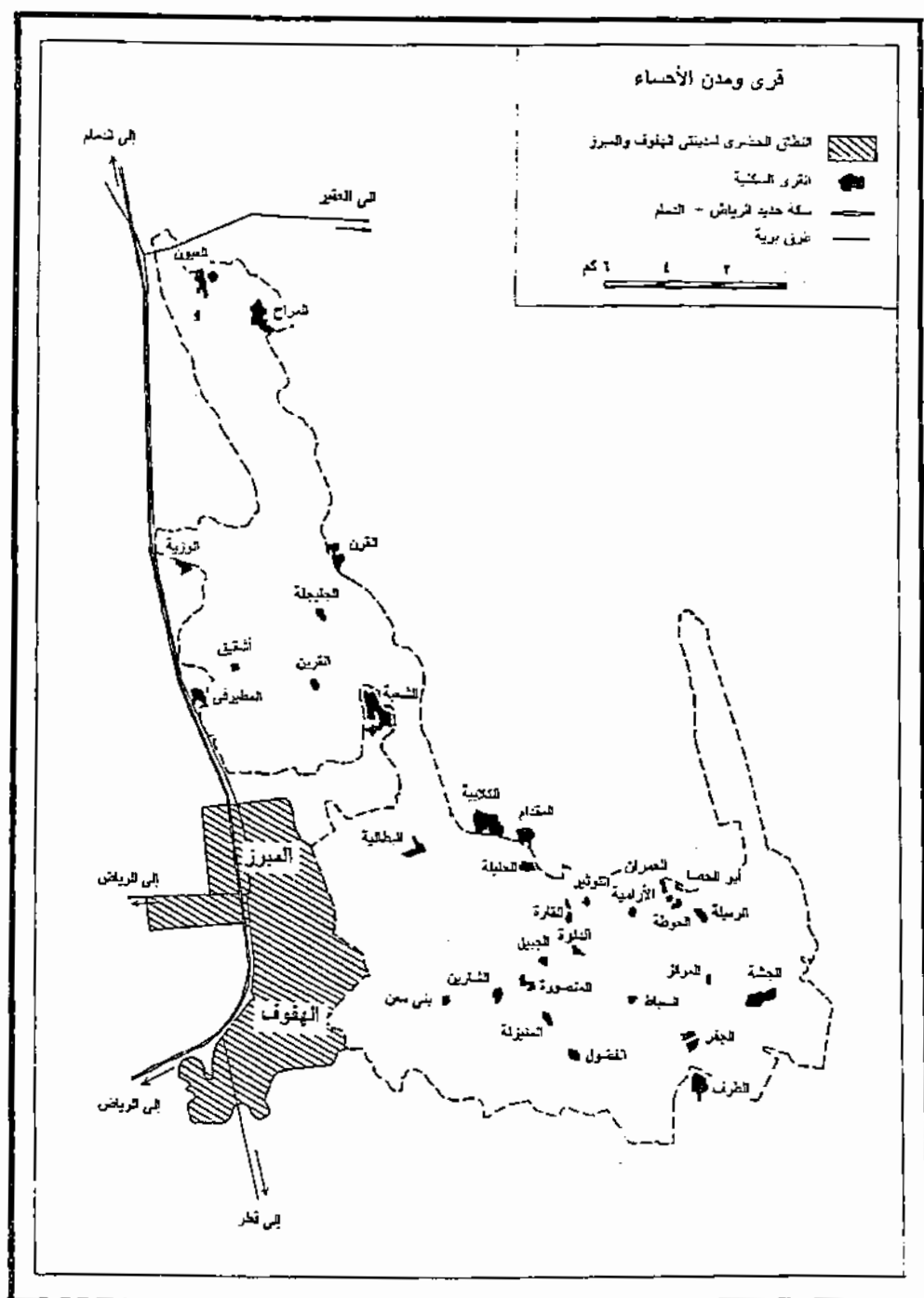
وجودها في الشمال والشرق ويكون مصدر رمالها في الشمال صحراء النفود ، وفي الشرق صحراء الجافورة ، وفي الجنوب الربع الخالي ، وفي الغرب صحراء الدهناء وتعد واحة الأحساء حلقة الوصل البري بين المملكة ومعظم دول مجلس التعاون الخليجي إن لم تكن جميعها ، وهي ترتبط بدورها بمدينة الرياض بطريقين أحدهما بري والآخر حديدي مما سهل هذا الاتصال وزاد من أهمية موقعها الجغرافي .

وتبلغ مساحة الأحساء حوالي ٢٧٨ كيلو متراً مربعاً (٢٧٨٠٠ هكتار) وتوزع داخل هذه المساحة أربع مدن رئيسية وحوالي ٥٠ قرية ، وتعد مدينتا الهفوف - عاصمة الأحساء - والمبرز أهم مدن الأحساء حيث تتصلان مكونتين نطاقاً حضرياً يحيط بالركن الجنوبي الغربي للواحة ، في حين تقع كل من مدينة العيون عند النهاية الشمالية للواحة الشمالية ، ومدينة العمران عند النهاية الشمالية الشرقية للواحة الشرقية ، وتوزع القرى السكنية على كل من الواحتين الشاطئيتين فالقرى الموجودة بالواحة الشمالية يطلق عليها القرى الشمالية ، والقرى الموجودة في الواحة الشرقية يطلق عليها القرى الشرقية وهي أكثر عدداً من مثيلاتها الشمالية . شكل رقم (٢) .

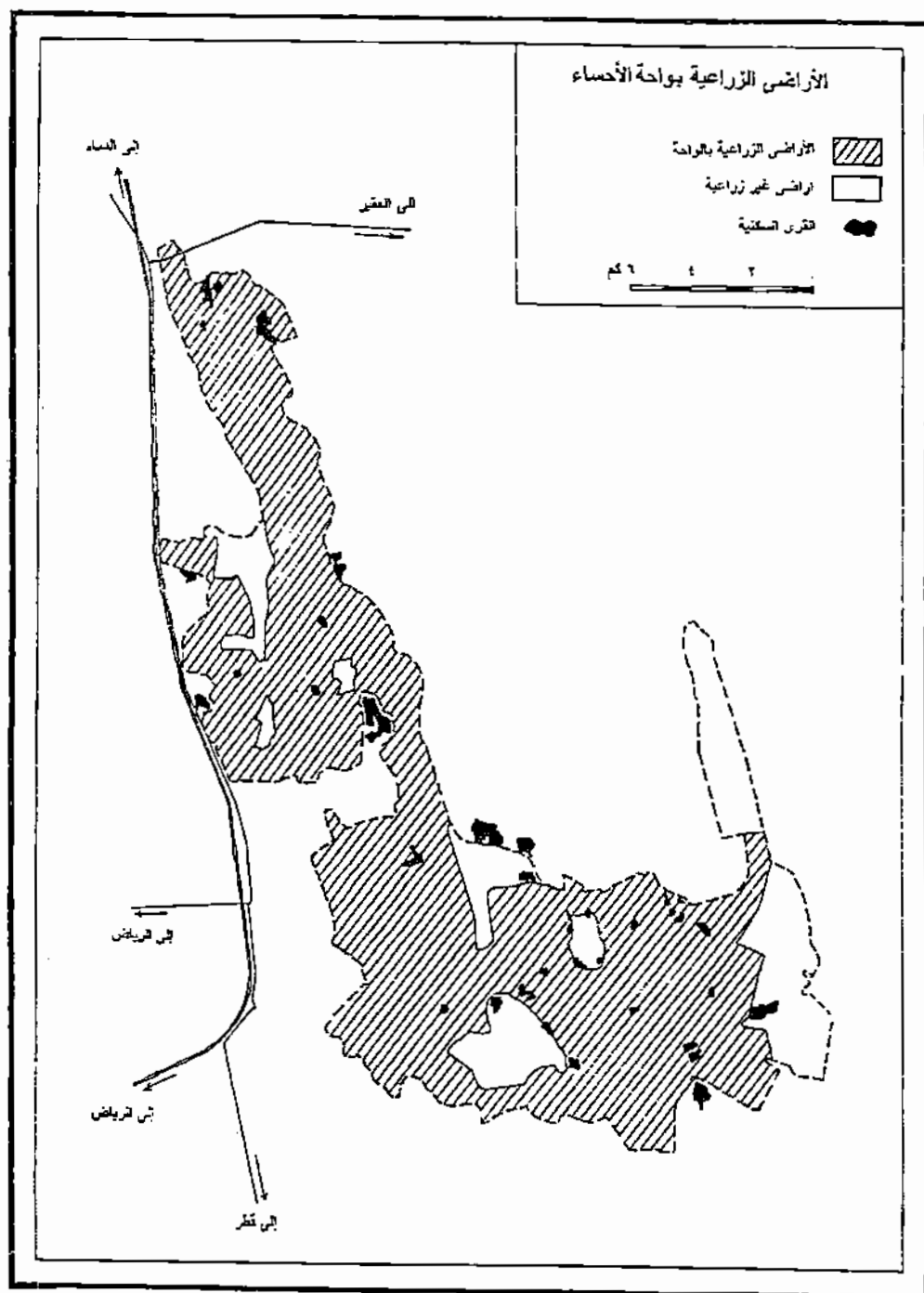
وتبلغ مساحة الأراضي القابلة للزراعة في واحة الأحساء حوالي ١٨٠٠٠ هكتار وهو ما يوازي نحو ٦٥٪ من مساحة الواحة ، وتبلغ مساحة الأراضي المزروعة فعلاً حوالي ٨٠٠٠ هكتار وهو ما يعادل نحو ٤٤,٤٪ من جملة الأراضي القابلة للزراعة ، ونحو ٢٨,٨٪ من مساحة الواحة (١) . شكل رقم (٣) .

ويرجع السبب في انخفاض نسبة مساحة الأراضي المزروعة من جملة مساحة الأراضي القابلة للزراعة إلى تدهور مستوى القدرة الإنتاجية للأراضي الزراعية وتناقص مساحة الأرض الزراعية بسبب ظهور مشاكل زراعية متعددة يأتي في مقدمتها ارتفاع نسبة الأملاح الذائبة في التربة الزراعية وارتفاع نسبة الرمل من جملة الحبيبات المكونة للتربة وزحف الرمال على الأراضي الزراعية وانخفاض كفاءة الصرف

(١) حية نري والصرف بالاحساء - بحصر سر عن الشاسر - : هـ



شكل رقم (٢)



الخريطة من اعداد الباحث اعتماداً على المصدر التالي :
Hassa Irrigation and Drainage Authority, General Layout, scale 1 : 40000.

وقد اقيم بالأحساء مشروعان رائدان هدفهما الحفاظ على الأراضي الزراعية ورفع كفاءة الري والصرف بغرض تحسين القدرة الانتاجية للأرض الزراعية ، ويعد مشروع الري والصرف الذى افتتح عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧١م أهم مشاريع الري التى استهدفت ضبط مياه العيون الطبيعية بالمملكة بهدف استصلاح وزراعة ١٢٠٠٠ هكتار إضافية وتحققت منه ايجابيات كثيرة ، فقد اخففت اساليب الري التقليدية ، وحلت قنوات الري الاسمنتية محل القنوات الترابية ، وضبطت بدقة مناولات عادلة للري كما شقت شبكة من المصارف وردمت معظم البرك وغطيت المصارف بالقرب من القرى والمدن حفاظاً على الصحة العامة (١) .

أما المشروع الثانى فهو مشروع حجز الرمال بالأحساء الذى بدأ تنفيذه عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م بهدف تسوية الكثبان الرملية الواقعة إلى الشمال من الواحة الشرقية وتغطيتها بالترى والطين وتشجيرها على هيئة خطوط أو مصدات متوازية عمودية على اتجاه زحف الكثبان الرملية وفى الاتجاه المواجه له لكى تعوق الزحف الرملى نحو الواحة (٢) .

وقد توقف بمرور الزمن التدفق الطبيعى لمياه العيون والآن وبعد مرور نحو خمسة عشر عاماً على تنفيذ مشروع الري والصرف توقف تماماً التدفق الطبيعى من جميع العيون المائية بواحة الأحساء وأصبح استخراج المياه الجوفية عن طريق طلبات رفع مركبة بجوار تلك العيون بحيث تصب المياه المسحوبة فى برك مجاورة للعين الأصلية وتخرج منها قنوات الري . وكان من محصلة السحب المستمر للمياه الجوفية

(١) زين العابدين رجب - واحة الأحساء دراسة فى مواردها المائية وتأثيرها على الاستخدام الریفى للأرض - ندوة أقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - مارس ١٩٨٧ - ص ٦٧ .

(٢) وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية - مشروع حجز الرمال بالأحساء - التقرير السنوى - رجب ١٤٠٥هـ / مارس ١٩٨٥ م .

أن ارتفعت نسبة الاملاح الذائبة في المياه وتراوحت نسبتها بين ١٤٣٠ ، ١٧٥٥ جزء في المليون وهي تترسب بدورها في التربة الزراعية وتهدد بتملحها (١) .

وعلى الرغم من مرور حوالي ٣٤ عاماً على بدء تنفيذ مشروع حجز الرمال وانخفاض سرعة زحف الرمال نحو الواحة إلا أن المشاهد حقلنا استمرار عملية الزحف نحو أراضي الواحة ، كما أن المشروع لم يحط بكل جهات الواحة واقتصر على الجزء الشمالي من الواحة الشرقية فقط وبالتالي استمر زحف الكثبان الرملية يهدد مساحات أخرى من واحة الأحساء ، بل أن كثيراً من قنوات الري والصرف وبخاصة الفرعية منها والموجودة عند أطراف الأراضي الزراعية طمرت بالرمال أو ارتفع منسوب قيعانها مما أدى إلى انخفاض كفاءة الصرف بالأراضي الزراعية ، وساهم ذلك بدوره في كل من مشكلة تملح التربة وارتفاع نسبة الرمل من جملة الحبيبات المكونة للتربة .

ومن ناحية أخرى تتعرض زراعة المحاصيل بالأحساء إلى انحرافات مناخية حادة تؤثر فيها بشكل كبير ، ويأتي في مقدمتها انخفاض طول موسم النمو الزراعي وبخاصة الموسم الصيفي ، الذي يتكرر فيه كثيراً ارتفاع درجة حرارة الهواء إلى أكثر من ٣٥ درجة مئوية - الحد الأعلى الذي يتوقف بعده النمو الجوهري للنبات - ، كما ترتفع معدلات التبخر بشكل كبير جداً يضاعف أحياناً عشرات المرات كميات المطر المساقطة على الواحة ، وكل من هاتين الظاهرتين - ارتفاع معدلات التبخر وانخفاض كميات المطر المساقطة يرتبطان بارتفاع مستوى الجفاف وتراكم كميات ضخمة من الاملاح فوق الطبقة السطحية للتربة الزراعية بالواحة .

وتساهم اتجاهات الرياح وسرعتها في عملية زحف الرمال نحو الواحة فالرياح هي القوة المؤثرة في عملية الزحف الرملية وهي عامل النقل والارساب لحبيبات الرمل التي تستقر في النهاية على الأرض الزراعية بالواحة ، وتغير من خصائص تربتها فيتفكك بناؤها وتترايد مساميتها وتقل قدرتها على الاحتفاظ بالماء وتقل فيها نسبة المادة العضوية ، وكلها عوامل تؤدي إلى انخفاض قدره الانتاجية للأرض الزراعية.

(١) زين العابدين رجب - المصدر السابق - ص ص ٥٦ - ٥٧ .

فمناخ الأحساء إذن يشكل الخطر الرئيسي على الزراعة بأراضيها فانخفاض طول موسم النمو الزراعى ، وارتفاع معدلات التبخر لدرجة تفوق أضعاف كميات المطر الساقطة، وحمل الرياح لحبيبات الرمل وترسيبها على أراضي الواحة كلها عوامل مناخية تؤثر بالسلب على العملية الزراعية بواحة الأحساء وتساهم بشكل رئيسى فى انخفاض حجم التركيب المحصولى ، وتملح التربة ، وارتفاع نسبة الرمل بها ، وبالتالي إلى تصحر واحة الأحساء ، الأمر الذى يعوق النشاط الزراعى ويهدد الإنتاج الزراعى بالمنطقة ويؤثر فى التركيب الاقتصادى للسكان والتوجه الاقتصادى المستقبلى لهم ، ومن هنا كانت أهمية دراسة تلك العوامل المناخية التى تمثل خطراً رئيسياً على الواحة والتعرف على خصائص كل منها لكى يسهل مقاومتها والتقليل من مخاطرها وهو الهدف الأساسى لهذا البحث .

وقد اعتمد الباحث فى دراسة هذه العناصر المناخية على البيانات المناخية اليومية لمحطة الأرصاد الجوية بالأحساء خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥ ، ١٩٩٤م (عشر سنوات) ، وتم تصميم جميع الجداول المناخية الواردة بهذه الدراسة اعتماداً على هذا المصدر (١) .

وفيما يلى دراسة لتلك المخاطر المناخية التى تواجه الزراعة بواحة الأحساء

أولاً : انخفاض طول موسم النمو الزراعى :

يتأثر موسم النمو الزراعى للمحاصيل بالانحراف الذى يحدث لدرجات الحرارة خلال السنة، وقد تعددت الآراء حول الاتفاق على تحديد درجتى الحرارة

(١) - Kingdom of Saudi Arabia, Meteorology & Environmental Protection Administration, Scientific Information and Documentation center, surface Monthly climatological Report. (1985 - 1994) .

الدنيا والعظمى التى يبدأ عندها توقف النمو الجوهري للنبات، فما تسفق معظم الباحثين الزراعيين على اعتبار درجة حرارة $^{\circ}\text{C} 6$ هى الحد الحرارى الأدنى للنمو الجوهري للنبات، فإذا انخفضت درجة الحرارة عن ذلك يبدأ توقف العمليات الغذائية النباتية وبالتالي يتوقف نمو النبات حيث تبدأ المياه المختزنة بالتربة فى التجمد ويتوقف انتقال الماء والعناصر الغذائية إلى جسم النبات الذى يتعرض للذبول، واعتبرت درجة حرارة $^{\circ}\text{C} 35$ الحد الأعلى للنمو الجوهري للنبات فإذا ارتفعت الحرارة عن ذلك تعرض النبات للخطر بسبب ارتفاع معدلات التبخر فتفقد التربة جزءا كبيرا من مياهها وتعظم عملية النتج ويتعرض جسم النبات للذبول والموت^(١).

وعلى هذا الأساس فإن انحراف درجة الحرارة عن هذين الحدين يشكل خطرا كبيرا على عملية نمو المحاصيل وبالتالي إنتاجيتها، فترتبط إنتاجية المحاصيل ومستوى جودتها عكسيا مع مجموع عدد الأيام التى تنحرف خلالها درجات الحرارة إلى أقل من $^{\circ}\text{C} 60$ أو إلى أكثر من $^{\circ}\text{C} 35$ ولكن يتعرض نموها للسكون ثم الذبول والموت إذا ما استمر ذلك طويلا.

ويتفاوت عدد الأيام التى يحدث خلالها انحراف حرارى إلى دون $^{\circ}\text{C} 6$ أو إلى أكثر من $^{\circ}\text{C} 35$ على واحة الأحساء من شهر إلى آخر ومن عام لآخر، وتتفاوت بذلك خطورة هذا الانحراف الحرارى وتأثيره على النمو الجوهري للنبات بين موسم زراعى وآخر، وللتعرف على مدى حدوث ذلك نتتبع أرقام الجدول التالى رقم (١) ونستخلص منه الحقائق التالية:

١ - أقتصر انخفاض درجة الحرارة الصغرى إلى دون $^{\circ}\text{C} 6$ فى واحة

^(١) - Smith, K., Principles of Applied Climatology, England, 1975, PP 86 - 89.

جدول رقم (١١)

توزيع عدد الأيام التي انخفضت فيها درجة الحرارة إلى أقل من ١٠م والتي ارتفعت فيها إلى أكثر من ٣٥م في واحة الأحسا، على شهور السنة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ - ١٩٩٤م.

الشهر	١٩٨٥		١٩٨٦		١٩٨٧		١٩٨٨		١٩٨٩		١٩٩٠		١٩٩١		١٩٩٢		١٩٩٣		١٩٩٤		المتوسط	
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢
يناير	١	-	٥	-	-	-	٨	-	٢٠	-	١٦	-	٣	-	١٦	-	١٤	-	-	٧.٣	-	-
فبراير	٢	-	-	-	-	-	-	-	١١	-	-	-	-	-	٣	-	٤	-	-	٢.٦	-	-
مارس	-	٣	-	٨	-	١	-	٣	-	٤	-	٢	-	-	-	-	٤	-	١	-	٢.٤	-
أبريل	-	١١	-	٣٠	-	١٥	-	١٠	-	١٤	-	١	-	١٩	-	١١	-	٨	-	١٤	-	١٤.٢
مايو	-	٢٩	-	٣٠	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣٨	-	٣٦	-	٣٠	-	٢٦	-	٢٨	-	٢٩
يونيو	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠
يوليو	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١
أغسطس	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١	-	٣١
سبتمبر	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠	-	٣٠
أكتوبر	-	٢٠	-	٢٤	-	١٧	-	٢٩	-	٢٤	-	٢٧	-	١٩	-	١٥	-	٢٥	-	٢١	-	٢٢.١
نوفمبر	-	-	-	-	-	١	-	-	-	٢	-	-	-	١	-	-	-	٢	-	٢	-	٨
ديسمبر	-	-	-	-	-	١	-	-	-	-	-	٤	-	٣	-	٣	-	٢	-	-	-	١
الإجمالي	٤	١٨٥	٥	٣١٤	١	٢١٨	١٠	٤٢٦	٣١	١٩٥	١٠	١٨٩	٦	١٨٧	٤	١٧٨	١٨	١٧٨	٨	١٨٨	-	-
موسم يربياً	١٧٦	١٤٦	١٣٠	١٦٦	١٧٢	١٨٤	١٧٠	١٧٠	١٧٠	١٦٩	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
النمو %	٤٨.٢	٤٠.٠	٤٠.٠	٤٠.٠	٣٥.٥	٣٨.١	٤٥.٥	٤٧.١	٥٠.٣	٤٦.٦	٤٦.٣	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-

* نتائج طرح مجموع عدد الأيام التي انخفضت فيها درجة الحرارة إلى أقل من ١٠م والتي ارتفعت فيها درجة الحرارة إلى أكثر من ٣٥م من إجمالي عدد أيام السنة.

الأحساء خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥، ١٩٩٤ على الشهور يناير، فبراير، ديسمبر، وهى شهور فصل الشتاء وتراوح المتوسط الشهري لعدد الأيام التى انخفضت فيها درجة الحرارة الصغرى إلى أقل من ٥°م بين ٧٣ يوما (يناير)، ٢١ يوما (فبراير) ويوما واحدا فى ديسمبر، وانخفضت درجة الحرارة إلى ما دون ٥°م فى شهر يناير خلال جميع السنوات فى الفترة الممتدة بين عامى ١٩٨٥، ١٩٩٤ ما عدا سنوات ١٩٨٧، ١٩٩٤، فى حين انخفضت فى شهر فبراير خلال أربع سنوات فقط هى ١٩٨٥، ١٩٨٩، ١٩٩٢، ١٩٩٣، بينما انخفضت فى شهر ديسمبر على مدى سنوات الفترة نفسها ما عدا سنوات ١٩٨٥، ١٩٨٦، ١٩٩٣. ويدل ذلك على أن الموسم الزراعى الشتوى يواجه الأحساء يتعرض لخطر انخفاض درجة الحرارة إلى دون ٥°م بشكل أكبر فى يناير عن مثيله فى فبراير وديسمبر.

٢ - يتراوح المجموع السنوى لعدد الأيام التى انخفضت فيها درجة الحرارة الصغرى إلى أقل من ٥°م بين يوم واحد (عام ١٩٨٧)، ٣١ يوما (عام ١٩٨٩) وبمتوسط سنوى يبلغ ١١.٦ يوما، وهو ما يدل على تعرض المحاصيل الشتوية لخطر انخفاض درجة الحرارة إلى دون ٥°م بشكل متوسط يؤثر فى إنتاجيتها ومستوى جودتها.

٣ - اقتصر تجاوز درجة الحرارة ٣٥°م فى واحة الأحساء خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥، ١٩٩٤ على شهور الفترة الممتدة بين مارس، نوفمبر حيث حدث ذلك بشكل نادر خلال شهرى مارس (بمتوسط ٢ يوما)، نوفمبر (بمتوسط ٨ يوما). فى حين يحدث ذلك بشكل أكبر خلال شهرى أبريل (بمتوسط ١٤.٢ يوما)، أكتوبر (بمتوسط ٢٢.١ يوما)،

بينما ترتفع درجة الحرارة العظمى إلى أكثر من 35°C فى جميع أيام الفترة الممتدة بين شهرى مايو، سبتمبر حيث يتراوح متوسط عدد هذه الأيام بين ٢٩ يوماً، ٣١ يوماً ويدل ذلك على أن فصل الصيف هو فصل الانحراف الحرارى عن الحد الأقصى للنمو الجوهري للمحاصيل.

٤ - يتضح من مقارنة المتوسط الشهري لعدد الأيام التى انخفضت فيها درجة الحرارة الصغرى إلى أقل من 6°C (يوماً واحداً، ٧٣ يوماً) خلال شهور الشتاء، والمتوسط الشهري لعدد الأيام التى ارتفعت فيها درجة الحرارة العظمى إلى أكثر من 35°C (٨ يوماً، ٣١ يوماً) خلال شهور الربيع والصيف والخريف، أن الموسم الشتوى هو أفضل مواسم الزراعة مناخياً من حيث نمو المحاصيل فى واحة الأحساء فى حين يعد الموسم الصيفى غير مناسب مناخياً لزراعة المحاصيل حيث تتعرض المحاصيل فيه بشكل كبير لخطر ارتفاع درجة الحرارة إلى أكثر من 35°C ، فيقل ويضعف ويتوقف نمو المحاصيل خلاله، ويعنى ذلك أن الناتج الزراعى الشتوى يكون أفضل من مثيله الصيفى وأن الأحساء منطقة إنتاج واستهلاك للمحاصيل الشتوية ولكنها منطقة استهلاك فقط للمحاصيل الصيفية التى تصلها من الأقاليم الشمالية بالمملكة أو من خارج المملكة.

وقد أثر ذلك فى سياسة التركيب المحصولى بالأحساء خاصة والمنطقة الشرقية للمملكة عامة حيث تمثل مساحة المحاصيل الشتوية نحو ٦٧,٩٪ من جملة المساحة المحصولية بالمنطقة الشرقية، فى حين تعادل مساحة المحاصيل الصيفية ١٤,٩٪ من الجملة نفسها^(١).

(١) وزارة المالية والاقتصاد الوطنى بالمملكة العربية السعودية - مصلحة الإحصاءات العامة - الكتاب الإحصائى السنوى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

٥ - يتراوح المجموع السنوى لعدد الأيام التى ارتفعت فيها درجة الحرارة العظمى إلى أكثر من ٣٥°م خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥، ١٩٩٤ بين ١٧٨ يوما (عام ١٩٩٢) وهو ما يعادل نحو ٤٨ر٦٪ من إجمالى عدد أيام السنة، ٢٢٦ يوما (عام ١٩٨٨) وهو ما يعادل نحو ٦١ر٧٪ من الجملة نفسها ويعنى ذلك أن حوالى نصف العام ترتفع فيه درجة الحرارة العظمى إلى أكثر من ٣٥°م وبعد ذلك غير مناسب للزراعة فى واحة الأحساء حيث تتعرض المحاصيل فيه للذبول وتوقف النمو.

٦ - تراوح طول موسم النمو الزراعى فى واحة الأحساء - المناسب مناخيا للزراعة - بين ١٣٠ يوما (عام ١٩٨٨) وهو ما يعادل نحو ٣٥ر٥٪ من إجمالى عدد أيام السنة، ١٨٤ يوما (عام ١٩٩٢) وهو ما يوازى ٥٠ر٣٪ من الجملة نفسها وهو موسم قصير يكاد يقتصر على الموسم الشتوى فقط، ولا يعنى ذلك أن زراعة المحاصيل الصيفية تنعدم فى الواحة ولكن مستوى جودتها ينخفض للغاية بسبب الظروف الحرارية السائدة غير المناسبة لعملية النمو.

ويتضح من العرض السابق مدى تعرض الزراعة فى واحة الأحساء لخطر انخفاض درجة الحرارة إلى دون ٦°م، وهو خطر محدود بالقياس مع تعرضها لخطر الارتفاع فى درجة الحرارة إلى أكثر من ٣٥°م حتى أن موسم النمو الزراعى الأنسب مناخيا يتراوح طوله بين نحو ٣٥ر٥٪، ٥٠ر٣٪ من إجمالى عدد أيام السنة ويمعنى آخر بين حوالى ثلث ونصف السنة وهو ما يعكس الانخفاض الكبير فى طول موسم النمو الزراعى الأنسب مناخيا فى واحة الأحساء.

ثانيا : الرياح وزحف الرمال نحو واحة الأحساء :

تحاط واحة الأحساء بحكم موقعها الجغرافى بالارسابات الرملية من جميع الجهات، فإلى الشمال منها تمتد رمال النفود وإلى الشرق منها تمتد رمال الجافورة وإلى

الجنوب منها تمتد رمال الربع الخالي وإلى الغرب منها تمتد رمال الدهناء ، وتعد كل من النفود والجافورة المصدرين الرئيسيين لرمال الأحساء حيث تعدد الرمال على هيئة كثبان رملية تقع في مواجهة الواحة إلى الشمال والشمال الشرقي منها (النفود) وإلى الشرق منها (الجافورة) . شكل رقم (٤) .

وتتأثر الأحساء بهبوب الرياح الشمالية والشمالية الشرقية معظم فترات السنة وتحول إلى شمالية غربية في بعض شهور الشتاء بسبب تأثر الأحساء بمرور المنخفضات الجوية الآتية من الغرب ، وتحمل الرياح الأتربة والرمال عند عبورها النطاقات الصحراوية في طريقها إلى الأحساء ولهذا كانت النفود في الشمال والجافورة في الشرق المصدرين الرئيسيين لرمال الأحساء ، وتعد النفود المصدر الأهم حيث يصل إلى الواحة من هذه الصحراء كل عام آلاف الأطنان من الرمال التي تسقيها من جهة الشمال الرياح الشمالية والشمالية الغربية التي تشتد وطأتها خلال فصل الربيع والصيف (١) .

ويتمثل الضرر الذي تسببه الرياح بما ترسبه من رمال على الأراضي الزراعية بواحة الأحساء في زيادة نسبة الرمل بالتربة الزراعية الذي يكون من محصلته تحول لون التربة إلى اللون الأصفر و عدم تماسك ذراتها وتحول نسيجها إلى نسيج خفيف متفكك ، وزيادة مساميتها فتزداد سرعة حركة المياه خلالها وتسريها إلى باطن الأرض وبالتالي تقل قدرتها على الاحتفاظ بالماء مما يعوق امتصاص النباتات للماء الموجود في التربة ، كما ترتفع نسبة الأملاح بالتربة وتقل المادة العضوية بها ويترتب على ذلك انخفاض القدر الانتاجية للتربة الزراعية وانخفاض مستوى جودة المحاصيل المزروعة بها .

ويؤثر كل من اتجاه الرياح وسرعتها في حركة الزحف الرملية نحو واحة الأحساء (٢) ، وتتفاوت اتجاهات الرياح وسرعتها خلال شهور السنة مما يؤدي إلى

(١) يحيى محمد شيخ أبو الخير - زحف الرمال بمنطقة الأحساء - نشرة الجمعية

الجغرافية الكويتية - العدد رقم ٦٤ - إبريل ١٩٨٤ م - ص ١٠

(٢) تشترك عوامل أخرى مع الرياح في التأثير على حركة الزحف الرملية منها حجم

الحبيبات الرملية ، ودرجة خشونة السطح ، وجفاف أو رطوبة التربة الرملية

تفاوت كميات الرمال الزاحقة أو المنقولة إلى واحة الأحساء من شهر إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر ، وسوف نقوم بدراسة كل من اتجاه الرياح وسرعتها على النحو التالي :

(أ) اتجاه الرياح السائدة بواحة الأحساء :

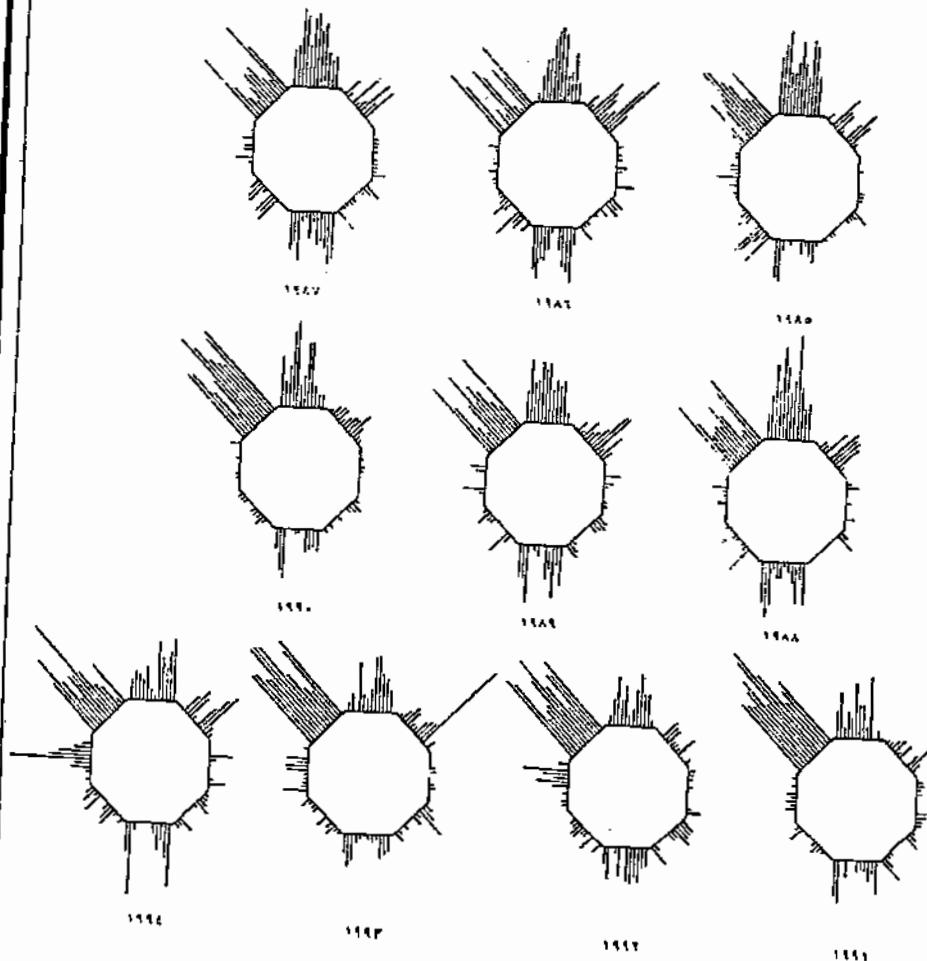
يوضح الشكل رقم (٥) توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ ونستنتج من تتبعه الحقائق التالية :

١ - تعد الرياح الشمالية الغربية أكثر أنواع الرياح تأثيراً في واحة الأحساء حيث تتراوح نسبة هبوبها بين ٣,٣ % ، ٨٠,٦ % خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ ، يليها الرياح الشمالية التي تتراوح نسبة هبوبها بين ٣,٢ ، ٥١,٦ % خلال الفترة نفسها ، يليها الرياح الشمالية الشرقية التي تتراوح نسبة هبوبها بين ٣,٢ % ، ٤٣,٣ % خلال الفترة نفسها .

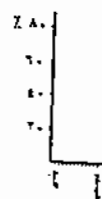
وتتخفف نسب هبوب اتجاهات الرياح الأخرى عن النسب السابقة فتتراوح بين ٣,٢ ، ٣٨,٧ % في الرياح الجنوبية ، ٣,٢ ، ٢٩ % في الرياح الغربية (١) ، ٣,٢ ، ٢٢,٦ % في الرياح الجنوبية الغربية ، ٣,٢ ، ١٦,١ % في الرياح الشرقية والرياح الجنوبية الشرقية . ويدل ذلك على سيادة الرياح الشمالية بأنواعها على واحة الأحساء خلال شهور السنة بالمقارنة بالاتجاهات الأخرى للرياح .

٢ - تعد الرياح الشمالية الغربية أكثر أنواع الرياح تكراراً في هبوبها على واحة الأحساء حيث لم يسجل هبوبها في شهر واحد فقط خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ (١٢٠ شهراً) ، في حين لم يسجل هبوب الرياح الشمالية في شهرين خلال الفترة نفسها ، ولم يسجل هبوب الرياح الجنوبية في ١٩ شهراً خلال الفترة نفسها ، ولم يسجل هبوب الرياح الشمالية الشرقية في ٢٣

(١) خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ . ١٩٩٣ في حين سجلت أعلى نسبة ٥٠ % في يونيو



توزيع التسمية للموتى لاجل الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة
خلال الفترة بين ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ م



الشكل من تصميم الباحث اعتماداً على ارقام الملاحق من رقم (١) إلى رقم (٥)

شكل رقم (٥)

شهوراً خلال الفترة نفسها ، ولم يسجل هبوب الرياح الجنوبية الغربية فى ٣٨ شهراً خلال الفترة نفسها ، ولم يسجل هبوب الرياح الغربية فى ٤٨ شهراً خلال الفترة نفسها ، ولم يسجل هبوب الرياح الشرقية ، والجنوبية الشرقية فى ٥٠ شهراً خلال الفترة نفسها . ويدل ذلك على انتظام هبوب الرياح الشمالية الغربية والشمالية فى حين يقل هذا الانتظام فى حالة الرياح الجنوبية والشمالية الشرقية ، ثم يقل جداً فى حالة الاتجاهات الأخرى للرياح .

٣ - ترتفع نسب هبوب الرياح الشمالية الغربية والرياح الجنوبية خلال شهور الشتاء بالمقارنة بباقي شهور السنة ، فى حين ترتفع نسب هبوب الرياح الشمالية والشمالية الشرقية خلال شهور الصيف ، ويدل ذلك على تأثر الواحة بمرور المنخفضات الجوية فى فصل الشتاء حيث يتغير اتجاه الرياح أثناء مرورها من الشمالى الغربى إلى الغربى ثم الجنوبي الغربى فالجنوبى ، فى حين تتأثر الواحة بالرياح التجارية الشمالية الشرقية خلال فصل الصيف .

ويتضح من انعرض انسابق أن الرياح الشمالية بأنواعها يليها الرياح الجنوبية هى أكثر أنواع الرياح سيادة فى واحة الأحساء ، وأن الرياح الشمالية الغربية هى أكثر تلك الأنواع تأثيراً فى واحة الأحساء ، وكما ذكر من قبل فإن هذه الرياح تمر على نطاقات صحراوية رملية قبل وصولها إلى الأحساء ومعنى ذلك أنه فى حالة ما إذا كانت هذه الرياح قادرة على حمل الرمال - ويتوقف ذلك على سرعتها - سوف تتعرض الواحة لزحف رمال النفود بواسطة الرياح الشمالية الغربية والشمالية ، ورمال الجافورة بواسطة الرياح الشمالية الشرقية ، ورمال الربع الخالى بواسطة الرياح الجنوبية ، وسوف تتزايد كمية الرمال الزاحقة من النفود والربع الخالى خلال شهور الشتاء ، فى حين تتزايد كميات الرمال الزاحقة من الجافورة خلال شهور الصيف .

ب) سرعة الرياح الهابطة على واحة الأحساء :

يتناسب معدل زحف الرمال تناسباً طردياً مع سرعة الرياح بالإضافة إلى تأثره

بحجم الذرات وكثافتها النوعية وكثافة الهواء (١) ، وهناك نوعان من الزحف الرملى : الأول هو الانسياب الرملى . أى حركة أو زحف الحبيبات الرملية فوق أسطح الكثبان الرملية عندما تصل سرعة الرياح إلى ٥,٥ متراً فى الثانية ، والثانى هو زحف الكثبان الرملية والتي تبدأ عندما تزيد سرعة الرياح عن ٩ أمتار فى الثانية . وبعد الانسياب الرملى أخطر من زحف الكثبان الرملية وذلك لأن الانسياب يحدث عند سرعة بطيئة للرياح (٥,٥ م/ث) وكذلك قدرة الرمال على التحرك لمسافات أطول من تلك التى تقطعها الكثبان الرملية (٢) .

فسرعة الرياح إذن هى العامل المحدد لمستوى الزحف الرملى على واحة الأحساء ، وتتفاوت هذه السرعة من وقت إلى آخر خلال شهور السنة وتعد سرعة الرياح التى تتخفف عن ٥,٥ متراً فى الثانية ليست ذات خطورة على الواحة فعندها لا تكون الرياح قادرة على حمل ذرات الرمال فى طريقها إلى الأحساء ، ولذلك كان من الأهمية التعرف على مدى تجاوز سرعة الرياح لسرعة مقدارها ٥,٥ متراً فى الثانية لتحديد مدى خطورة ذلك على الأراضى الزراعية بالواحة وهو ما يتضح جلياً عند تتبع أرقام الجدول التالى رقم (٢) الذى يوضح توزيع عدد الأيام التى هبت فيها رياح على واحة الأحساء تزيد سرعتها عن ٥,٥ متراً فى الثانية خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ . ونستنتج من أرقامه الحقائق التالية :

١ - يبلغ المتوسط السنوى لعدد الأيام التى ارتفعت فيها سرعة الرياح إلى أكثر من ٥,٥ متراً / ثانية ١٣٨,٢ يوماً خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ ، وقد تراوح المجموع السنوى لعدد هذه الأيام بين ١١٧ يوماً (عام ١٩٨٦) وهو ما يعادل نحو ٣٢,١ ٪ من جملة عدد أيام السنة ، ١٩٧ يوماً (عام ١٩٨٥) وهو ما يوازى نحو ٤٥,٧ ٪ من الجملة نفسها ، ويعنى ذلك أن فترة تزاوج

(١) محمد صبرى محسوب - المشكلات الجيومورفولوجية بالبيئة الزراعية فى واحة الأحساء - نشرة البحوث الجغرافية - كلية البنات - جامعة عين شمس - العدد ٨ - ص ١٨ .

(٢) يحيى محمد شيخ أبو الخير - المصدر السابق ص ١١ .

تواريخ عدد الأيام التي أميت فيها رباح تلى واحدة الأشخاص تزيد مر عليها عن ٥٠٥ من/ ثابتة على شهر و المدة خلال الفترة بين مارس ١٩٨٥ - ١٩٩١ م.

ردیف	۱۳۸۸			۱۳۸۹			۱۳۹۰			۱۳۹۱			۱۳۹۲			مجموع
	د	ز	م	د	ز	م	د	ز	م	د	ز	م	د	ز	م	
بهر	۱	-	۱	-	۱	-	۱	-	۱	-	۱	-	۱	-	۱	-
فروردین	۱۵	-	۴	-	۵	-	۴	-	۵	-	۴	-	۵	-	۴	-
اردیبهشت	۱۶	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۱۷	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۱۸	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۱۹	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۲۰	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۲۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۲۲	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۲۳	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۲۴	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۲۵	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۲۶	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۲۷	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۲۸	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۲۹	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۳۰	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۳۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۳۲	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۳۳	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۳۴	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۳۵	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۳۶	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۳۷	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۳۸	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۳۹	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
اردیبهشت	۴۰	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
مهر	۴۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-
فروردین	۴۲	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-	۱۱	-	۱	-

[illegible]

بين ثلث العام تقريباً ونصف العام تقريباً يحدث فيها اتساق رملى نحو واحدة الأحساء .

٢ - تعد الرياح الشمالية بأنواعها أكثر أنواع الرياح المسببة للاتساق الرملى على واحدة الأحساء فقد بلغ المتوسط السنوى لعدد الأيام التى ارتفعت فيها سرعة الرياح الشمالية بأنواعها إلى أكثر من ٥,٥ متر/ثانية ١١٤,٣ يوماً خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ ، فى حين بلغ المتوسط نفسه ٠,٥ يوماً فى حالة الرياح الشرقية ، ١٨,٦ يوماً فى حالة الرياح الجنوبية بأنواعها ، ٤,٨ يوماً فى حالة الرياح الغربية .

٣ - يتراوح عدد الأيام التى ارتفعت فيها سرعة الرياح الشمالية إلى أكثر من ٥,٥ متراً / ثانية بين ٩٠ يوماً (عام ١٩٨٦) وهو ما يعادل نحو ٢٤,٦ ٪ من جملة عدد أيام السنة ، ١٥١ يوماً (عام ١٩٨٥) وهو ما يعادل نحو ٤١,٢ ٪ من الجملة نفسها . وبين لاشئ ويوم واحد فى حالة الرياح الشرقية وبين ١٤ يوماً ، ٢٦ يوماً فى حالة الرياح الجنوبية بأنواعها ، وبين يوم واحد ، ١٨ يوماً فى حالة الرياح الغربية . ويدل ذلك على ندرة حدوث الاتساق الرملى الناجم عن هبوب الرياح الشرقية والغربية ، وانخفاض حدوثه الناجم عن هبوب الرياح الجنوبية بأنواعها .

٤ - تعظم عملية الاتساق الرملى الناجم عن الرياح الشمالية بأنواعها خلال شهور الصيف بالمقارنة بالشهور الأخرى حيث يرتفع خلال هذا الفصل المتوسط الشهري لعدد الأيام التى تزيد فيها سرعة الرياح الى ٥,٥ متراً / ثانية ليصل أقصاه فى شهر يوليو (١٧,٩ يوماً) ، فى حين ينخفض المتوسط الشهري لعدد هذه الأيام فى باقى شهور السنة ليصل أدناه فى شهر أكتوبر ٣,١ يوماً . ويعنى ذلك أن عملية الاتساق الرملى الناتج بفعل الرياح الشمالية بأنواعها يصل أقصاها خلال شهور الصيف وتنخفض تدريجياً بعد ذلك لتصل أدناها خلال شهور الخريف ثم ترتفع تدريجياً خلال شهور الشتاء ثم الربيع .

٥ - تعظم عملية الانسياق الرملى الناتج بفعل الرياح الجنوبية بأنواعها خلال فصلى الشتاء والربيع حيث يتراوح خلال هذين الفصلين المتوسط الشهري لعدد الأيام التى تزيد فيها سرعة الرياح الى ٥,٥ متراً / ثانية بين يومين ، ٣,٥ يوماً ويتخفف المتوسط نفسه ليتراوح بين ٠,١ يوماً ، ١,٩ يوماً باقى شهور السنة. ويدل ذلك على أن فعل الرياح الجنوبية بأنواعها يكون محدوداً فى عملية الانسياق الرملى نحو واحة الأحساء .

وكلما زادت سرعة الرياح واشتدت قوتها وزادت قدرتها على حمل الرمال ودفعها نحو الأحساء ازدادت كمية الرمال الزاحفة فى اليوم الواحد وتحول الانسياق الرملى الى زحف رملى ، ويوضح الجدول التالى رقم (٣) توزيع عدد الأيام التى هبت فيها رياح على واحة الأحساء تزيد سرعتها عن ٩ متر/ثانية وهى المسببة للزحف الرملى على واحة الأحساء . ونستنتج من تتبع أرقامه ما يلى :

١ - يتراوح المجموع السنوى لعدد الأيام التى تزيد فيها سرعة الرياح الهابة على الأحساء عن ٩ متر / ثانية خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ م بين ١١ يوماً (عامى ١٩٩٠ ، ١٩٩٤) وهو ما يعادل نحو ٣ ٪ من جملة عدد أيام السنة ، ٢٧ يوماً (عام ١٩٨٥) وهو ما يواثرى نحو ٧,٤ ٪ من جملة عدد أيام السنة ، ويدل ذلك على أن هبوب مثل هذه الرياح على واحة الأحساء يعد محدوداً ولكن فى حالة هبوبها تتحول الحركة الرملية من عملية الانسياق إلى عملية الزحف وهى أقوى بكثير من الأولى.

٢ - يتراوح المتوسط الشهري لعدد الأيام التى تزيد فيها سرعة الرياح الهابة على الأحساء عن ٩ متر/ثانية بين ٠,٣ يوماً (سبتمبر) ، ٣,٣ يوماً (يونيو) ويزداد المتوسط نفسه فى شهور الربيع والصيف بالمقارنة بشهور الخريف والشتاء ، ويدل ذلك على تعاضد عملية الزحف الرملى خلال فصلى الربيع والصيف بالمقارنة بباقى فصول السنة .

جدول رقم (٣)

توزيع عدد الايام التي هبت فيها رياح على ولجة الأحساء تزيد سرعتها عن ٩ متر/ثانية
على شهور السنة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ م.

شهر	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤	للمعدل
يناير	-	١	-	١	-	٣	١	٢	٢	١	١,١
فبراير	٢	٢	١	٢	-	-	١	٤	١	-	١,٣
مارس	-	٢	٥	٥	٢	٢	-	٥	٦	-	٢,٧
أبريل	١	١	-	١	٣	١	١	٢	٦	١	١,٧
مايو	٨	٢	-	-	٢	٢	٣	٢	٢	-	٢,١
يونيو	٥	٥	١	١	٤	٣	٣	٣	٢	١	٣,٣
يوليو	٨	١	-	٢	١	-	١	٥	١	٤	٢,٣
أغسطس	-	-	٢	٢	-	-	٢	١	١	٢	١,٠
سبتمبر	-	١	-	-	١	-	١	-	-	-	٠,٣
أكتوبر	-	-	١	-	٢	-	١	-	-	١	٠,٥
نوفمبر	-	١	-	٢	-	-	-	-	١	١	٠,٥
ديسمبر	٣	١	-	-	٢	-	١	-	-	-	٠,٧
المجموع	٢٧	١٧	١٥	١٦	١٧	١١	١٥	٢٤	٢٢	١١	

٣ - بحساب النسبة المئوية للمجموع السنوي لعدد الأيام التي تزيد فيها سرعة الرياح التي تهب على واحة الأحساء عن ٩ متر / ثانية من المجموع السنوي لعدد الأيام التي تزيد فيها سرعة الرياح عن ٥,٥ متر / ثانية - الحد الأدنى لسرعة الرياح المسببة للحركة الرملية - يتضح أن هذه النسبة تتراوح بين ٧,٤ ٪ ، ١٨,٥ ٪ ، ورغم ما يبدو من انخفاض تلك النسب إلا أن الدراسات الجيومورفولوجية دلت على أن كمية الرمال التي ترحف على واحة الأحساء خلال ساعة واحدة بواسطة رياح تزيد سرعتها عن ٩ متر/ثانية تفوق الكمية الزاحفة التي تسببها رياح تتراوح سرعتها بين ٥,٥ متر/ثانية ، أقل من ٩ أمتار/ثانية خلال خمسة أيام (١) .

ويندر أن تزداد سرعة الرياح التي تهب على واحة الأحساء عن ٩ متر / ثانية، وقد حدث ذلك في أيام متفرقة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ وهو ما توضحه أرقام الجدول التالي رقم (٤) الذي يوضح توزيع الأيام التي هبت فيها رياح على واحة الأحساء تزيد سرعتها عن ١١ متر/ثانية ونستنتج من تتبعها الحقائق التالية :

١ - بلغ مجموع عدد الأيام التي هبت فيها رياح على واحة الأحساء تزيد سرعتها عن ١١ متر / ثانية ١٩ يوماً خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ ، وهو ما يعادل نحو ١,٤ ٪ من مجموع عدد الأيام التي هبت فيها رياح تزيد سرعتها عن ٥,٥ متر ثانية والمسببة لحركة الرمال خلال الفترة نفسها ، وهو ما يعكس ندرة هبوب مثل هذه الرياح فقد اقتصر هبوبها في ٦ سنوات فقط خلال الفترة المذكورة ، وتراوح عدد الأيام التي هبت فيها هذه الرياح بين يوم واحد في عامي ١٩٩٠ ، ١٩٩٢ ، ٣ أيام في عامي ١٩٨٨ ، ١٩٩١ ، ٥ أيام في عام ١٩٩٣ ، ٦ أيام في عام ١٩٨٥ .

٢ - تعد الرياح الشمالية الغربية أكثر اتجاهات الرياح التي هبت على الأحساء بسرعة تزيد عن ١١ متر / ثانية خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ حيث

(١) يحيى محمد شيخ أبو الخير - المصدر السابق - ص ص ١٥ - ١٦ .

جدول رقم (٤)

توزيع الأيام التي هبت فيها رياح على واحة الأحساء تزيد سرعتها عن ١١ متر/ثانية
خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤م

العلم	التاريخ	سرعة الرياح م/ث	اتجاه الرياح	عدد الأيام كل علم
١٩٨٥	٣ مايو	١١,١	ج غ	٦
	١١ مايو	١١,١	ج غ	
	٢٠ مايو	١١,٧	ج غ	
	٧ يونيو	١١,٧	ش غ	
	١٠ يونيو	١١,١	ش	
	١٧ يونيو	١١,١	ش غ	
١٩٨٨	٢٣ فبراير	١١,١	ج ق	٣
	٢٣ أبريل	١٣,٣	ج غ	
	٢٤ أبريل	١٢,٥	ش	
١٩٩٠	٥ يونيو	١١,١	ش غ	١
١٩٩١	٤ مايو	١١,٧	ش غ	٣
	٣ يونيو	١١,١	ش غ	
	١٨ أكتوبر	١١,١	ش	
١٩٩٢	١٧ أبريل	١١,١	ش ق	١
١٩٩٣	٢٦ أبريل	١١,٧	ش ع	٥
	٢٧ أبريل	٢٠,٨	ش	
	٢٤ مايو	١٢,٥	ش غ	
	٥ مارس	١١,١	ج ق	
	١٢ مارس	١١,١	ج	
لجمالي الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ م				١٩

حدث ذلك خلال ٧ أيام من تلك الفترة المذكورة يليها الرياح الشمالية الجنوبية الغربية (٤ أيام) ، ثم الجنوبية الشرقية (يومان) ثم الجنوبية والشمالية الشرقية (يوماً واحداً) .

ورغم ندرة هبوب مثل هذه الرياح ذات القدرة الشديدة على حركة الرمال التي تسبب الزحف الرملي فإن كمية الرمال التي تزحف بواسطة على واحدة الأحساء خلال يوم واحد يعادل مقدار ما يزحف خلال ١١ يوماً تحت تأثير رياح تتراوح سرعتها بين ٧,١ ، ٨,٤ متر في الثانية (١) .

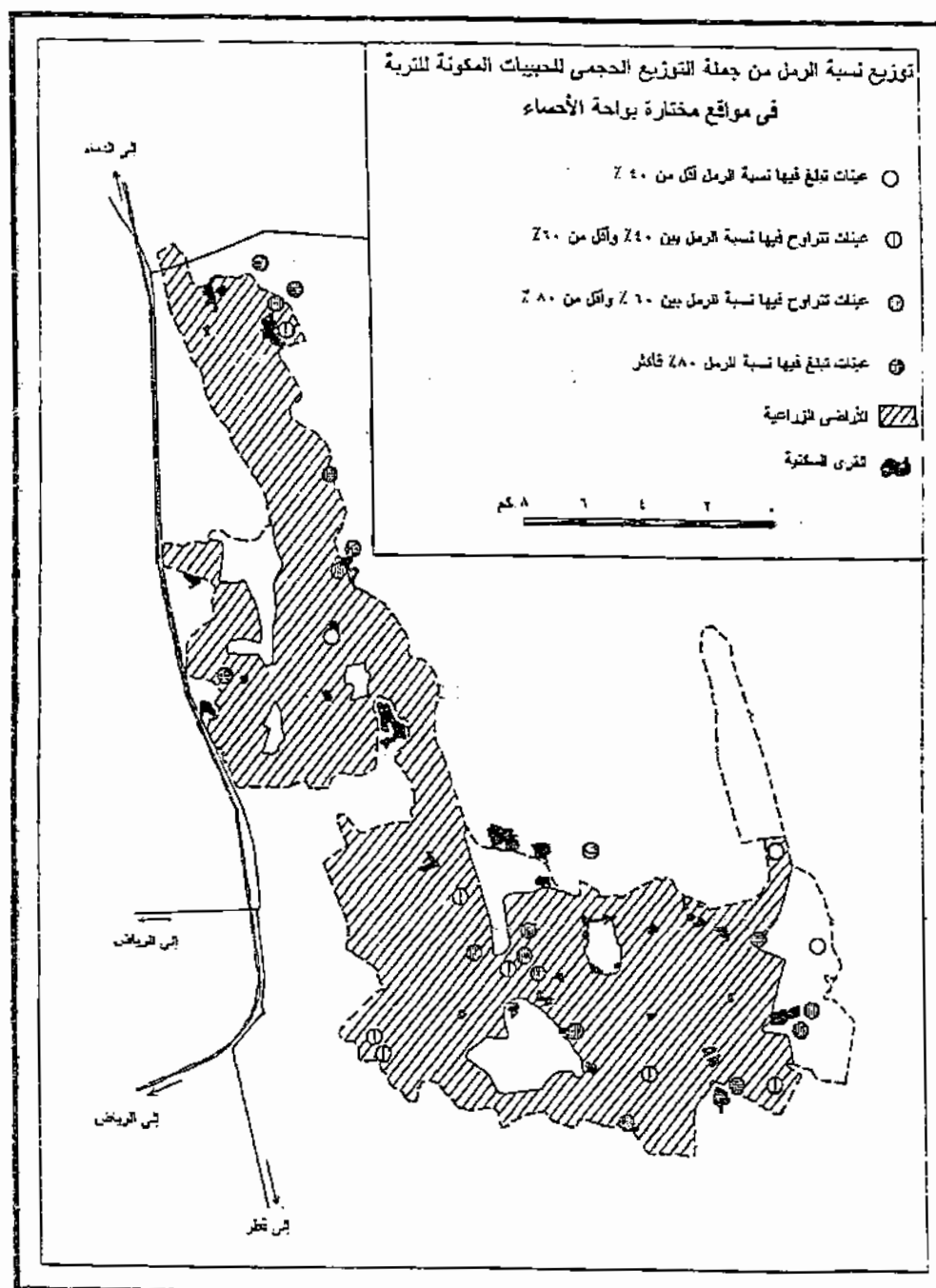
ويتضح من العرض السابق مدى خطورة الآثار الناجمة عن اتجاه وسرعة الرياح الهابة على واحدة الأحساء ، وقد أشارت بعض الدراسات بأن نحو ثمانين متراً مكعباً من الرمال تزحف كل عام عبر الأراضي الشمالية للأحساء ، وهذه الكمية من الرمال الزاحفة قد تظمر كل عام ما يعادل ٧٢٠٠ متر مربع من أراضي الواحة (٢) ، وقد قدر الباحثون في شركة أرامكو أنه إذا لم يقيم المسئولون بعمل مشروعات للحد من حركة الرمال وزحفها المستمر فإتباعها سوف تغطي كل واحدة الأحساء خلال ٦٠ عاماً (٣) . وتوجد شواهد كثيرة تدل على أن مساحات كبيرة بل قرى كاملة كانت تمتد عدة كيلو مترات إلى الشمال من حدود واحدة الأحساء الحالية قد ظمرت بالرمال واختفت وبعد مسجد جواثا التاريخي الموجود حالياً إلى الشمال بنحو ٥ كيلو مترات من قرية الكلابية داخل نطاق من الكثبان الرملية خير دليل على ذلك .

وقد أدت عمليات حركة الرمال نحو واحدة الأحساء إلى تغير خصائص تربتها الزراعية وزيادة نسبة الرمل في مكونات التربة ، ويستدل على ذلك من الشكل رقم (٦) والملحق رقم (٦) حيث نستنتج أن نسبة الرمل من جملة التوزيع الحجمي للحبيبات المكونة للتربة في العينات الموضحة تتراوح بين ٢٩٪ ، ٩٥٪ وهي نسبة مرتفعة جداً ، ويتضح أن نحو ١٠,٧٪ من مجموع العينات المختارة تقل فيها نسبة الرمل عن ٤٠٪ ،

(١) المصدر السابق - ص ١٨ .

(٢) المصدر السابق - ص ١٢ .

(٣) محمد صبري محسوب - المصدر السابق - ص ١٦ .



الخريطة من تصميم الباحث اعتماداً على أرقام الملحق رقم (٦)

شكل رقم (٦)

وتتراوح نسبة الرمل بين ٤٠ ٪ وأقل من ٦٠ ٪ فى نحو ٢٥,١ ٪ من عدد العينات ،
وتتراوح نسبة الرمل بين ٦٠ ٪ وأقل من ٨٠ ٪ فى نحو ٣٢,١ ٪ من عدد العينات ،
وترتفع نسبة الرمل إلى أكثر من ٨٠ ٪ فى نحو ٣٢,١ ٪ من عدد العينات ، وهو ما
يعكس ارتفاع نسبة الرمل إلى أكثر من ٦٠ ٪ فى حوالى ثلثى عدد العينات الموزعة داخل
أراضى الأحساء .

وتتوزع معظم العينات التى ترتفع فيها نسبة الرمل إلى أكثر من ٨٠ ٪ على
نهايات أراضى الواحة المتاخمة للنطاقات الرملية وفى الشمال والشمال الشرقى على
وجه الخصوص ، فى حين تقل نسبة الرمل فى العينات التى تقع فى الأراضى الداخلية
للواحة .

ورغم الجهود المبذولة للحد من عملية زحف الرمال نحو واحة الأحساء والعمل
المستمر المكثف فى مشروع حجز الرمال السابق الإشارة إليه إلا أنه بات من المؤكد أن
خطورة الزحف الرملى أكبر بكثير من تلك الجهود وأن الواحة بحاجة إلى عمليات تشجير
تحيط بأراضيها تعتمد على الرى الدائم وليست زراعة حظيرة كما هو متبع الآن فى
مشروع حجز الرمال وقد تكون تكلفة ذلك مرتفعة ولكنها لن تكون أخلى مسما تفقده
الأحساء من أراضى زراعية وانخفاض إنتاجية الأرض الزراعية الذى يهدد الوظيفة
الزراعية لهذه الواحة .

ثالثاً : التبخر وقطع التربة :

يصنف مناخ الأحساء وفقاً لتصنيف كوبن ضمن المناخ الجاف الذى يرتفع فيه
إجمالى التبخر السنوى إلى ضعف كمية المطر السنوى على الأقل ، ويؤثر التبخر بشكل
مباشر فى التربة الزراعية فارتفاع معدلات التبخر وما يرتبط به من ارتفاع فى حدة
الجفاف يؤدى إلى تراكم كميات كبيرة من الأملاح فوق الطبقة السطحية للتربة وبخاصة
فى ظروف مناخية محدودة الأمطر وغير منتظم التسقوط وباستخدام مياذرى ترتفع فيها
نسبة الأملاح الذائبة بها ، وهو ما ينطبق على الوضع الحالى لواحة الأحساء .

ويوضح كل من الجدولين رقم (٥) ، رقم (٦) توزيع كل من كمية التبخر الشهري وكمية المطر الشهري في واحة الأحساء خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ ، ويمكن من تتبع أرقام كل منهما والشكل رقم (٧) أن نستنتج الحقائق التالية :

١ - تتراوح كمية التبخر السنوي في واحة الأحساء خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٣ بين ٣٣٥٩ مم (عام ١٩٨٩) ، ٢٣٧٤ مم (عام ١٩٩١) ، بمدى يبلغ ٩٨٥ مم بينهما ، في حين تتراوح كمية المطر السنوي في واحة الأحساء خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤ بين ٩,٩ مم (عام ١٩٩٠) ، ١٤٨,٤ مم (عام ١٩٨٦) ، بمدى يبلغ ١٣٨,٥ مم بينهما ، ويدل ذلك على أن أعلى كمية تبخر سنوي تفوق أعلى كمية مطر سنوي بحوالي ٢٣ مرة ، وأن أقل كمية تبخر سنوي تفوق أقل كمية مطر سنوي بحوالي ٢٤٠ مرة ، وإذا ما حسبنا خارج قسمة كمية التبخر السنوي على كمية المطر السنوي خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ / ١٩٩٤ كان محصلة ذلك أن تراوح خارج القسمة بين ١٩,٧ (عام ١٩٨٦) ، ٢٩٤,٨ (عام ١٩٩٠) ، ويدل ذلك على أن كمية التبخر السنوي تفوق كمية المطر السنوي بحوالي ٢٠ مرة على الأقل وبحوالي ٢٩٥ مرة على الأكثر ، وهو تجاوز كبير جداً بينهما .

٢ - يتراوح المتوسط الشهري لكمية التبخر خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٣ بين ١٢٦,١ مم (يناير) ٣٦٩,٩ مم (يوليو) ، وترتفع معدلات التبخر خلال شهور الصيف وتقل تدريجياً خلال الخريف والشتاء لتصل أدناها في يناير ثم ترتفع تدريجياً بعد ذلك لتصل أقصاها في يوليو . شكل رقم (٨) ويعني ذلك أن الانخفاض في كميات التبخر يتوافق مع شهور المطر (نوفمبر - مايو) أما الارتفاع في كميات التبخر يتوافق مع شهور الجفاف ، وهي علاقة عكسية تؤدي إلى ارتفاع تأثير التبخر على التربة الزراعية خلال شهور الصيف خاصة ، ويؤدي ذلك إلى سرعة جفاف التربة ووصول الماء الباطني بواسطة الخاصة الشعرية إلى سطح التربة ومن ثم تتبخر المياه تاركة الأملاح في صورة قشور ملحية سطحية ، وترتفع بذلك نسبة الأملاح الذاتية في التربة مما يعوق

جدول رقم (٥)

كمية التبخر الشهري في واحة الأحساء خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٣ م

(مم)

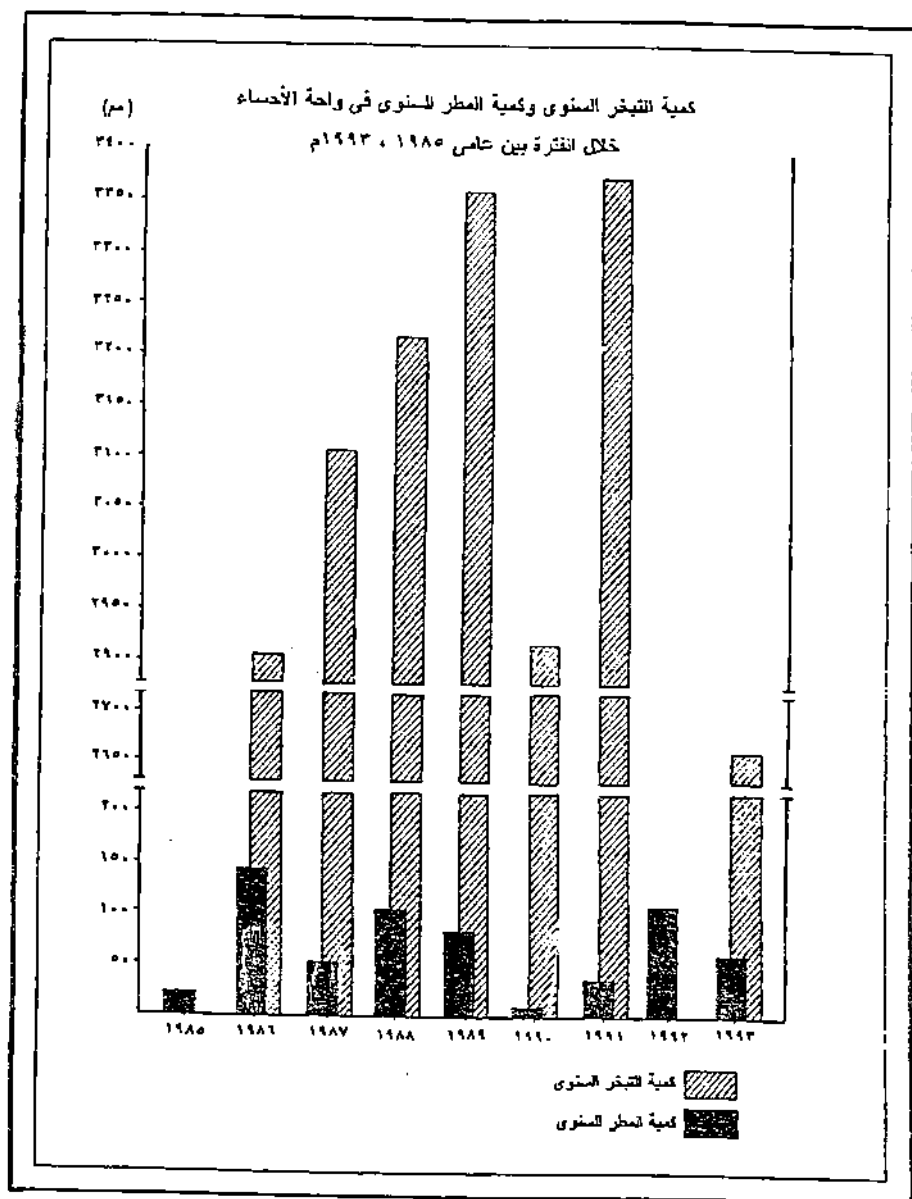
الشهر	السنة	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	المتوسط
يناير		١٤٨	١٣٣	١٣٥	١٢٤	١٤٠	١٤٧	١١٦	٢١٠	٩٥	١٣٨,٦
فبراير		١٩٢	١٤٧	١٦٥	١٢٦	١٥٥	١٥٥	١٣٧	١٣٨	١٠٦	١٤٦,٧
مارس		٢٥٠	٢٣١	١٧٩	٢٣٥	٢٢٨	٢٥٢	١٧٥	١١٦	١٩٩	٢٠٧,٢
أبريل		٢٩٣	٢٥١	٢٨٢	٢٦٩	٢٥٨	١٦١	٢٠٥	١٠٠	٢٠٢	٢٦٤,٥
مايو		٣٧٢	٤١٧	٣٣٧	٤١٨	٤٢٥	٣٨٠	٣٣٢	٣٢٣	٢٤٦	٣٦١,١
يونيو		٤٤٢	٢٨٣	٤١٢	٤٠٤	٤٤٩	٤٠٠	١٩٠	٢٦٠	٣١٦	٣٥٠,٧
يوليو	غرمين	٤٤١	٤٢٨	٤٣١	٤٣٨	٤٤١	٣٤١	٢٤٥	٢٨٨	٣٤٧	٣٦٩,٩
أغسطس	,,	١٧٩	٣٧٤	٣٧١	٤١٢	٣٨٦	٢٥٨	غرمين	٣٥١	٣٥١	٣٣٣,٠
سبتمبر	,,	٣٠٧	٢٨٨	٣٢٠	٣٢٠	٣١٥	٢٥١	٢١٤	,,	٢٣٤	٢٧٥,٦
أكتوبر	,,	٢٣٠	٢٤٩	٢٤٣	٢٥٧	١٥٢	٢١٨	,,	٢٣٧	٢٣٧	٢٢٦,٦
نوفمبر	,,	١٧٠	١٦٠	١٧٦	١٦٨	١٥٧	١٤٧	,,	١٩١	١٩١	١٦٧,٠
ديسمبر	١٠٧,٠	١٢٥	١٢٧	١٢٤	١١٤	١٣٧	١٣٧	,,	١٣٨	١٣٨	١٢٦,١
الأجمالي	غرمين	٢٩١٤	٣١٣٦	٣٢٤١	٣٣٥٩	٢٩١٩	٢٣٧٤	غرمين	٢٦٦٢	٢٦٦٢	

جدول رقم (١)

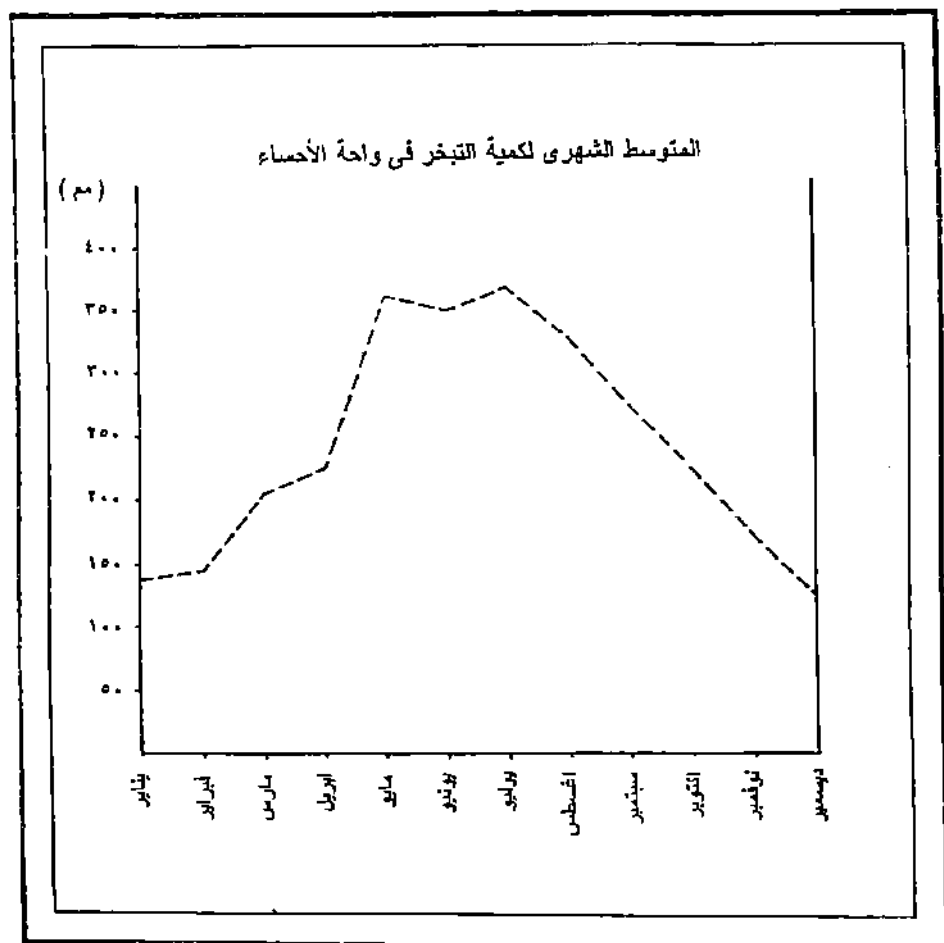
كمية المطر الشهري في ولجة الأحساء خلال الفترة بين عامي ١٩٨٥ ، ١٩٩٤م

(مم)

السنه	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١	١٩٩٢	١٩٩٣	١٩٩٤
يناير	٢,٨	١٨,٤	١,٤	١,٢	-	٢,٠	١٠,٢	٢,٨	٣٥,٠	-
فبراير	-	٥,٦	٣,٦	٦٢,٤	٢,٢	٠,٨	٨,٠	٢٦,٠	٧,٠	١,٢
مارس	-	٢٦,٦	٥٢,٤	٢,٦	٤٢,٢	١,٠	٢٤,٢	٦,٨	٢,٦	٥,٧
أبريل	٢,٢	٣٩,٨	١,٤	٣٥,٢	١١,٢	٥,٧	٠,٢	٧,٤	١٥,٢	٢,٢
مايو	٧,٤	١,٠	-	-	-	-	-	١,٢	٠,٨	١٥,٢
يونيو	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
يوليو	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
أغسطس	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
سبتمبر	-	-	-	-	-	-	٠,٢	-	-	-
أكتوبر	-	-	-	-	-	-	-	-	-	٦,٧
نوفمبر	٠,٤	١,٦	-	-	-	-	١,٢	-	٠,٤	-
ديسمبر	١١,٦	٦١,٤	٠,٦	٨,٤	٢٤,٦	٠,٤	٤,٠	٦٥,٦	-	-
المتوسط	٢٤,٤	١٤٨,٤	٥٩,٤	١٠٩,٨	٨٠,٢	٩,٩	٤٧	١٠٩,٨	٦٢	٣٠,٢



شكل رقم (٧)



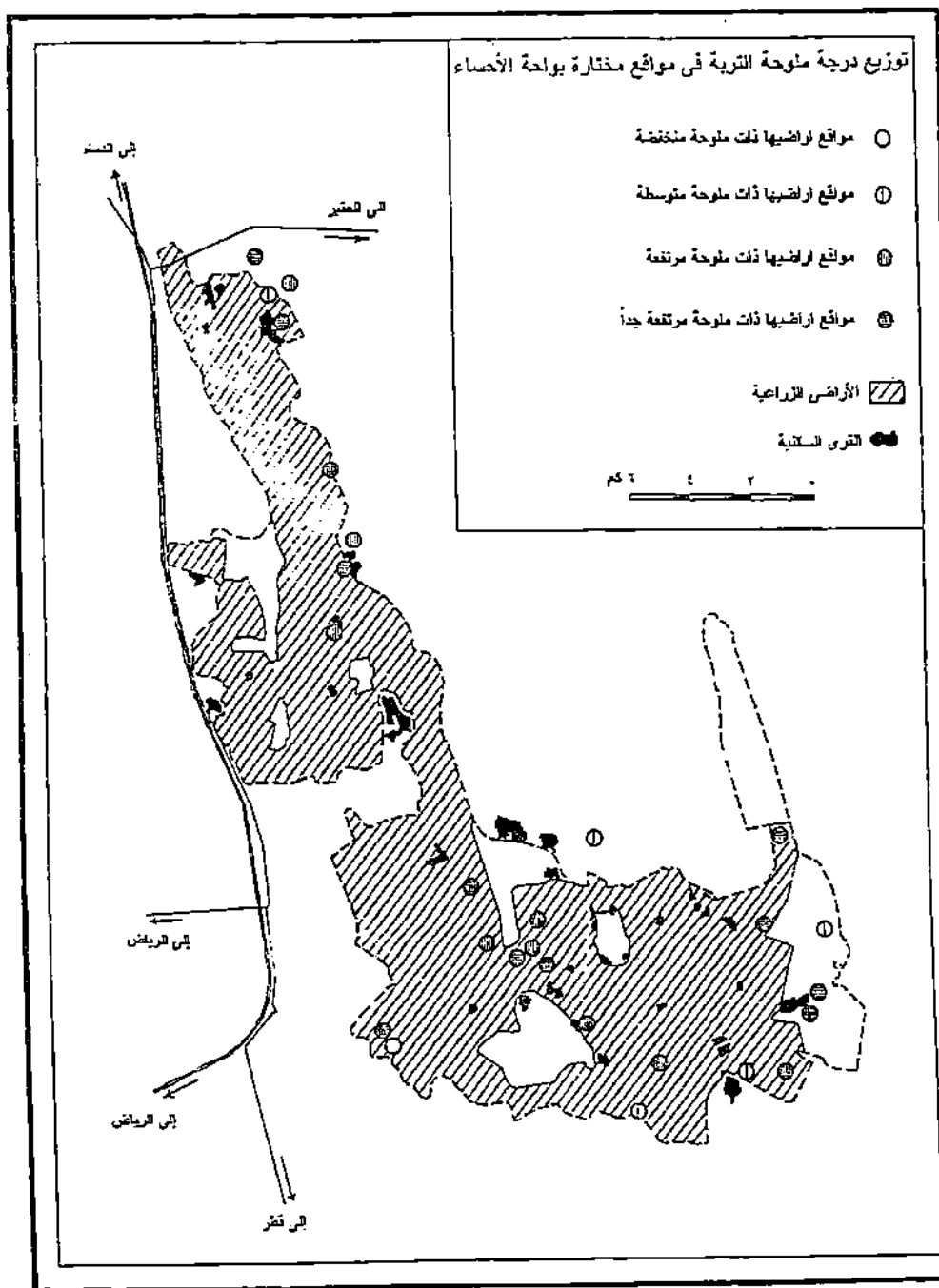
شكل رقم (٨)

حركة المياه داخل جسم النبات ويرفع من ضغطه لدرجة تجعله يستقر في الجذور أو في التربة ذاتها رغم أن النبات يكون في أشد الحاجة إليه (١) .

وتعتمد الزراعة في واحة الأحساء على مياه العين - كما سبق الإشارة - وهي مياه تتراوح فيها نسبة الأملاح بين ١٤٣٠ جزء في المليون ، ١٥٧٠ جزء في المليون ، وقد تم في عام ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م افتتاح مشروع جديد يهدف إلى استخدام مياه الصرف في الري عن طريق خلطها بعد ترشيحها فقط (٢) بمياه الري في القناة الرئيسية للري وهذا المشروع من شأنه أن يضيف نحو مليون متر مكعب من مياه الري سنوياً وسوف يؤدي ذلك إلى ارتفاع نسبة الأملاح الذاتية في مياه الري المخلوطة بمياه الصرف إلى ما يتراوح بين ٢٠٠٠ ، ٢٥٠٠ جزء في المليون (٣) ، وهي درجة عالية تشكل مع ارتفاع معدلات التبخر بواحة الأحساء خطراً يهدد الزراعة بها .

وتوضح أرقام الملحق رقم (٦) والشكل رقم (٩) توزيع درجة ملوحة التربة في مواقع مختارة بواحة الأحساء ونستنتج من تتبعه أن درجة التوصيل الكهربائي في التربة في العينات الموضحة تتراوح بين ٥ ، ١٧٤ مليموز / سم وأن نحو ٣,٦٪ من عدد العينات المختارة تقع في أراضي ذات ملوحة منخفضة تنخفض فيها درجة التوصيل الكهربائي إلى أقل من ٥ مليموز / سم ، وأن نحو ١٧,٩٪ من عدد العينات المختارة تقع في أراضي ذات ملوحة متوسطة تتراوح فيها درجة التوصيل الكهربائي بين ٥ ، ١٠ مليموز / سم ، وأن حوالي ٢٨,٦٪ من عدد العينات تقع في أراضي ذات ملوحة مرتفعة حيث تتراوح فيها درجة التوصيل الكهربائي بين ١٠ ، وأقل من ٣٠ مليموز / سم ، وأن حوالي ٤٢,٩٪ من عدد العينات تقع في أراضي ذات ملوحة مرتفعة جداً حيث ترتفع فيها درجة التوصيل الكهربائي إلى أكثر من ٣٠ مليموز / سم . ويدل

- (١) محمد صبري محسوب - المصدر السابق - ص ٦ .
- (٢) وهي المرحلة الحالية حيث يهدف المشروع إلى كلورة وكربنة المياه أيضاً لكن هذه المراحل لم تنفذ حتى الآن .
- (٣) بيانات مستقاة من المقابلة الشخصية مع مفسوي هندسة الري بمشروع الري والصرف بالأحساء .



خريطة من تصميم الباحث اعتماداً على أرقام الملحق رقم (٩)

شكل رقم (٩)

ذلك على أن نحو ٧١,٥٪ من عدد العينات تقع في أراضي ذات ملوحة مرتفعة ومرتفعة جداً . وتتوزع معظم الأراضي ذات الملوحة المنخفضة والمتوسطة في نطاقات جنوبية من واحة الأحساء ، في حين تتوزع معظم الأراضي ذات الملوحة المرتفعة والمرتفعة جداً في باقي نطاقات الواحة .

ويعد سيادة النسب المرتفعة للأملاح الذائبة في التربة بواحة الأحساء مؤشراً خطيراً في وجود المعدلات المرتفعة جداً للتبخّر ، وإرتفاع نسبة الأملاح الذائبة في مياه الري ، الأمر الذي يؤدي إلى تملح الأراضي الزراعية وإرتفاع الضغط الأسموزي لها مما يؤدي إلى ضعف قدرة النباتات على امتصاص حاجته من التربة ، ويترتب على ذلك نقص في نمو جنود النبات وانخفاض وزن الأوراق مما يقلل مساحتها وبالتالي عدد الثخثر التي يمر الماء الناتج من عملية النتج خلالها ، ويمضي آخر يؤدي ارتفاع تركيز الأملاح في التربة إلى نقص المجموع الجذري الذي يمتص الماء ونقص الأوراق التي تنتج هذا الماء ، ويكون من محصلة ذلك انخفاض إنتاجية المحاصيل المزروعة بسبب هذه المعوقات التي يسببها ارتفاع درجة تركيز الأملاح بالتربة الزراعية ، فعلى سبيل المثال انخفض متوسط إنتاجية النخلة من البلح صنف الخلاص - أشهر أنواع نخيل البلح في الأحساء - من حوالي ١,٨ طن عام ١٩٨٦م إلى نحو ٨٠٠ كيلو جراماً عام ١٩٩٢م . وتحتاج أراضي الأحساء الزراعية إلى عمليات غسيل بالأضافة إلى رفع كفاءة الصرف بزيادة تعميق المصارف الحالية باستمرار حيث تترسب بداخلها الرمال وترفع من أعماقها إلى مستوى أعلى من مستوى الماء الجوفي .

وبعد .. يمكن أن نلخص أهم نتائج هذه الدراسة على النحو التالي:

١ - تنخفض درجة الحرارة الصغرى إلى 6°م فى واحة الأحساء بشكل

محدود خلال شهور الشتاء فى حين ترتفع درجة الحرارة العظمى إلى

أكثر من 35°م بشكل كبير خلال شهور الصيف، وتتعرض زراعة

المحاصيل الصيفية لخطر التوقف عن النمو والذبول بشكل أكبر من

تعرض المحاصيل الشتوية لهذه المخاطر ويكون موسم النمو

الزراعى الشتوى أنسب مناخياً للزراعة من مثيله الصيفى، وقد أثر

ذلك على المساحة المحصولية بالأحساء حيث تعادل مساحة المحاصيل

الشتوية حوالى أربعة أمثال ونصف مساحة المحاصيل الصيفية.

٢ - تعد للرياح الشمالية الغربية أكثر أنواع الرياح تأثيراً فى واحة الأحساء

وأكثرها تكراراً فى هبوبها على الواحة يليها الرياح الشمالية ثم

الشمالية الشرقية فى حين تؤثر باقى اتجاهات الرياح بشكل محدود

على الواحة. وترتفع نسب هبوب الرياح الشمالية الغربية والرياح

الجنوبية خلال شهور الشتاء فى حين ترتفع نسب هبوب الرياح

الشمالية والشمالية الشرقية خلال شهور الصيف. وتعد كل من رمال

النقود شمال الأحساء ورمال الجافورة شرق الأحساء أهم مصادر

الرمال على الواحة معظم فترات السنة، وتزايد كمية الرمال الزاحفة

من النقود والربع الخالى خلال شهور الشتاء، والرمال الزاحفة من

الجافورة خلال شهور الصيف.

٣ - يحدث الانسياق الرملى نحو واحة الأحساء فى فترة تتراوح بين ثلث

للعام، ونصف العلم تقريباً، وتعد الرياح الشمالية بأنواعها أكثر

أنواع الرياح المسيبة للانسياق الرملى على واحة الأحساء. وتعظم عملية الانسياق الرملى الناجم عن الرياح الشمالية بأنواعها خلال شهور الصيف. فى حين تعظم عملية الانسياق الرملى الناتج بفعل الرياح الجنوبية بأنواعها خلال فصلى الشتاء والربيع.

٤ - تهب الرياح المسيبة للزحف الرملى التى تزيد سرعتها عن ٩ متر/ثانية. على واحة الأحساء بشكل محدود، ويتكرر هبوبها بشكل أكثر خلال فصلى الربيع والصيف حيث تزيد عملية الزحف الرملى خلال هذين الفصلين.

٥ - ينذر هبوب الرياح التى تزيد سرعتها عن ١١ متر/ ثانية على واحة الأحساء وقد اقتصر هبوبها فى ١٩ يوما فقط خلال الفترة بين عامى ١٩٨٥، ١٩٩٤. وتعد الرياح الشمالية الغربية أكثر اتجاهات الرياح التى هبت على الأحساء بسرعة تزيد عن ١١ متر/ثانية، ورغم ندرة هبوب هذا النوع من الرياح إلا أن كمية الرمل التى تزحف بواسطتها على واحة الأحساء خلال يوم واحد تعادل مقدار ما يزحف خلال ١١ يوما تحت تأثير رياح تتراوح سرعتها بين ٧،١، ٨،٤ م/ ثانية.

٦ - ترتفع نسبة الرمل فى التربة الزراعية بواحة الأحساء نتيجة الزحف الرملى عليها حيث تتراوح بين ٢٩٪، ٩٥٪ من جملة التوزيع الحجمى للحبيبات المكونة للتربة، وتزيد هذه النسبة فى أراضي الواحة المتاخمة للنطاقات الرملية فى الشمال والشمال الشرقى على وجه الخصوص.

٧ - ترتفع كمية التبخر السنوى فى واحة الأحساء لدرجة تفوق كمية المطر السنوى بحوالى ٢٠ مرة على الأقل وبحوالى ٢٩٥ مرة على الأكثر، وترتفع معدلات التبخر خلال شهور الصيف بالمقارنة بباقي فصول

السنة، ويتوافق الانخفاض فى كميات التبخر مع شهور المطر والعكس صحيح.

٨ - ترتفع درجة ملوحة التربة الزراعية بواحة الأحساء نتيجة ارتفاع معدلات التبخر وترسب الأملاح الذائبة فى مياه الري حيث تتراوح درجة التوصيل الكهربائى فى التربة بين ٥، ١٧٤ ملليموز/سم ٢، وتتنوع معظم الأراضى ذات الملوحة المنخفضة والمتوسطة فى النطاقات الجنوبية من الواحة فى حين تتوزع معظم الأراضى ذات الملوحة المرتفعة المرتفعة جدا فى باقى نطاقات الواحة.

٩ - يشكل كل من الانحراف الحرارى عن الحدود الدنيا للنمو الجوهري للنبات وما يسببه من انخفاض طول موسم النمو الزراعى، اتجاهات الرياح وسرعتها وما تسببه من انسياب أو زحف رملى نحو الواحة، ارتفاع معدلات التبخر بشكل كبير جدا وما يسهم به فى مشكلة تملح الأراضى الزراعية، تشكل هذه العناصر المناخية الثلاثة خطرا مؤكدا على الزراعة فى واحة الأحساء، وهى عناصر مناخية يصعب التحكم فيها والتقليل منها، فعلى الرغم مما وصل إليه الإنسان من مستوى تكنولوجيا متطور إلا أن محاولاته للتحكم فى العناصر المناخية لا زالت متواضعة جدا وتمارس على مساحة محدودة جدا من الأرض، ولذلك سوف يظل هذا الوضع المناخى لواحة الأحساء خطرا مستمرا يهدد الزراعة.

١٠ - تقتصر الجهود المبذولة لمقاومة زحف الرمال نحو واحة الأحساء على مشروع حجز الرمال-عملية تشجير الكثبان الرملية - الذى يقع إلى الشمال من الواحة الشرقية فقط رغم أن الواحة الشمالية تعد أكثر جهات الأحساء تعرضا لزحف الرمال، ولهذا فمن المفيد أن

تشمل تلك الجهود جميع أراضي الواحة وأن تحيط عملية التشجير بنهايات أراضي الواحة في جميع الاتجاهات وأن تعتمد زراعتها على الري الدائم وليس الزراعة المطرية لضمان نموها بشكل أكثف وأسرع مما هو موجود حالياً في المشروع الذي تعتمد عملية التشجير فيه على الزراعة المطرية في أربع مصدات شجرية وعلى الري الدائم في مصدر واحد فقط.

١١ - يجب ألا تقتصر جهود مقاومة الزحف الرمل على عملية تشجير الكثبان الرملية بغرض تثبيتها فقط، وزيادة الاستعانة بحلول أخرى كتغطية الكثبان بالبيترول أو الماروت، أو نقلها بواسطة الآليات أو تغطيتها بالحصى أو الأسمنت.

١٢ - يجب الاهتمام بتعديل خصائص التربة الزراعية وزيادة المادة العضوية بها وغسلها باستمرار ورفع كفاءة الصرف بحفر وتعميق المصارف وتطهيرها من الأعشاب والرمال المترسبة فيها حتى ينخفض مستوى الماء الأرضي وبالتالي تقل كمية الأملاح الذائبة في التربة.

١٣ - يجب أن يتوافق التركيب المحصولي مع الخصائص الحرارية للأحساء بحيث تزرع محاصيل تتحمل بشكل أكبر الانحرافات الحرارية المسائدة، وزيادة الاهتمام بزراعة المحاصيل الشتوية باعتبارها تنمو في أنسب مواسم النمو الزراعي بالواحة.

١٤ - تحتاج محاولات التقليل من أضرار المخاطر المناخية على الزراعة في واحة الأحساء لجهد كبير مستمر ياهظ التكاليف لكي يمكن الحفاظ على الأرض الزراعية واستمرار العملية الزراعية، بالواحة الأمر الذي يدعو إلى تعاون كل الأجهزة المعنية بالزراعة للحفاظ على الموارد الزراعية واستمرار الوظيفية الزراعية للأحساء.

ملحق رقم (١)

توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٨٦								
الشهر الاتجاه	ش	ش ق	ق	ع ق	ع	ع غ	غ	ش غ
يناير	٦,٥	٩,٧	٣,٢	٩,٦	٩,٦	٦,٥	٣,٢	٤٥,٢
فبراير	١٧,٩	٣,٦	-	٧,١	٣٩,١	-	٣,٦	٣٥,٧
مارس	٢٥,٨	٢٥,٨	٣,٢	٩,٧	٢٥,٨	٩,٧	-	-
أبريل	٢٦,٧	٢٠,٠	٣,٢	-	٢٣,٢	٦,٧	٦,٧	١٣,٢
مايو	٣٨,٧	١٦,١	-	٦,٤	١٢,٩	١٩,٤	-	٦,٥
يونيو	٤٣,٣	٦,٧	٦,٧	-	-	-	٣,٢	٤٠,٠
يوليو	٤٥,٢	٩,٧	٣,٢	٣,٢	٣,٢	-	٣,٢	٣٩,٢
أغسطس	٤١,٩	٣٢,٣	-	-	١٢,٩	٦,٤	-	٦,٥
سبتمبر	١٦,٧	٤٣,٣	-	-	٢٠,١	١٣,٢	٣,٢	٣,٢
أكتوبر	١٩,٤	١٢,٩	-	٣,٢	١٩,٤	٦,٤	٦,٤	٣٢,٣
نوفمبر	٣٠,٠	-	١٠,١	٣,٢	٣٠,٠	٣,٢	-	١٣,٢
ديسمبر	١٢,٩	-	-	٩,٧	٢٥,٨	٣,٢	-	٤٨,٤

توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٨٥								
الشهر الاتجاه	ش	ش ق	ق	ع ق	ع	ع غ	غ	ش غ
يناير	٣٥,٥	٦,٤	-	٩,٧	٣,٢	٢٢,٦	٣,٢	١٩,٤
فبراير	٤٢,٩	-	-	٣,٥	١٤,٣	٣,٦	٣,٦	٣٩,١
مارس	٥١,٦	٢٢,٦	-	٣,٢	٩,٧	٩,٧	-	٣,٢
أبريل	٢٦,٧	١٣,٢	٣,٢	٣,٢	٣,٢	٢٠,١	٦,٧	٢٣,٢
مايو	٢٥,٨	١٢,٩	-	-	٦,٥	٢٢,٦	٣,٢	٢٩,٠
يونيو	٢٣,٣	٣,٢	-	-	-	-	١٣,٤	٥٠,٠
يوليو	٤٥,٢	٣,٢	-	-	-	-	٣,٢	٤٨,٤
أغسطس	٢٢,٣	١٢,٩	-	-	٣,٢	٦,٥	٦,٥	٢٨,٦
سبتمبر	٢٣,٣	٢٢,٣	-	٣,٢	-	١٠,٠	٦,٧	٣٣,٤
أكتوبر	٤٥,٢	١٦,١	٣,٢	٣,٢	٦,٤	٦,٥	-	١٩,٤
نوفمبر	٤٣,٣	٦,٧	٣,٢	-	٢٣,٤	٣,٢	٣,٢	١٦,٧
ديسمبر	٢٥,٨	-	٣,٢	٣,٢	٣,٢	٢٢,٦	٣,٢	٣٨,٧

ملحق رقم (٢)

توزيع النسبة المئوية لارتفاعات الرياح المسجلة في واجهة الإحصاء على شهور السنة

١٩٨٨								
للمشهر الاتجاه	ش	ش ن	ق	ج ق	ج	ج ع	ع	ش غ
يناير	١٦,١	-	٣,٢	٢,٥	٢٥,٨	-	-	٤٨,٤
فبراير	٢٧,٦	٦,٩	٦,٩	١٣,٨	١٠,٣	-	-	٣٤,٥
مارس	٤٥,٢	٦,٤	-	-	٢٥,٨	-	-	٢٢,٦
أبريل	٣٠,٠	١٦,٧	-	-	١٣,٢	١٦,٧	-	٢٢,٣
مايو	٥٨,١	-	-	-	٦,٤	٣,٢	٦,٥	٢٥,٨
يونيو	٤٣,٣	٢٣,٣	٣,٣	-	٢,٤	٣,٤	-	٢٢,٣
يوليو	٢٩,٠	١٩,٤	-	-	٩,٧	-	٢,٢	٣٨,٧
أغسطس	٣٥,٥	١٩,٤	-	-	٩,٧	٣,٣	٢,٢	٢٩,٠
سبتمبر	٦٦,٧	١٦,٧	-	-	٣,٣	٣,٣	-	١٠,٠
أكتوبر	٣٢,٣	٣,٢	٦,٤	-	٢٥,٨	٩,٧	٩,٧	١٢,٩
نوفمبر	٢٠,٠	-	-	-	٢٢,٣	-	٦,٧	٤٠,٠
ديسمبر	٢٢,٦	-	-	-	٢٥,٨	٢,٢	-	٤٨,٤

توزيع النسبة المئوية لارتفاعات الرياح المسجلة في واجهة الإحصاء على شهور السنة

١٩٨٧								
للمشهر الاتجاه	ش	ش ن	ق	ج ق	ج	ج ع	ع	ش غ
يناير	٢٢,٦	-	-	-	٢٦,٠	-	-	٤٨,٤
فبراير	٢٥,٠	١٠,٧	-	١٠,٧	٢٢,٣	-	-	٢٦,٤
مارس	٤٨,٤	٣,٢	٣,٢	٦,٥	٢٢,٦	-	٣,٢	١٢,٩
أبريل	٤٣,٣	-	٣,٣	٣,٣	٢٦,٧	١٦,٧	١٠,٠	٦,٧
مايو	٢٥,٨	٢٢,٦	٣,٢	-	١٩,٤	٢٢,٦	-	١٦,١
يونيو	٤٣,٣	٣,٣	٣,٣	-	٦,٧	١٢,٣	٦,٧	٢٢,٤
يوليو	٤٥,٢	٦,٥	-	٢,٢	٦,١	-	٦,٤	٢٢,٦
أغسطس	٣٥,٤	٢٥,٨	٣,٢	٣,٢	٢,٢	٢,٢	-	٢٥,٨
سبتمبر	٤٠,٠	١٠,٠	٣,٢	٣,٢	٦,٧	١٢,٣	٦,٧	١٦,٧
أكتوبر	٢٢,٦	٢٢,٦	٣,٢	٣,٢	٢٩,٠	٦,٧	-	٩,٧
نوفمبر	١٦,٧	-	٣,٢	-	١٦,٧	٦,٧	٣,٢	٥٣,٣
ديسمبر	١٩,٤	-	٦,٤	١٦,١	٢٢,٦	-	-	٣٥,٥

ملحق رقم (٣)

توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٩٠								الشهر الاتجاه
ش غ	غ	ج غ	ج	ج ق	ق	ش ق	ش	
٥٩,٦	-	-	١٢,٩	٣,٢	-	٣,٢	٢٩,١	يناير
٥٠,٠	-	-	١٠,٧	١٤,٣	-	٧,١	١٧,٩	فبراير
٣٢,٣	٣,٢	٣,٢	١٢,٩	٦,٥	٣,٢	١٢,٩	٢٥,٨	مارس
١٣,٤	٣,٢	٦,٧	١٣,٣	٣,٢	-	١٣,٢	٤٦,٧	أبريل
٣٨,٧	-	٣,٢	-	-	٣,٢	٣,٢	٥١,٦	مايو
٧٠,٠	-	٣,٤	٣,٣	-	٣,٣	٦,٧	١٣,٣	يونيو
٦١,٣	-	٣,٢	٣,٢	٣,٢	-	٩,٧	١٩,٤	يوليو
٤٨,٤	٣,٢	-	-	-	-	٩,٧	٣٨,٧	أغسطس
٤٣,٣	-	-	-	-	-	١٦,٧	٤٠,٠	سبتمبر
٤٦,٩	-	٣,٢	٢٩,١	٣,٢	-	٩,٧	١٢,٩	أكتوبر
٦٠,٠	-	٣,٣	٢٦,٧	-	-	٣,٣	٦,٧	نوفمبر
٦٤,٥	٦,٥	٣,٢	١٢,٩	٣,٢	-	٣,٢	٦,٥	ديسمبر

توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٨٩								الشهر الاتجاه
ش غ	غ	ج غ	ج	ج ق	ق	ش ق	ش	
٥٩,٦	-	-	٢٢,٥	٦,٥	-	-	١٩,٤	يناير
٣٥,٧	-	-	١٠,٧	٧,١	-	٧,١	٣٩,٤	فبراير
١٦,١	٣,٢	٦,٥	٢٩,٠	٦,٥	٩,٧	٣,٢	٢٥,٨	مارس
١٠,٠	١٣,٣	١٦,٧	١٣,٣	٦,٧	-	١٣,٣	٢٦,٧	أبريل
٢٩,٠	-	-	١٩,٤	-	٦,٥	٦,٤	٣٨,٧	مايو
٥٣,٣	-	-	-	-	٣,٣	١٠,١	٢٢,٣	يونيو
٣٨,٧	-	-	٦,٥	-	-	١٦,١	٣٨,٧	يوليو
٤٨,٤	-	-	٣,٢	-	-	٢٩,٠	١٩,٤	أغسطس
٢٣,٣	٦,٧	٣,٣	-	-	-	٣٠,٠	٢٦,٧	سبتمبر
٢٢,٩	٩,٧	٣,٣	٢٢,٣	٣,٢	٣,٢	٣,٢	٢٢,٥	أكتوبر
١٦,٦	-	١٠,٠	٢٠,٠	٦,٧	٣,٣	١٦,٧	٢٦,٧	نوفمبر
٥٤,٨	-	٣,٢	١٩,٣	٩,٧	-	٦,٥	٦,٥	ديسمبر

ملحق رقم (٤)

توزيع النسبة المئوية لانتجات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٩٢								
الشهر الاتجاه	ش	ش ق	ق	ج ق	ج	ج غ	غ	ش غ
يناير	٦,٥	-	٣,٢	٩,٧	٩,٦	٦,٥	٣,٢	٦١,٣
فبراير	١٧,٢	-	٣,٤	١٠,٣	١٠,٣	-	٣,٥	٥٥,٣
مارس	٢٩,٠	١٢,٩	٣,٢	٩,٧	١٩,٤	-	-	٢٥,٨
أبريل	١٦,٧	١٠,٠	-	١٣,٣	١٦,٧	١٠,٠	٣,٣	٣٠,٣
مايو	٢٥,٨	٩,٦	٣,٢	٦,٥	٢٢,٦	-	-	٣٢,٣
يونيو	٦,٧	٣,٣	-	٦,٧	٢٠,٠	٣,٣	١٠,٠	٥٠,٠
يوليو	٩,٧	٣,٢	-	-	-	٢,٢	١٩,٤	٦٤,٥
أغسطس	٢٢,٦	٣,٢	-	-	١٦,١	٦,٥	٩,٧	٤١,٩
سبتمبر	٣٦,٧	١٣,٣	-	-	٣,٣	٦,٧	١٦,٧	٢٣,٣
أكتوبر	١٩,٤	-	-	-	-	٣,٢	٢٩,٠	٤٨,٤
نوفمبر	٢٠,٠	-	٣,٣	٦,٧	٢٠,٠	٣,٣	-	٤٦,٧
ديسمبر	٣,٢	٦,٥	٦,٥	١٢,٩	٩,٦	-	٦,٥	٥٤,٨

توزيع النسبة المئوية لانتجات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٩١								
الشهر الاتجاه	ش	ش ق	ق	ج ق	ج	ج غ	غ	ش غ
يناير	١٦,١	٣,٢	٣,٢	٣,٢	١٩,٤	-	-	٥٤,٩
فبراير	٢٨,٦	٣,٦	٣,٦	٧,١	٧,١	-	-	٥٠,٠
مارس	٦,٤	٦,٥	٣,٢	١٣,٠	١٣,٠	٣,٢	٦,٤	٤٨,٣
أبريل	١٦,٧	١٠,٠	٣,٣	-	٦,٧	٣,٣	٣,٣	٥٦,٧
مايو	١٢,٩	٣,٢	-	-	٦,٥	٦,٥	٦,٤	٦٤,٥
يونيو	٣٣,٣	١٠,٠	-	-	٦,٧	٣,٣	٣,٣	٤٣,٤
يوليو	١٩,٤	-	-	-	-	-	٦,٤	٧٤,٢
أغسطس	١٩,٤	-	-	-	-	-	-	٨٠,٦
سبتمبر	٦,٧	١٠,٠	٦,٧	٣,٣	١٠,٠	-	٣,٣	٦٠,٠
أكتوبر	٣٨,٧	١٦,١	٦,٥	٣,٢	-	-	-	٣٥,٥
نوفمبر	-	٦,٧	٣,٣	٦,٧	٢٦,٧	١٠,٠	٣,٣	٤٣,٣
ديسمبر	٦,٥	-	٣,٢	١٦,١	٢٢,٦	٣,٢	-	٤٨,٤

ملحق رقم (٥)

توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٩٤								
الشهر الاتجاه	ش	ش ق	ق	ج ق	ج	ج غ	غ	ش غ
يناير	١٢,٩	-	-	٣,٢	٣٨,٧	٣,٢	٣,٣	٣٨,٧
فبراير	١٧,٩	-	-	٣,٥	٢١,٤	٢,٦	-	٥٣,٦
مارس	١٦,١	١٢,٩	١٦,١	٦,٥	٩,٧	-	٣,٢	٣٥,٥
أبريل	١٣,٣	٢٠,٠	٣,٣	١٠,٠	١٦,٧	٢,٢	١٣,٣	٢٠,١٠
مايو	١٩,٤	١٦,٠	-	٣,٢	٦,٥	٩,٧	٩,٧	٣٥,٥
يونيو	٦,٧	٣,٣	-	-	-	٦,٧	٥٠,٠	٢٣,٣
يوليو	٣,٢	-	-	-	-	-	٢٥,٨	٧١,٠
أغسطس	٣٢,٣	١٦,١	-	-	-	-	١٩,٤	٣٢,٢
سبتمبر	٢٦,٧	٢٦,٧	٣,٣	-	-	١٣,٣	١٠,٠	٢٠,٠
أكتوبر	١٩,٤	٢٩,٠	٩,٧	٩,٧	٦,٥	٣,٢	٦,٥	١٦,٠
نوفمبر	٣٠,٠	٦,٧	-	٣,٣	٤٦,٧	١٠,٠	-	٣,٣
ديسمبر	٣٨,٧	٣,٢	-	٣,٢	١٩,٤	٦,٥	-	٢٩,٠

توزيع النسبة المئوية لاتجاهات الرياح السائدة في واحة الأحساء على شهور السنة

١٩٩٣								
الشهر الاتجاه	ش	ش ق	ق	ج ق	ج	ج غ	غ	ش غ
يناير	٦,٥	٣,٢	-	٦,٥	٩,٦	٣,٢	١٦,١	٥٤,٨
فبراير	١٠,٧	٧,١	-	١٠,٧	١٠,٧	٣,٦	٣,٦	٥٣,٦
مارس	-	١٢,٩	-	١٩,٤	١٢,٩	٦,٤	٣,٢	٤٥,٢
أبريل	٣٠,٠	١٠,٠	٣,٣	٣,٣	٣,٣	٣,٣	٣,٤	٤٣,٤
مايو	٩,٧	٢,٢	٣,٢	٦,٥	٦,٥	-	٣,٢	١٧,٧
يونيو	٦,٧	٣,٣	-	-	٢,٣	٦,٧	١٣,٣	٦٦,٧
يوليو	١٢,٩	٩,٧	-	-	-	-	١٢,٩	٦٤,٥
أغسطس	٣٢,٣	١٢,٩	٣,٢	٣,٢	٣,٢	-	٦,٥	٣٨,٧
سبتمبر	٣٣,٣	١٣,٣	٣,٣	-	٦,٧	٣,٣	١٣,٤	٢٦,٧
أكتوبر	٢٢,٦	٣٢,٣	-	٣,٢	١٦,١	٣,٢	-	٢٢,٦
نوفمبر	٢٠,٠	-	-	٦,٧	٢٠,٠	٣,٣	-	٥٠,٠
ديسمبر	١٢,٩	٦,٥	-	-	١٢,٩	٦,٥	٣,٢	٥٨,٠

ملحق رقم (٦)

نسبة الرمل من جملة للتوزيع الحجمي للعينات لتكوين التربة ودرجة التوصيل الكهربائي
في عينات تربة مختارة موزعة داخل واحة الأحساء (١)

م	الموقع	نسبة الرمل (٢)	التوصيل الكهربائي	م	للموقع	نسبة الرمل	التوصيل الكهربائي
١	٨ كم شرق جبل القارة	٣٤	٧٤	١٨	٦ كم شمال شرق المراح	٨٧	٥,٣
٢	٧ كم شمال شرق جبل القارة	٢٩	١٢٥	١٩	٥,٥ كم شمال شرق المراح	٦٠	٧٠,٣
٣	١١ كم شرق جبل القارة	٨٣	٨,٥	٢٠	٦ كم شمال للمراح	٩٥	١١
٤	١١ كم شمال شرق جبل القارة	٨٠	٥٤	٢١	جنوب شرق الجشة	٦٣	٨٩
٥	٤,٧ كم شمال جبل القارة	٨١	٥	٢٢	شرق قرية الجشة	٦٤	٤٠
٦	٧,٥ كم جنوب جبل القارة	٩٥	٦	٢٣	٥,٥ كم شمال شرق القرن	٨٠	١٤,٧
٧	٦,٥ كم جنوب شرق جبل القارة	٥٢	١٢٧	٢٤	٥ كم شمال شرق القرن	٨٩	٣,٣
٨	٢,٥ كم شرق مركز الهفوف	٥٤	٥٨	٢٥	٥,٥ كم غرب القرن	٦٩	٥٩
٩	٦ كم شمال شرق مركز الهفوف	٧٥	٢١	٢٦	٥ كم جنوب شرق قرية القرن	٩١	٣
١٠	٨ كم شرق مركز الهفوف	٧٩	٢٠	٢٧	٥ كم جنوب شرق القرن	٩٢	٨
١١	٢,٥ كم شمال مركز الهفوف	٦٧	٩	٢٨	٣,٥ كم شمال قرية القرن	٩٢	٥
١٢	٦ كم شمال شرق مركز الهفوف	٧٥	١٧	٢٩	٤,٥ كم شمال غرب نخلة	٦١	٦٩
١٣	٧,٥ كم شمال شرق الهفوف	٧٤	١٧	٣٠	٣,٥ كم شمال غرب نخلة	٧٦	١٤,٨
١٤	٧,٥ كم شرق شمال شرق الهفوف	٤٩	١٧	٣١	٢,٥ كم شمال شرق نخلة	٩٥	٧
١٥	٧,٥ كم شرق شمال شرق الهفوف	٤٤	٣٦	٣٢	٣,٥ كم شمال جبل نخلة	٥٢	٢٦
١٦	شرق قرية المراح	٤٠	١٧٤	٣٣	جنوب شرق الجليجلة	٣٠	٢٦
١٧	٢,٥ كم شمال شرق المراح	٧٢	١٤	٣٤	٤٣٠ متر شرق عين حقل	٤٤	٤

- (١) الجدول من اعداد الباحث اعتماداً على التحليل الكيميائي والفيزيائي لهذه العينات للوارد بالمصدر التالي : سعد بن عبد الله البراك - خصائص اراضى الاحساء الزراعية - جامعة الملك فيصل - قسم الاراضى والمياه بكلية للعلوم الزراعية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ص ص ١٧٢ - ٢٨٧ .
- (٢) نسبة الرمل ودرجة التوصيل الكهربائي في عمق يتراوح بين ٣٠ ، ٠ سم من سطح الأرض الزراعية .

أهم مراجع ومصادر البحث

أولاً : المراجع والمصادر العربية:

- ١ - زين العابدين رجب - واحة الأحساء دراسة في صواردها المائية وتأثيرها على الاستخدام الريفي للأرض - ندوة أقسام الجغرافيا بالمملكة العربية السعودية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - مارس ١٩٨٧
- ٢ - سعد بن عبد الله البراك - خصائص أراضي الإحساء الزراعية - جامعة الملك فيصل - قسم الأراضي والمياه بكلية العلوم الزراعية - ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م
- ٣ - صبحي يوسف عيد - الجغرافيا الزراعية لواحات الأحساء - رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة القاهرة - ١٩٧٩
- ٤ - عبد الرحمن صادق الشريف - جغرافية المملكة العربية السعودية - دار المريخ - الرياض - ١٩٧٥
- ٥ - محمد خميس الزوكة - الجغرافيا الزراعية - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية - ١٩٨٩
- ٦ - محمد صبرى محسوب - المشكلات الجيومورفولوجية بالبيئة الزراعية في واحة الأحساء - نشرة البحوث الجغرافية - كلية البنات - جامعة عين شمس - العدد الثامن - ١٩٩٠
- ٧ - محمد صبرى محسوب - أشكال سطح الأرض الرئيسية بواحة الأحساء - دراسة جيومورفولوجية - نشرة البحوث الجغرافية - كلية البنات - جامعة عين شمس - العدد التاسع - ١٩٩٠
- ٨ - هيئة مشروع الري والصرف بالأحساء - المحصر الزراعى الشامل لجميع اراضى المشروع - ١٤١٤ هـ
- ٩ - وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية - مشروع حجز الرمال بالأحساء - التقرير السنوي - رجب ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م
- ١٠ - وزارة المالية والاقتصاد الوطنى بالمملكة العربية السعودية - مصلحة الاحصاءات العامة - الكتاب الإحصائي السنوي - ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م
- ١١ - يحيى محمد شيخ أبو الخير - زحف الرمال بمنطقة الأحساء - نشرة الجمعية الجغرافية الكويتية - العدد ٦٤ - أبريل ١٩٨٤

ثانيا : المراجع والمصادر الأجنبية :

- 1 - Efrat, E., Human Ecology and The Albedo Effect in the Arid Environment, Human Ecology Journal, Vol 21, No. 3, 1993, pp. 281 - 312.
- 2 - Gregg, D., An Introduction to Agricultural Geography, London, 1984.
- 3 - Hassa Irrigation and Drainage Authority, General Layout, Scale 1:40000.
- 4 - Kingdom of Saudi Arabia, Meteorology & Environmental Protection administration. Scientific Information and Documentation center, Surface Monthly Climatological Report 1985 - 1994.
- 5 - Nakano. T., Natural Hazards and Field Interview Research, Japanese Climatological Siminar, 1973, pp 72 - 96.
- 6 - Smith, K., Principles of applied Climatology, England, 1975.
- 7 - Wokuti., Studies for the Project of Improving Irrigation and Drainage in the Region of Al-Hassa, West Germany, 1964.

جوانب الدرس التصريفي للفظ (آية)

أبو أوس إبراهيم الشمان

أستاذ مشارك: جامعة الملك سعود

صاحب هذه الكلمة من الغموض في المبنى ما يعانده -فيما يتبها-
للإنسان لأول وهلة -وضوح في المعنى، فالآية في أقرب بؤادر معانيها
(العلامة)، لكن (الآية) وهي ترد في السياقات المختلفة تظهر أن المعنى
أيضا متعدد. إذ يذكر من معانيها: العلامة والإشارة، والرسالة، وآية
الشيء: شخصه، والجماعة، والمعجزة، والآية من القرآن: جملة أو جمل أثر
الوقف في نهايتها. ويقال في المجاز: هو آية^(١).
(٢)

وقد نالت من عناية الصرفيين واللغويين ما نجده مفرقا في بطون كتب
مختلفة، وهي عناية تكشف عن تعدد في الأقوال والمذاهب التفسيرية بلغت
حدا يكاد يستقصي الاحتمالات الرياضية في قلب المسألة على جوانبها
المختلفة، ويهتما في هذا البحث أن نقف على تلك الجوانب التفسيرية التي
تمثل حيوية في التفكير اللغوي العربي؛ فإنه ليروعك حين تستعرض أقوال
الصرفيين واللغويين عن (آية) تعدد جوانب التفسير التصريفي لها.

اكتشف الصرفيون من استقراهم اللفاظ وتعرف الانظمة المتحركة
بتصرفاتها أن اللفظ حين تكون العين واللام منه علتين تعتل اللام وتصح
العين، غير أن لهذه القاعدة شواذ ذكرها الصرفيون وحاولوا بحثها
وتفسير تصرفها، قال ابن عصفور في ذكر هذه الشواذ: "وقد شذ اليفظ في
هذا الفصل فاعتلت فيها العين. منها: آية وراية وثاية وغاية وطاية. وكان
حقها أن تعتل منها اللام ويصح العين. والذي سهل ذلك كون هذه الاليفظ
أسماء فلا تتصرف فيلزم فيها من الإعلال والتفسير ما يلزم في الفعل".
(٣)

١: البحث عن الجذور:

تشير كلمة (آية) إشكالا في تأصيل جذورها إذ هي كلمة تجتافها الالف،

(١) المعجم الكبير، الآية: ١/٦٦٩ .

(٢) ابن عاصم، الفاخر، ٢٤٢ .

(٣) ابن عصفور، الممتح ٥٨٢/٢ .

والالف في الاسماء على نوعين: الف منقلبة عن جذر، والف زائدة. وأما
الف المنقلبة عن جذر فقد تكون منقلبة عن واو أو ياء أو حمزة. وبناء
على هذه الإمكانيات تعددت الأقوال في جذر الكلمة:

(١/١) الف منقلبة:

١- يفهم من القول الذي نسيه سيبويه إلى استاذة الخليل أن جذر (آية)
هو (ء/ي/ي)، لأنه يذهب إلى أنها منقلبة عن ياء. (٤)

٢- نسب الجوهري إلى سيبويه أن الف واو، قال: "قل سيبويه: موضع
العين من الآية واو؛ لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء أكثر
مما موضع العين واللام ياء، ان، مثل شويت أكثر من باب حييت". (٥)

ومعنى ذلك أن جذرها (ء/و/ي). (٦)

ونقل ابن فارس عن الجوهري ذلك بنصه. ويبدو أن الصفي قد نقل عن
الجوهري ذلك دون تفصيل، ثم قال: "وأورده في أيا. باب الواو والياء"، وهو
بهذا يؤمن أن عين (آية) واوية بلا خلاف. (٧)

٣- ونقل ابن فارس قولا لم يعين صاحبه، قال: "قالوا: وأصل (آية): آية
بوزن أعية، مهموز همزتين، فخففت الأخيرة فامتدت". (٨) وذهب إلى هذا
عبدالعليم إبراهيم أي أن الف من (آية) منقلبة عن حمزة لاجتماع همزتين
أولاهما مفتوحة والثانية ساكنة. (٩) وعلى ذلك فسأل جذر (ء/ي/ي). على أن
اجتماع همزتين جذريين متجاوري في كلمة واحدة أمر يدفعه ابن جني الذي
يقول: "وإنما لم تجتمع انفاء والعين ولا العين واللام همزتين لشغل

(٤) سيبويه، الكتاب، ٣٩٨/٤.

(٥) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧٥/٦.

(٦) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٦٨/١.

(٧) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفي، غوامض الصحاح، ١٠٥.

(٨) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١٦٨/١.

(٩) عبدالعليم إبراهيم، تيسير الإعرال والإبدال، ١٦٧.

الهمزة الواحدة ؛ لأنها حرف سفل في الحلق، ويبعد عن الحروف، وحصل طريقنا فكان النطق به تكلفاً، فإذا كرهت الهمزة الواحدة نهم باستكراه الثنتين ورفضهما - لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين، فاء وعينا، أو عينا ولا ما - أخرى، فلهذا لم تأت في الكلام لفظة توات فيها همزتان أصلاً (١٠) البتة".

١/ب) الألف زائدة :

١- ممن يذهبون إلى زيادة الألف الكاسي، وقد بين المعري أن هذا القول يوجب القول بالحدف وأن للحدف احتمالين: (١١)

الأول أن المحذوف همزة، ومعنى ذلك أن جذر الكلمة هو (ء/ء/ي).

الثاني أن المحذوف ياء، ومعنى ذلك أن جذر الكلمة هو (ء/ي/ي).

والغريب أن الجوهري ينسب هذا القول إلى الغراء، قال: "قال الغراء: هي من الفعل فاعلة، وإنما ذهبت منه اللام، ولو جاءت تامة لجاءت آيية ولكنها خففت". - وسبب ضعف هذه النسبة لاحقاً في المدخل (٢/هـ). (١٢)

وننتهي من ذلك كله إلى أن الجذور المحتملة هي: (ء/ي/ي)، (ء/و/ي)، (ء/ء/ي).

والجذر الراجع هو (ء/ي/ي)، ويعتمد ترجح ذلك على أمور:

١) أن جمهور اللغويين والصرفيين على اختلافهم في بنية الكلمة يتفقون على هذا الجذر.

٢) رد نسبة الجوهري (ء/و/ي) إلى سيبويه :

لا نجد في كتاب سيبويه ما يثبت صحة ما نسبته الجوهري إليه، بل إن ما يستأنس به أنه افترض أن فعل (آية) - وإن لم يتعمل - هو في إعلال عينه مثل الفعل (بإع)، قال: "فمما جاء في الكلام على أن فعله

(١٠) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ١/٧١ .

(١١) أبو العلاء المعري، رسالة الملائكة ١٠٧ .

(١٢) الجوهري، الصحاح ٦/٢٢٧٥ .

مثل (بعت): آي، وغاية، وآية" (١٣).

يل بصرح صاحب الكتاب بأن العين ياء في معرض ذكره لقول آخر غير قول الخليل، قال "وقال غيره هي آية وأي تغلّ، ولكنهم قلبوا الياء (١٤) وأبدلوا مكانها الألف لاجتماعهما، لأنهما تكرهان".

وتعقب ابن بري الجوهرى ورد ما نسيه إلى سيبويه، جاء في اللسان "قال ابن بري: لم يذكر سيبويه أن عين آية واو كما ذكر الجوهرى، وإنما قال أصلها آية، فأبدلت الياء الساكنة ألفاً" (١٥).

(٢) الاحتجاج لبائية العين:

صرح ببائية عين (آية) ابن جنى، قال: "وأما (آية) فعينها ياء وهي من مضاعف الياء نحو (حييت، وعييت)، ويدل على ذلك أن الاية هي العلامة، وقد قال الشاعر:

قف بالديار وقوف زائر * * * وتأي إنك غير صاغر

فمعنى (تأي): تثبت وتنظر وتأمل آياتها وعلاماتها. ولو كانت من الواو لقال (تاؤ) كما تقول في (تلوى وتسوى): تلوّ وتسوّ" (١٦).

وأيد ابن جنى قوله ببائية عين (آية) بقول الشاعر:

لم يبق هذا الدهر من آياته * * * غير أثانيه وأرمدائه

فالآياء وزنها: أفعال وهي جمع آي، وآي جمع آية، وظهور العين ياء في الآياء يدل على أن (الاية) من الآياء. وقال العكبري إن الجمع (آياء) يدل على أن العين ياء إذ لو كانت عينها وأوا لقائرا: آواء. وجاء في

اللسان نحو من ذلك: قال: "وعين الاية ياء كقول الشاعر:

(١٣) سيبويه، الكتاب ٤/٣٩٨.

(١٤) السابق، نفسه.

(١٥) اللسان، أيا.

(١٦) ابن جنى، المصنف، ٢/٥٧٤.

(١٧) السابق، ٢/١٤٣.

(١٨) العكبري، التبيان، ١/٥٦.

لم يبق هذا الدهر من آياته

فطيون العين في آياته يدل على كون العين يساء ، وذلك إن وزن آياء
أفعال، ولو كانت العين وأوا لقال آوايه، إذ لا مانع من ظهور الواو في
هذا الموضع. (١٩)

وجزم ابن فارس بيانيتها قصف الكلمة في المدخل (أي)، قال: "الهمزة
والياء والياء أصل واحد، وهو النظر. يقال تايًا تايًا تايًا أي تمكك. قال
قف بالديار وقوف زائر - وتأي، إنك غير صاغر
قال لبيد:

وتأييت عليه قافلا وعلى الأرض غيايات الطفل
أي انصرفت على تؤدة. ابن الأعرابي: تاييت الأمر انتظرت إمكانه.
قال عدي:

تاييت منهن المصير فلم أزل أكفكف عني واتنا ومنازعا
ويقال: ليست هذه بدار تشية، أي مقام.
وأصل آخر وهو التعمد، يقال تاييت على تفاعلت، وأصله تعمدت آيته
وشخه. قال:

به أتايا كلُّ شأن ومفرق

وقالوا: الآية العلامة، وهذه آية مآية، كتولك علامة معلمة. وقد أئيت.
قال:

ألا أبلغ لديك بني تميم * * * بآية ما تحبون الطغاما (٢٠)

أما إدراج ابن فارس (آية) في باب (أيه) من معجمه (مجلد اللغة) فهو
تجاهل منه علته الاختصار. (٢١)

٢: مشكلة اثبتية:

نود قبل أن نذكر أقوال الصرفيين في بنية (آية) ووزنها أن نذكر

(١٩) ابن منظور، اللسان، "آيا"

(٢٠) ابن فارس، مقاييس اللغة، ١/١٦٧-١٦٨.

(٢١) ابن فارس، مجمل اللغة، ١/٢٢٠.

بالفرق بين (البنية) و(الوزن الصرفي)، فالبنية هي الشكل التجريدي لأصوات اللفظ الصحيح السالم من العلة و الهمز و التضعيف. أي هو الوزن الصرفي للنظير الصحيح للفظ. أما الوزن الصرفي فهو الشكل التجريدي للفظ نفسه الذي يراعى فيه بيان ما فيه من حذف أو زيادة، ومن أجل ذلك نجد أننا نتحدث عن بنية للكلمة (آية) ونتحدث عن وزن صرفي قد يخالف البنية بعض المخالفة. وقد يوافق الوزن البنية وقد يخالفها. وللبنية صفة الثبات وأما الوزن فمرهون بحال اللفظ. وتكون البنية مجردة من اللواحق أما الوزن فيذكر معه لواحق اللفظ مما يكتب معه إملائياً.

وتظهر فائدة التمييز بين البنية التي لها صفة الثبات والوزن الذي له صفة التغير في بيان التصرفات التي تعرض لها الكلمة مثل الحذف في مثل الفعل الأجوف نحو: (قل) فهو على بناء: قَعْل/يَقْعُل، أما وزنه فهو (نُل)، واسم المفعول من: (مقول)، فهو على البناء: مَقْعُول، ولكن وزنه الصرفي: مَقْعُل أو مَقْعُول. ومثل القلب المكاني فالفعل (أيس) على البناء: قَعْل، ولكن وزنه الصرفي: عَقْل.

وتعتمد الأقوال المختلفة في بنية (آية) على الاختلافات التفسيرية لهذه الالف، فهي كما ذكرنا سابقاً قد تكون زائدة أو منقلبة، والانتقال قد يكون عن ماء أو واو أو همزة. وتعتمد على علة القلب، وعلى الحركة المفترضة للحرف المقلوب.

وجاءت الالبنية المحتملة في أقوال النحويين على الآتية:

(٢٢) يجتمع في اسم المفعول: (مقول)----(مقوول) واوان ساكتان فتحذف إحداهما تخلصاً من الساكتين، واختلف في المحذف فذهب الخليل وسيبويه إلى المزيد وذهب الاخفش إلى حذف الحرف الأصلي. قال سيبويه: "وحذفت واو مفعول لانه لا يلحق ساكتان"، الكتاب، ٣٤٨/٤، وذكر المازني مذهب الاخفش ورجحه على قول الشيخين، واحتج ابن جني لهذا المذهب، انظر: المنصف، ٢٨٨/١-٢٩٠.

١/٢ - البناء (فعل):

ونسب سيبويه القول بهذا إلى غير الخليل، قال: "وقال غيره: إنما هي آية وأيّ فعل" (٢٣).

ولست نعلم أهو مذهبه الذي يذهب إليه أم مذهب أحد آخر لم يصرح به، أما ابن بري فربما يفهم من قوله الذي نقلناه سابقا أن هذا رأي

سيبويه. أما الرضي، وابن عقيل، فنجد أنهما صرحا بنسبته إليه. (٢٤) (٢٥)

وينقل صاحب اللسان عن الفراء في كتاب المصادر في معرض تعليقه ترك همز الياء من (آية)، فقال: "لأنها كانت فيما يرى في الأصل آية". (٢٦)

أما أبو العلاء المعري فقال: "وهذا القول في آية قول الفراء وقد حكاه سيبويه عن قوم من النحويين لم يسمهم ولا شك أن الفراء تبعهم في ذلك"، ونجد نسبة هذا إلى الفراء عند ابن عصفور وعند الرضي، والسمين الحلبي، وابن عقيل أيضا، والبغدادى. (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤)

واختار هذا المذهب العكبري، وابن مالك.

-
- (٢٣) سيبويه، الكتاب ٤/٣٩٨ .
 - (٢٤) الرضي، شرح الشافية، ١١٨/٣ .
 - (٢٥) ابن عقيل، المساعد، ١٦٨/٤ .
 - (٢٦) ابن منظور، اللسان، أيا .
 - (٢٧) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧ .
 - (٢٨) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٣/٢ .
 - (٢٩) الرضي، شرح الشافية، ١١٨/٣ .
 - (٣٠) السمين، الدر المصون، ٣٠٨/١ .
 - (٣١) ابن عقيل، المساعد، ١٦٨/٤ .
 - (٣٢) البغدادى، الخزانة، ٥١٧/٦ .
 - (٣٣) العكبري، التبيان، ٥٦/١ .
 - (٣٤) ابن مالك، التسهيل، ٣١٠ .

أما ابن عصفور فرد هذا البناء. وسنورد احتجاجة عند درس التغير
الصوتي الصرفي.

والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (ثَعْلَة).

٢/ب- البناء (فَعَل):

وينسب سيبويه هذا البناء إلى الخليل وهو ما يفهم من بيانه أن (آية)
مما جاء في الكلام على أن فعله المفترض مثل (بعت)، والعين من هذا الفعل
متحركة في الأصل. وقال المعري في معرض ذكره لأقوال
النحويين: "للنحويين في آية ثلاثة أقوال: الأول قول الخليل وهو أن آية
وزنها فَعْلَة بتحريك العين وأصلها (أَيَّة) (٣٧)".

وجاء في اللسان نقلاً عن ابن بري "وحكى عن الخليل أن وزنها فَعْلَة" (٣٧)
وهناك من ينسب هذا إلى الخليل وسيبويه كليهما، متهم ابن
خالويه، والسمين الحلبي. (٣٩) (٤٠)

والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (ثَعْلَة).

٢/ج- البناء (فَعِل):

قال السمين الحلبي: "وذهب بعض الكوفيين إلى أن وزنها أَيْيَة، بكسر
العين مثل ثَبِيَّة" (٤١)، وذكر هذا البناء دون أن ينسبه إلى أحد يعينه ابن
عقيل. (٤٢)

(٣٥) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٣/٢.

(٣٦) سيبويه، الكتاب، ٣٩٨/١.

(٣٧) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٣.

(٣٨) ابن منظور، اللسان أياً.

(٣٩) الفارسي، الحجة في القراءات المجمع، ص ١٩٣.

(٤٠) السمين، الدر المختون، ٣٠٨/١.

(٤١) السابق، ٣٠٩/١.

(٤٢) ابن عقيل، المعتمد، ١٦٩/٤.

ولعل هذا البناء ليس من قول أحد بعينه بل هو افتراض جدلي للدفاع عن البناء الأول (فَعَلَ)، وهذا ما نفهمه من كلام أبي العلاء، قال: "فإن قيل فما يمنع أن تكون آية فعلة أو فعلة لأننا إذا بنينا شيئا على هذا الوزن لزمنا فيه القلب إذ كان الذي يوجه حركة المنقلب وانفتاح ما قبله، ولو بنينا مثل معدة من باع وقال لقلنا: باعة وقالة، وكذلك لو بنينا مثل لبؤة، قال اللفاظ الثلاثة تستوي في الانقلاب على حال الضم والفتح والكسر؛ قيل لا يمتنع مثل ذلك ولكن الحمل على الأكثر هو القياس لأننا نجد فعلا في ذوات الياء والواو كثيرا، ومع هذا فإن باب خشبة أشيع في الكلام من باب سبعة ومعدة".^(٤٢)

ومفاد هذا الجدل الذي فصله المعري أن هذه الياء المنقلبة الفاء إنما انقلبت لأنها تحركت بعد فتحة، وأما حركتها فقد تكون فتحة أو كسرة أو ضمة، ولكن الراجح كونها فتحة لشيوع ذلك.

وذكر البغدادي رد هذا البناء، قال "ورد بأن ما كان كذلك يجوز فيه الفك والإدغام، كحبي وحي"^(٤٤)، ومعنى هذا أنه لا يكون مكسور العين لتخلف ظاهرة الفك والإدغام، وهذه حجة واهية إذ القياس غير صحيح فالفك والإدغام جائز في الأفعال لكنه ممتنع في الأسماء منعاً للبس إذ الأسماء منها ما يكون على (فَعَلَ) مثل: طَلَّ، ومنها ما يكون على (فَعَّلَ) مثل: طَلَّلَ.

والميزان الصرقي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (فَعَّلَ).

٢/د- البناء (فَعَّلَ):

قال السمين الحلبي: "وقيل وزنها فعلة بضم العين"^(٤٥)، وقال ابن عقيل: "وقيل وزنها فعلة كمرة".^(٤٦)

(٤٢) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٣.

(٤٤) البغدادي، خزانة الأدب، ٥١٨/٦.

(٤٥) السمين، الدر المصون، ٣٠٩/١.

(٤٦) ابن عقيل، المعاهد، ١٦٩/٤.

وينطبق على هذا البناء ما قلناه عن البناء السابق وما نقلناه عن المعري متناول البناءين .

(٤٧)

قال البغدادي: "وردّ بأنه كان يجب قلب الضمة كسرة".

ولم يكن علة ذلك وهو ثقل الضمة بعد ياء وثقل ياء أخرى، وليست هذه بحجة قوية لأن هذا الثقل قد قرأ منه بالإعلاء.

والميزان الصرفي موافق للبنية حسب هذا القول، فهو (فَعْلَة).

٢/د-فاعلة:

نقل صاحب اللسان عن كتاب المصادر للفراء نسبته إلى الكسائي: "قال: (٤٨)

وكان الكسائي يقول إنه فاعلة منقوصة"، وقال المعري: "والقول الثالث في آية قول ينسب إلى الكسائي وهو آية أصلها فاعلة". (٤٩)

ومن الغريب نسبة الجوهري هذا القول إلى الفراء، قال: "قال الفراء هي من الفعل فاعلة، وإنما ذهب منه اللام، ولو جاءت تامة لجاءت آيية، ولكنها خففت". (٥٠) وعلة القرابة أن الفراء نفسه يرد قول الكسائي ويندعه بقوله: "ولو كان كذلك ما صفرها إيية، بكسر الالف". (٥١)

وذكر البغدادي أن أصلها آيية كضاربة، حدثت العين استحقاقاً لتوالي ياءين أو لاهما مكسورة، وقال في رد هذا البناء: "وردّ بأنه يلزم قلب الياء همزة لوقوعها بعد ألف زائدة في قولهم: آي". (٥٢)

والميزان الصرفي مخالف للبنية حسب الروايتين: فعلى المشهور عن الكسائي هو (فَاعَلَة)، وعلى الرواية التي انفرد بها الجوهري هو: (فَاعَة).

(٤٧) البغدادي، خزانة الأدب، ٥١٨/٦ .

(٤٨) ابن منظور، اللسان، أيا .

(٤٩) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧ .

(٥٠) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧٥/٦ .

(٥١) اللسان، أيا . والرواية في كتاب: دقائق التصريف، للمؤدب: (أَيَّة) ص ٢٢٩ .

(٥٢) البغدادي، خزانة الأدب، ٥١٨/٦ .

تشير الالف من (آية) خلافاً لتفسيرها على نحو ما أثارت من خلاف في مسالتي الجذور والبنية وكل هذه القضايا متداخلة أخذ بعضها باعناق بعض والصرفيون يذكرونها مجملة دون أن يعمدوا إلى تفصيل ذلك على النحو الذي توخيناه. وقد رأينا أن هناك اتجاهين في تفسير هذه الالف أحدهما أنها مبدلة والآخر أنها زائدة، وحاول الذاهيون إلى إبدالها ببيان الأصل الذي أبدلت منه، وحاول الذاهيون إلى زيادتها تعليل نقصان جذور اللفظ.

٢/٢- تفسير الإبدال:

(١) الالف مبدلة من الياء في قول الخليل الذي رأيناه يذهب إلى أن نية اللفظ (آية) هي (تَعْلَة)، فالياء التي هي عين اللفظ حركت بالفتحة سبقت بفتحة فقلبت إلى الذ وهذا هو شأن الياء والواو فهما تقلبان إلى لف متى تحركتا وسبقتا بالذ.

ويشير هذا التفسير بعض الإشكال وهو أن في اللفظ ياءين فلم أبدلت لياء الأولى وهي عين اللفظ ولم تبدل اللام؟ ومن المعلوم أن الطرف هو حل التغير وموطن الإعلال. وقد فسر سيبويه هذا فيما ينسبه إلى الخليل أنه من الشذوذ وأنه غير مطرد، ولهذا الشذوذ نظائر في ألفاظ أخرى، فإن بلت الياء الأولى من (آية) وليس حقها الإعلال فقد ترك الإعلال شذوذاً، الكلمات: (قَوْد، وَرَوْع، وَحَوْل)، فهذه ألفاظ تحركت فيها الواو وسبقت تحة ولم تبدل الواو فيها الفاء. (٥٣)

ولما كانت علة الإبدال تحرك الياء وانفتاح ما قبلها بدا للوهلة أولى القول بفتح الياء متطوياً على شيء من التحكم تنبيه إليه المعري ناب عنه بما سقناه سابقاً في درس البنية، فحركة الياء يمكن جدلاً أن نضمة أو كسرة ولا يدفع ذلك سوى الاعتماد على شيوع نسبة البنية الياء المفتوحة، فياب خشبة أشيع من باب سبعة، ومعدة.

(٥٣) سيبويه، الكتاب، ٤/٣٩٨.

ويشير قول الخليل مشكلة أخرى وهي أن اسم الجنس هو الجيمعي (٢٦) قد تطرقت فيه الياء بعد الف والياء والواو متى تطرقتا بعد الف قلبتا همزة. وقد أجاب عن هذا المعري بقوله "ولم تتقلبد الياء التي بعد اللام في آية همزة كما قلبت في شقاء ووشاء - لأنه من سقيت ووشيت - إذ كانت العرب لا تجمع على الحرف الواحد علة العين واللام ولكن يقتصرون على علة أحد الحرتين"، ولترك هذا الهمزة علة مختلفة سيأتي ذكرها.

(٢) أما القول الذي نسبته الجوهري إلى سيبويه وهو أن أصل آية (أوية) فلا يختلف من حيث تفسير الالف عن قول الخليل فالقانون واحد.

(٣) يبدو أن الشذوذ الذي يترتب على تفسير الخليل أوحى إلى غيره بتفسير يخرج به عن ذلك الشذوذ، ولذلك نجد من ذهب إلى أن الياء المبدلة هي لام الكلمة ولكنها قلبت قلبا مكانيا بعد ذلك إذ نقلت في موضع العين. قال السمين الحلبي: "وقيل أصلها: آية بإعلال الثاني، فقلبت بأن قدمت اللام وأخرت العين وهو ضعيف"، وذكر مثل ذلك ابن عقيل، وذكر البغدادي أن أصلها آية كقصبة، إلا أنه أعلت الثانية على القياس، نصارت آية كحياة ونواة، ثم قدمت اللام إلى موضع العين، فوزنها فُعلة. وهذا الوزن انصرفي مخالف لبنيتها: (فُعلة).

(٤) يعتمد القول الذي نسبته سيبويه إلى غير الخليل وذهب إليه الفراء على مبدأ آخر وقانون مختلف فهو يفترض بنية مختلفة عن البنية التي افترضها الخليل فالبنية هي: (فُعلة)، أما علة التفسير فهي التخلص من المتماثلات قال سيبويه: "إنما هي آية وأي فُعْل؛ ولكنهم قلبوا الياء

(٥٤) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٣-١٠٤.

(٥٥) السمين، الدر المصون، ٣٠٩/١.

(٥٦) ابن عقيل، المساعد، ١٦٩/٤.

(٥٧) البغدادي، خزانة الأدب، ٥١٨/٦.

(٥٨) انظر أمثلة أخرى للتخلص من الياء: الشمسان، التخلص من المتماثلات

لفظا، الصفحات: ١٠١، ١٠٥-١١١.

وأبدلوا مكانها الالف لاجتماعهما، لأنهما تکرهان كما تکره الواو،
 فأبدلوا الالف كما قالوا الحيوان، وكما قالوا ذواثب، فأبدلوا الواو
 كراهة الهمزة (٦٠)

ويجعل القراء اجتماع الياءين في الاصل علة لترك همزة الياء بعد
 الالف، قال: "وإنما تركت العرب همزتها كما يهمزون كل ما جاءت بعد الف
 ساكنة لأنها كانت فيما يرى في الاصل أئة، فثقل عليهم التشديد فأبدلوه
 الفا لانفتاح ما قبل التشديد، كما قالوا أئما لمعنى أمّا". (٦١)

فليس الأمر من قبيل تتابع الف وياء بل هما بمنزلة حرف واحد. وسوغ
 هذا القلب وجود ياء مشددة مسبوقة بفتحة، وهذا يقربه من تفسير الخليل
 بعض التقريب؛ ولذلك نجد العكبري يرد القولين معا، قال: "وكلا الوجهين فيه
 نظر؛ لأن حكم الياءين إذا اجتمعتا في مثل هذا أن تقلب الثانية لقربها
 من الطرف". (٦٢)

ويحمل القاسم بن محمد المؤدب هذا التغير على ظاهرة أخرى هي قلب
 الواو الساكنة المبسوقة بفتح الف في مثل (يوجل---ياجل)، وفي (دوئة)
 للمفازة، قالوا: داوئة. قال الجوهري: "قلبوا الواو الاولى الساكنة الفا
 لانفتاح ما قبلها". (٦٣)

(٥٩) قال ابن عصفور "نحو ذواثب في جمع ذؤابة أصله ذأثب فأبدلت الهمزة
 واوا هروبا من ثقل البناء مع ثقل اجتماع الهمزتين والالف، لأن
 الالف قريبة من الهمزة لأنها من الحلق كما أن الهمزة
 كذلك. فكانت قد اجتمعت في الكلمة ثلاث همزات. فالتزموا لذلك إبدال
 الهمزة واوا". الممتع في التصريف، ١/٣٦٣.

(٦٠) سيبويه، الكتاب، ٤/٣٩٨.

(٦١) ابن منظور، اللسان، أيا.

(٦٢) العكبري، التبيان، ١/٥٦.

(٦٣) المؤدب، دقائق التصريف، ٢٢٨.

(٦٤) الجوهري، الصحاح، ٦/٢٣٤٤.

ويمكن فهم مذهب التخفيف الذي يذهب إليه الفراء في ضوء الاستخدام اللبني القديم الذي يجعل الياء الساكنة بعد فتح ألفا، نحية الفراء أنهم: "إذا كانوا يفعلون ذلك بالياء الساكنة وحدها في نحو (عيب وعاب) و(ذيم وذام) فلا حرج أن يفعلوا ذلك إذا انضاف إليها ياء أخرى".^(٦٥) وأما هذه اللهجة فإشار إليها أبو زيد الانصاري في نوادره، قال:

"وأنشدني أبو الغول لبعض أهل اليمن:

أي قلوب راكب تراها طاروا عليهن قتل علاها
واشدد بمتني حقب حقواها ناجية وناجيا أباه

القلوب مؤنثة وعلاها أراد عليها ولغة بني الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة إذا انفتح ما قبلها ألفا يقولون أخذت الدرهمان واشترت ثوبان والسلام علاكم وهذه الأبيات على لغتهم^(٦٦)، وجاء في مجاز القرآن: "وزعم أبو الخطاب أنه سمع توما من بني كنانة وغيرهم يرتعون الاثنين في موضع الجر والتصب".^(٦٧)

وذكر الفراء في تعليل رفع المثنى في قوله تعالى: إن هذان لآخران [٦٣-طه] وجهين أحدهما أنها جاءت على لغة الحارث بن كعب، قال: "يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف. وإنشدني رجل من الاسد. يريد بني الحارث:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعا لناباه الشجاع لصعما

(٦٥) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٣/٢.

(٦٦) أبو زيد الانصاري، النوادر في اللغة، ٥٨. والنحويون مختلفون في النظر إلى هذه الظاهرة بين معمم ومخصص فالانصاري يعمم قلب الياء المبسوقة بفتح قيورد أمثلة من المثنى وغيره، ومنهم من يخص هذا بغير المثنى وأما المثنى وما انتهى بالف فيذهب إلى أن الالف التزمت وعومل كالاسم المقصور؛ إذ جعل المثنى بالالف في جميع حالاته الإعرابية. انظر: الميوطي، شرح شواهد المغني، ١٢٨/١.

(٦٧) أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن ٢١/٢.

قال: وما رأيت أفصح من هذا الأسدي وحكى هذا الرجل عنهم: هذا خط يدا
(٦٨) أخى بعينه".

وقال الزجاج: "وهؤلاء أيضا [بنو كنانة] يقولون: ضربته بين أذناه، ومن
يشترى مني الخفان وكذلك روى أهل الكوفة أنها لغة لبني الحارث بن
(٦٩) كعب".

وجاء في شرح المفصل أنها لغة لبني الحارث ويطون من ربيعة، وقد
عزاها الرواة لخشيم، وهمدان وزبيد، وكنانة، وبني العنبر وبني
الهجيم، ويطون من ربيعة وبكر بن وائل، وبني عذرة.
(٧١)

وهذه اللهجة مستمرة في جنوب الجزيرة في حضرموت إذ يقولون: (٧٠) (شأ)
في: أيضا، و(عان) في: عين، وكذا فعل في بعض الألفاظ من لهجة اليهود في
وسط اليمن مثل: (وان) في: أين و(عان) في: حرف العين. وهذا التخفيف كثير
مسموع إلى اليوم في لهجات البادية في وسط الجزيرة العربية، إذ نسمعهم
يقولون (خار) في: خير، و(مار) في: مير، و(عار) في: عير، و(طار)
في: طير، و(شاخ) في: شيخ، و(علاه) في: عليهم، و(غار) في: غير، و(باش) في: بيض،
و(ياضا) في: بيضاء، و(القانة) في القينة، و(يمني) في يعني، ومن إنشادهم:
يا مريحيا (بشعالة) كم درهمت من (لالة)

يريد: شعيلا، وليلة. ويلاحظ حدوثه على مستوى الياء القصيرة (الكسرة)
وذلك في قولهم (ق البيت) أي: قال البيت --- في البيت.

على أن أمن عصفور لا يرى في القول بإعلال الميم على النحو الذي
(٦٨) الفراء، معاني القرآن، ١٨٤/٢.

(٦٩) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ٣٦٢/٤.

(٧٠) ابن عيش، شرح المفصل، ١٢٨/٢.

(٧١) الدلائي، نتائج التحصيل، ٣٧٠/١.

(٧٢) ريبين، اللهجات العربية القريبة القديمة، ١٢٣-١٢٥.

(٧٣) قال محمد الحفدي: "وهذه اللغة بالنسبة لحلى ولدى شائعة اليوم في

بادية نجد"، انظر: الدماميني، تعليق الفرائد، ٢٠٣/١، حاشية ٣.

وصفه القراء مزية على قول الخليل لأن قول الخليل معتمد على إعلال العين أيضا، واحتج بأن "إبدال الياء الساكنة ألفا ليس بمستمر. وأما (العاب والعيب) و (الذام والذيم) فهما مما جاء على (فعل) تارة وعلى (فعل) أخرى". ولعل ما سقناه من شواهد هذه الظاهرة قديما وحديثا يقوي مذهب القراء.

وقد وصف ابن مالك مذهب القراء بأنه إسهل الوجوه، قال ابن عقيل: "وجه أنه إسهل، أنه ليس فيه إلا إبدال الالف من حرف علّة ساكن؛ ولكن القياس التصحيح والإدغام، فابدلوا تخفيفا، وإذا أبدلوا في توبة ونحوها، حيث قالوا: تابة، فقال: تبلى: تبلى توبتك وتابتك، وقالوا أيضا: رحم الله حوبتك وحابتك، ونمت نومة ونامة، فلان يبدلوا عند اجتماع الياءين (٧٤) أخرى".

٣/ب: تفسير الحذف يؤدي القول بزيادة الالف - وهذا مذهب الكسائي - إلى اقتراض حذف من جذور اللفظ؛ لأن عدة حروف اللفظ أقل من البنية المفترضة (فاعلة)، ونحاول الممري بيان ذلك فقال: "فإذا صح ذلك فلا بد من حذف ولا يكون المحذوف إلا أحد حرفين الهمزة أو الياء". (٧٦)

وهناك من يفترض أن الياء الأولى قلبت ألفا فاجتمعت ألفان. (٧٧)

٣/ب: ١- المحذوف همزة: ويتابع الممري تفصيل أمر الحذف، فعلى الفرض الأول قال: "فإذا قيل إن المحذوف همزة فاصلها (أثية) فحذّوا الهمزة، وكان حذنها هاءنا أقيس منه في قولهم هو شاكُ السلاح ومكانُ هارُ. وقد حكى الخليل أن العرب قالت سؤته سواية، والاصل سوائية فحذّوا الهمزة لما فيها من الكلفة" (٧٨)

(٧٤) ابن عصفور، الممتع، ٥٨٣/٢.

(٧٥) ابن عقيل، المعتمد، ١٦٨/٤.

(٧٦) الممري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

(٧٧) ابن منظور، اللسان، أيا. وانظر نص هذا القول في المدخل: ٣/ب: ٣.

(٧٨) الممري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

ولئن حذفت الهمزة هنا فإنها حذفت في القضاة أخرى لا يظهر الثقل
كما يظهر في هذه، قال المعري: "وقد قالوا ناس وأصلها ناس فحذفوا
(٧٩)
حزة وحذفها في آية إذا كانت فاعلة أقيس".

وبين المعري لم كان حذفها من (آية) أقيس وعلل لهذا الحذف قال:
لأنها وقعت بعد الالف والالف مجانية للهمزة وتقبل تلك الالف همزة
(٨٠)
بد الهمزة المحذوفة ياء فكان الطرح كالواجب في هذا الموضع".

ويقتضي القولان- قول الخليل بقلب العين ألفا لفتحها بعد فتح وقول
ثاني بقلب العين لأنها ياء بعد الف- أن تكون (آية) مأخوذة من فعل
في العين مثل (باع) وهذا ما يفهم من قول سيبويه: "فمما جاء في
نلام على أن فعله مثل: بع: أي، وغاية، وآية". وأما على قول الكسائي
يحتها صيغت صياغة اسم الفاعل من الفعل الثلاثي المجرد، وفصل المعري
، بقوله: "وإذا قيل بهذا القول وجب أن تكون جارية على فعل أميت كأنه
وزن (باع) من آية فليل: أيث تئي [مثل: باعت تبيع] فهي آية، مثل أميت
م فهي آية فاعتلت الالف في الماضي كما اعتلت في آم وباع فبعت في
الفاعل لما التقى ساكنان وهما ألف فاعل والالف التي كانت معتلة
قلب في الماضي ولم يكونوا ليردوها إلى أصلها وقد أعلوها في الفعل؛
هم يرغبون أن تكون الأفعال وأسماء الفاعلين مستوية في العلة أو
الصحة فإذا صح أنهم حذفوا في شاك وبابه كان الحذف هاهنا ألزم
(٨٢)
من".

٢/٢- المحذوف ياء:

هذا هو الفرض الثاني الذي يقتضيه القول بحذف العين من (آية)، ولكن
الحذف في هذا الفرض يختلف عن علة الحذف في الفرض السابق فهي

(٧٩) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

(٨٠) السابق، نفسه.

(٨١) سيبويه، الكتاب، ٣٩٨/٤.

(٨٢) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٧.

في السابق تخلص من التقاء مثلين هما الإفاء والعين؛ أما هنا فهي تخلص من اجتماع مثلين هما العين واللام. قال المعري مفصلاً هذا: "وإذا قيل إن المحذوف ياء فالعلة في ذلك أنهم كرهوا اجتماع الحرفين المثليين اللذين يكره اجتماع مثلهما إذ كانا لياكالدالين في راد وبابه؛ لأن الياء والواو لهما مزية في الإلقاء إذا كانتا متشقلتين ولم يجئ في كلامهم مثل حائية بالإظهار ولا مثل حائي بالإدغام وقد كثر ذلك في غير الياء. واستعملوا تضعيفها في الماضي دون المستقبل فقالوا حيّ وعيّ ولم يستعملوا مثل ذلك في الواو ولم يأت عنهم قَوْ وإن كان من القوة ولا حَوْ إذا نطقوا بالفعل من الحوة وكل ذلك لشغل الواو عليهم".^(٨٣)

أورد ابن عصفور مذهب الكسائي وبين أنه على حذف الياء تخلصاً من اجتماع الياءين إذ قد حذفت الياء وهي وحدها في (بالة) التي أصلها: بالية ولكن ابن عصفور رد هذا منتصراً لقول الخليل محتجاً بأن هذا القول ليس فيه مزية على قول الخليل فهو معتمد على الإعلال بالحذف وقول الخليل معتمد على الإعلال بالقلب، واحتج بأن حذف الياء التي هي عين اللفظ ليس بمعطرد، وأن في قول الكسائي إدعاء أصل لم يلفظ به.^(٨٥)

وخلص ابن عصفور إلى ترجيح قول الخليل.^(٨٦)

٨٣) رسالة الملائكة، ١٠٧.

٨٤) يفهم مما ورد في (المنصف، ٢/٢٣٦) أن (بالة) هي مصدر الفعل (بالى) إذ تقول: باليت. وكأن مصدر الفعل قبل الحذف (بالية) مثل (عائية)، ولو لم يقل بحذف الياء التي هي لام الفعل لظهرت (بالة) كأنها على وزن (تَعَلَّة) وهذا يعني أن العين معتلة وهو خلاف الصحيح إذ المعتل هو اللام، أما العين من بالة فهي اللام ووزنها على هذا (قَاعَة). ويفهم من هذا أن الياء قد حذفت وهي وحدها في هذا اللفظ؛ فمن الأولى القول بحذف الياء في آية التي أصلها: آية؛ لاجتماع ياءين لا واحدة.

٨٥) ابن عصفور، الممتع ٢/٥٨٣-٥٨٤.

٨٦) السابق، ٢/٥٨٤.

ولست كل هذه الحجج سلمة لابن عصفور إذ قوله إن في مذهب الكاشي ادعاء أصل لم يلفظ به فيه تحكم، وذلك أن مذهب الكاشي لا يختلف عن مذهب الخليل من هذه الجهة فالأصل الذي قدره الخليل لم يلفظ به أيضا.
٣/ب:٣-المحذوف ألف:

ونقل القول بذلك ابن منظور عن الفراء الذي أورد القول ورده، جاء في اللسان: "قال [الفراء]: وقال بعضهم آية فاعلة صيرت ياؤها الأولى الفاء كما فعل بحاجة وقامة، والأصل حائجة وقائمة. قال الفراء: وذلك خطأ لأن هذا يكون في أولاد الثلاثة ولو كان كما قالوا لقيل في نواة وحياة ناية وحاية، قال: وهذا قاسد." (٨٧)

وعلى كل هذه الأقوال يكون وزن (آية): فائَة.

٤: القضايا التصريفية

لم يكتف الصرفيون بمحاولاتهم التفسيرية لكلمة (آية) بل ذهبوا شوطا بعيدا في بيان ما يستتبعه التفسير من أشكال تصريفية أخرى تختلف باختلاف المسلمات التي ينطلق منها التصرفي، وأما التصريفات التي يخضع لها الاسم وينال بنيته، بها شيء من التغير الداخلي فهي التصغير وجمع التكسير والنسب.

٤/١: التصغير

ينال الاسم المصغر بالتصغير من التغير في بنيته ما يغير الشروط التي تغيرت بها أصوات المكبر، ولذلك يقال إن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها. (٨٨)

وقبل أن نمضي في عرض مسألة تصغير (آية) نود أن نذكر بالفرق بين (الصيغ التصفيرية) و(الميزان الصرفي)، فالصيغ التصفيرية أبنية تجريدية

(٨٧) ابن منظور، اللسان، أيا.

(٨٨) ليس هذا أمرا مطلقا؛ إذ لا يعود المقلوب قلبا مكانيا إلى أصله، ولا تعود الألف المتقلبة عن همزة في مثل (آدم) إلى أصلها.

ثابتة تقاس عليها الأسماء المصغرة بناء على عدد حروفها بغض الطرف عن
المجرد منها والمزيد؛ إذ تقابل المجردات والزوائد بحروف الميزان دون
تفريق، فما يتألف من ثلاثة حروف قصيغته التي يصغر عليها
هي: (فُعِيل)، أما ما زاد على ثلاثة فعلى صيغة: (فُعَيْل)، وثم صيغة ثالثة
تستوعب تصغير ما عوض عن حذف أحد حروفه لزيادته على أربعة، أو إن كان
قيل آخره حرف علة وهو على خمسة أحرف، وهي الصيغة: (فُعَيْعِيل). وأما
(الميزان الصرفي) فهو يزن الكلمات المصغرة كما يزن المكبرة مراعى في
ذلك الزيادة والحذف. ونرجح استخدام (صيغة التصغير) إشارة إلى هذا
الشيء الذي تعامل به الأسماء فكان الأسماء عند تصغيرها إنما تفرغ في
 قالب محدد هو الصيغة. ولذلك قد يختلف الميزان الصرفي عن صيغة التصغير.
الذين يذهبون إلى أن الألف من (آية) متقلبة عن ياء يعالجون أمر
تصغيرها في ضوء ما ذكره سيبويه من حكم تصغير الاسم الذي يكون ثانياً
ياء، قال سيبويه: "وذلك نحو: بيت وشيخ وميد. فأحسنه أن تقول: شيخ وسيد
فتضم؛ لأن التحقير يضم أوائل الأسماء، وهو لازم له، كما أن الياء
لازمة له. ومن العرب من يقول: شيخ وبيت وسيد، كراهية الياء بعد
الضمة". وعلل الرضي هذا الكسر فقال: "وبعض العرب يكسر أول المصغر في
ذوات الياء نحو: نيب وشيخ، خوفاً على الياء من انقلابها وأوا-لضمة
ما قبلها، وتقصياً من استثقال ياء بعد ضمة لو بقيتا كذلك، وهذا كما قيل
(٨٩) هناك صيغة رابعة للتصغير خاصة بجمع من جموع القلة وهو ما جاء
على بناء (أفعال) مثل أفراس فتصغيره على صيغة (فُعَيْعَال): أفراس.
ويختلف ميزانه عن الصيغة قالميزان الصرفي (فُعَيْعَال).

(٩٠) سيبويه، الكتاب، ٤٨١/٣.

(٩١) ذهب ابن مالك إلى جواز أن تقلب إلى واو الياء أو ما أنقلب عنها
(التسهيل، ٢٨٤)، ومثل لذلك ابن عقيل بقوله: "نحو بيت وشيخ، أجاز
الكوثيون إقرار الياء نحو: بيت وشيخ، وقلبها واواً نحو: بيت
وشيوخ؛ وحكوا عن العرب: بويضة؛ والتزم البصريون الأول، جعلوا بويضة
شاذاً" (ابن عقيل، المساعد، ٤٩٨/٣).

(٩٢) (٩٣)

في الجمع بيوت وشيوخ - بكر الفاء - وقرئ به في الكتاب العزيز".

قال المعري معالجا أمر تصغيرها: "ولو صغرت على رأي الخليل لجاز لك أن تقول: أَيْيَّة وإِيَّة، كما تقول: تُدِي وتُدِي" (٩٤).

والمعري يقيس التصغير في (آية) على جمع التكسير لشدي الذي يجوز فيه

ما قاله الجوهري: "وتُدِي على نُعُول، وتُدِي أيضا بكر الشاء إتباعا (٩٥)

لما بعدها من الكسر".

ولا يختلف أمر تصغيرها عند من يذهب مذهب القراء، قال المعري: "ولو

صغرت على القول الآخر وهو مذهب من يرى أن أصلها: أَيْة بالتشديد لقلت كما قلت في القول الأول لأنه يرجع إلى مثل حاله" (٩٦).

ويختلف تصغيرها على رأي أورده ابن فارس؛ وذلك يجعل الألف همزة

مخففة وأنها على زنة (أغية)؛ والسبب في ذلك أن هذه الألف متشناة مما

يرده التصغير إلى أصله، قال سيبويه في معرض حديثه عن الهمزتين في

٩٢) قال في النشر: "واختلفوا في الضم والكسر من (بيوت، والقيوب، وعيون،

وشيوخ، وجيوب) فقرأ بضم الباء من (البيوت وبيوت) حيث وقع أبو جعفر

والبصريان وورش وحفص وقرا بكر العين من (العيون وعيون) والشيخ من (شيوخا)

حمزة وأبو بكر وقرا بكر العين من (العيون وعيون) والشيخ من (شيوخا)

وهو في غائر والجيم من (جيوبهن) وهو في سورة النور ابن كثير وحمزة

والكاسي وابن ذكوان وأبو بكر إلا أنه اختلف عنه في الجيم من

(جيوبهن) فروى شعيب عن يحيى عنه ضمها وكذلك روى عنه العليمي من

طريقه وروى أبو حمدون عن يحيى عنه كسرهما" (ابن الجزري، النشر في

القراءات العشر ٢/٢٢٦).

٩٣) الرضي، شرح الشافية، ٢٠٩/١.

٩٤) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٨.

٩٥) السابق، ١٠٨-١٠٩.

٩٦) السابق، نفسه.

الكلمة الواحدة وما يجري من أمر تخفيف الثانية وإعلاها: "وإذا جمعت آدم قلت: أوادم، كما أنك إذا حقرت قلت: أويدم؛ لأن هذه الالف لمّا كانت ثانية ساكنة وكانت زائدة؛ لأن البدل لا يكون من أنفس الحروف، فأرادوا أن يكسروا هذا الاسم الذي قد ثبتت فيه هذه الالف-صيروا ألفه بمنزلة ألف خالد" (٩٧) وقال السيرافي في شرح هذه القضية: "وذلك أن آدم وإن كان الأصل فيه همزة فقد قلبتها ألفاً على سبيل التخفيف، فصار بمنزلة ما كان ثانيه ألفاً، نحو: ضارب وبازل وخابط" (٩٨).

وقال ابن جنّي: "وإذا أبدلت الهمزة على هذا جرت الالف التي هي بدل منها مجرى ما لا أصل له في همز البتة" (٩٩).

ويكون تصغيرها بناء على ما سبق: (أوية).

وعلى أي حال كان تصغيرها في الأقوال السابقة فإن صفة التصغير (فُعِيل) والميزان الصرفي هو (فُعِيلَة).

وأما الذين يذهبون إلى زيادة الالف فإن عليهم مراعاة أحكام الالف الزائدة في التصغير، وما يجلبه ثلاث ياءات من الثقل آخر الاسم فتحذف إحداها، قال سيبويه "واعلم أنه إذا كان بعد ياء التصغير ياءان حذفت التي هي آخر الحروف، ويصير الحرف على مثال فعيل، ويجري على وجوه العربية. وذلك في عطاء: عطى، وتضاء: قضى، وسقاية: سقى، وإداوة: أديت، وفي شاوية شوية، وفي غاو: غوي" (١٠٠)، وعلى سيبويه ذلك بقوله: "وذلك لأن هذه اللام إذا كانت بعد كرة اعتلت، واستثقلت إذا كانت بعد كسرة فهي غير المعتل، فلما كانت بعد كسرة في ياء قبل تلك الياء ياء التحقير ازدادوا لها استثقالاً فحذفوها" (١٠١).

(٩٧) سيبويه، الكتاب، ٥٥٢/٣.

(٩٨) السابق، ٥٥٢/٣، ح ٣.

(٩٩) ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ٦٦٥/٢.

(١٠٠) سيبويه، الكتاب، ٤٧١/٣.

(١٠١) السابق، الصفحة نفسها.

قال المعري شارحا هذا التصغير: "قاما من زعم أنها فاعلة في الأصل فيلزمه أن يقول في تصغيرها (أَوِيَّة)؛ لأن الالف عنده ألف فاعلة وليست منقلبة عن ياء وإنما هي كالف ضارب وطالب وهذه الالف تصير واوا في التصغير والجمع فتقول طويل وبويلب وإذا سميت رجلا طالبا قلت في جمعه ^(١٠٢) طوالب".

ويلاحظ أن اللفظ يعد تصغيره ليس فيه ثلاث ياءات لأنه في الأصل قد حذفت منه ياء، ولو لم تحذف الياء لوجب حذفها للتصغير. وبهذا تختلف صيغة التصغير عن الميزان، قال الصيغة (تُعِيل) أما الميزان فهو (تَوِيلَة).

وحاول الفراء أن يستفيد من ظاهرة التصغير في تفسير بناء (آية) إذ رد قول الكسائي، بأنها على فاعلة، محتجا بأن ذلك لا يستقيم مع تصغيرها تصغير الأسماء الثلاثية التي اجتافتها علة ومثاله ما مر معنا من تصغير (آية) على قول الخليل، والظاهر أن الكسائي يصغر آية ذلك التصغير المذكور، ولذلك قال الفراء: "وكان الكسائي يقول إنه فاعلة منقوصة؛ قال الفراء: ولو كان كذلك ما صغرها إِيَّة، بكسر الالف". ولما راجع الفراء الكسائي في ذلك زعم أنها صغرت تصغير ترخيم، قال الفراء: "وسألته عن ذلك فقال صغروا عاتكة وفاطمة عتيكة وفطيمة، فالآية مثلها، وقال الفراء: ليس كذلك لأن العرب لا تصغر فاعلة على فعيلة إلا أن يكون اسما في مذهب فلانة فيقولون هذه فطيمة قد جاءت إذا كان اسما، فإذا قلت هذه فطيمة ابنها يعني فاطمته من الرضاع لم يجز، وكذلك صليح تصغيرا لرجل

^(١٠٢) رسالة الملائكة، ١١٠-١١١، ولم يكتب أبو العلاء بما عرضه من أمر تصغير آية بل أطلق لخياله أن يعرض لنا احتمالا كان يمكن أن يقال في ذلك وهو أن اللفظة لو لم تكن يائية لجاز أن يدعى أنها من الجذر "ا/و/ي" كأنها علامة يأوي إليها الضال فتكون ألفها منقلبة من الواو وتصح المياء لاجل علة العين ولو صغرت على هذا الرأي لقيل أوية لأنها ترد إلى الأصل كما ترد الساحة إليه.

^(١٠٣) ابن منظور، اللسان، أيا .

اسمه صالح ، ولو قال رجل لرجل كيف بنتك قال صويلح ولم يجز صليح . لأنه
(١٠٤)
ليس باسم " .

أما الجوهري الذي نسب إلى سيبويه أن آية في الاصل: (أُويّة) فلعله
يصفرها على (أُويّة) . وهذا التصغير يلتقي مع تصغير (آية) التي على
بناء (فاعلة) لما ذكرته من أمر حذف الياء قبل التصغير أو
للتصغير؛ ولكن هذا من حيث الشكل الظاهر أما صيغة التصغير والميزان
فهما على نحو ما ذكر في تصغير (آية) على رأي الخليل ومن لم يذهب إلى
زيادة الالف، فالصيغة (تُعِيل)، والميزان (تُعِيلَة) .

٤/ب: الجمع

وضع سيبويه بابا ترجمه بقوله "هذا باب ما كان واحدا يقع للجميع
ويكون واحده على بنائه ولغظه، إلا أنه مؤنث تلحقه هاء التانيث ليتبين
الواحد من الجمع" . (١٠٥) وهذا ما عرق عند النحويين بعد بمصطلح اسم الجنس
الجمعي، وهو من حيث اللفظ مفرد يأتي على أبنية المفرد ومن حيث المعنى
يدل على جمع متجانسي الافراد ، ولأنه جاء على بناء المفرد اُكتفى في
اللفظ الدال على الواحد منه بقاء التانيث التي أشار سيبويه إلى أنها
ليست للفرق بين مذكر ومؤنث بل هي للفرق بين ما يدل على الواحد وما
يدل على الجميع . ومعنى ذلك أن اسم الجنس الجمعي سابق في وضعه لواحد
وأنه لفظ وضع ابتداء للدلالة على جمع، وليس جمعا لواحد بتغيير لبنية
الواحد على نحو ما يحدث في جمع التكثير التالي لمفرده وضعاً، وقد مثل
سيبويه لاسم الجنس الجمعي مستقصيا الابنية التي جاء عليها مشيراً إلى
شيوخ ما شاع منها ومبيناً كيف يجمع المفرد منها . (١٠٦)

ولكي نتصور ترتب الالفاظ حسب وضعها نمثل بما يأتي:

طلع (اسم جنس جمعي) ----- طلحة (مفرد) ----- > طلحات (جمع المفرد)

(١٠٤) ابن منظور، اللسان، أبا .

(١٠٥) سيبويه، الكتاب، ٥٨٢/٣ .

(١٠٦) السابق، ٥٨٢/٣ - ٥٨٦ .

والفروق بين اسم الجنس الجمعي والجمع الصحيح هو في الدلالة على الكمية، إذ يدل الأول على الكثرة ويدل الثاني على القلة. ويعبر سيبويه عن ذلك الترتيب تعبيراً دقيقاً في قوله: "فإذا أردت أدنى العدد جمعت الواحد بالتاء. وإذا أردت الكثير صرت إلى الاسم الذي يقع على الجمع، ولم تكسر الواحد على بناء آخر".^(١٠٧)

على أن هذا لم يمنعهم عند جمع مفرد اسم الجنس الجمعي من تجاوز اسم الجنس الجمعي إلى جمع تكثير قياساً على ما يكون له جمع تكثير من المفردات، قال سيبويه: "وربما جاءت (الفعلية) من هذا الباب على فعال، وذلك قولك: سخلت وسخال، وبهمة وبهام، وطلحة وطلاح وطلح، شبهوه بالقصاع".^(١٠٨)

ولعلنا بعد هذا التقديم ندرك أن الحديث عن جمع (آية) حين يعرض له اللغويون يسوقونه أحياناً دون تفرقة بين ما هو جمع وما هو اسم للجنس الجمعي، فهذا ابن دريد يقول: "وجمع آية آي وآيات". وقال ابن جنى: "وآياء جمع آية وآي". أما الجوهري فقال: "وجمع الآية آي وآيائي وآيات".^(١٠٩)^(١١٠)^(١١١)

وقد تعقب ابن بري الجوهري فوجهه أخطأ في (آيائي)، إذ حكم الياء المنطرفة بعد ألف زائدة أن تقلب همزة؛ فالصواب (آياء)، وأخطأ في عده هذا جمعاً لآية، إذ هو جمع لاسم الجنس الجمعي (آي).^(١١٢)

ويكمن تصوير العلاقة بين هذه التصرفات على هذا النحو:

آياء >-----> آي >-----> آية >-----> آيات

وأشار أبو العلاء إلى التغير الصوتي في جمع (آي) فقال: "وإذا جمعت

١٠٧) سيبويه، الكتاب، ٥٨٢/٣.

١٠٨) السابق، نفسه.

١٠٩) ابن دريد، الجمهرة، ١٩٢/١.

١١٠) ابن جنى، سر صناعة الإعراب، ٦٦٥/٢.

١١١) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧٥/٦.

١١٢) ابن منظور، اللسان، أيا.

(آيا) على مثل أزمان وأجمال قلت آياء فقلبت الياء الاخرة همزة كما
(١١٣)
فعلت في سقاء وقضاء".

ولم يسمع سوى هذا، غير أن أبا العلاء المعري مولع بالافتراض وبحث
إمكانات التغير، فهو يذهب إلى أنه لو جمعت (آية) - على مذهب الخليل أي:
(أَيَّة) - كما تجمع (أكمة) على (آكم) لكانت في حالة الرفع والجر :
(١١٤)
(آي)؛ إذ أصلها: (أأيي)، فجعلت الهمزة الثانية الساكنة ألفا لسبقها
بهمزة مفتوحة، وحذفت الياء الثانية لالتقاء الساكنين حرف العلة (الياء)
والتنوين الساكن. قال أبو العلاء: "قلت في الرفع والخفض هذه آي يا فتى
وعجبت من آي قراهن فلان ولو نصبت لقلت سمعت آيا فاتعظت، غير أن هذا
شيء لم ينطق بمثله إلا أنه على باب: أظي، وأنت قائل في التصب رأيت
أظيا ولا يمكنك أن تدغم إذا نصبت في قولك رأيت آييا؛ لأنك تصير
بالاسم إلى ما يستثقلون ولكنك تخفي إن شئت".
(١١٦)

ج/٤: النسب

تعددت صور النسب إلى (آية)؛ إذ نجد عند سيبويه ثلاث صور: آئي، وآيي،
وآوي. وثم صورة رابعة ذكرها الجوهري وهي (أووي).

ج/٤: ١- الصورة الأولى: (آئي)

ينطلق تفسير التغير في هذه الصورة من مبدأ كراهية اجتماع
المتماثلات الذي يتخلص منه بوسائل مختلفة منها الإبدال، فالأصل هنا هو
(آيي)، أما الإبدال إلى همزة فتوقع الياء بعد الألف، وشرح سيبويه هذا
بقوله: "وسأله عن الإضافة إلى راية وطاية وثاية وآية ونحو ذلك،
فقال: أقول: راثي وطاثي، وثائي، وآئي. وإنما همزوا لاجتماع الياءات مع
(١١٣) المعري، رسالة الملائكة، ١١٠.

(١١٤) قال ابن ميدة: "والجمع: أكم، وأكم، وإكام، وآكام، وآكم
كأفلي، الأخيرة عن ابن جني" (المحكم، ٧/٧٥).

(١١٥) المعري، رسالة الملائكة، ١٠٩.

(١١٦) رسالة الملائكة، ١٠٩. وأظي، جمع ظبي وهي على وزن (أفع)؛ وأصلها:
أظبي، قبل حذف الياء لالتقاء ساكنين، على وزن (أفعل).

الالف، والالف تشبه بالياء، فصارت قريبا مما تجتمع فيه أربع ياءات،
 فهمزوها استثقالا، وأبدلوا مكانها همزة، لأنهم جعلوها بمنزلة الياء
 التي تبدل بعد الالف الزائدة؛ لأنهم كرموها هاهنا كما كرمت ثم، وهي
 هنا بعد الف كما كانت ثم، وذلك نحو ياء رداء".
 أصل الهمزة :

يشير أبو العلاء في الحديث عن هذه الصورة سؤالاً وهو: انقلاب الهمزة
 عن ياء مباشرة أم عن واو قلبت عن الياء قال: "ولقائل أن يقول الأصل آي
 بلا امتراء فالهمزة هل حدثت عن الياء أم عن الواو، فيقال له كل ذلك
 (١١٨)
 يجوز".

علة قلب الواو همزة :

فصل المعري القول في جواز القول بانقلاب الهمزة عن الواو: آوي، آئي،
 ثم راح يحشد الشواهد اللغوية على هذه الظاهرة، قال:
 "فإن شئت قلت قلبوا الياء واوا ثم حمزوا الواو لأنها مكسورة كما
 قالوا في وشاح وإشاح وكان هذا ألوم لأن بعد الواو ياءين ألا ترى أن
 همزة بعدها ياء مشددة قد جاءت في كلامهم صدرا للكلمة فقالوا إيالك
 وإيل للذي في الجبل وليس في كلامهم واو مكسورة بعدها ياء مشددة في
 صدر كلمة البتة وقد جاءوا بالهمزة المفتوحة وبعدها الياء المشددة في
 مواضع كثيرة ولم يفعلوا ذلك في الواو إلا تراهم قالوا للرجل أيم
 وللمرأة أيم، وقالوا أي القوم معك ورجل أي وأيده الله، وليس في
 كلامهم مثل وييل ولا وير".
 (١١٩)
 علة قلب الياء همزة :

وعلى نحو ما احتج المعري لقلب الواو همزة وإن هذا ألزم لما استدل
 به من الشواهد نجده أيضا يستشهد على هذه الظاهرة بالشواهد اللغوية، قال:

(١١٧) ميبويه، الكتاب، ٣/٣٥٠ .

(١١٨) المعري، رسالة الملائكة، ١٢٣ .

(١١٩) السابق، ١٢٣-١٢٤ .

"وأما قلبهم الياء إلى الهمزة فكما قلبوها في قولهم يدَي وأدَي وهو العيش الواسع ويلنحج ويلنحج. والياء إذا كانت متحركة بالكر وقلبها ما يكت عليه فهي جارية مجرى ما يبتدا به في بعض الجهات ولا ريب في أنهم آثروا الابتداء بالهمزة على الابتداء بالياء ألا ترى أن أفعل في الاسماء أكثر من يفعل فيأب أحمر وأصفر لا يقاس به في الكثرة باب يرمع ويلمع واليرمع حجارة رقاق تنفت باليد واليلمع البرق والسراب وقالوا إصبغ أبلم ولم يقولوا يرمع وقد حكى يعفر على الاتباع وقال بعض أهل اللغة ليس في كلامهم اسم أوله ياء مكسورة إلا قولهم اليسار لليد هكذا قال ابن دريد وغيره يقول يسار باتفتح فإذا كان ذلك على ما تعرفه العامة فقد فقدت ياء مكسورة في أول الاسماء إلا أن يجيء في مصدر فاعلت فإنهم يضطرون إلى ذلك إذا قالوا ياسرت الرجل يسارا وقد استغنوا بالمياسرة وكذلك قالوا يامنت أي أتيت اليمن ولعلمهم يجتنبون اليمان في المصدر ويغرون منه إلى الميامنة ويدلك على أن الكسرة عندهم مع الهمزة أيسر منها مع الياء أنهم يقولون أعلم وإستعين وإخال فيكسرون مع الهمزة كما يكسرون مع التاء والتون. وقد قرأت بذلك القراء يحيى بن وثاب وغيره ويروى أنه قرأ إنأتمته قليلا ثم أظطره إيكسر الهمزة من أظطره وكذلك يفعل في غيرها من حروف المضارعة فقرأ أيوم تبيض وجوه وتسود وجوه أو لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وهذه لغة للعرب فيما كان على فَعَل يفعل وما جاوز الأربعة نحو: أسود وأقشعر. وإذا صاروا إلى الياء فروا إلى الفتح فلم يقولوا يعلم كذلك يقول سيبويه وقد حكاهما الفراء عن قوم من العرب وإن صحت فهي شاذة وليس هذا من باب ينحل وقرأ أصحاب القراءة التي مر ذكرها [إن كنتم تيلمون فإنتهم يالمون كما تيلمون] فكسروا مع التاء ولم يكسروا مع الياء فهذا (١٢٠) يبين حال (آية) في النصب".

وينطلق تفسير الصورة الثانية وهي ما ورد ذكرها سابقا من صفة الياء إذ الياء قد تكون في نهاية الاسم فيعد الاسم بها صحيحا لأنها مسبقة بماكن مثل طبي، ولا تتغير الياء منه عند النسب فيقال: طبيي. وقد يكون الاسم بالياء اسما منقوصا فتتغير منه الياء مثل: شجي فيقال عند النسب: شجوي. والياء في مثل أمية هي من النوع الذي لا يتغير بعد حذف التاء لأنها ياء مسبقة بماكن، ولذلك تعامل عند النسب معاملة (طبي) فينب إليها: أميي، مثل: طبيي. قال سيبويه: "ومن قال: أميي قال: آبي ورايى بغير همز؛ لأن هذه لام غير معتلة، وهي أولى بذلك لأنه ليس فيها أربع ياءات، ولأنها أقوى".^(١٢١)

قال السيرفي: وأما من قال: رايبى فثبت الياء فلأن هذه الياء صحيحة تجري بوجوه الإعراب قبل النسبة، كياء طبي، فلما كانت النسبة إلى طبي من غير تغيير، كان رايبى كذلك.^(١٢٢)

وأوضح أبو علي الفارسي أنه لا يصح أن يقاس على آية غيرها مما يكون حرف العلة بعد ألف لأن ألفها متقلبة عن أصل وليست زائدة قال: "فأما إبدالهم الياء التي هي لام واوا في (أتاوي) فعلى ما جاء في أحد الأقوال في راية وآية.

فإن قلت: يجوز التصحيح في (أتاوي) في القياس عندك كما جاء (آبي) بتصحيح الياء؟ فإن ذلك لا يجوز كما جاز في باب آية وذلك لأن الحرف بوقوعه بعد الألف الزائدة أدخل في الاعتلال. ألا تراهم قالوا: آسي فصحوا مع حذف التاء، وقرأوها، وليست واحدا مثل ذلك في باب سقاية وعباية فكذلك لا ينبغي تصحيح هذا وإن صح آبي".^(١٢٣)

ومما يؤيد هذه الصورة أنه على الرغم من أن الاسم الختلي بياء

(١٢١) سيبويه، الكتاب، ٣/٣٥٠-٣٥١ .

(١٢٢) السابق، ٣/٣٥٠، ج ٢ .

(١٢٣) الفارسي، البصريات، ١/٢٥٦-٢٥٧ .

مشددة بعد حرفين حقه أن تحذف إحداهما وتقلب الأخرى واوا؛ روي ما أبقى
على هذه الياء ؛ قال سيبويه : "ومثل ذلك قصي ، منهم من يقول : قصي" .
(١٢٤)

وقال أبو العلاء : "لأنهم قد كثر في كلامهم مثل هذا إذ كانوا يقولون
رجل عيي وهذا مكان محيئ فيه وأمر معيئ به" .
(١٢٥)

٤/ج: ٣- الصورة الثالثة (آوي) :

ويعتمد تفسير هذه الصورة على ما اعتمد عليه تفسير الصورة الأولى
وهو التخلص من التماثلات، وإبدال الياء واوا في النسب هو الإجراء
العام الذي يتخلص به من اجتماع الياءات، قال سيبويه : "ولو أبدلت مكان
الياء الواو فقلت : ثاوي وآوي وطاوي وراوي جاز ذلك" .
(١٢٦)

وغير أبو العلاء هذه الصورة بقوله : "وأما قلبهم إلى الواو فلاجل
الياءات والهمز فروا إليه لاجتماع الحروف التي جرت عاداتها بأن
(١٢٧)
تعتل" .

فالتغير على هذا النحو: آيي ----- آوي

على أننا نجد عند السيرافي قولاً يفهم منه أن هذه الواو منقلبة عن
الهمزة كراهة وقوعها بين ألف وياء ، فالتغير هو: آيي ----- آئي ----- آوي ، قال :
السيرافي : "وأما من قال : راوي فإنه استثقل الهمزة بين الياء والألف ،
تجعل مكانها حرفاً يقاربها في المد واللين ، ويقارقتها في الموضع ، وهي
(١٢٨)
الواو" .

الصورة الرابعة : (أوي)

هذه الصورة هي امتداد لما نسبته الجوهري إلى سيبويه من أن عين

١٢٤) سيبويه ، الكتاب ، ٣/ ٣٥١ .

١٢٥) المعري ، رسالة الملائكة ، ١٢٣ .

١٢٦) سيبويه ، الكتاب ، ٣/ ٣٥١ .

١٢٧) المعري ، رسالة الملائكة ، ١٢٣ .

١٢٨) سيبويه ، الكتاب ، ٢/ ٣٥٠ ، ج ٣ .

(آية) هي الواو. قال الجوهري: "وتكون النسبة إليه أووي"، ونقل هذا عنه
(١٣٠) الصفدي.

ورد هذه الصورة تابع لرد الجذر نفسه الذي بين عند تعداد مرجحات
(١٣١) الجذر. وقال [ابن بري]: "أما أووي فلم يقله أحد علمته غير الجوهري".
(١٣٢)

* * *
* *
*

خاتمة :

نود قبل أن نختم هذا البحث أن نضع جدولا يزوي ما عرضناه من أقوال
في جذور الكلمة وبنائها ووزنها وما فيها من إعلال واختلافات في تفسير
هذا الإعلال مع نسبة كل قول إلى صاحبه.

(١٢٩) الجوهري، الصحاح، ٢٢٧٥/٦ .

(١٣٠) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، غوامض الصحاح، ١٠٥ .

(١٣١) انظر هذا بعد المدخل: ١/ب .

(١٣٢) ابن منظور، اللسان، أيا .

الجذر	البناء	الوزان	الإعلا ل	تفسير الإعلا ل	صاحب القول
ء / و / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب الواو (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	نسبه الجوهري إلى ميبويه
ء / ي / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	الخليل
ء / ي / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	غير منسوب
ء / ي / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	غير منسوب
ء / و / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب الياء (اللام) الفا	لتحركها وانفتاح ما قبلها	ذكره السمين وابن عقيل
ء / ي / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب الياء (العين) الفا	تخلصا من متماثلات تخفيفا	رواه ميبويه، واتخذه الفرا
ء / ي / ي	فَاعِل	فَاعِلَة	حذف الياء	تخلصا من متماثلات	الكاشي
ء / ي / ي	فَاعِل	فَاعِلَة	تلبت الياء الفا ثم حذفت	تخلصا من لقاء الفين ماكتنين	ورد في السا
ء / ي / ي	فَاعِل	فَاعِلَة	حذف النهمزة	تخلصا من متماثلات	افترضه المعر
ء / ي / ي	فَعَّل	فَعْلَة	قلب النهمزة (العين)	تخلصا من متماثلات	رواه ابن قار

ونستطيع بعد هذا الاستعراض لأقوال العلماء على اختلافها أن نثبتين أن الجمهور يذهب إلى أن (آية) ترجع إلى جذور ثلاثية هي (أ / ي / ي)، أما من حيث البنية وما حدث في اللفظ من تغير فلدينا رأيان أساسيان أحدهما الرأي المنسوب إلى الخليل وهو أن (آية) في الأصل (أَيْبَة). والثاني الرأي الذي أخذ به الفراء وهو أنها في الأصل (أَيْة). وانقسم المتأخرون بين مؤيد لقول الخليل ومؤيد لقول الفراء، نراينا ابن عصفور يدافع عن

قول الخليل ويذهب مذهبه، ورأينا العكبري وابن مالك يأخذان برأي الفراء.

ورأينا أن لكل رأي عيبه فعيب رأي الخليل أن حق التغير أن يكون في الياء الثانية من (آية)، وعيب رأي الفراء أن الإدغام من أهم وسائل التخلص من التماثلات وليس توالي همزة وياء مشددة بالأمر الموجب للتخلص من الياء إذ نجده في ما هو أكثر استخداما من اللفظ (آية)؛ إذ نجده في (أي)، و(إيّاك)، ونجده في الفاظ آخر مثل: (أيم، وأيل). ولا يصار إلى التخلص من التماثلات بالقلب إلا إن كان الإدغام متعذرا أو يورث ثقلا لا يتحقق معه الغرض.

وأما الاحتجاج بسهولة القول بغير مقبول إذ لا يكفي أن تكون العلة سهلة بل يجب أن تكون أقرب إلى الاطراد وإلى كونها قانونا.

وإن ما روي من أمثلة جاءت على لغة الحارث بن كعب فبعضها ترجع إلى تغليب صورة المثني بالالف وليست قلبا للياء إلى الف. أما الكلمات المنتهية بالف منقلبة عن ياء أصلا فقد أبقى على الف فلم ترد إلى أصلها (على---على---علاه)، وأما الأمثلة الأخرى التي هي ياءات قلبت إلى الف فهي جارية على التفسير الذي قدمه إبراهيم أنيس ومفاده (١٣٤) أنها قد مرت بمراحل فهي قد حول المصوت المركب (أي) منها إلى الف ممالة كما في الكلمة date ثم حولت إلى الف خالصة بعد ذلك. مثال ذلك كلمة (بيض: bād → baḍe → baiḍ).

من أجل ذلك أجدني مائلا إلى قول الخليل منغضا عن القدح الذي وسم به، وذلك أن ظاهرة تغير العلة بسبب تحركها وانفتاح ما قبلها أشيع من تلبيها تخلصا من التماثل. وأمر آخر يعزز ذلك هو أن تحرك الياء وانفتاح ما قبلها قانون صوتي لا يحتمل فيه التفسير سوى ذلك أي أن الياء لا

(١٣٣) الثمان، التخلص من التماثلات لفظا، ٨٠، ١١٩.

(١٣٤) إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ١٤٣.

يمكن وفاقا لهذا القانون إلا أن تكون الثاء، وأما في القلب الذي يهدف إلى التخلص من المتماثلات فقد يقود إلى القلب إلى واو أو ألف أو حمزة، إذ نجد في مثل (حيوان) أن الياء قلبت إلى واو عند من يذهب إلى قلبها، وفي النسب: (حيي) قلبت إلى واو (حيوي)، وفي النسب قلبت إلى حمزة في (آيي) ~~~~~ آئي).

ويمكن انطلاقا من اشتقاق الكلمة القول إن (آية) مأخوذة من (آي) بإلصاق الثاء وهو شأن المفرد المأخوذ من اسم الجنس الجمعي، والتفسير الذي هو قلب للياء وقع على الياء الأولى لا الثانية من (آي) لأنها هي الملازمة للحركة مع سبقها بالفتح بخلاف الثانية التي تفقد حركتها في الوثق، فلعل هذا رجح إعلال الياء الأولى على الثانية على ما فيه من شذوذ.

* * *

المصادر والمراجع:

- إبراهيم؛ عبد العليم:
تيسير الإعلال والإبدال (مكتبة غريب/ القاهرة، ١٩٦٩ م).
الانصاري؛ أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت (٢١٥هـ):
النوادر في اللغة (ط٢، دار الكتاب العربي/ بيروت، ١٩٦٧ م).
أنيس؛ إبراهيم:
في اللهجات العربية (ط٤، مكتبة الانجلو المصرية/ القاهرة ١٩٧٣ م).
البغدادي؛ عبد القادر بن عمر (١٠٩٣ م):
خزانة الأدب و لب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (ط١، دار الكاتب العربي/ القاهرة، ١٩٦٨ م).
ابن الجزوي؛ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (٨٣٣هـ):
النشر في القراءات العشر، بعناية: علي محمد الضباع (المكتبة التجارية الكبرى، د.ت).

ابن جني؛ أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ):

- المنصف، تحقق. إبراهيم مصطفى (ط١)، وزارة المعارف العمومية / القاهرة، ١٩٥٤م.)

- سر صناعة إعراب، تحقق. حسن هندراوي (ط١)، دار القلم / دمشق، ١٩٨٥م.)
الجوهري؛ إسماعيل بن حماد (٣٩٨هـ):

الصاح، تحقق. أحمد عبد القفور عطار (ط٢)، دار المعلم للملايين / بيروت، ١٩٧٩م.)

ابن خالويه؛ أبو عبد الله الحسين بن أحمد (٣٧٠هـ):

الحجة في القراءات السبع، تحقق. عبد العال سالم مكرم (ط٢)، دار الشروق / القاهرة، ١٩٧٧م.)

ابن دريد؛ أبو بكر محمد بن الحسن (٣٤١هـ):

جمهرة اللغة (ط١)، دائرة المعارف / حيدرآباد، ١٩٢٥م.) صورة المثنى.
الدلائل؛ محمد بن أبي بكر المرابط (١٠٨٩هـ):

نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل، تحقق. مصطفى الصادق الغربي (الطاب والتوزيع والإعلان والنشر، بنغازي، د.ت.)

الدمايني؛ محمد بدر الدين بن أبي بكر بن عمر (٨٢٧هـ):

تعليق الفرائد على تهليل الفوائد، تحقق. محمد عبد الرحمن المفدى (ط١)، ١٩٨٣م.)

ريبن؛ شاييم:

اللهجات العربية الغربية القديمة، تر. عبد الرحمن أيوب (جامعة الكويت / الكويت، ١٩٨٦م.)

الزجاج؛ أبو إسحاق إبراهيم بن السري (٣١١هـ):

معاني القرآن وإعرابه، تحقق. عبد الجليل عبده شلبي (ط١)، عالم الكتب / بيروت، ١٩٨٨م.)

السمين؛ أحمد بن يوسف (٧٥٦هـ):

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقق. أحمد محمد الخراط (ط١)، دار القلم / دمشق، ١٩٨٦م.)

- سيويه؛ أبوبشر عمرو بن قنبر (١٨٠هـ) :
- الكتاب، تحقيق. عبدالسلام محمد هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة، ١٩٦٦م.).
- ابن سيده؛ علي بن إسماعيل (٤٥٨هـ) :
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق. مصطفى السقا، وحين نصار السيوطي؛ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ) :
- شرح شواهد المغني (لجنة التراث العربي/ دمشق، د.ت.).
- الثمان؛ أبو أوس إبراهيم :
- "التخلص من التماثلات لفظاً"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية (جامعة الكويت/ الكويت، ١٩٩٤م.) ٤٧٤، ص ١٢٧-٧٧ .
- الصفدي؛ صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤هـ) :
- غوامض الصحاح، تحقيق. عبدالإله نبهان (ط١)، معهد المخطوطات/ الكويت، (١٩٨٥م.)
- أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى التيمي (٢١٠هـ) :
- مجاز القرآن، تحقيق. محمد فؤاد مزيكين (ط٢)، مكتبة الخانجي/ القاهرة، (١٩٧٠م.)
- ابن عصفور؛ أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (٦٦٩هـ) :
- المتع في التصريف، تحقيق. فخر الدين قباوه (ط١)، المكتبة العربية / حلب، (١٩٧٠م.)
- ابن عقيل؛ بهاء الدين عبدالله (٧٦٩هـ) :
- المساعد على تهليل الفوائد، تحقيق. محمد كامل بركات (جامعة أم القرى/ مكة المكرمة، ١٩٨٠م.)
- العكبري؛ أبو البقاء (٦١٦هـ) :
- التيبان في إعراب القرآن، تحقيق. علي محمد البجاوي (عيسى البابي الحلبي/ القاهرة، ١٩٧٦م.).

- ابن عاصم؛ أبوطالب المفضل بن سلمة (٢٩٠هـ):
 الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي (ط١)، الهيئة المصرية العامة
 للكتاب/ القاهرة ١٩٧٤م.).
- الفراء؛ أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧هـ):
 معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي و محمد علي النجار (دار
 الكتب المصرية/ القاهرة، ١٩٥٥م.).
- ابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن زكريا (٣٩٥هـ):
 - مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ط٢)، مصطفى البابي
 الحلبي/ القاهرة، ١٩٧٠م.).
- مجمل اللغة، تحقيق: هادي حسن حمودي (ط١)، معهد المخطوطات العربية/
 الكويت، ١٩٨٥م.).
- الفارسي؛ أبو علي الحسن بن أحمد (٣٧٧هـ):
 المسائل البصريات، تحقيق: محمد الشاطر أحمد محمد أحمد (ط١)،
 مطبعة المدني/ القاهرة، ١٩٨٥م.).
- المؤدب، القاسم بن محمد بن سعيد (٣٤٣هـ):
 - دقائق التصريف، تحقيق: أحمد ناجي القيسي، وحاتم الضامن، وحسين
 تورال (المجمع العلمي العراقي/ بغداد، ١٩٨٧م.).
- دقائق التصريف، تحقيق ودراسة: محمد سالم الهزاع (رسالة ماجستير،
 جامعة الملك سعود/ الرياض، ١٩٨١م.).
- مجمع اللغة العربية:
- المعجم الكبير (مطبعة دار الكتب/ القاهرة، ١٩٧٠م.).
- المعري؛ أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان (٤٤٩هـ):
 رسالة الملائكة، تحقيق: لجنة من العلماء (ط٣)، دار الاثاق الجديدة/
 بيروت، ١٩٧٩م.).
- ابن منظور؛ جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ):
 لسان العرب (طبعة بولاق/ القاهرة ١٣٠٨هـ- [١٨٩١م]).
- ابن مالك؛ أبو عبدالله جمال الدين محمد بن عبدالله (٦٧٢هـ):

تمهيل الفوائد وتكميل المقامد، تحقق. محمد كامل بركات (دار

الكاتب العربي/ القاهرة، ١٩٦٧م.)

ابن يعيث؛ أبو البقاء موفق الدين يعيث بن علي (٦٤٣هـ):

شرح المفصل (دار الطباعة المنيرية/ القاهرة، د.ت.).

الشاعر الفقي

السمات ... والمحطات

د. / جميل محمود هاشم مغربي

قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

مثلاً تأتي لأبي الطيب أن يشكل ظاهرة فريدة في الأدب العربي من خلال عكوف أكبر عدد من الشراح على ديوان شاعر ، وتناوله بالتفسير والتحليل^(١) ، الأمر الذي اقتضى بروز ظاهرة نقد الشروح ، واختلاف النقاد حوله وحول شاعريته ، بين مؤيد ومناوئ ، أو انتهاج الوسطية ، أو التظاهر بالوسطية والحيدة ، وتبشع ذلك إلى جملة من الدرامات المتصلة بشعره^(٢) .

فلقد تأتي للشاعر محمد حسن فقي أن يشكل ظاهرة فريدة في الشعر العربي على مر عصوره ، من حيث غزارة الانتاج ، والتدفق الشعري ، فلقد تسنى له أن يصدر ديوانه الأول (قدر ورجل) عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م ثم اصدر في عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ديوانه (رباعيات) ، واردفه بمجموعة أعماله الكاملة (عدا الأعمال السابقة) بين الأعوام ١٩٨٤م - ١٤٠٤هـ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م في ثمانية مجلدات^(٣) ، يقع أصغرها في ٤٣٦ صفحة ، وأكثرها ضخامة في ٧٢٠ صفحة ، عدا الفهارس^(٤) ، لذلك نجد أحد الدارسين يصف قصائده وشاعريته المتدفقة بقوله : (لكن الشاعر بقليل منها يستطيع أن يكون أكثر شعراء البلاد روائع وأكثرهم أيضاً شعراً ، فلا يباريه في هذا الميدان أي فارس إنه أكبر شعراء المملكة)^(٥) .

وعلى الرغم من أن غزارة الانتاج قد تدرج ضمن المزايا التي تحسب للشاعر ، وتحقيق له الندرة والتميز ، كما يعبر عن ذلك حسن بن عبد الله آل الشيخ في تقديمه للمجلد الأول من اعمال الشاعر ، وهو يمثل رأياً تقديمياً على كل حال :

(فهو بما قلّم ويقلم يقف بمجدارة في القمة من شعراء العصر الحديث نوعية وانتاجاً وغزارة ..

واسم في موقف المعبر عن الثروة الكبيرة التي شاء الله أن يهبها لشاعرنا الكبير ، لكنني أدعو الله أن يمنحه المزيد من القرة والصحة حتى نظل على لقاء دائم معه ، وحتى نستطيع أن نقول للعالم إن في الجزيرة شعراء استطاعوا بمجدارة فرض شاعريتهم ونبوغهم ، كما تداد طبعي

لدور هذه الجزيرة وشعرائها في إثراء المكتبة العربية ، والشعر العربي ، بكل ما هو حافل ومجيد^(٦).

إلا أنها قد تنطوي على ما يسهم في غمر قناة الشاعر ، من خلال الأحكام التعميمية التي توهم اقتران غزارة الانتاج بالابتغال والاسفاف ، كما صنع الدكتور الحامد حينما قال :
(ر كثره شعره الجيد لا يعد شاعراً أصيلاً فحسب ، بل ومن شرامخ الشعراء المعاصرين ، أرجو أن لا ينهم من ذلك أن ذلك السيل المتدفق من قصائده من الشعر الرائع ، بل أزعـم أن أكثره من الشعر المتوسط وآخر منه غناء لا خير فيه ، لكن الشاعر بقليل منها يستطيع أن يكون أكثر شعراء البلاد روائع)^(٧).

ومرد هذا الحكم في تصوري يتناسب عكسياً مع غزارة الشعر ، فغزارته مدعاة لاصغار الأحكام المنطوية على عجل وتعميم ، لتعذر العكوف عليه بالدراسة ، والتحليل ، واستيعاب الملامح والخصائص العامة ، وفق مقتضيات الدرس العلمي ، وما تمليه مناهج النقد ، خاصة وأن التاريخ يرفدنا بشخصية شعرية غزيرة الانتاج ، هي شخصية الشاعر أبي العتاهية ، الذي كان يقول: (لو شئت أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلت)^(٨).

ولذلك كان الخلاف حول جودة شعره قائماً ، وانطورت ترجمته في الأغاني على النقيضين ، بل وعلى الحكمين المتناقضين في الخير الواحد ، كما قال أبو الفرج: (ويقال: أطبع الناس بشار والسيد [الحميري] وأبوالعتاهية وما قدر أحد على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتتان ، قليل التكلف ، إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك)^(٩).

ولذلك رأينا ابن الأعرابي ينري بالشتم لمن عاب شعره في خير رواه أبو الفرج حينما (حَمَّ الرشيد فسار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقعة فيها :

لو علم الناس كيف أنت لهم ماتوا إذا ما أَلِمْتَ اجمعَهُم
خليفة الله أنت ترجحُ بالناس إذا ما وُزِنْتَ أنت وهم

قد علم الناس أن وجهك يتـ تغني إذا ما رآه مغلّمهم

فأنشدّها الفضل بن الربيع الرشيد فأمر بإحضار أبي العتاهية فما زال يسامره ويحدثه إلى أن برئ ووصل إليه بذلك السبب مال جليل .

قال : وحُذِّثُ أن ابن الاعرابي حدّث بهذا الحديث ، فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر عسحق لما قلت . قال : ولم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال ابن الاعرابي - وكان أحد الناس - الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية ، الأبي العتاهية تقول : إنه ضعيف الشعر أقواله ما رأيت شاعراً قط أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر (١٠) .

لقد أتيح لي ضمن جملة من أتيح لهم متابعة شعر الشاعر الفقي منذ مراحل الصبا ، غير ما نشره في الصحف والمجلات السعودية ، وسددت النقص الذي سبق تلك السنين بالاطلاع على ديوانه الأول (قدر ورجل) عند صدوره ، الأمر الذي يسّر لي مقارنة شعر الشاعر خلال حقبة زمنية تكفي لمعايشته واستبطان الملامح والخصائص التي ينطوي عليها هذا الشعر . وشعر مثل شعر الفقي يمنح للاستغراق في المضامين الفلسفية ، وينطوي على نزعة تشاؤمية تجسد الصراع بين الوجود والفناء ، يقتضي المراقبة على مدى زمني طويل ، لتأتى دراسته في روية وأناة ، تقيّض للباحث استبطان الدلالات والمضامين ، التي تمده بها المعاشة والانغماس في مناخه .

و رغم انحيازي إلى جانب النص ، وعدم الاحتفال بالخلفيات والبواعث الكامنة خلف النص ، أو الخارجة عنه إلا بالقدر الذي يضيء جوانب النص ، ويؤازر في استكناه الدلالات ، التي يرمي إليها الشاعر ، إلا أنك أمام شعر محمد حسن فقي تقف أمام إشكالية يولدها التساؤل التالي :

هل الشعر بهيمته وسلطانه استطاع أن يستحوذ على الشاعر ويصرغه على هذا النحو ، ويحدد مسار حياته وفق ما عليه مضامين تصرّوه .

إن الذي يغرينا يبحث هذه الفرضية أمور عدة ، تندرج بينها غزارة شعر الشاعر بصرة لم يألّفها الأدب العربي من قبل . حرص الشاعر على أن يغمره شلال الشعر ، ويحجبه عن الآخرين ، من خلال ترك منصبه المرموق ليتفرغ للشعر^(١١) .

ويفرق ذلك كله ما يحفل به النقد من خلال التركيز على شعر الشاعر في الاستبطان والتحليل ، فقصيدته (أنا والشعر)^(١٢) تعد في تصوري أحد المفاتيح التي تمكّنتنا من استكناه واستنطاق مغاليق ذلك النص (محمد حسن فقي) ، ففي استهلاله هذه القصيدة يبدّر الشاعر تروأم الشعر ، يتقاسم الأحاسيس والمشاعر ، بل ويقرر الشاعر أنّ جفاف الشعر سيفضي إلى نهايته .

أنا والشعر توأم فإذا جفَّ فليس الحياة هذي بوسعي
كان لي الإلف إن تكر لي الإل فأ وكان الجئير في يوم صدعي

لما كان ترقف الشعر يعني توقف الحياة بالنسبة للشاعر : جعل منه قلبه الذي يبيض ،
وفي ذات الوقت لا زال التوأم الذي يقف إلى جواره ، ويجتاز به كل الهموم والحن ، والعقل
الذي يفكر به :

هو قلبي الذي يحيش ياخسا سي وعقلي الذي ينور ربعي
وهو يوم الحرب الضروس إذا اشتد عليَّ الخصومُ سفي ودري
وإذا استشرت الحطوبُ وأشقت خي جزائي عن مسّ ضري بنفعي
الهموم الثقال يجتمن في الصد ر وينهشني بأنياب سبع
قيظل الشعر الحنون يواسي سي ويطوي الجراح عن كل ضلع
ويدوّد العيون عن دمي الزا كي فيغدو المصون عنها ودمعي
كم ليالٍ قضيتها وهو جني فلهما آسأ .. يُسكن روعي

ثم يعمد الشاعر في المقطع الثاني إلى مخاطبة التوأم بالرفيق ، ولا تعارض في تصوري بين
أن يكون توأماً ورفيقاً في ذات الوقت :

كنت أنت الرفيق في الدرب تهدي ني لأرقى إلى مدار الكواكب
فإذا أوحش المسيرُ تبدي ت أنيساً وكنت نعم المصاحب
وإذا أفرع الزئيرُ تصدي ت لخوض الوغى تصدى المحارب
المُدَى في يدك والزس والتب ل وسمو القنا ويضُ القواضب
فإذا بالأمان يغشى حنايا ي وأسرّي فما تخيف الغياهب

ويصل الشاعر في المقطع الثالث إلى ما رمينا إليه من هيمة روح الشعر على الشاعر ،
فيما يضاهي ذروة الحدث الدرامي في العمل القصصي :

أيها الشعر كنت في الحب قلمي خي قريضا تهفو إليه الخرائد

قلن لي مرة وهنّ من الشعر ر سُكاري اشجيتا بالفرائد
 كيف تأتي بهن؟! هل هي أحلا مْ تُوَاتِي وَأَنْتِ فَوْقَ الْوَسَائِدِ
 أم هو الحسن عبقرياً فما أغيد تَ عَلَيْهِ الرَّؤْيُ وَغُرُّ الْمَشَاهِدِ
 لكأنّا بها اللآلئُ تسيب نَا وَتَغْرِي نَحُورَنَا بِالْقَلَائِدِ
 أنت بالشعر فاتنٌ ليس بالحسد ن وَكَمْ قَدْ فَتَتْ شَتَّى النَوَاهِدِ
 فزُجْ لَنَا بِشِعْرِكَ وَاسْعِدْ يَهْوَانَا فَقَدْ وَقِيتَ الْمَصَائِدِ

فلذلك يستعطف الشاعر الشعر في المقطع الرابع ، بأن لا يدعه ويرحل ، فكل مكتسب
 تأتي له إنما جناه بقوة الشعر ونفوذه ، وكل معوق اجتازه إنما اجتازه بسطوة الشعر ورهبته ،
 وكل جمال استروحه إنما تجلى له من خلال ما صاغته أنامل الشعر ، فإن أفضى الشعر إلى
 زوال فإن حياته ستزول إلى الخن والزوال .

وكأن هذا المقطع يجسد حل العقدة في الفن القصصي قد صيغ شعراً
 أيها الشعر أنت حسي فكم دُذُّ تَ كَيَانِي عَنِ الْوَنَى وَاللُّغُوبِ
 لا تدعني إلى سواك ولا تُش قِي شَعُورِي وَلَا النِّهْيَ بِالنُّضُوبِ
 أنت أنقذتني من اليأس والخيب بِيَةِ وَالسَّيْرِ فِي هَجِيرِ الدُّرُوبِ
 والعقوق الذي استبد قاصلاً نِي جَحِيماً مِنَ الْوَعْيِ وَالْحُرُوبِ
 أنت أجلسني على القمم الشم وَقَدْ كُنْتَ تَائِهًا فِي السُّهُوبِ
 كنت لي بهجة السرور وما أح لَا رُؤَاهُ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْغُرُوبِ
 كنت لي الصاحب الصدوق وكم ضق تَ وَرَوَّعْتُ بِالْقَوْلِ الْكَذُوبِ
 ولقد عشت من صباي إلى اليو مَ شَغُوفاً اشْتَمْتُ مِنْكَ طَيِّبِي
 وأرى أنك الحياة فإن ولت تَوْلِي تَأَلَّقِي وَوُثْيِي
 لا تذرني إلى شعوب فما يح لُولِنَفْسِي إِنْ رَحَتْ غَيْرُ شُعُوبِ

ثم يفضي الشاعر في خاتمة قصيرة إلى كشف السر الذي نلته خلف البحث عنه ،
والحقيقة التي تنرق إلى معرفتها ، في تبيان هيمنة الشعر على الشاعر ، وتشكيل مسار حياته ،
حينما يردد ، وكأنه في لحظات ذهول عن واقعه :

أتراني كشفت روحي إلى النا س فباتت سرائري للبيان
أنا هذا ... فالشعر توأم روحي فإذا راح لم أعد ذا كياني
بعضنا للحياة روح ونبض شارفا النجم فوق هام الرعان
وكثير منا استام فأهوى بالذي اختاره إلى القيعان

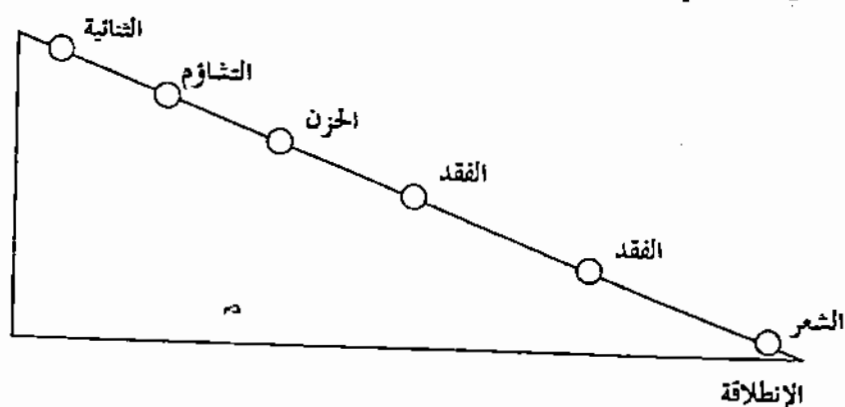
فإذا لم يكن التسليم بهذا الأمر سهلاً ، فإننا سنلوذ بالاختيار الآخر ، لنضعه أمام أعين
الدارسين لشعر الشاعر الفقي ، وهو احتمالية أن يكون الشاعر الفقي باقتداره وتمكنه ، جعل
الشعر مطراً بين يديه ، يعكس خلجات نفسه ، ويحسد عميق مشاعره ، ويلور فلسفته من
الإنسان خاصة ، والوجود عامة ، ليجعل من الشعر الذي أخلص له ، وتفرغ بالكلية لعالمه ،
مضماراً لصراعه مع العدم والقناء ، أمام جمهرة النظارة ، التي يغلها القراء ، وبذلك تتساءل
هل وفق الشاعر الفقي ، وبشكل نادر ، في تحقيق المعادلتين ، على صعوبة تحقيق أي منهما :

١- غزارة النتاج مع ثبات المستوى والقدرة على بلورة مكونات النفس .

٢- هيمنة الشاعر على الشعر في تطويره لأغراضه وفلسفته وبث خلجات مشاعره .

ويظل التساؤل يتنامى مع الانغماس في الولوج إلى عالم الفقي الشعري ، والذي يمكن أن

نخلده ضمن خط بياني ، يؤازر في إيضاح المعالم الأساسية لمسار شعره ، والمتمثل في ..



من المسلمات ان انتقاء عنوان القصيدة ، أو العمل ، عملية عقلية ، تنطوي على بُعد تقدي ، وليس من المصادفة أن يكون الديوان الأول لشاعرنا (قندر ورجل) ، هو العمل الوحيد من أعماله ، الذي يحمل عنواناً له دلالة ، وهو يكشف عن حالة الصراع التي يعيشها الشاعر مع القدر ، وهي الخطورة الأولى التي اقتضت استمرار هذا الصراع ، وتناميه ، ليتبلور إلى منحى فلسفي ، ونزعة تشاؤمية ، ولعل القصيدة الأولى في الديوان (من أنا)^(١٣) تجسد (عبثية)^(١٤) هذا الصراع ، وعدم تكافؤه ، فهي تشكل نقطة الدخول في درامة الحيرة ، وغاية علامات الاستفهام ، وتشف عما تستبطنه النفس من أسئلة ، يؤكد ذلك اندراج هذه القصيدة ضمن مجموعة تحمل عنوان (من أغرار النفس) .

وزرقة الحيرة التي تعصف بذهن الشاعر في هذه القصيدة ، قادت الدكتور عمر الساسي إلى عزو ذلك إلى تأثر الشاعر بشعراء المهجر (ومحمد حسن ققي لا يختلف عن أنداده من شعراء جيله ، من أبناء الحجاز ومكة بصفة خاصة في التأثر بشعراء المهجر ، وعلى وجه الخصوص بإيليا أبي ماضي في شعره الفلسفي وفي تساؤله عن سر وجوده مثل قوله :

من أنا ؟! هل أنا غير طيف شاهدته أحلام هذا الوجود ؟!
شف عنه الكرى .. وضعه الصحو .. وأخفاه عن عيون الشهود !
أنا مثل الألوف في هذه الأرض .. رسيب ما بين شتى القيود
أيهدى السدود .. هل نصرم العمر هباء .. ونحن خلف السدود^(١٥))

ويخيل إليّ أن الشاعر حارل الاستفادة من تطبيق فكرة (الخلول) عند الصوفية ، وتوظيفها شعرياً ، خاصة وأنه قد استهل قصيدته من عالم الماراثيات ، ومن الأزل ، الذي لا يدرك بنؤه ولا انتهاؤه :

منذ عهد من الزمان بعيد لست أدري عن بذئه وانتهائه
ثم استحال إلى طير يحطّي بالحرية ، ويبتأ بالرفرفة فوق فته !
كنت طيراً مرفقاً فوق غصن مائس باخضراره وروائه

ويتحول في كل مقطع من القصيدة إلى شيء آخر ، مراوفاً من عالم الحياة الذي يجسده الطير ، إلى عالم النبات التي تجسدها الوردة .

فتحولت وردة - وتبرأت من الشوك في الربيع الخصب

ثم يتحول إلى غدير ، ومنه إلى دوحة ، وأخيراً إلى عالم الجملاد ، إلى صحرة في جبال شاهقات تهيم فيها الوحوش ، إلى أن ينتهي إلى التسليم بإحساسه بغرته ، بين أبناء جنسه :

يا غريباً عن الديار عن الناس عن الخلق كلهم أجمعينا
يا وحيداً طوى الستين قراضته وما استطاع أن يروض السنينا

ويذهب عبدالعزيز الريح إلى أن (الخطوط العريضة للقصيدة تشكل لنا في مجموعها ملامح إنسان يشعر بغرته بين بني جنسه ، ملامح إنسان حائر متشكك ، لم يزد اقترابه من الناس إلا بُعداً عنهم)^(١٦) .

بينما يقترب الذكور الحامد من جوهر هذه القصيدة دون أن يلامسه ، ويصل إلى حقيقة تفسيرها ، إذ لم تزد في تصويره عن (خيال طريف لطيف يذكرنا ببعض المذاهب الفلسفية كمذهب الفيلسوف اليوناني (إبيذقل) في نشأة الكون ، والمذاهب الهندية في التقمص (التجسد) والتناسخ بل إنه أقرب إلى الأسطورة الفارسية (مولد زرادشت)^(١٧) .

ولا نرى أن القصيدة تستدعي كل هذا الضرب من التوزع والشتات ، وإنما تعكس ببساطة ثقافة الشاعر الصوفية ، والإستفادة في توظيفها شعرياً ، باستغلال مفهوم الحلول ، ذلك الحلول الذي يمكن تحديده من خلال المقارنة بالإتحاد (وفرق ما بين الإتحادي والحلولي كفرق ما بين القائل بأن حقيقتين اتحدت إحداهما بالأخرى فصارتا حقيقة واحدة ، وبين القائل بأن حقيقة حلت في حقيقة أخرى فاتحدتا دون أن تتمترج إحداهما بالأخرى أو تستحيل إحداهما إلى الأخرى ، بل إن كلا منهما ما تزال محتفظة بطبيعتها ، فهما ما تزالان حقيقتين على الرغم من هذا الحلول)^(١٨) .

فالشاعر كان ينفث أحاسيسه ومشاعره ، من خلال كل نموذج تحوّل إليه ، ليقطع
رحلته في دائرة انتهت به إلى حيث ما استهل .

ورقوفنا على هذا القصيدة بشيء من الإسهاب والإستفاضة ، إنما يبرره وقوف الدارسين
طويلاً أمام هذه القصيدة . كما أنها أولى قصائد ديوانه (قدر ورجل) ، وتكشف عن أولى
الدramات التي اعترت الشاعر ، وأفضت به إلى عوالم الخيرة والضباية .

وشاعر تطرح به الخيرة وهر يدلف إلى عالم الشعر ، ثم تعاقب عليه المحن ، لا بد وأن
تنتهي به إلى نهاية فلسفية عميقة ، ندع للسطور التدرج معها ، كما يحدد الرسم البياني
المستقى والمستبط من شعره .

الفقد

بعد الفقد أكثر العناصر النفسية تأثيراً في عمق الشاعر ، وأكثر المحطات تكراراً وتوالياً في حياته ، وأكثر المعاني تفضيلاً في شعره .

وبوسعنا أن ننظر إلى الفقد في شعر الشاعر على أنه كتلة واحدة كالنيزك ، ونحن نلمس اشعاعاته تسلك إلى جل قصائد الشاعر ، وخيمت ظلال الموت على مناخات قصائده ، وبوسعنا أيضاً أن ننظر إلى الفقد على أنه نيزك ، توزع إلى شظايا ، ووفق هذا التقسيم ، تمثل الشظية الأولى منه فقد الأب ، وهو حدث قد يبدو غطياً وفق قوانين الحياة ، فدنو الأجل مرتبط بتقدم سني العمر ، إلا أن قناعاته أنه وقع على نفس مرهقة ، ذوبها الشعر عاطفة ورقة ، كما أنه وقع في من يتطلع فيها الشاعر إلى الحياة كأترابه بأمل وعنفوان ، فكان الإنكسار الأول في مده للعاطفي على صخرة (القلندر) الذي يواجهه هذا (الرجل) وحيداً ، ولذلك يصوره الشاعر في ترجمته لحياته تحت عنوان (الفجعة في الأب) ، ولرهاقة حس الشاعر في تحمل هول الكارثة ، وقف للشاعر أمام هذا الفضل وقفة تفوق الوقوف أمام فصول حياته الأخرى ، على الرغم من أنه (موت) ، أي حادثة عابرة ، وغطية ، في حياة الأفراد ، وحياة الشاعر تزخر بالكثير من الأحداث الهامة ، التي تستوجب الإطالة والإسهاب ، ولكن تفسير ذلك يكمن في ملاحظة نفس مرهقة ، وشاعر لخطب جلل ، ولنصغ للشاعر وهو يصور هذا الحدث الأكبر الذي يضع كيانه وضاعف من تسخطه على الحياة وبرمه بها ونقمته على الناس ونفوره منهم .. كانت المصائب تتوالى تترى عليه وتحالف فمات عدد عديد من أهله أمامه وكان كل راحل منهم يخلف في نفسه مضاضة وحسرة وذعراً . أما مصيبة المصائب فكانت موت أبيه الذي كان ملاذه في الحياة يموتاً يكاد يكون مفاجئاً . ففي مساء يوم استنعاه أبوه إليه ودعا له بخير وأعطاه تعويذة قرآنية كان أسلافه يتوارثونها جيلاً بعد جيل تبركاً بها واستجلاً للسعادة والأمان ثم أوصاه بإخوته خيراً وقال : إنه يشعر بتروعك بسيط وارتفاع في الحرارة ولذلك فسينام مبكراً ليرتاح وتهبط حرارته .

وفي الصباح قام الأب كعادته قيام الطير وصلى الصبح والسماء ما تزال مزدانة بمصاييحها وأضواء الفجر تصارع أسداف الليل والعصافير تغرد بترانيمها الرخيمة كأنها أغنيات حلوة مطربة ثم أيقظ أهل الدار فصلوا وأمر بطعام الإفطار فجهز ، فلما أكلوا طلب إلى ابنه أن يذهب إلى المدرسة لمناسبة سنوية فيها الحضور الباكر ...

وذهب الفتى وشارك في المناسبة السعيدة فلما انتهت وكان الوقت ضحى وقف في الروش يطل على الشارع العام ويتلهى بمناظر المارة وهو يحس بانقباض لا يعرف مأثاه وإذا بجار لهم يغذ في المشي وهو مضطرب فلما وقعت عينه عليه هتف به أن يتزل وأخذ يده وسار معجلاً فسأله وهو مشدوه عن السبب وقد تحركت النثر الرهية في صدره -فطمأنه- وقال له : إن والدك يشكو أننا بسيطاً وقد ندبني لاستدعائك إليه فلا ترع .

ووصلوا إلى الدار وقابلهم في درجته رحط من الأطباء بوجوه مغيرة كامدة وهم يهبطون كأنما يفرون من الدار فراراً .

وطارت نفس الفتى شعاعاً وكأنما إلهامٌ إليه بالكارثة فأن أنيثاً مذبحاً وصعد إلى غرفة أبيه بأرجل مثاقلة وكأنه شبح يتحرك . وكان أبوه قد فارق هذا العالم إلى عالم أنقى وأظھر وأكرم منذ دقائق معدودات وكان جثمانه ما يزال حاراً كأن الروح لم تفارقه بعد ...

ولم يسأل الفتى ولم يسك بل وقف أمام الجنازة كما يقف العابد المتبتل في عراب مقدس .. وقف في خشوع مهيب وفجعة قتالة وكأنه التمثال لا يرسم من مكانه .. وكف إخوته وأهلوه عن الولوجة واليكاء فقد راعهم هذا الفتى الذي حطمته النكبة وخافوا عليه أن يهلك فتكون مصيبتهم مصيبتين .

إن الرزء القادح إذا نزل فلا نجاة منه إلا بالدموع .. إنها رحمة عظمى على المتكربين تخفف كربهم وتلطف الالمهم وترخي من توتر أعصابهم .

وتحلّق الثاقلون حول الثاقل يواسونه وهو لا يعي ما يقولون وصرخت شقيقة له وقد مالها سكونه المخيف ووجهه الكالح ومآقيه للتحجرة ونظراته المتبلدة .

وانصرف الناس عن الميت إلى الحي يلفظون ويرثون بهمهمات باكية ، وأدركت الفتى
رحمة من الله فراح في غيوبة راحنة مستسلمة .

وجاء الطبيب ولم يرد جثمان الميت - وكان طيباً حاذقاً له بعلم النفس إلمام- قال -بعد
الفحص والمناشدة- : إن الفتى لا يحتاج إلى عقاقير وإنما يحتاج إلى عقاقير من صيدلته هو .. إنه
يحتاج إلى البكاء الناشئ للمستخرط .. إن أعصابه كأوتار مشدودة -لا بُد لها أن تسترخي وإلاّ حل
بجسمه وعقله بلاء جسيم أعينوه على البكاء فإن بكى كانت الدموع له عاصماً مما يستهدف له
من خطر إذا هو لم يك ، ليس له عندي دواء إلا هذا فأسعفه وانثوني خيرته بعد حين .

ومضى الطبيب لطبته واجتهل في خضوع إلى الله أن ينقذ الفتى واستجابت رحمة الله
كرة أخرى فأنجبت عن الفتى غيوبته ولانت محاجرته ودرت شجونه .

كان يبكي بكاءً صامتاً ينفذ إلى أعمق أعماق القلوب فيهبها هزاً عنيقاً .. وتحامل على
جسمه الناحل المتناهي فقام وكأنما خرج من قبر .. أصفر صفرة ورق الخريف .. متارجحاً
مبهوراً .

كان الغاسل قد انتهى من غسل أبيه وتكفّيته وتجهيزه للدفن ، قدلف إليه وانكب عليه
يلثمه ويفسل أطرافه بالدموع

لك الله أيها الدموع من غسول طهور ...

قال الفتى لصديق له بعد سنرات من الفاجعة -لقد سرت وراء تعش أبي وأنا لا أحس
بمن حولي وما كنت أدري متى وصلت .

ونزل بعض أقارب أبي وأصلقاته إلى القبر وقيل إنهم خافوا عليّ من المضاعفات فلم
ينزلوني معهم لألقى عليه النظرة الأخيرة .

وواروه التراب وانصرفوا عنه إلى العزاء ووقفت معهم حتى انتهت مراسمه وعدنا إلى
الدار القائمة المنتحية التي فقدت ربها وأصبحت لا تضم إلا فتى لم يتعد السادسة عشرة
وشقيقات له يكبرنه كثيراً في العمر فهن له بمثابة الأمهات .. ثم بعضاً من الخدم .

وصرمت الدار ثلاثة أيام فحسات كان المعزون خلالها يمدون إليها زرافات ووحداً
يؤدون طقوساً من العزاء الممثل في كلمات عطوفة مراسية ما تفعل في النفوس الكليلة أكثر من
عرفان الجميل ، ومرت بعدها أيام خفت فيها اللوعة قليلاً من كل القلوب إلا قلب الفتى
الولوع^(١٩) .

ورغم أن هذه الفاجعة خلقت أثراً عميقاً في نفس مرهفة ، إلا أن الشاعر الذي لم
يتجاوز السادسة عشرة ، قد أجمته الكارثة عن رثاء أبيه ، ولعله إكباراً لمكانة الأب ، لم يشأ
لشاعريته أن تفصح عن رثاء ، لا يتماهى مع مكانة أبيه في نفسه ، فجاء ديوانه الأول قدر
ورجل غفلاً من رثاء أبيه ، وإن اتسحت ظلال الحزن على قصائده ، وبدأ على شعره
استهلال ظهور الثنائيات ، سواء في صورة بلاغية ، كطباق ومقابلة ، أو في صورة فكرية ،
تعتمد على المقارنة والتحليل ، كقولة في المطابقة بين الرقم والصفر ، والنحل والثر :

أثرت رقما فاستحال الرقم في كفي صقرا
يا ويحه هلا استحال نحاسه في الكف تبرا
نسى المواجد من رأى في أهلها لباً وصهرا^(٢٠)

أو تصوير ما يعتري النفس الطموحة من إحباط ، مفضياً إلى عقد مقارنات ، تنطوي على
مقابلات وطباقات بدعية ، تجذرت في نفس الشاعر ، واستدعتها تلك الصور المتناقضة التي تمر بها
عين الشاعر في الحياة ، وهو يرى تسامى من لا يستحق ، وتواضع من يستحق :

ما الذي فيك أيها الروح يقصب ك ويدني إلى السمو اللناما
أنت عملاقة فلا تنحي الود إذا ما منحتة الأقزاما
إن أنفاسهم يضايقها العط ر فكوني ضينة بالخزامي
لا تضيق بهم فمن صرم العم ر انحطاطا يخاف أن يتسامي
هو لغز منذ الخليفة ما انحـل وما زال يعجز الإفهاما
وهو سر الألى جفوك وقد كا ن صغارا جفاؤهم وأثاما
ما الذي فيك غير ما يحسد النا س صفاء وطيبة وقاما

لست في غربة فما تعرف الغر	بّة روح تفجرت أنعاما
لست في وحشة فما تعرف الوح	شة روح غثلت أقلاما
أنت دنيا حفيلة بالفرايد	س تناهت حُناً وطابت مقاما
لن تُراعي بغربة - أيها الرو	ح - إذا كنت تكتظين العماما
أو تعاني ندامة من تجاف	هم قهم سوف يصبحون الندامي
قد يكون اللطى على الروح برداً	ويكون الفردوس منها انتقاما
حينما يصبح السمو اتهاما	يصبح الناس كلهم أنعاما (٢١)

على أن معاناة الشاعر الحقيقية تفجرت ، حينما ارتطم الشاعر بعنف ، بكارثة الفقد المتكررة ، وللمثلة في وفاة ابنه ، ووفاة ابنته ، بعد أن رأى فيهما كل المخايل التي كان يتوق إليها ، وارتبط بهما ارتباطاً نفسياً وعاطفياً ، فكان لهذين الخطيئين المتقاربين زمناً ، أثر عميق نكأ الجراح القديمة ، بل وزاد في عمقها واتساعها ، بعد أن أقصاه الزمن عن فقد أبيه ، وكاد ينسيه تباعد الأيام ذلك الحدث ، ولكن صمت الزمن لم يكن إلا لهدوء الذي يسبق العاصفة ، فعاد ليفجعه بفقد ابنه ، ثم أثنى في جراحه ، ليتبع ذلك بفقد ابنته ، وتفجر ينبوع الشعر مضمخاً بالألم ، وهو يرثي ابنه الذي مات في غربته (٢٢) :

هو جرح غائر في كبدي	ليس تشفيه عقاير الدنيا
تأزف تسمع منه أذني	صرخة المذبوح تشكو الزمنا
صرخة المذبوح يدري أنه	تزل القبر وضم الكفنا
لتميت وقد ائكلني	أنني فديته ... لو أمكنا
وتميت وهل تجدي النى	أن يكون الموت من حظي أنا
قال لي الأهلون والصحب لقد	كدت أن تهلك فيه حزنا
كلما مرت على فقدانه	ساعة زادتك شجواً وضنا
قلت الحق الذي لا امزي	فيه لكن كيف لي أن أدعينا ؟
جدوة النار التي ترعى الحشا	لم تدع صبري عليه هيئا

أحرق في باطني حلو الرؤى وأرتني عالمي مستهجن
قد رضيت الشيء من حر اللظى وجئت المر من حلو الجنى

ثم يردف هذه القصيدة بأعزى ، تنطوي على تفصيل وإشارات إلى موته في الغربة ، وقد كان تراقاً إلى العردة لوطنه ، ولعله استأذن أباه في ذلك ، وندمه على عدم الإستجابة لهذا المطلب ، ويبين فيها الشاعر خصال ابنه الشاب ، وما انطوت عليه نفسه من فرح وسخريّة من الحياة (٢٣)

لقد حيل ما بيني وبين لقائه	كما حيل ما بين الضنا وشفائه
أيا راحلاً عنا وفي جنباته	حنين إلى أرض الحمى وسمائه
يحن إليه والحوائل جمة	فيصبر صبر المستكين لدائه
تقول: أي هل لي إلى الدار رجعة	فإني بهذي الدار أضيع تائه
أي: إن في عيشي بجنبك عتعة	فبعض الفلا يوحى لنا بروائه
فأبكي بلا دمع على شقوة المني	إذا اعتقت من تكتوي بعدائه
كأنني به يمشي المنية في غد	ومحذرها في صبحه وسمائه
كأنني به يطوي على الغيب نفسه	فيعرف ما لم يئد لي من قضائه
ويا ربما تهدي القلوب لمطلق	ويسبقها فيه سريع البدائه

إلى أن يجسد الشاعر ندمه على عدم إجابة ابنه لطلبه بقوله :

فإلتني كنت استجبت لمطلب	حيب ونحيت ألفتى عن يلائه
حشاشة نفسي وهي في القبر جمة	سقاها السحاب الجون أعذب مائه
ووفى الربيع الطلق وضياً منمنماً	عليها وغطاها بحلسو ردائه
ألم يك فرق الأرض روحاً مفرقاً	برغم الأنسى حيناً برغم شقائه
تنبخ عليه الحادثات .. وتتهوي	وما تكشف العينان عن برحائه
يكابدها بالسخر حتى يردّها	تميز غيثاً من عظيم اجزائه

وبعد أن يستطرد الشاعر في وصف خلال وخصال المرثي ، من جود ، ونبل ، وكرم ،
وبر بأبيه ، وأقربائه ، ينري لتجسيد ما يعتل في دخليته ، حيال هذا الفقد المؤلم :

أحس لبيب النار بين أضالعي	وأشعر أني متته بانتهاه
أبعد الشباب الغض ألقاه هامداً	وقد صرّجت أكفاته بدمائه
فلو أني خيّرت لاخترت دونه	رداي قريراً هائناً بفدائه
ولكنها الأقدار هذا دواؤه	يميت .. وهذا لا يموت بدائه
وهذا عجوز ضائق من بقاءه	وهذا فتى جازع من فناءه
فسبحان ربي في رخاء وشدة	وسبحانه في منعه وعطائه

ولما كانت المصائب لا تأتي فرادى في بعض الأحيان ، فإن ثلاثة الأثاني التي هيأت
للشاعر أتون الاصطلاء بنار الفقد ، تجسدت في موت ابنته بداء عضال ، وهي الأخرى في
مبة شبابها ، ولكن موتها قد أتى وقد أنعنها الألم ، وأتخت نفس أيها الكوارث ، فكأنه
ألف الألم ، واطمأن إليه ، ولم يشأ لها أن تقع فريسته ، فلذلك سخا بها على الموت ، كما
يقول (٢٤) :

سخرت بها على ريب المنون	لما قاسته من ألم طحون
لقد قاست من الآلام ما لم	يقاس المستوون على أتون
أجوهرتي التي كانت فحونا	ولألاء تدل على الفصون
لقد عصفت بك الدنيا فأبكت	عليك توجعاً كل الحيون

وإذا كان صغر السن لم يستطع الشاعر في رثاء أبيه ، فلقد أتى موت ابنه وابنته متتابعاً ،
وهو في ذروة توهجه الشعري ، فرئى كل منهما على انفراد ، ورثاهما معاً ، مثلما أهداهما
ديوان الرباعيات معاً ، مشيراً إلى أنهما (انتقلا إلى الرقيق الأعلى وهما في مبة الشباب
ناحتيهما عند الله الكريم) وقال في رثاهما ، في قصيدة أشلاء متناثرة (٢٥) :

أُبَتِّي وَبُنَيَّ .. هل أنا ظافر	بعد الردى منكم بوشك لقاء
فارقتماني فاللظى في منهجتي	يرعى ويستحصى على الإطفاء

إلى أن يصور ألمه لفراقهما ، وتطلعه للقائهما :

إثنان قد رحلا وكانا واحدة للنفس تبردُها من الرمضاء
بشمارها وزهورها وعيونها أنا ساكن في الجنة الفيحاء
أشقى الأنام إذا استظل ظلالها يغدو بها من أسعد السعداء
أرحلتما حقاً؟ وهل أنا عاجز ككليكما عن فرحة وبكاء
عن فرحة بلقاكما؟ عن دمة لنواكما؟ عن عصمة وفداء
عن فرحة الأبناء حين تهزهم أشواقهم؟ عن فرحة الآباء
ما هذه الدنيا سوى أمثلة لو أننا كنا من الحكماء
ليت الذي منح الحياة لمهجتي جعل الرحيل متى أردتُ جزائي
أنا بالمباهج قد برمتُ لحشتي سوء المصير وليس بالإرزاء

الحزن

لا يتأتى لشاعر تعزّي حياته مثل هذه الفواجع من فقد الأب في السادسة عشرة ، وفقد الابن وهو في ميعه الشباب ، وفقد ابنته الحانية بعد صراع مرير مع الألم والمرض ، أن يكون بمنأى عن الحزن .

فغلالة الحزن التي تغلف قصائد الشاعر ، تمثل محصلة طبيعية لما عانته هذه النفس المرهفة من ضروب المحن ، وصنوف العذاب ، وهذا ما يفسر إكتساح الحزن ، واحتلاله لمواضع الإشراف والتفاؤل في حياة الشاعر ، فرغم أن الميلاد يمثل إشراقة الحياة ، وبزوغ فجر جديد ، ضهرانطلاقة وتروث نغمو الحياة ، نجد الشاعر في ترجمته لحياته ، يصف ميلاده بأنه حزين ، ولئلا أكثر دقة وتحديداً ، فنذكر بأنه جعل عنوان هذا الفصل ، وهو أول فصل من فصول ترجمته لحياته (ميلاد حزين)^(٢٦) .

ولندع الشاعر يصور لنا ذلك الميلاد ، وما واكبه من مؤثرات : (في ليلة حالكة الظلام طمست السحب المتكاثفة فيها معالم النجوم . وقعقع الرعد بين جوانبها قعقة مخيفة تصم الاذان ... وخطف البرق خطفاً دراكاً لا تقوى على مواجهته الأبصار وعصفت الريح عصفاً مربعاً يهز المنازل والأكوخ .. وفتحت السماء أبوابها بماء كأفواه القرب سالت منه الأودية والبطاح واقفرت الطرق من المارة حتى ليحسب الناظر أنها بلدة غير معمورة بسكان .. كانت البلدة قطعة ملتفة بالسواد الدجوي تضيء بين الفترة والفترة بلمع البرق ثم يعود إلى سوادها الحزين .

وكان الناظر من بعيد لا يلمح نوراً واحداً من نوافذ المنازل التي أوصلها أهلها اتقاء للريح العاصف والمطر المتهاطل والبرق الذي يخطف الأبصار .

في تلك الليلة التي تجلت فيها الطبيعة بأقصى مظاهرها سطوتها وجبروتها وفزع الناس إلى بيوتهم لاهئين وجلين .. كانت امرأة مسكينة تعاني آلام المخاض الموحجة ، كان حولها ثلة من الصبية والنساء يرقبون الوليد المرتجى ويتوجعون للنفساء التي تعسر عليها الحمل وأنهاكها

مراجعته وهي صابرة مستسلمة لقدرها لا تتوجع إلا في همس كي لا تزعج من حولها بالملح
والعويل)

والشاعر الذي يكتب ترجمة حياته ، في مرحلة متأخرة فيما يبدو ، ولم يتابع تدوين سيرة
حياته من البدء ، لم ير الليلة تلك كسائر الليالي مظلمة ، وإنما يصفها بأنها حالكة الظلام ، ويسالغ
في اسياغ صفات الرعب على الرعد ، باستخدام الفعل الرباعي (قعقع) المتكرر الأصوات ،
ويردفه بالمفعول المطلق (قعقعة) المبين لنوع عامله ، ويصف هذه القعقعة بأنها مخيفة ، ولم ير
في ما انهمر من السماء (مطراً) أو (غيثاً) أو (رحمة) ، وإنما (فتحت السماء أبوابها بماء كأفواه
القرب) وكل تلك السمات والصفات ، صوّرها الشاعر تلك الليلة ، وهو يقف عن بُعد ،
بعد أن تجلت له وقائع حياته ، فلم يعد يرى فيها إلا كل مرعب ومخيف ، ولم يكن بدعاً أن
يتأثر الشاعر بموقف أبي العلاء المعري ، حينما أوصى بالكتابة على قبره

هذا جناه أبي علي وما جئت علي أحد (٢٧)

فتابعة في هذه النظرة التشاؤمية ، التي تتسارق مع هذا المرقف ، الذي يصور ميلاده ،
حينما قال في قصيدته (الراحلون والمتخلف) (٢٨) :

لَعَلَّيْتُ مَرَّتَيْنِ فَقَدْ كُنْتُ وَمَا شُئْتُ .. ثُمَّ عَشْتُ شَقِيًّا
إِنْ صُلْبًا وَمَهْيَلًا أَتَى بِي أَتَى جَاهِلِينَ - أَمْراً قَرِيًّا
لَوْ يَكُونَانِ يَعْلَمَانِ لَقَالَا حَسْبُنَا الْعَقْمُ بِكَرَّةٍ وَعَشِيًّا
وَأَطَاعَا نَوَازِعَ الْخَيْرِ لَكِنْ قَضَائِي قَدْ كَانَ فِي عَصِيًّا

قالحزن لدى الشاعر الفقي

١- نزعة عقلية

٢- رصبة عاطفية

ونعني بالنزعة العقلية : هيمنة على الجانب العقلي ، فاختيار عناوين القصائد ، عملية
تقنية عقلية لا تتصل بإبداع القصيدة . وإنما تأتي تالية لها ، وإذا قمنا بمسح سريع لعناوين

بعض قصائده ، نجد دلالات الحزن تسرد جل تلك العناوين ، ففي المجلد الأول الذي يحتوي على (الإسلاميات) و (القوميّات والوطنيات) و (إنجاءات وسبحات) و (تجليات روحانية) و (عرب وعروبة) و (آراء في السياسة والمجتمع العربي) وهي أبواب تدرج تحتها موضوعات لا تستدعي الحزن . نجد أن الحزن قد تسلل إلى عناوين بعض القصائد مثل (فلسطين الدامية) (الهول المحرس) (الرحلة) (إني غريب) (زفرات) (حيرة نفس) (يا دنيا) (الناس والخلق) (يقظة الخطيئة) (الليل المذعور) (وفات يتكلم) (سراب) (رحفة) (العدم والأمل) (جحيم النفس) (نفس تبحث عن نورها) (المصابيح الزرق) (رميض في الظلام) (القدر والخلود) (طرق النجاة) (الحلم الشرود) (ثمّ النكسة) (حنة العروبة) (حرة ثارت) (جراح تصيح) (صرخة)

وإذا كانت هذه العناوين قد تفتتت في مجلد يضم بين دفتيه موضوعات دينية وقومية ووطنية ، فتفتشي هذه العناوين الدالة على الحزن في بقية الأعمال ، خاصة ما يتصل منها بالجانب العاطفي ، أدعى وأولى .

وأما كون الحزن لدى الشاعر الفقي صيغة عاطفية ، فإننا نتصد بذلك ، أن الحقل الدلالي التي ترتع فيه شاعرية الفقي ، هو الحزن ، فلو قيض للدراسة احصائية حصر معجم الشاعر الفقي ، فلربما وقفنا على نسبة ألقاظ الحزن في معجم الشاعر ، فكل من يتصفح ديوانه ، أو أعماله ، تطالع مفردات الحزن وقد افترشت جل قصائده ، فإذا كانت ماثرة في قصائد التأمل والتزعة الفلسفية كقولـه (٢٩) :

يخبرني رشدي وغيي فأثني	شقا بفردوسي شقا بتراي
فألفُ ملاك في حناي جُثمّ	وفيها ولم أطردهم ألف شيطاني
كلا اثنيهما يُفري وينصح آثما	فيسمو إلى أوج ويهوى لقيعاني
فهل أسلك الرب السوي ولو سطت	عليّ صوم من أفاع وذؤبان
والأُ ثاني تائه في مفازة	أهيم وأحيا بينها اللاعب الواني
لغبت وما أدري ألقى ضلالي	بُعقاي.. أم رشدي فقد ضاق وجداني

وناديت في الظلماء أشكو عِمائتي لعلني أرى ومضاً يضيء لِفَيَّاني
فقد زهدت نفسي الغواية بعدما أضعت بها مجدي الأثيل وغُيَّاني
وطالعتني الأثم الويلُ بسَخْنَةٍ تخيفُ فما كانت بسحنة إنسان
بلى إنها كانت وراء قناعها بحورٍ تَمْنِي - يَمْنَن - وولدان
وما كان إلا شُرُ قبح وراءها ولكنه أغرى بزور وبُهتان
فهل تدمي يُغني .. وهيَّات إنه يذيب ويشقيني بما كان أولاني

فلقد تضمن البيت الأول من هذه المقطوعة فقط الفاظ (الحيرة) و (الغي) و (الانشاء) و (الشقاء) متكرراً ، ثم ختمها (بالنيران) بصيغة الجمع لا الإفراد . وفي البيت الثاني يعربد ألف شيطان طليق ، بإزاء ألف ملاك جاثم مستكين ، وهكذا .

على أن دلالات الحزن والفاظه ، لم تقتصر على شعره التأملية والفلسفي ، وإنما امتدت لتصل إلى قصائده الغزلة والعاطفية ، ليصبح الحزن غلالة تغطي جل نتاجه ، ففي قصيدته الغزلة (حوار)^(٣٠) التي يستهلها بقوله :

لست أدري ماذا أريد فكوني أنت هذا الهوى وكوني شجوني
أنا إن شئت كنتُ صبا رهينا وإذا شئت لم أكن بالرهين

يعبر في المقطع الثاني على لسان (هند) عن هذه الجراح التي أحكمت قيدها حوله فأضحت له سحناً وحوله طوقاً :

فاستوت هند في الندى وقالت وهي تبكي ماذا احتراك فأشقي
أنت تشكو من الجراح وما أذ ري فويلي إذا استمحتك عشقا
هذه . هذه الجراح أضحت ك وكانت سجننا عليك وطوقا

ولم يكتف الشاعر بأن يجعل نفسه أسير الحزن والمعاناة ، فيعمد إلى إسقاط تلك الصفات على محبوبته ، وكأنه أضحي يتلذذ بالألم والمعاناة فيسبغه على الآخرين :

وأنا ما الذي اقترفتُ فأصليب ت بتار المقالِ فِكْري وحسي

كنتُ أهواك لا لمجدٍ ومالٍ بل لأنني أراك توأمَ نفسي

لذلك نجد في المقطع الرابع ، وقد عشت به الحيرة ، وطوّحت به في دوائها مترنحا
بين الأسى والأسف :

قلتُ ندمان الأسى يلسعُ الروحَ بسوطٍ تنزُّ منه الدماءُ
أنا في حيرة فقد قاضٍ بالهجر مقالي وضلُّ عنه الحياءُ
فاعدتني فقد لقيت من الغيبِ دُيلاً يضيقُ منه البلاءُ
فتكرتُ للحياة وأهلي بها جميعاً وقلتُ كيف النجاءُ
وتحليتني جريحاً بجرحٍ ضقتُ ذرعاً به وعز الشقاءُ
وتصورت أن حواءَ شيطا نٌ طوتني غيومه السوداءُ
أفلا تعذرين أيتها الحلوّةُ قلباً جنت عليه النساءُ

ولذلك نستخلص مما مضى أن الحزن أصيل ، متجذر في نفس الشاعر ، كنتيجة طبيعية
لتراكات المعاناة ، من فقدٍ وسواه ، وخيم هذا الحزن على مشاعر الشاعر وشعره ، وليس
مستمداً من الجماعة المهجرية ، وخاصة أبي ماضي ، كما ذهب إلى ذلك البعض (٣١) .

التشاؤم

إن تيار القند العاتي ، ومرجة الحزن الطاعي ، لا بد وأن يصبّا في تهر التشاؤم لذلك لا نرى
في شعر الشاعر ، ما يعبر عن تفاؤل وأمل ، وتطلع للحياة ، بل نجد عزوفاً عنها ، غير
مطمئن لها ، ولا لمن يعيش بين أكتافها ، فلقد أدار لها ظهره يعد أن ذاق من ويلاتها ما ذاق^(٣٢) :

أجرعت من ماء الحياة ؟ وكيف لي يا صاحبي من مائها أن أجرعا
ما استسغ من المناهل مشربا أو أستسغ من المخاضير مرتما
ألف المرارة من تعود حلقة إن لم تبل صداها أن يتوجعا
عقت الغدير - وما يعاف - لأنني حاولت شرباً غيره فتمنعا

ولذلك كان الشاعر يتوق للتواري عن الناس ، والإعتزال عن عالمهم ، حيث يقول^(٣٣) :

جئت من عالمي المحجّب لا أدري لماذا ؟ وسوف أمضي لقله
ولقد عشت في الحياة غريباً .. مسترياً بعلمه وبجهله
قد جنى حبه عليه .. فما كان سيداً بحبه أو بعقله
أقلم يقصياه عن عالم الناس ؟ ألم يقضيا عليه بعزله

وفلسفة الفقي وتشاؤمه بدأت لديه بتساوي الأضداد ، وتماثل النقيضين ، حتى تلاشى

الفرق لديه بين السعد والنحس ، والسرور والألم^(٣٤) :

وعلمي سخر المقادير .. أننا ضحايا المآسي أو ضحايا المهازيل
وأن نعيق اليوم شكوى حزينة إلى ربّها من طيب شدو البلبابل
فقيم بزيف النحس يبدو تشاؤمي وقيم بزيف السعد يبدو تفاؤلي

وإذا كان الشعر العربي انحاز للمرأة ، ولهت الحرف خلقها استعطافاً واستجداء ،
وكانت في قواني الشعراء تمثل الزهرة التي يتوق الشعراء إلى استنشاق عبيرها ، والإستمتاع
بمنظرها وشذاها ، فإنها وفق منظور الفقي وفلسفته ، في انطلاقتها الأولى ، تمثل طرفي النقيض ،
فليست خيراً مطلقاً ، أو شراً مطلقاً^(٣٥)

ليس كل الحسان يعث بالقلد ب ويتركن ماء العذب ونقا
لا ولا كلهن يطربن للجر ح فينكأند ليزداد عمقا
إن فيهن علقما وفرا فتخير منهن أكرم مسقى

ثم تتامى هذه النزعة التشاؤمية ، لتتحول مع تنامي حواء إلى شيطان ، يخشى أذاه
ويهاب بلاءه (٣٦) :

فاعذريني فقد لقيت من الغد د بلاء يضيق منه البلاء
فكرت للحياة وأهلي هـ جميعاً .. وقلت كيف النجاء ؟
وتخيلتني جريحاً يجرح ضقت ذرعاً به وعز الشفاء
وتصورت أن حواء شيطا ن طوتني غيومه السوداء

وإذا دلفنا مع الشاعر بين مصراعي الوجود ، (الميلاد والموت) فإن موقف الشاعر يتسم
بالكثير من الرضوح ، فهو يحس بغرته في هذه الحياة ، فلنا فهو يجتريها تطلعاً للإقتران بأحبائه
في الأخرى ، ولقد سبق أن مررنا قوله (٣٧) :

لعديت مرثين فقد كنت وما شئت ثم عشت شقيماً
إن صلباً ومهلاً أتيا بي أتيا -جاهلين- أمراً فريا
لو يكونان يعلمان لقالا حسنا العقم بكرة وعشياً
وأطاعا نوازع الخمر لكن قضائي قد كان في عصياً

وهو ما يذكرنا بيت المعري ، الذي أوصى بأن يكتب على قبره :
هذا جنساه أبي علي وما جيت على أحد
كما مررنا في الحديث عن (الحنن)

فالشاعر كان يخشى الحياة قبل الوصول إليها (٣٨) :
منذ بدء الخلق اعتراني .. أنا النطقة خوف من الحياة شديد
فكأنني أحست من عالم الذر بأنني قلب أسيف عميد

ولعل من سبقه إلى العالم الآخر أغراه ، بأن يتطلع نحو الموت ليلحق بهم ، كما أشار في شعره^(٣٩) :

أين أرواحكم فاني حزين شذّما راعني الفراق المبين
أين أرواحكم سئمت من الوح دة واشتقت أن تحين المنون

ولذلك يرى في بقاءه على أديم الأرض عذابا ، ولذلك تطلّع للحاق بهم^(٤٠) :

يا رفاقا مضوا وخلّوا رفيقا مفرداً ليس حوله من رفاق
قد بدا لي من بعدكم أن عمري لم يعد غير لوعة واحترق

ولذلك تحول تشاؤم الشاعر إلى تشاؤم إيجابي ، إذا صح أن نطلق عليه ذلك ، حيث اشترأت روحه نحو الموت ، بل ويجس بالسعادة لدنو أجله ، ويعمل ذلك بما انطوى عليه عالم الناس من غدر ، حيث يقول^(٤١) :

إنني شاعر بموتي ولكني حفيّ به طروب بقرية
ما الذي ارتجيه من عالم الغدر وروحي قد أنخت من ضربه؟
كل من فيه يتقيني وما كا بد حربي وقد شقيت بحربه
أتراني أنا الغريب - وما أحفل أم أني الشقي بسويه

ولكن مرد ذلك في تصوري رغبته في اللحاق بمن سبقه من أحيائه إلى عالم الخلود وقد تركوه أسيراً يرسف في قيده^(٤٢) :

ليتني كنت بينكم فلقد كنا كدوح تساقطت أوراقه
من خريف قسا فلم يُبق منها غير نزر تهرحت أحداقه
ياكيا كالأسير في ربة الأمر ، وقد فكت القيود رفاقه
خلفوه إلا قليلا كئيبا مثله .. طال في الخريف وثاقه

ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله^(٤٣) :

قولي لهم : إنني غريب ما تحن له الديار

قولي هم :	إني	طريد	ما يقرّ له	قراز
قولي هم :	إني	أسير	يستبد به	الإسار
قولي هم :	إني	رسيف	ما أتيح له	الفراز

الثنائية

إن أبرز ملمح - في تصوري - وأكثر السمات تفشيًا في شعر الفقي ، هي الثنائية .

ولعلها ثمرة التأمل والاستغراق ، في مراقبة ما تنطوي عليه الحياة من مفارقات ، وما يلور على مسرحها من صراع ، بين الخير والشر ، ثم يقضي هذا الصراع إلى ما يؤول ويؤدي ، حينما ينتصر الشر على الخير على خلاف ما يرجوه كل من يشايع الخير ، ويناهض الشر ويغضه^(٤٤) .

يلاقي الوعول المجد سهلاً معيداً ويلقى به الاساد كل مصاب
سئمت فلو عاد الزمان مسالماً إليّ ، لما عادت إليّ رغابي
وما عاد يشجيني ترقم بلبل ولا عاد يشقيني نعب غراب

والثنائية في شعر الفقي تمثل انعكاساً للصراع الأزلي ، بين الموت والحياة ، والاستسلام للحيدة والمراقبة ، إزاء تلك الحوادث التي تختطف شاباً في ريع عمره وتدع شيخاً قانئاً في خريف عمره^(٤٥) :

ولكنها الأقدار .. هذا دواؤه يميت وهذا لا يموت بدائه
وهذا عجوز ضائق من بقائه وهذا فتى جازع من فثائه

والذي يدور من خلال الاستقراء والاستنباط ، أن ظهور هذه الثنائية وإن كان مبكراً في حياة الشاعر الشعرية ، لمنا ارماساته في ديوانه الأول (قلر ورجل) ، إلا أن المرحلة التي تلت ذلك ، شهدت تكتيفاً في استخدام هذه الثنائية ، ولذلك ففي أعماله المتأخرة يلو التركيز على هذه الثنائية واضحاً ، وغزارة ورودها جلّية ، وإن لم تكن مقصودة لذاتها ، لأن التركيز على إيرادها قد يفسد العملية الشعرية ، إلا أنها ثمرة الاستغراق ، والتأمل ، والمقارنة ، وهي الأمور التي تتدرج تصاعداً ، وكثافة ، مع الشاعر خلال سني حياته وتجلت في أعماله الشعرية كانعكاس لتفاعلها في داخله وهو يرقب هذا الركب المغذ نحو النهاية ، وتيار الحياة وما يحفل به من صراع ، والتناقض والمفارقات التي تنطوي عليها هذه الحياة بمنح من لا

يستحق أعلى المراتب وحجب من يستحق عن أن ينال حقوقه وكيف أن الغلبة أضحت للبلغات وإن الضعة والحران أضحت من نصيب الأسود .

والتأمل في أعمال الفقي لا يجد في ديوانه الأول قصيدة تحمل عنواناً يقوم على الطباق أو المقابلة أو أي توجه يتم على المقارنة والثنائية بينما ذلك أحد سمات بعض عناوين قصائده في المجموعة الكاملة ، فعلى سبيل المثال نجد ضمن عناوين المجلد الأول من أعماله الكاملة :

(أرض وسماء) (الأكل والمأكول) (الشرق والغرب يلتقيان) (العزلة والاختلاط) (الهيولي والروح) (وداع ولقاء) (القسم والقيعان) (تحية المشرق للمغرب) (فواجع وآمال) (رأساليون وماركسيون)

أما تفشي ذلك بين ثنايا القصائد فهو من الكثرة بدرجة ملحوظة ، تقتضي كثرتها الإكفاء بالإشارة إليها ، وكل متصفح للأعمال سيلمس ذلك جلياً .

على أنه يحسن أن نعرض على ذكر أمثلة للصور التي وردت عليها هذه الثنائيات .

فهي إما أن ترد على صورة المحسنين البديعين

١- الطباق^(٤٦) :

فسيحان ربي في رخاء وشدة	وسبحانه في منحه وعطائه
رضينا بما يقضي به إن مسرة	برحمته أو نكبة بابتلايه
رضينا به في سخطه ورضائه	رضينا به في جهره وخفائه
له الحمد قد يقضي علينا بمحنة	ويتبعها منا بحسن عزائه
وما نحن في الأولى ولا نحن في التي	تليها سوى عُبدائه وإمائه

٢- المقابلة^(٤٧) :

ووجوه تبدي التهلل والبشـ	رَ ... وبين الصدور يثوى الصدود
وجُدود تهوى .. وقد مَّها الكبـ	رُ ... وتعلو بالاتضاع جدود

٣- ربما أخذت هذه الثنائية صورة المقارنة لتيان مزية أمر على أمر آخر ، أو الإشادة بأمر والازراء بآخر ، رتيان واقع متألق زاهٍ بإزاء واقع مظلم مخزٍ^(٤٨) :

أَوَاهِ يَا زَمَنَ الْبِنَاءِ	وَأَهْ يَا زَمَنَ الْخَرَابِ
كَمْ قَدْ لَقِينَا مِنْ مَرَا	زَيْءٍ .. كَمْ لَقِينَا مِنْ تَبَابِ
مِمَّنْ نَقُولُ .. هُمُ الرُّعَا	نَقُّ شَأْنَهُمْ شَأْنُ الذَّبَابِ
فَغَدُوا هُمُ السَّادَاتُ فِينَا	قَوْلُهُمْ فَصْلُ الْخَطَابِ
وَلَحْنٌ أَكْثَرُ فِي الْعَلِيدِ	وَنَحْنُ آخِرُ فِي الْمَآبِ
أَوَاهِ مِنْ بَعْدِ الْخَرَابِ	الْمُنْجِيَاتِ مِنَ الصَّعَابِ
صَرْنَا الثَّنَائِمَ لِلْغَزَاةِ	كَمَثَلِ رَبَّاتِ الْخَضَابِ
وَيْلُ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ	وَوَيْلُنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
ذَهَبَ الْأَوَائِلُ بِالثَّوَابِ	وَنَحْنُ نَذْهَبُ بِالْعِقَابِ

٤- وينتج ضمن الثنائية : الأسلوب القصصي ، والحواريات وتوظيف الضمائر في الجدل ، كقولهِ^(٤٩) :

قالت ، وأشرعت الجفون ، كأنها	يريقها المختطفو الأسياف
إني أخاف عليك من عنت الهوى	وغيره ، فالسُّمُّ فيه زُعاف
فإذا وردت ، فلا تَعَبٌ مجازفاً	فالرِّيُّ منه على القلوب ، جفاف
فأجابها : إني عيبٌ ، فحاق بي	يا حلوتي ، ما كنت منه أخاف

وبعد :

فإن شعر الفقي بغزارته وثرائه ، يرفد الباحث بالكثير من الأمثلة والشواهد ، ولكننا
أثرنا الإقتصار في إيراد الأمثلة والشواهد ، لتجانس مع طبيعة البحث ، ولا يضمن
هذا المعين الشر على من يرزده طلباً في المزيد ، فليست هذه الاستنتاجات
سوى صوى وإشارات ، تقوم على اجتهادات ، تنشئ الصواب ، وتتطلع إلى أن تتهم بجهد
المقل ، وفوق كل ذي علم عليم .

جستدة

الخميس ١٢ من رمضان ١٤١٦ هـ

١ فبراير ١٩٩٦ م

١٠٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٢٤ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

١٧ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤١٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢) - ٤١٤

٤١٩ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤١٩ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

٤٢٠ - ترجمت من حياة (عزرا ٢)

ثبت المصادر والمراجع

- أبو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين) ، الأغاني الجزء الرابع
مصور عن طبعة دار الكتب - وزارة الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
- جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة
دارة المعرفة بيروت
- د/ عبدالله الجبوري ، أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين
بغداد ١٩٧٧ منشورات وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية
- د/ عبدالله الحامد ، الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية
خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥م)
- ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي
- د/ عمر الطيب الساسي ، الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي
ط الأولى ١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ جلة للمملكة العربية السعودية
نشر (تهامة) سلسلة الكتاب الجامعي .
- محمد حسن فقي ، الأعمال الكاملة للشاعر محمد حسن فقي
الدار السعودية للنشر والتوزيع . جلة
- = = = ، ترجمة حياة ط الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م جلة
كتاب الاثنين الناشر عبدالمقصود محمد سعيد خوجة
- = = = ، رباعيات
- ط الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م
- الدار السعودية للنشر - جلة

- = = ، قدر ورجل

ط الأولى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م

الناشر ، الدار السعودية للنشر ، جدة .

- د/ محمد عبدالرحمن شعيب ، المتنبئ بين ناقدية في القديم والحديث

ط الثانية دار المعارف .عصر

- د/ محمد مصطفى حلمي ، ابن الفارض والحب الالهي

ط ١٩٧١م دار المعارف .عصر

المرأة والتنمية بدولة الإمارات العربية المتحدة

الدكتور / مهزّه غباش

مدرس علم الاجتماع بجامعة الامارات العربية المتحدة

مشكلة الدراسة وأهدافها : -

شاركت المرأة منذ القدم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في مجتمع الامارات العربية المتحدة، واليوم تعاود الظهور على خريطة العمل التنموي، ولكن بصور جديدة وبمعدلات انتاج مختلفة، فهل تعد هذه الأدوار، وهذه المشاركات استكمالاً لأدوارها التاريخية، ام استحداثاً لأدوار لم تخصها من قبل؟

تتوجه هذه الدراسة نحو البحث عن الأدوار المتاحة للمرأة في التنمية في مجتمع الامارات منقلمسة الصورة الحقيقية لهذه الأدوار على كافة المستويات . نبدأ بالمستوى الاقتصادي فنبحث عن دور المرأة ومشاركاتها في سوق العمل الحكومي والخاص. وعلى المستوى الاجتماعي ونبحث عن أدوارها في التنشئة الاجتماعية، وإدارة شؤون المنزل، ورعاية أفراد الأسرة. ثم على المستوى الثقافي من خلال نشاطها في المؤسسات الثقافية والخيرية والنسائية والنفع العام، وفي حالة تقصي هذه الأدوار سنتبنى اسلوباً تقويميا لها، بحيث نصل الى حجم هذه المساهمة، وحدودها ومدى عطائها لمجتمع الإمارات العربية المتحدة، والمعوقات التي تعترض هذه المشاركات،

للكشف عن الأدوار التنموية المتاحة للمرأة في دولة الامارات يتوجب علينا البدء بالحديث عن دولة الامارات وانجازات عملية التنمية الشاملة فيها كدولة ومجتمع إنساني. والتركيز على هذه الانجازات يحقق لنا هدف التأكيد على أننا اذا كنا امام دولة سياسية جديدة من حيث النشأة والتكوين فإننا أيضاً أمام مجتمع انساني عريق من حيث التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وبذلك نستطيع دراستنا بطرح تساؤل رئيسي مؤداه هل استطاعت هذه الدولة الجديدة أن تربط بين هذا التاريخ الاجتماعي وبين التوجهات او الاستراتيجيات العامة لمشروعها التنموي؟

ان تناول قضية التنمية ونحن في عقد التسعينات يختلف تماماً عما كان يقال في السبعينات عقب ولادة الدولة، وإرهاصة التشكل الجديد للمجتمع الانساني فيه، ففي السبعينات كنا جميعاً نعيش حالة الميلاء بكل متاعبها ومحاذيرها وكنا نولد في ظل متغيرات دولية وعربية جديدة، منفا مرحلة انحسار الاستعمار، وبناء الدولة الحديثة، فكنا في ذلك الوقت نبحث عن مكان لنا على خارطة عالم جديد يتشكل .

فبريطانيا كانت تنسحب وحزب العمل يضغط على حكومته لتوفير مناخ سياسي جديد لمنطقة الخليج، وقومية قادمة من اعماق مصر وسوريا والعراق تقول لنا كلمة جديدة اننا عرب

وإننا ناريخ طويلاً في صفحات التمهيد، فإننا نقر أن نترجم هذه الكلمات في تحريك سياسي موحد، وتغييرات داخلية سياسية واقتصادية، تتمثل في حكومات تتولد وتتكين، ونقطة يستخرج كمارد من الأعماق ليثير أو ليسيم في تغيير وجه تلك الحضارة البسيطة بقيمتها التي لا شك كانت جميلة .

في عقد السبعينات إذا كنا نولد من جديد وكنا نختار طريقاً نسير فيه فكان عام ١٩٧١م بمثابة نقطة تحول في تاريخ الإمارات بإعتباره الخط الفاصل بين مرحلتين هامتين في حياة شعب الإمارات، فنقطة التحول السياسية هي إعلان دولة الاتحاد للإمارات السبع "أبوظبي، دبي، الشارقة، عجمان، أم القيوين، رأس الخيمة، والفجيرة"، أما نقطة التحول الاقتصادية فلقد سبقت التحول السياسي بعشر سنوات وذلك يظهر النقطة في أبوظبي ودبي في الستينات من هذا القرن ويعد ظهير النقط هو المؤشر الإقتصادي الجديد الذي غير من معالم مجتمع الإمارات العربية المتحدة.

وإذا كنا في هذه الدراسة بصدد البحث عن أدوار المرأة المتاحة لها للمساهمة في التنمية فإننا نتناول هذه القضية من خلال الموضوعات التالية:-

- (١) مجتمع الإمارات، نظرة عامة .
- (٢) مشكلة الدراسة وأهدافها .
- (٣) مفاهيم الدراسة وتوجيهاتها النظرية .
- (٤) نماذج التنمية في دولة الإمارات .
- (٥) الأدوار المتاحة ومشاركة المرأة الحضرية في التنمية بدولة الإمارات .
 - ١ - مشاركة المرأة في سوق العمل : المحددات والمؤشرات .
 - ب - المرأة في الوظيفة العامة .
 - (٦) المرأة الحضرية وأدوارها الأسرية .
 - (٧) المرأة الحضرية وأدوارها الثقافية .
 - (٨) المرأة الريفية وأدوارها الأسرية والاجتماعية .
 - (٩) الخاتمة .

مجتمع الإمارات نظرة عامة :-

تقع دولة الإمارات العربية المتحدة في منطقة صحراوية (رملية وجبلية) على الجانب الجنوبي الغربي لقارة آسيا كشرط يقع جنوب غربي الخليج العربي، وتبلغ مساحتها ٨٥ ألف كيلو متراً مربعاً، ومناخ دولة الإمارات حار رطب صيفاً تصل النهاية العظمى لدرجة الحرارة فيه إلى ٤٧ مئوية، وبارد شتاءً تصل النهاية الصغرى في بعض مناطقه إلى ١٨ مئوية، ويصل متوسط الرطوبة السنوي إلى حوالي ٧٠٪ والمطر نادر إلا القليل منه في الشتاء والربيع، ومن ثم فلا وجود للمياه الجارية إلا القليل منها الذي يوجد في بعض المسيلات على جوانب الجبال، وتفتقر بيئة دولة الإمارات إلى غطاء نباتي طبيعي فيما عدا بعض الأنواع العشبية والشجرية المتفرقة في بعض البقاع الرملية والأودية الجبلية، وتعيش في دولة الإمارات أنواع من الحيوانات بأعداد قليلة كالماعز والأغنام والجمال وأنواع أخرى من الحيوانات والطيور (١) ويتصف اقتصاد دولة الإمارات في مرحلة ما قبل البترول بأنه اقتصاد فقير وبسيط يعتمد اعتماداً كبيراً على الأساليب الانتاجية التقليدية .

إن مثل هذا الاقتصاد كان أقرب في خصائصه إلى الاقتصاد المعيشي الذي لا يوجد فيه فائض اقتصادي فقد كان الناس يعملون من أجل استمرار الحياة، ولذلك فقد كان المجتمع يتسم بالسمات التقليدية مثل سيطرة العلاقات القبلية، والسلطة الأبوية، والخضوع لسلطان العادات والتقاليد وتدني وضع المرأة، وعدم الخضوع التام لسلطة مركزية واحدة (٢) ولقد تغير هذا النمط الاقتصادي تغيراً كبيراً على أثر اكتشاف النفط في نهاية خمسينات هذا القرن، ولكن اكتشاف النفط لم يجمع الإمارات المتفرقة على الساحل والتي كانت تعاني ضعفاً سياسياً ظاهراً، ولذلك فأننا نعتبر أن عملية التنمية الحقيقية في دولة الإمارات قد بدأت مع قيام الاتحاد في عام ١٩٧١ م .

والمحقق أن قيام دولة الاتحاد لم تكن تعني لدى مؤسسيها إنشاء كيان سياسي واحد فحسب، بل كان يعني بالنسبة لهم توفير الظروف لتحقيق مستويات أفضل من التنمية، ولذلك نجد أن دستور الاتحاد يتحدث عن " تحقيق المساواة والعدالة وتوفير الأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين " وأن " الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق وحب الوطن " وأن المجتمع " يشعل برعايته الطفولة والأمومة ويحمي القصر وغيرهم من الأشخاص العاجزين عن رعاية أنفسهم لسبب من الأسباب كالمرض أو العجز أو الشيخوخة أو البطالة الإجبارية " وأن التعليم عامل أساسي لتقدم المجتمع، وهو الزامي في مرحلته الابتدائية ومجاني في كل

مراحله داخل الاتحاد " وأن المجتمع " يكفل للمواطنين الرعاية الصحية ووسائل الوقاية والعلاج من الأمراض والأوبئة " وأن المجتمع يقدر " العمل كركن أساسي من أركان تقدمه ويعمل على توفيره للمواطنين وتأهيلهم له، ويهيئ الظروف الملائمة لذلك بما يضعه من تشريعات تصون حقوق العمال ومصالح أرباب العمل " (٣)

إن هذه النصوص من الدستور توضح أن مهمة قيام الاتحاد كانت أكبر من مجرد خلق كيان سياسي، بل هي أوسع من ذلك، أنها محاولة لخلق الأطاريح التنظيمي والقانوني لدولة تستطيع أن تنطلق في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية من أجل رفاهية الإنسان، ولعل هذا هو السبب في أن حركة التنمية الحقيقية في الإمارات لم تبدأ مع اكتشاف البترول ولكن بعد قيام الاتحاد عام ١٩٧١م ومن هذا التاريخ يتم التاريخ الحقيقي للتنمية في دولة الإمارات .

نستطيع بداية أن نقول أن النقط بظهوره غير من وجه تاريخ دولة الإمارات، وأستطاع أن يترك أثرين متضادين على المجتمع، الأثر الأول أنه بجانب عوامل أخرى أستطاع أن يعجل بحركة التغيير في النظام الإقتصادي، أما الأثر الثاني فهو تعطيل التغيير في الإنساق الأخرى كالنسق الإجتماعي / الأسري على وجه الخصوص، والنسق الثقافي. وبعبارة أخرى فإن التغيير لم يحدث للإنسان بشكل منتظم ومتزامن مما خلف وراءه العديد من الثوامر والمشكلات. كان أهمها تزعزع موقف المرأة من عملية التنمية مما سيوضح من خلال هذه الدراسة.

إن تعجيل البترول للنسق الإقتصادي وتحويله من نسق تقليدي إلى نسق حديث يعني التحول من اقتصاد بسيط يبلغ دخل الفرد فيه مستوى شديد الانخفاض (نسبة إلى معدل الدخل حالياً) إذ لم يتجاوز ٢١ دولاراً طبقاً لتقديرات تمت في الستينات. إلى جانب إنخفاض المخرجات السنوية، وانعدام معدل النمو تقريباً، فيما عدا بعض التجارة والملاحة في إمارة دبي كما كان هناك اعتماد مطرد على استيراد وسائل الإنتاج ورأس المال العيني والسلع الاستهلاكية، بجانب إنتاج محلي لبعض السلع من المواد الغذائية المعتدة على التمور، وبعض القواقع، هذا بجانب تفشي الأمية، وإفتقار الإمارات السبع إلى القواعد الاقتصادية والخدمات الكافية، ومحدودية سوق العمل، والإعتماد على مصدر وحيد للدخل وهو استخراج اللؤلؤ وصيد السمك بجانب مصادر أخرى محدودة الإنتاج كالزراعة والرعي والملاحة .

من ذلك الواقع الاجتماعي السياسي الاقتصادي البسيط إلى حركة اقلاع نحو تشكّل جديد ونظام اقتصادي حديث و دولة ذات ثراء، ومكانة دولية متميزة .

ان خطة التنمية التي بادرت الي تنفيذها دولة الامارات ارتكزت على مصدر وحيد للنقل وهو النفط ، مما خلق جوا من عدم الاستقرار ، وبالتالي أصبح التفكير الجديد نتيجة ذلك نحو تنويع المصادر وتنمية الصناعة والزراعة والحرف التقليدية، والتجارة والسياحة مع ارتكاز ذلك كله على نظام السوق المفتوح .

بإس النفط اذاً يتعجيل النمو الاقتصادي، ولكنه في الوقت نفسه استطاع تعطيل الانساق الأخرى عن مساهمة التغيير بنفس سرعته ، فماذا نعني بالدور التعطيلي هذا ؟ انه إعاقة نمو وتطور الإنسان في المجالات الأخرى المرتبطة بالنسق الاقتصادي، فلقد واجه النفط قوة النسق القرابي والقبلي المتجذر في بناء مجتمع الخليج العربي بشكل عام، والامارات على وجه الخصوص ، فلم يستطع اختراق هذا النسق أو الانتفاخ حوله أو إخضاعه له ، لذلك أدى دوره إلى تحديث الحياة العامة للمجتمع، ولكنه لم يخضع النسق الاجتماعي الى تلك الدرجة للتغيير الاقتصادي.

فاذا اعتمدنا على رأي كل من " جوزيف هايمس " الذي يرى أن التغيير الاجتماعي والثقافي يجب أن ينظر اليه كوحدة واحدة وليس كاجزاء، أي على شكل سلسلة أعمال مترابطة من الابتكار الثقافي تنتشر من نقطة الى أخرى ومن فترة زمنية الى أخرى " (٩).

كنك ما يراه " محمد جسوس " من أن جوهر الحياة الاجتماعية في كل مكان يتضمن التغيير المستمر، وإذا كانت هناك نظرية اجتماعية حقيقية، فعليها أن تتضمن تفسيراً وتحليلاً لما يحدث من تغيرات متكررة دائمة أو مؤقتة أو عابرة وتشخيص أسباب حدوثها، سواء كانت أسباب اجتماعية أو غير اجتماعية، ثابتة أو متغيرة وخلاف ذلك لا يمكن اعتبارها نظرية اجتماعية. (١٠)

استطاع النفط اذاً أن يكون عاملاً مهماً للتحديث في مجتمع الامارات، وترك العديد من المؤشرات نذكرها فيما يلي :-

أولاً : مؤشرات التغيير على النسق الاقتصادي-

- (١) تحويل برامج التنمية وتنفيذ العديد من المشاريع العمرانية والخدمات المدنية .
- (٢) تغيير التضخم المالي ونمو معدل الانفاق والاستهلاك المظهري الخاص والحكومي ، مما أدى إلى اتساع سوق العمل وتنشيط حركة التجارة والاستيراد وإعادة التصدير ، وهذا بدوره أدى إلى انتشار الحرف التقليدية لأنها بسلعها وخدماتها لم تعد تتلاءم مع متطلبات السوق .

(٣) خلق المراكز الحضرية .

(٤) ادى الى استصلاح الاراضي المجاورة للمدن الجديدة لسد حاجة السكان .

(٥) إنشاء البيئة الريفية .(٦)

ثانياً : مؤشرات التحديث التي نلاحظها في مجتمع الدراسة فتتمثل فيما يلي :-

(١) تحول البنية الاجتماعية من الوحدة القبلية الى الوحدة المحلية (الجيره) .

(٢) تعايش النظام البيروقراطي مع النظام القبلي في ادارة المؤسسات الرسمية .

(٣) خروج المرأة للعمل خارج الدار في مؤسسات رسمية .

(٤) الانتقال من السلطة المغلقة الى المشاركة في السلطة عبر الوظائف الحكومية العليا

(٥) نظام تعليمي حديث، ووسائل اعلام متطورة .

(٦) اهتمام الصحافة بقضايا المرأة وترويج القيم الاستهلاكية .

(٧) اختزال نمط الاسرة من الممتدة الى الاسرة النووية .

(٨) تحول نمط الزواج من الداخل (من الاقارب) الى الخارج (الاباعد والغرباء) .

(٩) تزايد عدد منظمات العمل التطوعي .

(١٠) التعبئة السكانية .

مفاهيم الدراسة وتوجهاتها النظرية:-

أن سياق البحث النظري لهذه الدراسة يتطلب العودة لمناقشة بعض الاتجاهات والمفاهيم النظرية المرتبطة، بالتقدم والتطور ثم التنمية بمفهومها الكلاسيكي والحديث الذي تتبناه الأمم المتحدة .

من علماء الاجتماع الكلاسيكيين الذين تناولوا مفهوم التقدم نجد " كوندراسيه " الفرنسي و " فيكرو " الايطالي ومن قبلهم " ابن خلدون " الذين تحدثوا عن مفهوم التقدم والمراحل التي يمر بها كل مجتمع للوصول الى هذه المرحلة، ثم ظهرت بعد ذلك آراء التطوريين أمثال " سبنسر " و " ماركس " و " لينلي هوايت " ثم فكرة الثنائيات التي تنعكس في آراء كل من " نور كايم " وفكرة التضامن الالهي " العضوي " و " هوارد بيكر " عن المقدس والعلماني " وتونيز " عن المجتمع المحلي والمجتمع العام) وآراء " ماكس فيبر " عن السلطة بأنواعها الثلاثة وأخيراً روبرت رد فيلد " عن المجتمع الحضري والمجتمع القروي (٧).

يرى شاربسون أن اهتمام علماء الاجتماع بموضوع التنمية " تتمثل في بروز العديد من الآراء التي تعكسها بعض الاتجاهات النظرية والتي من أهمها :

- اتجاه نظرية التحديث Modernization theory
- اتجاه نظرية التبعية Dependency theory
- اتجاه نظرية النسق العالمي World system theory

وتجدر الإشارة الى أن أصحاب الاتجاه الأول أي اتجاه التحديث قد سبقهم آخرون، منهم التطوريون والانتشاريون، ثم جاء بعدهم الوظيفيون الذين تأثروا بأراء تالكوت بارسونز Parsons عن الوظيفية عامة، وعن متغيرات النمط Pattern Variables خاصة. ومن أهم الممثلين لاتجاه نظرية التحديث عديدون، نذكر منهم ر. أوهلن R. Ohlson، دانييل ليرنر D. Lerner، وسملسر N. Smelser، وبرت هوسليتز B. Hoselitz، وايزنشتات Eisenstadt.

ويرى البعض أن التوجهات النظرية للوظيفيين قد اتخذت من المجتمع " ككل " وحدة أساسية للتحليل، وقد أعقبت تأثير العوامل الخارجية على التغييرات البنائية، ولذا جاءت نظرية التبعية، التي تركز على هذه العوامل، كرد فعل تجاه بعض أصحاب نظرية التحديث. ومن المختلن لنظرية التبعية نذكر فرانك FRANK وسمير أمين S. AMIN.

وفي حوارنا حول هذا التحديث ننتقل من رأي سملسر " حول التنمية الاقتصادية التي يرى انها ليست عملية بسيطة وانها تؤدي في ظل أربع عمليات مرتبطة بعضها ببعض، هي :

- (1) مجال التكنولوجيا ويعني التحول من مجتمع يعتمد على الأساليب البسيطة، والتقليدية الى استخدام المعرفة العلمية بواسطة التكنولوجيا .
- (2) مجال الزراعة، ويعني التحول من الزراعة المحدودة التي تساعد على مجرد البقاء للإنسان، إلى الزراعة المعتمدة على الانتاج للسلع الزراعية، والتخصص في محاصيل تدر ربحا كبيرا، بجانب استخدام عمالة زراعية بالأجر .
- (3) مجال الصناعة، حيث ينتقل المجتمع النامي من استخدام القوة البشرية والحيوانية الى التصنيع التام .
- (4) المجال البيئي، ويقصد سملسر هنا الانتقال من المزرعة والقرية الى التجمعات والمراكز الحضرية(٨)

من ناحية أخرى، يرى سملسر أن مصطلح التحديث على الرغم من أنه يرتبط بمفهوم التنمية، فهو أكثر شمولا من حيث نطاقه، إذ يشير الى أن التغييرات التقنية والاقتصادية والبيئية تنتشر عبر البناء الثقافي والاجتماعي بأكمله، ففي أي دولة ناشئة حسبما يرى سملسر يمكننا أن نتوقع تغييرات عميقة في المجالات التالية :

١) في المجال السياسي، حيث تتراجع نظم السلطة البسيطة للقوية أو القبيلة، وتفسح المجال أمام نظم الانتخابات والأحزاب السياسية والتمثيل السياسي ودواوين الإدارة المدنية .

٢) في المجال التعليمي، حيث يسعى المجتمع جاهداً إلى تقليل نسبة الأمية وزيادة المهارات الانتاجية من الناحية الاقتصادية .

٣) في المجال العائلي، حيث تفقد صلات القرابة الواسعة انتشارها .

٤) في المجال الطبقي، حيث تؤدي التحولات الاجتماعية والجغرافية إلى التخفيض من حدة النظم الطبقيّة انجادة، وعلاوة على ذلك فإن هذه التغييرات المختلفة تبدأ في أوقات مختلفة وتسير بمعدلات مختلفة في أي دولة نامية .(١)

ومن المحاولات الأخرى التي أشارت إلى مفاهيم التنمية والتقدم نجد مجموعة من الإجابات أهمها :

١) اتجاه النماذج والمؤشرات . ٢) الاتجاه التطوري المحدث .

٣) الاتجاه السيكلولوجي أو السلوكي . ٤) اتجاه المكانة الدولية . ٥) الاتجاه الانتشاري .(٢)

ورغم صعوبة تحديد الاعتمادات الأساسية لتلك الإجابات النظرية المختلفة، إلا أنه بالإمكان صياغة أربعة تساؤلات يحاول العلماء المحدثون تقديم الإجابة عليها وهي :-

١) ما هي الأسباب الكامنة وراء ظاهرتي التخلف والتنمية؟ ولماذا استطاعت مجتمعات معينة أن تنمو بشكل أسرع من مجتمعات أخرى؟

٢) ما هي الإجابات التي تتخذها عملية التنمية الاقتصادية والتغير الثقافي؟

٣) إلى أي مدى تتطلب التنمية الاقتصادية حدوث تحول اجتماعي - ثقافي؟

٤) كيف تستجيب الدول النامية للمؤثرات المختلفة التي تتلقاها من المجتمع الدولي؟(٣)

كما يمكن القول بأن هناك أربعة افتراضات أساسية تكاد تستند إليها أغلب نظريات تنمية العالم الثالث (١٢)

الأول : أن التنمية تعني التقدم نحو أهداف معينة محددة بوضوح، أهداف مشتقة من واقع الدول المتقدمة، وتختلف سميات هذه الدول باختلاف الدارسين، فهي عند البعض دول حديثة . وعند البعض الآخر دول صناعية.

الثاني : أن الدول المتخلفة سوف تتقدم نحو نموذج الدول المتقدمة، حالما تتمكن من التغلب على عقبات اجتماعية وسياسية وثقافية ونظامية .

استمارة بحث
عن الأطفال المعوقين بالقرية المصرية
" دراسة بقرية خورشيد "

- البيانات الواردة بهذه الإستمارة لن تستخدم إلا للأهداف العلمية ومكفول لها كامل السرية

التنمية البشرية :

التنمية البشرية وعوائدها هي تلك التي تبدأ بنا يصنعه البشر، وتنتهي بنا يعود على البشر، حيث المعيار الأول والأخير في تقييم تلك الجهود التنموية هو ما يحدث للإنسان في مستوى معيشتة ونوعية حياته وعلاقاته وحركته في مجتمعه . وتتسبب الآراء والأفكار في تشخيص التنمية البشرية ويؤكد (حامد عمار) (١١) على أهمية ارتباطها بإشباع حاجات الإنسان من الغذاء والكساء والصحة والتعليم والعمل والترويح وتكوين الأسرة والمشاركة في مسيرة المجتمع، وفي الاستمتاع بالحقوق الإنسانية والطمأنينة على الحاضر والمستقبل وفي إتاحة الفرصة لحرية التعبير والتنظيم والتأثير، أي توفير ما يؤدي إلى الوفاء بمجمل احتياجاته.

ويتضح هذا المفهوم للتنمية البشرية فيما إستحدثته دراسات الأمم المتحدة عن مفاهيم جديدة للتنمية نتناولها فيما يلي :-

التنمية بالمشاركة :

تنطلق المفاهيم الحديثة للتنمية عن مركات جديدة أولها المشاركة الشعبية ؛ أي مشاركة الشعب بجميع فئاته وحوائفه في عملية صنع القرار السياسي ولامتلاك القرار على توجيه القرارات الخاصة بالسياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وقد ارتكزت استراتيجية الأمم المتحدة للتنمية الشاملة لدول العالم، بشكل رئيسي، على فكرة المشاركة الشعبية بأشواطها المتعددة، كالمشاركة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.

التنمية المستدامة :

تؤكد التشريعات الدولية في المرحلة الراهنة على أهمية بذل الجهود لوضع برامج التنمية المستدامة والتي أصبحت ترتبط بشكل رئيسي بالمرأة، لتكثيفها من الحصول على قدرات جديدة واستقلالها، وتحسين مركزها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والصحي؛ إذ يعتبر ذلك هدفاً بالغ الأهمية في حد ذاته، وهو فضلاً عن ذلك أمر أساسي لتحقيق التنمية المستدامة، ومشاركة المرأة والرجل المشاركة الكاملة بينهما في مشروع التنمية أصبح أمراً مطلوباً على صعيدي الإنتاج والاندماج، بما في ذلك تقاسم المسؤولية المتعلقة برعاية الطفل وتربيته والحفاظ على الأسرة . فالتنمية المستدامة أصبحت خطة مستقبلية للمجتمعات عموماً، وخاصة في العالم الثالث، وتعني ضمان الاستمرارية على الأمد الطويل في الإنتاج والاستهلاك، فيما يتصل بجميع الأنشطة الاقتصادية بما في ذلك الصناعة، والطاقة والزراعة. ومصائد الأسماك، والنقل والسياحة، والمباني الأساسية من أجل الوصول باستخدام الموارد السليمة علمياً إلى الحد

الأمثل، وتحقيق التنمية المستدامة والارتقاء بنوعية الحياة لكل السكان، ينبغي أن تعمل الحكومات على الحد من الأنماط التنموية غير المستدامة للأنتاج والاستهلاك، والقضاء عليها وتشجيع السياسات السكانية الملائمة. لقد فطن العالم أخيراً إلى أن نجاح برامج التنمية المتواصلة والمستدامة مشروط بتحقيق المساواة وتكافؤ الفرص بين الرجل والمرأة في المجتمع، فتقدم المجتمعات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتقدم المرأة وقدرتها على المشاركة الفعالة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز دورها في المجتمع والقضاء على كافة أشكال التمييز ضدها (١٠).

شروط التنمية بالمشاركة والتنمية المستدامة :

- الحق في التنمية هو حق من حقوق الإنسان وأن الإنسان هو محور التنمية.
- أن معدل السكان ومعدل نموهم عنصران من العناصر التي تؤثر على التوازن بين السكان والتنمية، ولكنه ليس العنصر الوحيد؛ فمعدلات الاستهلاك أيضاً تؤثر تأثيراً مباشراً على عملية إدارة الموارد الطبيعية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنظومة البيئية .
- أن الأهداف والسياسات السكانية جزء لا يتجزأ من التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يتحمل هدفها الرئيسي في تحسين مستوى المعيشة وتنوعية الحياة لجميع الأفراد .
- أهمية التمويل لبرامج التنمية الاجتماعية والبشرية وترتبط هذا التمويل بشكل دائم .
- مشاركة المرأة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة هدف في حد ذاته، كما أنه شرط أساسي للنجاح في تحقيق أهداف التنمية، ولذلك هناك ضرورة لأن تتمتع المرأة بكافة حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإزالة كافة أشكال التمييز ضدها .
- ضرورة أن توضع دولتنا على الاتفاقيات الدولية لإزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة واتخاذ ما يلزم لتنفيذ أحكامها سواء من خلال القانون أو عن طريق المناهج التعليمية ووسائل الإعلام .
- أهمية حشد الجيود الحكومية وغير الحكومية لمحور أمية المرأة، مع توسيع مفهوم محور الأمية ليشمل محور الأمية الثقافية والصحية والقانونية والسياسية والأمية التكنولوجية على وجه الخصوص .
- أن تعليم المرأة ومشاركتها في النشاط الاقتصادي هو ضرورة لتمكينها من المشاركة في صنع القرار على كافة المستويات، وقيامها بأداء نشاطاتها المتعددة والمتكاملة كام وكموطنة منتجة.

النساء على الرجال، بالذات فى أعقاب الحروب الكبرى، التى كانت تأتى على أعداد كبيرة من الشباب والرجال.

وأغلب الظن أن حرص هؤلاء العلماء على إثبات هذا المفهوم، هو الذى أوقعهم فى بعض الأحيان فى عدد من الأخطاء، وهو أمر طبيعى ووارد بالقياس لظروف العصر وإمكاناته المتاحة، ولكن البعض فسر ذلك على أنها مغالطات، فقادت إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يطوعون معلوماتهم فى طب النساء لخدمة هذا الهدف، والأمثلة على ذلك كثيرة، أنتفى منها مثلاً رأى أرسطو فيما يخص عدد الشيا الموجودة فى جمجمة الرجل، التى تفوق مثيلاتها لدى المرأة، وذلك على اعتبار أن مخ الرجل أكبر حجماً من مخ المرأة، ولذلك فهو فى حاجة إلى مزيد من التهوية التى توفرها تلك الشيا (٢٧). هذه النظرية التى استمرت حتى إلى عصرنا الحالى، بالرغم من تغير ظروف العصر والإمكانات المتاحة، حيث ساد الاعتقاد أن رأس الرجل أكبر حجماً من رأس المرأة، وبالتالي فحجم مخ الرجل يفوق المرأة، ولذلك فهو يتمتع بذكاء أكثر من المرأة. مع أن الثابت أن عدد الشيا واحد لدى الجنسين. هذا بالإضافة إلى أن أرسطو كان يهتم فيما يخص التشريح الفسيولوجى للمرأة بالجانب النظرى فقط، دون الممارسة العملية أو العلاجية.

مثال آخر من نفس النوعية يسوقه أرسطو أيضاً، عندما يذكر أن الرجل لديه عدد أكبر من الأسنان عن المرأة (٢٨)، حيث يربط بين ذلك وبين طول عمر الرجل، الذى على حد تفسيره، يكون له القدرة على مضغ الطعام مضغاً جيداً، ومن ثم تكون قدرته على الهضم أفضل. وهو خطأ من جانب أرسطو لأنه من المعروف أن كل جنس يتمتع بنفس عدد الأسنان على الأقل فى البداية (٢٩).

هذا بالنسبة لبعض الأمثلة الخطأ التى وقع فيها أرسطو، أما بالنسبة للهيپوقراطيين، فمن الممكن أن وقعهم فى عدد من الأخطاء يرجع إلى أنهم كانوا لا يترددون فى الربط بين معلوماتهم عن التشريح الفسيولوجى للحيوانات الثديية والمرأة، بالذات عندما كان يتخذ وجود مثال بشرى حى لديهم أو طالما لم يتوفر لديهم ما يثبت العكس (٣٠).

الطابع التنموي لا يقدر على القيام بها سوى المرأة مثل : الأعمال الإدارية والتنظيمية والطبية والتعليمية .

• ان عوائد برامج التنمية تعود الى العناصر البشرية وخاصة المرأة ، وللاستفادة من هذه العوائد لا بد من التوعية بأهمية تلك البرامج ، وحث المرأة على المشاركة فيها والمتابعة لها ، وأشعارها بأنها جزء لا يتجزأ من تلك البرامج (خاصة الصحية والتعليمية والاقتصادية) .

ومع الإقرار بأهمية تلك الأدوار التي يمكن أن تقوم بها المرأة في عملية التنمية ، فإن السؤال المطروح هو : ما مدى مساهمة المرأة في مجتمع الإمارات في العملية التنموية ؟ وما مدى فاعلية الأدوار التي قامت بأدائها ؟ والأهم - والمرتب بذلك أيضاً - الضرورات البنائية المختلفة التي حتمت ، بل وتحتم في المستقبل ، مشاركة المرأة في تنفيذ العديد من البرامج التنموية ، هذا ما سنعالجه في الصفحات القادمة من خلال عرضنا لنماذج التنمية في دولة الإمارات ، ومن ثم ننتقل لمناقشة الأدوار المتاحة للمرأة في هذه النماذج .

٢ - نماذج التنمية في دولة الإمارات : .: Models of development in U.A.E.

تمثل التجربة التنموية لدولة الإمارات العربية المتحدة نموذجاً للتنمية التي توازن بين التحرر الاقتصادي وبين الدور التحديثي للدولة ، فالتحرر الاقتصادي يحقق للمجتمع انطلاقة اقتصادية ، كما يسمح لرأس المال بالحركة في الداخل والخارج ، كما يسمح أيضاً بحرية الاستثمار وخلق مناخ للشقة تنمو من خلاله المبادرات من الداخل ، وتنمو من خلاله أيضاً روح المبادرمة الاقتصادية والمغامرة في عمليات الاستثمار ، أما الدور التحديثي للدولة فإنه يعمل على ضبط عملية التحرر الاقتصادي ويضع الصياغات القانونية لها من ناحية ، كما يقوم بدور فعال في إرساء دعائم البنية الاقتصادية وبناء الهياكل الاقتصادية الضرورية وتقديم الخدمات الاجتماعية والثقافية التي تحقق رفاهية الشعب من ناحية أخرى . (١٧٠)

ان هذا التوازن بين تحرير الاقتصاد والدور التحديثي للدولة كان سمة بارزة في تجربة التنمية في الإمارات منذ أن بدأت عام ١٩٧١م (تاريخ قيام الإتحاد بين الإمارات المختلفة) وحتى الآن ، ومع ذلك فإن المتتبع لتجربة التنمية منذ بدايتها وحتى الآن يكتشف وجود تباينات في المراحل التي مرت بها هذه التجربة . ففي المرحلة الأولى لهذه التجربة ظهر تأكيد واضح على الجوانب الاقتصادية : رفع مستوى الدخل الفردي ، وبناء الهياكل الاقتصادية والبنية الأساسية وتوفير الحاجات الاستهلاكية الضرورية للسكان ، وقد امتدت هذه المرحلة منذ عام ١٩٧١م وحتى عام ١٩٨٠ تقريباً ، أما المرحلة الثانية والتي بدأت منذ عام ١٩٨٠م (أو قبل ذلك بقليل)

وحتى الآن فقد تميزت بمحاولة إيجاد توازن بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية والإنسانية، وهذا التقسيم لا يعني بحال أن الجوانب الاجتماعية والإنسانية لم تكن موجودة في المرحلة الأولى، ولكن يعني أن الأهمية النسبية للمتغيرات التنموية التي كان يتم التركيز عليها قد اختلفت هنا وهناك، وقد كان هذا أمراً منطقياً في ضوء الظروف التي كانت تعيشها دولة الإمارات قبل اكتشاف النفط حيث الاقتصاد التقليدي الذي كان يتطلب جهداً كبيراً لتحديثه وبناء هيكله.

(ولقد بدأت المرحلة الأولى من تجربة التنمية في عام ١٩٧١م وامتدت حتى عام ١٩٨٠م، ولقد جاء في أولويات الوثيقة الخاصة بأهداف التنمية والصادرة عن مجلس الوزراء بتاريخ ١٨/٤/١٩٧٤م أن التنمية تتم (على أساس متوازن بالنسبة للدولة ككل وعلى مستوى الإمارات، ويتم النمو الاجتماعي المتوازن جنباً إلى جنب مع التنمية الاقتصادية ليتوافر في كل الأحوال مستوى حضاري واحد في كل الإمارات) كما أكدت الوثيقة على أن الإنسان هو غاية التنمية وأن الخدمات الاجتماعية هي حق له وأن رفاهية المجتمع والأجيال القادمة هي هدف أساسي للتنمية، ورغم هذا التأكيد على التوازن بين السياسات، إلا أن الواقع قد كشف عن اهتمام واضح في هذه المرحلة بالجوانب الاقتصادية الهيكلية بحيث توضع قاعدة متينة يستطيع الاقتصاد الوطني أن ينطلق عليها بعد ذلك). لقد قامت السياسة التنموية في هذه المرحلة على ثلاثة محاور: (١٨)

١. استكمال اجبة الدولة الاتحادية والتوسع في التنظيمات الحكومية للإمارات.
٢. توجيه الاستثمارات إلى القطاعات الأخرى غير النفطية لكي لا يكون النفط هو المصدر الوحيد للدخل القومي.
٣. تطوير البنية الأساسية وتوفير الخدمات الضرورية للسكان.

ولقد عكست هذه الفترة تكاتف الجهود الحكومية الاتحادية والإقليمية مع جهود قطاع الأعمال الحكومية وقطاع الأعمال الخاص، قد نفذت الحكومة المشروعات الكبرى في قطاع النقل والمواصلات والإسكان كما قدمت خدمات الصحة والتعليم كما عملت على رفع مستوى الأجور وتقنين المنح والإعانات الاجتماعية لمن يحتاجها، ولذلك قد فاقت الاستثمارات الحكومية نظيرتها في قطاع الأعمال الخاص (٣٨٤٨ مليون درهماً في مقابل ٨٢١١ مليون درهم بالأسعار الجارية عام ١٩٧٥م، وزادت هذه الأرقام زيادة ملحوظة عام ١٩٨٠ حيث كانت ١٢٤٥٤ مليون درهماً في مقابل ١٧.٧٠١ مليون درهم عام ١٩٨٠م بمعدل زيادة قدره ٢٦٪ بالنسبة للاستثمارات الحكومية في مقابل ١٦٪ بالنسبة لاستثمارات قطاع الأعمال (١٩).

ولقد بدأت المرحلة الثانية في تجربة التنمية في دولة الامارات بعد عام ١٩٨٠م، ورغم أن توازن القائم بين الحرية الاقتصادية لقطاع الأعمال الخاص والأنشطة التحديثية للحكومة قد يتغير قائما كسمة أساسية حاكمة لتجربة التنمية في دولة الامارات، إلا أن حقبة الثمانينات قد سمعت بسمات خاصة جوت من التجربة التنموية وميزتها عن المرحلة السابقة عليها، ومن أهم مات نموذج التنمية في هذه الفترة :

(الاتجاه نحو التنعية الانتاجية بتنمية قطاعات الانتاج خارج قطاع النفط خاصة قطاع الزراعة والصناعة.

(الاتجاه نحو تدعيم الخدمات التي تقدم للسكان من حيث حجم وتنوعية الخدمات التي تقدمها الدولة .

(الاتجاه نحو التخطيط حيث شرعت الدولة في تنفيذ مشروع خطط خمسية بدأت بالخطوة الأولى في عام ١٩٨١م (رغم أن وزارة التخطيط قد انشئت عام ١٩٧٢م) .

(الاهتمام بتنمية الموارد البشرية حيث جاء في مذكرة وزارة التخطيط بشأن مشروع الخطوة الخمسية الأولى .

العدل على تصحيح الخلل في التوازن السكاني والموارد البشرية في الدولة يتصدر أهداف خطة الخمسية الأولى، ويتطلب تحولا أساسيا في مضمون وأساليب التخطيط التنموي في دولة، والذي من شأنه إعادة التوازن والترابط بين جميع المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في حد سواء، وهذا يتطلب التركيز على تنمية الموارد البشرية كمحور أساسي للتخطيط نام(١٧) وبناء على ذلك يمكن القول ان جهود التنمية في هذه المرحلة قد اندفعت نحو الإهتمام جوانب الاجتماعية والبشرية، والتركيز على خلق آليات عمل mechanisms جديد في جال الانتاجي والبشري .

وتعكس المؤشرات التنموية هذا الاتجاه، فمن الناحية الاقتصادية تظهر نمو واضح في لماعي الزراعة والصناعة، ففي المجال الزراعي شجعت الدولة استقرار المواطنين في القرى التي تتبا بالكهرباء والمياه، كما قدمت لهم الدعم المالي لعمليات استزراع الأرض، ومدتهم بالبنود لكيماويات، وضمنت لهم تسويق المحاصيل، ولذلك فقد ارتفعت جملة المساحة المزروعة في دولة من ١٤ ألف هكتار عام ١٩٧٥م إلى ٣٧٣ ألف هكتار عام ١٩٨٥م إلى ٤٥٤ ألف هكتار ١٩٩٠م، وحقق قطاع الصناعة قفزه كبرى خلال هذه الفترة حيث وصل عدد المنشآت قحصانية المدون عنها بيانات " الدليل الصناعي " الصادر عن وزارة المالية والصناعة عام ١٩٩٠م إلى ٥٦٩ منشاة صناعية تعمل في سبع مجالات صناعية هي : (١٠)

- (١) الصناعات الغذائية . (٢) صناعة الأخشاب . (٣) صناعة الورق .
 (٤) الصناعات الكيماوية . (٥) الصناعات التحويلية . (٦) صناعة منتجات الخيام غير المعدنية
 (٧) صناعات تحويلية متفرقة، ولقد أدت هذه السياسات إلى تخير الدور الذي تسهم به هذه
 القطاعات من الدخل القومي.

وعلى الجانب الآخر استمر الدور التحديثي للدولة في تطوير البنية الأساسية والمرافق العامة . وترتب على ذلك أن ارتفع إنتاج الكهرباء من حوالي ١٠١٤١٧ مليون كيلوات /ساعة عام ١٩٨٣م إلى ١٧٠٨٠ مليون كيلوات /ساعة عام ١٩٩٠م وبإحصاءات عام ١٩٨٥م وصل إنتاج المياه النقية إلى ٤٦٠ مليار جالون، ووصلت أطوال الطرق ٢٢٠٠٠٠ كم عام ١٩٨٥ وعدد المواني بطول أرصفة يبلغ ٤٦ كيلو متراً، كما ارتفع عدد الوحدات السكنية التي نفذتها الدولة وتظهر اهتمام بنوعية السكن ومدى اتساعه، وتميزت هذه الفترة بإعطاء دفعة قوية للتعليم وتمثل ذلك في الزيادة الملحوظة في عدد المدارس التي ارتفعت من ٥٥١ مدرسة عام ١٩٨٥م بعدد فصول قدرها ٨٨٣٠ فصلاً إلى ٧٨٢ مدرسة عام ١٩٩١م بعدد فصول قدرها ١٥ ألف فصلاً دراسياً، كما توسعت الدولة في مشروعات محو الأمية وتعليم الكبار، فوصل عدد مراكز محو الأمية إلى ١١٥ مركزاً تضم ٢١٠٠٠٠ ألف منتسباً عام ١٩٨٥م إلى ٣٧٠ مركزاً تضم ٢٣٨ ألف منتسباً عام ١٩٩١م وتوجت الجهود التعليمية بإنشاء جامعة الإمارات في العام الدراسي ١٩٧٧م / ١٩٧٨م بمدينة العين وهي تضم الآن ٨ كليات .

وتوسعت أيضاً الخدمات الصحية فارتفع عدد المستشفيات من ٢٥ مستشفى عام ١٩٨٤م إلى ٢٩ مستشفى عام ١٩٩٠م وازداد عدد مراكز الرعاية الأولية حتى وصل إلى ٩٣ مركزاً عام ١٩٩٠م وأوليت عناية خاصة لصحة التلاميذ حيث وصل عدد مراكز الصحة المدرسية إلى ٤٤٩ عام ١٩٩٠م كما وصل عدد مراكز رعاية الأمومة والطفولة إلى ٦٦ مركزاً من نفس العام (٢١).

ونستطيع من خلال المقارنة بين المرحلتين اللتين مرت بهما تجربة التنمية في دولة الإمارات، وفي ضوء الأرقام المعبرة عن كل مرحلة أن نكتشف أن هذه التجربة قد نجحت إلى حد بعيد في تحقيق معدلات عالية من النمو في المجالات المختلفة، وأن هذه المعدلات قد مالت مع تقدم تجربة التنمية إلى الاهتمام بالخدمات الاجتماعية بحيث تحقق نمواً متوازناً بينها وبين الجوانب الاقتصادية، والسؤال المنبثق عن عرضنا لتلك الخطط التنموية يتمثل في مدى نصيب المرأة في تلك المعدلات من النمو من ناحية، ومدى مساهمة المرأة في الارتفاع أو الانخفاض لتلك المعدلات من ناحية أخرى، هذا ما ستجيب عليه الفقرات التالية والمخصصة لمناقشة أدوار المرأة في التنمية في مجتمع الإمارات.

الأدوار المتاحة ومشاركة المرأة في التنمية بدولة الامارات :

تحدد الأدوار المتاحة للمرأة في التنمية في مجالات عديدة، نستطيع القاء الضوء على أهمها، الإنخراط في سوق العمل والمشاركة الأسرية والمشاركة الثقافية ثم المشاركة المجتمعية في المساهمة بصياغة السياسات التنموية.

المرأة في الوظيفة العامة :

قبل استعراض وجود المرأة الإماراتية في سوق العمل نقدم قانون التوظيف الذي أتاح لها الانخراط في هذه السوق .

المراقون قانون التوظيف :

تتمتع المرأة بمميزات خاصة في قانون التوظيف فهي على الرغم من أنها تتقاضى نفس مرتب الرجل في الوظيفة أو العمل الواحد، فقد راعى المشرع الظروف الخاصة التي تتعرض لها المرأة في حياتها العامة والخاصة ومنحها عدة ميزات أهمها .

مادة (٥١) تمنح الموظفة إجازة خاصة بمرتب لمدة شهر ونصف عند الوضع ولا تحسب هذه الإجازة من إجازتها .

مادة (٥٢) تمنح الموظفة المسلحة التي يتوفى عنها زوجها إجازة خاصة بمرتب كامل ولا تحسب من إجازاتها الأخرى مدة أربعة أشهر وعشرة أيام من تاريخ الوفاة وذلك تنفيذاً لأحكام الشريعة الإسلامية .

مادة (٥٣) يجوز للوزير المختص منح (الموظف / الموظفة) إجازة بمرتب كامل لمدة لا تتجاوز شهرين إذا اقتضت الظروف أن يرافق (زوجته / زوجها) أو أحد ابنائهما أو أحد والديه لعلاج في الخارج .

مشاركة المرأة في سوق العمل : المحددات والمؤثرات :

لا شك أن الواقع السكاني يعكس مدى الضرورة الملحة لمشاركة الإناث في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ومن ثم حتمية وجودها في سوق العمل. ومن ناحية أخرى تنعكس هذه المشاركة على المرأة في معدلات دخول الإناث في سوق العمل التي تتوقف بدورها على عدة عوامل أهمها حجم السكان الإناث في المجتمع، والسياسات التعليمية والتدريبية والعادات والتقاليد الاجتماعية، ونعرض في الفقرات القادمة لهذه العوامل على أن نقدم فيما بعد عرضاً مفصلاً لحجم المشاركة الفعلية في سوق العمل مدعمين عرضنا بالإحصاءات المتاحة.

أما عن حجم السكان فتشير البيانات السكانية إلى أن المرأة في مجتمع الإمارات شكلت من الناحية العددية نسبة ٣١٪ زادت إلى ٣٥٪ ثم إلى حوالي ٤٠٪ من جملة السكان عام ١٩٨٠م، ١٩٨٥م، ١٩٩٠م على التوالي، ومع تزايد هذه النسبة، إلا أن مشاركتين لازالت ضئيلة كما ستوضح فيما بعد .

أما عن السياسات التعليمية، فإن الدولة إتاحت الفرصة كاملة ومتكافئة في مجالات التعليم والتدريب لكل من الذكور والإناث، كما كان للطرف الاجتماعي والاقتصادي أثر كبير في تغيير المناخ الاجتماعي في البلاد، والتخلص من كثير من الممارسات القديمة، ومن أهمها الإحجام عن تعليم البنات، فقد أظهرت النتائج الإحصائية عام ١٩٦٨م أن نسبة الأمية في صفوف المرأة في دولة الإمارات بلغت ٩٠٪ وبين النساء في الفئة العمرية ٦١ سنة فأكثر ٩٩٪ إلا أن هذه النسبة قد انخفضت إلى ٣٦٪ عام ١٩٨٠م وإلى أقل من ٣٠٪ عام ١٩٨٥م ولقد فتحت المدارس أبوابها لتتلقى آلاف الطالبات من الجنسين، ويلاحظ أن نسبة الإناث الطالبات في تزايد مستمر فلقد كانت تلك النسبة ٣٩٪ في العام الدراسي ٧٢-١٩٧٣م وارتفعت إلى ٤٦٪ في العام الدراسي ٨٣-١٩٨٤م وإلى ٤٨٪ في العام الدراسي ٨٥-١٩٨٦م وقد وصلت هذه النسبة أقصى معدلاتها ٥١٪ عام ٩٢-١٩٩٣م كذلك فقد أظهرت الإحصاءات أن هناك زيادة في نسبة حصول الإناث المختلفة من ٣٠.٣٪ عام ٧٠-١٩٧١ إلى ٤٨.٨٪ عام ٩٢-١٩٩٣ وزيادة نسبة الحصول المختلطة ٣٦٪ إلى ٦٩٪ بين العامين المذكورين وزيادة في نسبة مساهمة المرأة (مواطنه وواقدة) في البيئة التعليمية من ٢٪ إلى ٥٩٪ في العامين المذكورين ٩٢-١٩٩٣م .

هذا، وقد شكل افتتاح الجامعة بدولة الإمارات قفزه نوعية بالنسبة لتعليم المرأة، حيث كانت العادات والتقاليد تحول أحيانا دون إرسال الفتيات للتعليم في الجامعات العربية والأجنبية، وقد شيد عام ١٩٨٠م - ١٩٨١م تخرج أول دفعة من طلبة الجامعة إذ بلغ عدد الخريجات ١٩٤ خريجة يمثلن ٤١٪ من إجمالي خريجي تلك السنة، ولقد وصل عدد الخريجات إلى (٦٧٠) خريجة في العام الدراسي أي بنسبة ٦٤.٣٪ من مجموع الخريجين.

وفي العام الدراسي ٨٩-١٩٩٠م بلغ عدد الملتحقين بالجامعة (١٥٠٠) منهم ٤٥٠ طالبا بنسبة ٣٠٪ و (١٠٥٠) طالبة بنسبة ٧٠٪، والسؤال هنا إلى أي مدى أثر التعليم على مشاركة المرأة في سوق العمل؟ نؤجل الإجابة على ذلك حتى نستكمل بقية العوامل الاجتماعية المؤثرة على مشاركة المرأة في سوق العمل . (١٣)

وتعد العوامل الاجتماعية والثقافية من أهم العوامل المحددة لانخراط المرأة في سوق العمل وتتمثل أهم هذه العوامل في الرغبة في الاستقلال وتأكيد الذات واكتساب الخبرات، التأكيد على الحق في العمل، والايمان بعدم وجود التفرقة في العمل بين الذكور والإناث وقناعة المرأة العاملة بأنه لا يقع أي ضرر من العمل على المستوى الفردي أو الأسري أو الاجتماعي .

العوامل الثقافية :

لا شك أن العوامل الثقافية المحددة لانخراط المرأة في سوق العمل كثيرة، فهناك من العوامل ما يؤكد عمل المرأة، وهناك ما يعارض عملها فالقيم الاجتماعية مثلا كواحده من العوامل الثقافية الهامة والمؤثرة في حركة المرأة في سوق العمل تتفاوت في نظرتها تجاه هذه القضية .

وبما أننا نتحدث في هذه الدراسة عن العلاقة بين العوامل الثقافية وعمل المرأة فإننا نركز على القيم المرتبطة بالعمل فقط والملاحظ أن هناك بعدا اجتماعيا وإنسانيا لقيم العمل نعرفها من خلال قيمنا لما يلي :-

- (١) التوازن والاستقرار العائلي .
- (٢) التوازن والاستقلال الاقتصادي .
- (٣) التوازن النفسي للمرأة العاملة .
- (٤) أن العمل مصدر لكرامة الإنسان .
- (٥) أن العمل كقيمة اجتماعية وأخلاقية يعتبر العمود الفقري لمجموع القيم الأخرى .
- (٦) أن الانخراط في العمل المنتج يرفع من وعي المرأة العاملة لمفهوم التنمية والبناء والنهوض بالمجتمع . (١٢)

ومن العوامل الثقافية الأخرى التي ساهمت الدولة بخلقها لدفع حركة العمل بالنسبة للمرأة المواطنة مجموعة المؤسسات الثقافية والاجتماعية التي تأسست منذ العام ١٩٧١م وأهمها ما يلي :-

- (١) إنشاء الاتحاد النسائي بالدولة .
- (٢) تنظيم إطار الجمعيات النسائية مع تجميع جهود المرأة .
- (٣) صدور الدستور المؤقت وإهتمامه باوضاع المرأة .
- (٤) التمثيل النسائي في المؤتمرات الدولية .

ولقد اهتم دستور الامارات بالمرأة ومن أهم المواد الخاصة بها تلك التي تركز على الجوانب الأساسية بالنسبة لوضع المرأة في المجتمع ومن أهمها :-

- (١) حقوق المرأة في الاسلام مع حماية الأسرة .
- (٢) العدالة الاجتماعية والمساواة في الحقوق والواجبات .
- (٣) كفاءة التعليم والرعاية الاجتماعية والاقتصادية للمرأة .
- (٤) حق المرأة في العمل والملكية في حدود الشرائع الاسلامية .
- (٥) حرية التعبير عن الرأي . (١٥)

من الملاحظ إنه كلما قدمت الدولة تشريعاتها لنهضة المرأة، كلما ظهرت آراء واتجاهات تناهض عمل المرأة، ولعل ذلك يعود الى غلبة العوامل الاجتماعية الدافعة الى عدم انخراط المرأة في سوق العمل. والتي أهمها إرتفاع نسبة الأمية نسبياً، و بروز العادات والتقاليد التي تفضل الزواج المبكر للمرأة بدلا من العمل، كذلك تظهر مشكلات المرأة المتزوجة، والمرأة الأم هذا القطاع من النساء العاملات اللواتي يعانين من مشكلة تربية الأبناء ومن محقات في ذلك لأن الإعتماد على المربيات الوافدات كان له عميق الأثر على ثقافة الأبناء وسلوكياتهم وبالتالي بروز هذه المشكلات كان دافعا لعودة المرأة للمنزل بدلا من المساهمة في سوق العمل، وإذا كان لنا من رأي في هذه القضية، فالتنا نرى أن عمل المرأة بالمنزل إذا كان منتجا ومحققا معدلات عالية من الانتاجية وتقره الدولة ضمن موازيتها الاقتصادية فإن ذلك يعد تطورا للمرأة على جميع المستويات .

وفيما يلي نستعرض جوانب مشاركة المرأة في كل من سوق العمل، ونبدأ بإبراز حجم قوة العمل النسائية.

حجم قوة العمل النسائية :

يعتبر مجال الاستخدام وقوة العمل من أهم المجالات المتصلة بتنمية الموارد البشرية لارتباطها الوثيق بعملية الإنتاج والتقدم الاقتصادي والاجتماعي .. وتتم معرفة مساهمة المرأة في قوة العمل من خلال دراسة خصائص قوة العمل وتوزيعاتها المختلفة، ويتضمن ذلك رصد نسبة عدد المشتغلات بكل قوة العمل وتوزيعهن حسب النشاطات الاقتصادية والمهنية التي يساهمن فيها . ومع بداية الثورة التعليمية عام ١٩٧٥م في مجتمع الامارات وتوقع امكانية تزايد أعداد النساء في القوى العاملة بشكل ملحوظ، فإن البيانات الاقتصادية تكشف وتوضح عكس هذه التوقعات .. فعلى الرغم من أن الإناث يشكلن ٤٠٪ من جملة السكان في عامي ١٩٨٠م

- ١٩٩٠م إلا أنه لم يشكل سوى ٣٤٪ من جملة قوة العمل عام ١٩٨٠م، ارتفعت إلى ٥٩٪ عام ١٩٨٥م ثم وصلت إلى ١١٤٪ عام ١٩٩٠م بين العوامل في النشاط الاقتصادي وهي نسبة متدنية جداً وظلت النسبة الباقية من الإناث متفرغات للأعمال المنزلية (أي ربات بيوت) ونسبة قدرها ٢٠.٥٪ مازلن في التعليم، وهناك فرقاً معنوياً بين نسبة المواظبات وغير المواظبات داخل قوة العمل، حيث وصلت نسبة غير المواظبات داخل قوة العمل إلى ٢٤.٤٪، زادت إلى ٣٥.٣٪ ما بين ١٩٨٠ و ١٩٨٥، ويمكننا أن نلاحظ ذلك من الجدول رقم (١).

ولكن ما هي أنواع الأنشطة الاقتصادية التي تمارسها الإناث؟

جدول رقم (١)

توزيع القوة البشرية الوطنية من الإناث

(١٥ إلى ٦٥) حسب موقعهن داخل أو خارج قوة العمل

الجنسية	السنة	داخل قوة العمل		خارج قوة العمل		مجموع
		مشتغلون	جملتهم	متفرغات للأعمال المنزلية	جملتهن خارج قوة العمل	القوة البشرية الإناث
مواظبات	١٩٨٠	١٨٢٤	٥٢	١٨٧٦	١٥٠٢٦	٧٢٩٣٦
٪				٢٢,٩	٢٩٧,١	١٠٠,٠
مواظبات	١٩٨٥	٣٨٥٤	١٤٣	٣٩٧٧	٨٣٤٥٠	٧٨٤٤٧
٪				٢٢,٦	٢٩٥,٤	١٠٠,٠
غير مواظبات	١٩٨٠	٢٥٥١٣	٨٧٨	٢٦٣٩١	٨١٦٤٧	١٠٨٠٣٨
٪				٢٤,٤	٢٧٥,٦	١٠٠,٠
غير مواظبات	١٩٨٥	٦٠٢٢٢	١١٩٦	٦١٤١٨	١١٢٥١٥	١٧٣٩٣٢
٪				٢٣,٣	٢٦٤,٧	١٠٠,٠
جملة الإناث	١٩٨٠	٢٧٢٣٧	٩٣٠	٢٨٣٦٧	١٤٣٦٩٨	١٧١٩٦٥
٪				٢١,٦	٢٨٣,٦	١٠٠,٠
جملة الإناث	١٩٨٥	٦٤٠٧٦	١٢٣٩	٦٥٤١٥	١٩٥٩٦٥	٣٦١٣٨٠
٪				٢٤,٥	٢٧٥	١٠٠,٠

المصدر: وزارة التخطيط دولة الإمارات العربية المتحدة - المراجعة الإحصائية السنوية ١٩٩٢.

النشاط الاقتصادي للإناث :

من الملاحظ أن الأنشطة الاقتصادية في مجتمع الإمارات تتنوع وتختلف بسبب التغييرات الاقتصادية والاجتماعية التي سبقت الإشارة إليها، وتختلف المساهمة في تلك الأنشطة حسب المستوى التعليمي والتركيبية العمرية والحالة المهنية للأفراد، هذا وتوضح قطاعات الأنشطة الاقتصادية التي تساهم فيها المرأة من الجدول رقم (٢)، إذ يلاحظ أن الإناث

يعملن في جميع الأنشطة الاقتصادية تقريباً، ولكن بنسب متفاوتة اقلها في قطاع الزراعة، حيث بلغ عددهن ٢٣ زاد الى ٣٨ ثم الى ٤٨ أنشئ في السنوات ٨٠، ٨٥، ١٩٩٠ على التوالي، كما تتركز اعلى نسبة منهن في قطاع خدمات المجتمع العامة والخدمات الاجتماعية والشخصية حيث تصل نسبة العاملات في هذا القطاع ٧٦٪ زادت الى ٨٤٪ ثم ٨٨٪ في السنوات ٨٠، ٨٥، ١٩٩٠ على التوالي، وهذه النسبة بين الإناث المواطنات أعلى من مثيلاتها الخاصة بغير المواطنات حيث تصل الى ٩٤٪ مقابل ٨٨٪ على التوالي.

أما باقي الإناث فتوزع على الأنشطة الأخرى، تبلغ ٢٪ في قطاع الصناعة والكهرباء، كما تبلغ ١٠٪ قطاع خدمات البيئة الأساسية (التشبيد - النقل - المواصلات - التجارة - البنوك والتأمين) ويلاحظ أن هناك تركيزاً شديداً بين الإناث في قطاع الخدمات، يأتي من قبل المواطنات بسبب عدم القدرة على مواجهة التحديث، إما بسبب العادات والتقاليد التي تقف على عدم الاختلاط بين الجنسين، أو بسبب عدم قدرته على مواجهة متطلبات التحديث نفسه، ومن ثم يتجهن الى ممارسة الأنشطة الحكومية التقليدية التي لا تحتاج الى مهارات عالية. أما زيادة نسبة الإناث الوافدات في قطاع الخدمات فتأتي لأن عدد كبيراً منهن يعملن في قطاع الخدمات العائلي كمرربات وخادئات لدى الأسر الخاصة.

جدول رقم (٢)

توزيع قوة العمل الإناث على القطاع الحكومي والخاص

في السنوات ١٩٨٠ - ١٩٨٥ - ١٩٩٠ م

القطاع	مواطنات			غير مواضات			الجملة		
السنوات	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠
حكومة أو قطاع عام	٨٦٢	٩١٤	٩٤١	٤٥٠	٣٦٩	٣٦٩	٣٠٩	٤٧٧	٢١٤
مؤسسات خاصة	٣٦	٤٦	٥٠	٣٦٣	١٩٣	١٩٣	١٨٥	٢٤٨	١٤٢
بدون منشأة	٩٣	٣٠	٢٩	٢٨٧	٥٣٨	٥٣٨	٢٨٦	٣٧٥	٢٤٤
الجملة	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠	١٠٠٠
قوة العمل (الإناث)	١٨٣٢	٣٨٨٥	٨٧٩٨	٣٦٠٣	٦٠٩٦٧	١٣١٨٢٤	٣٧٨٥٨	٦٤٨٥٢	١٤٠٦٢٢

المصدر: وزارة التخطيط دولة الإمارات العربية المتحدة الجمعية الإحصائية ١٩٩٢.

نلاحظ من الجدول السابق رقم (٢) أن الإناث ينتشرن في جميع قطاعات العمل الحكومية وغير الحكومية ونستخلص من هذا الجدول بالنسبة لمجموع قوة العمل أن الغالبية تعمل في قطاع الخدمات بدون منشأة وأن نسبة العاملات منهن في هذا القطاع في زيادة مستمرة حيث زادت من ٢٧٪ الى ٥٠٪ ثم الى ٦٤٪ خلال السنوات ٨٠، ٨٥، ١٩٩٠ على التوالي، تليها

نسبة المشتغلات في قطاع الحكومة والقطاع الخاص والتي شهدت انخفاضا معاكسا من ٤٧,٧٪ الى ٣٠,٩٪ ثم الى ٢١,٤٪ خلال نفس الفترة، كما انخفضت كذلك نسبة العاملات في القطاع الخاص من ٢٤,٨٪ الى ١٤,٢٪، وهذا الانخفاض في النسبة، لا يعني بالضرورة انخفاضا في حجم قوة العمل من الإناث في هذا القطاع أو ذلك، وإنما هو انخفاض نسبي صاحب الزيادة الكبيرة في قوة العمل، ومن ثم فهو تغيير في هيكل توزيع الإناث على قطاعات العمل، أما حجم قوة العمل فقد شهد زيادة كبيرة خلال السنوات العشر السابقة، نلاحظ أيضا من الجدول وجود اختلاف في هيكل توزيع الإناث المواطنات عن مثيله الخاص بغير المواطنات حيث نجد أن الغالبية العظمى من الإناث المواطنات يعملن في القطاع الحكومي وأن نسبة العاملات منهن في هذا القطاع قد زاد من ١٦,٢٪ الى ٢٤,١٪ وأن نسبة قدرها من ٤,٣٪ الى ٥,٠٪ تعمل في المنشآت الخاصة وأن نسبة قليلة جدا تعمل بدون منشآت.

إن الجداول السابقة أوضحت لنا مساهمة القوة العاملة النسائية في قوة العمل وتوزعها على القطاعات، وأوضحت كذلك مدى تواضع نسبة مساهمة الإناث المواطنات في قوة العمل، وذلك على الرغم من زيادة هذه النسبة الى ثلاثة اضعاف ما كانت عليه خلال الفترة من ١٩٨٠ حتى ١٩٩٠ وهذا أثر انخفاض نسبة المتعلمات، وتأثير العادات والتقاليد الاجتماعية التي لا تشجع انخراط المرأة في سوق العمل مما أدى الى تواجدها بنسبة ١٤,٢٪ فقط من جملة قوة العمل البالغة ٧٨٢٨٢ في عام ١٩٩٠ م - (٣)

على الرغم من تلك المساهمة المتواضعة، فإن هذه الزيادة في حد ذاتها توضح أن الجهود المستمرة التي تبذلها الدولة والعناية والاهتمام الكبيرين واعتقاد القيادات السياسية في الامارات العربية المتحدة الراسخ بضرورة تنمية الموارد البشرية ورفع مستواها العلمي والفني وإتاحة الفرصة أمام الأجيال الجديدة من الذكور والإناث للوصول الى أعلى مستويات التعليم والتدريب، كل هذه الجهود سوف توفر المناخ اللازم وتفتح الأبواب على مصراعها بصورة أكبر أمام المرأة للانخراط في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتمكينها من المشاركة في وضع وتحديد البنى والهيكل الاقتصادية والسياسات في عملية الانتاج ذاتيا .

وما يؤكد هذه الجهود تطور ميزانية التنمية خلال الأعوام ١٩٨٥م حتى ١٩٨٩ وكذلك في التسعينات كما سبق أن أوضحنا في الجزء السابق من هذه الدراسة، فقد وصلت هذه الميزانية الى ٤٩٠٤ مليون درهم في عام ١٩٨٩ موزعة على القطاعات التالية : الإدارة العامة والدفاع، التعليم، الصحة ، كما يلاحظ كذلك مساهمة لا بأس بها من جانب المرأة في عديد من

الأعمال المهنية، ويأتي على رأسها مهن الطب والتدريس والهندسة، وشكلت نسبتهن حوالي ٢٤٪ من جملة العاملين عام ١٩٨٨م ثم ٤٥٫٩٪ عام ١٩٧٥م وانخفضت الى حوالي ٤٠٫٨٪ عام ١٩٨٠م .

كما يلاحظ ان عدداً قليلاً يمثل نسبة ٢٪ منهن، يشغلن مهناً من مواقع اتخاذ القرار، في فئة المديرين ومديري الأعمال، وهذه النسبة ارتفعت من ١٪ الى ٢٪ خلال السنوات العشر السابقة ١٩٨٠ - ١٩٩٠ كما يلاحظ أيضاً تركيز الموظفات والعاملات في هذا القطاع العام - في الوزارات الاتحادية بنسبة ١١٪ من مجموع الموظفات في القطاع، كما تتركز أيضاً المرأة العاملة في الوظائف المهنية، والفنية والتي زادت من ٥٠٪ في ١٩٨٠م الى حوالي ٨٠٪ في سنة ١٩٩٠م أما العاملات المواطنات في الدولة فتصل نسبتهن الى ١٤٫١٪ فقط وعندهن ١٠٠٤٩ المرأة، ويتركزن في مجال الخدمات العامة، اذ تشكل نسبة العاملات ٨٩٪ من إجمالي الإناث المواطنات العاملات، أما الإناث العاملات غير المواطنات فتصل نسبتهن الى ٧٨٫٨٪ من إجمالي العاملات غير المواطنات بلبه قطاع البنوك بنسبة ٦٣ ثم قطاع التجارة بنسبة ٤٩٪ ثم قطاع النقل والمواصلات بنسبة ٣٤٪ ٣٧٠.

جدول رقم (٣)

يوضح قوة العمل النسائية حسب القطاعات الرئيسية للنشاط الاقتصادي

السنوات			مواطنات			غير مواطنات			الجملة
النشاط الاقتصادي	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٨٥	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٥	١٩٨٠	١٩٩٠
	%	%	%	%	%	%	%	%	%
الزراعة والصيد	-	-	-	-	-	-	-	-	-
الصناعة التحويلية	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
الكهرباء / ماء	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠	٤٠
خدمات البيئة الأساسية	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤	٩٤
خدمات المجتمع العامة									
والخدمات الاجتماعية									
والشخصية									
الجملة	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
قوة العمل	١٨٣٥	٣٨٨٥	٨٧٩٨	٦٦٠٣٣	٦٩٦٧	١٣١٨٢٤	٢٧٨٥٨	٦٤٨٥٢	١٤٠٢٢٢

المصدر: وزارة التخطيط دولة الإمارات العربية المتحدة المراجعة الإحصائية ١٩٩٢.

مشاركة المرأة في أعمال الشرطة والأمن العام :

تشارك المرأة في دولة الإمارات العربية المتحدة في أعمال الشرطة والأمن العام وتعتبر الشرطة النسائية من أهم تنظيمات وزارة الداخلية في الدولة، كما أنها تمارس أعمالها في

مجالات الأمن التي تخص المرأة .

وتتدرج المرأة في وظائف الشرطة وتصل الى رتب عسكرية متقدمة والجدول التالي يبين عدد ورتب النساء في هذا المجال للعام ١٩٩٣ م .

جدول رقم (٤)

توزيع الشرطة النسائية حسب الرتبة العسكرية

الرتبة	العدد	الرتبة	العدد	الرتبة	العدد
رائد	١	مساعد أول	٥	عريف	٤٧
نقيب	٧	مساعد	٦	شرطي أول	٧٢
ملازم أول	٩	رقيب أول	١٣	شرطي	٦٧
ملازم	١٢	رقيب	٨٤	المجموع	٣٢٣

المصدر : وزارة الداخلية، دولة الإمارات العربية المتحدة التقرير السنوي ١٩٩٣ .

وتجدر الإشارة إلى أن المرأة في ممارستها لعملها في مجال الشرطة - قد وفرت لها كل المعرفات التي تساعد على أداء دورها بكفاءة، فهي تجد الأمن والحماية وجهات الشكوى التي يمكن اللجوء إليها عند الحاجة بالإضافة إلى حرية اختيار المرأة للجنس التي ترغب في التعامل معه لوجود التفاهم المشترك خاصة في بعض الأمور الحساسة الخاصة بالنساء . (٢٨)

بناء على ما تقدم من عرض لمساهمة المرأة في مجتمع الإمارات - في سوق العمل يمكننا أن نورد الحقائق التالية :-

- أن عمل المرأة يعد هامشياً وأن نسبة المساهمة تعد ضئيلة جداً بالقياس لجملة القوى العاملة الوطنية .

- أن عمل المرأة يدخل في الأعمال الوظيفية كالتي تدريس والطب وأعمال السكرتارية والأمن ويبعد عن القطاعات الإنتاجية .

- أن حجب النساء العاملات لا يتناسب مع عدد النساء القادرات على العمل (١٥ سنه فأكثر) .

- إن هناك مجموعة من العقبات تواجه المرأة في أدائها لمهامها أو عند الإرتقاء إلى وظائف ذات مسؤولية في المجتمع من بينها أن كثيرات منهن لسن في المستوى الثقافي المطلوب ولم يحصلن على التدريب الكافي المستلزم ويكتفين بما وصلن إليه من تعليم يضاف إلى ذلك

الأوضاع التقليدية التي تؤثر على العلاقة بين كل من الرجل والمرأة في المجتمع، وكذلك الأوضاع السائدة في الوسط العائلي والتي تجعل دور المرأة يقتصر على ممارسة مسؤولياتها كام ومعلمة لأولادها.

الأدوار الأسرية والمشاركة الاجتماعية للمرأة الحضرية: -

استكمالاً لتقصي الأدوار المتاحة للمرأة في التنمية بدولة الإمارات، وبعد استعراض دورها في العمل الرسمي أو سعى العمل فإننا نتوجه بالدراسة للتعرف على الأدوار الأسرية والاجتماعية التي تنقسم إلى الدور الاقتصادي أي المساهمة في اقتصاديات المنزل، وأدوار التنشئة الاجتماعية، والأعمال المنزلية ودور الارضاع الطبيعي للابناء، فنجد أن الأم قد تقوم بجميع هذه الأدوار، وقد تقوم ببعضها، وقد تقوم بدور الإشراف عليها فقط وهذا ما يسود غالباً في الأسرة الإماراتية.

ولأن الأدوار الأسرية للمرأة لم تخضع لدراسات سابقة ومباشرة، فهذه واحدة من المشكلات التي تعانيها دراسات المرأة في العالم كله، وفي المجتمع العربي بشكل خاص، وفي مجتمع الدراسة (دولة الإمارات) نعاني من غياب الدراسات المختصة بالمرأة وأدوارها الأسرية ويكاد يكون التركيز على الأدوار الرسمية التي تلعبها المرأة في سوق العمل، وقد دعت دراسات الأمم المتحدة الخاصة بالمرأة إلى الإهتمام بهذا الدور ومحاولة التركيز عليه في الإستشارات التي توجه لقطاعات النساء خاصة من فئة ربات البيوت.

لقد جرت مجموعة من الدراسات لدولة الإمارات اهتمت بقضايا متعددة عن المرأة العاطلة، ولكن ندرت الدراسات الخاصة بالمرأة، ربة المنزل، أو المرأة التي تجمع بين الدورين كموظفة أو عاملة ومديرة للمنزل كذلك.

من نتائج هذه الدراسات سنحاول تقصي هذا البعد الجديد لدراستنا لنستوفي كافة الأدوار التي تقوم أو تساهم بها المرأة في الإمارات، ومن أحدث هذه الدراسات (١٤) الميدانية دراسة وزارة العمل التي أجريت بهدف التعرف على الأوضاع المعيشية للأسر التي تستخدم خدماً، التعرف على الأدوار التي يقوم بها الخدم بداخل الأسرة بجانب مجموعة أخرى من الأهداف أهمها التعرف على العلاقة بين عمل المرأة وعمل الخدم. وما يهمنا من هذه الدراسة أن نخرج بمؤشرات لدواعي استخدام الخدم، والتبديل والتغيير الذي يحدث في ادوار جميع افراد الاسره وليس الأم فقط أن وجود الخدم من فئات (المربات، والسائقين، والمزارعين، والخدم) بالضرورة يؤدي الى هذا التحول في الأدوار ولكن كيف يتم هذا التحول؟

إذا أخذنا في الاعتبار أن عدد الأسر الموطنة في الدولة يكاد يبلغ (٨٠) ألف أسرة، فإن عدد الخدم قد وصل إلى ما يقرب من (١٤٦٤٠٠) خادم وخادمة لدى الأسر الموطنة فقط.

وتشير الإحصاءات إلى أن عدد تاشيرات الخدم تبلغ ما يقرب من (٦٥) ألف تاشيرة سنوياً. أي أن أعداد الخدم في تزايد مستمر. وإن جلب الخدم من الإناث، فهم من الجنسيات السيرلانكية والفلبينية والهندية، ويقومون بالخدمة المنزلية والطبخ وقيادة السيارات، وأظهرت نتائج تلك الدراسة إلى أن هناك استقراراً في عمل بعض الخدم لدى الأسر، إذ أن هناك خدماً بلغت سنوات خدمتهم لدى الأسر ما يزيد على عشر سنوات. وهذا مؤثر على أن العلاقة قد تعمقت بين الخدم وأفراد الأسر لاسيما الصغار منهم جراء المعاشية الطويلة. (إذا انتقلت العلاقة بين الخادمة والطفل من علاقة الخادمة إلى علاقة العائنة والارتباط النفسي)، ومثل هذه العلاقة تتم على حساب علاقة الطفل بأمه حيث إن فترة بقائه الطفل مع الخادمة تفوق المدة التي يقضيها مع الأم، والآخرين من أفراد الأسرة. (١١).

فماذا تعني كل تلك الحقائق الواقعية؟ أنها ببساطة تعني اختلال الأدوار الأسرية ليست الخاصة بالمرأة فقط بل أدوار الرجل سواء كان الزوج أو الأب وكذلك أدوار الأبناء، مما يؤكد حقيقة أن الكثافة العالية للعمالة بداخل الأسرة الإماراتية أدت إلى الإخلال في بنية هذه الأسر، والتغير الشامل في الأدوار الأسرية للمرأة والرجل على السواء.

وتخرج دراسة أخرى بنتيجة مؤداها :-

أن هامشية دور المرأة في التنمية في مجتمع الإمارات تعدى مجالات سوق العمل الرسمي، ووصل إلى دورها الأسري كذلك، لقد فرضت التحولات الاقتصادية بنوالة الإمارات سلوكيات جديدة بالنسبة للمرأة، فالنقلة السريعة من النخول المحدودة التي لا تكاد تفي باحتياجات الأسرة، إلى مداخل مرتفعة.. أدت بالمرأة إلى أن تتجه نحو البذخ الاستهلاكي في شتى المجالات من حيث الماكمل والملبس واقتناء الحلي وتشغيل الخدم، كل تلك أسهم وبشكل فعال إلى أن ينعكس دور المرأة من عنصر مساهم في التنمية إلى عنصر هامشي فيها، أن المرأة لم تتخل عن دورها في العمل خارج المنزل، بل تخلت عنه طواعية داخل المنزل للخادمة أو المربية ومثل هذا السلوك الاجتماعي أفقدها الكثير من مكانتها الاجتماعية. (١٢).

وفي دراسة ميدانية أجريت حول موضوع الوعي الاجتماعي (١٣) ونور المرأة في التنمية في دولة الإمارات، كان من بين استجابات المبحوثات في هذه الدراسة ما جاء فيه أن التعليم له أهمية كبيرة في انجاح الحياة الأسرية والمشاركة في القرارات الأسرية، ولكن من حيث

درجة الموافقة على هذا الرأي تحفظ الرجال "من العينة"، ولكن النساء يرين أن لتعليم المرأة أثراً إيجابية على كل من المرأة والرجل والأسرة والمجتمع فالمرأة المتعلمة تشارك زوجها وتتعاون معه في تنظيم الانفاق على الأسرة وفي تربية الأبناء وتنشئهم التنشئة الاجتماعية التي تتفق مع مبادئ المجتمع وثقافته، ومع استراتيجيات الدولة في التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وهناك اتجاهات متعددة نحو عمل المرأة، ودورها الاسري وكثير من الباحثين من ربط بين صفة الأداء في الدور الاسري للمرأة بعمل المرأة، ودراسات اخرى اثبتت عدم صحة هذه النتيجة.

إذ رأت دراسة "خلفان مصبح" حول مساهمة المرأة في سوق العمل ان العينة التي أخذ رأيها في عمل المرأة ٣٥% منهم وجدوا ان اثر العمل على الأبناء مقيّد، في حين رأت نسبة ١٤% ان اثر العمل ضار على الأبناء، اما ٥١% من العينة فقد رأت أنه لا يوجد أثر بالنسبة لعمل المرأة على الأبناء (٣٣)

أذاً مصاحبات تخطى المرأة والرجل عن ادوارها الاسرية، وتركها لعمال المنازل والمربيات فبقي كثيرة، ففي دراسة سابقة للمباحثة (٣٣) حول أثار العمالة الوافدة على مجتمع الإمارات جاءت بعض النتائج مؤكدة إختلال العلاقة بين الأم والأطفال، نتيجة تواجد خدم وعمال المنازل، وأهم هذه النتائج ما يلي:

- تضعف علاقة الطفل بأمه ٩١.٤٪.
- تضعف اكتساب الطفل للغة العربية ٨٩.٥٪.
- تكسب الطفل لفتها ٧٧.١٪.
- تغرس في الطفل قيمها وعاداتها ٧٢.٣٪.
- تسبب إضطرابات في جو الأسرة ٧٦.٣٪.
- سلب الأسرة فضيلة الاعتماد على النفس ٨٤.٨٪.
- إدخال قيم وعادات غريبة على الأسرة ٧١.٤٪.
- خلق إضطرابات في جو الأسرة ٦٦.٧٪.
- الحد من استخدام اللغة العربية في إطار الأسرة ٦٢.٩٪.
- إفقاد أعضاء الأسرة وجود تعاون متبادل بينهم ٥٩.١٪.

المشاركة والأدوار الثقافية والمجتمعية :

يمكن القول بأن إنخراط النساء الحضريات في التنظيمات الثقافية والاجتماعية يعد في حد ذاته دوراً ثقافياً واجتماعياً هاماً بالنسبة لهن، إذ تمنح النساء فرصة مناسبة للحصول على مكاسب متعددة، أولها اكتساب الخبرة في مجال المشاركة واكتساب القدرة على إدارة الأعمال، وقيادة التنظيمات وتحقيق النجاح، ومن ثم إثبات الذات وفرص الانطباع بان المشاركة والمساواة وضع طبيعي بين الرجل والمرأة، كما يعطي للأجيال الجديدة القدرة على تفهم ما هية المشاركة في مجالات الحياة المختلفة

من المعروف أن هناك في دولة الإمارات العربية المتحدة نمواً لحركة تعاونية نفعية وخيرية، تبرز في أشكال الجمعيات القائمة حالياً، وقد قمنا بدراسة لهذه الجمعيات فأتضح لنا أن العنل المهني هو الذي أدى إلى زيادة الجمعيات المهنية والنفعية، كما لاحظنا أن عدد الجمعيات بلغ الآن ٩١ جمعية بأنواع مختلفة، فهناك الجمعيات غير الحكومية، والحكومية والجمعيات التي تمثل الجاليات الأجنبية والجمعيات ذات الأهداف الدينية والخدمية والمهنية والتعاونية، وكذلك جمعيات الوعي العام والجمعيات ذات الأهداف البحثية كجمعية الدراسات الإنسانية.

جدول رقم (٥)

الإنجازات الأساسية للمؤسسة

النسبة المئوية	العدد	الإنجازات
٤٦٪	٢٤	١ - نشر الوعي الثقافي
١٩٪	١٠	٢ - المشاركة في المناسبات الوطنية والمهرجانات
١٧٪	٩	٣ - تنمية المواهب
٢٪	١	٤ - مراكز صيفية للشباب
١٠٪	٥	٥ - تحفيظ القرآن
١٠٪	٥	٦ - دورات رياضية
١٢٪	٦	٧ - مراكز محو الأمية
٦٪	٣	٨ - مراكز تعليم الأطفال
٨٪	٤	٩ - نشر الوعي المهني
٦٪	٣	١٠ - نشرات بورية وبحوث علمية
٤٪	٢	١١ - الدفاع عن حقوق الأعضاء
٤٪	٢	١٢ - دورات متخصصة
٨٪	٤	١٣ - إحياء حفلات الزواج
٤٪	٢	١٤ - صرف الزكاة والمعونات للمستحقين
١٧٪	٩	١٥ - المساعدة في التكنيات والكوارث
٦٪	٣	١٦ - جمع شمل أبناء الجالية وتعاونهم
٨٪	٤	١٧ - إقامة أسواق خيرية
٤٪	٢	١٨ - إقامة مؤتمرات عالمية
٦٪	٣	١٩ - رعاية المعوقين
٤٪	٢	٢٠ - نشر الوعي الصحي
٢٪	١	٢١ - تأهيل الشباب
٢٪	١	٢٢ - كفالة الأيتام
١٠٠	١٠٥	المجموع

المصدر : Mouza Ghubash, Non Governmental Organization in the United Arab Emirates, UNDP, 1994.

تقدم هذه المنظمات ٢٢ نوعاً من الإنجازات الأساسية. كما يتضح من الجدول رقم (٥) إن يحتل «نشر الوعي الثقافي» المرتبة الأولى بين هذه الإنجازات وقد تحقق ذلك في ٢٤ مؤسسة تمثل ٤٦٪، كما مثلت «المشاركة في المناسبات الوطنية والمهرجانات» العنصر الثاني من الإنجازات الأساسية حيث كان من أهم إنجازات ١٠ مؤسسات تمثل نسبة قدرها ١٩٪ ويأتي عنصراً «تنمية المواهب» و«المساعدات في التكنيات والكوارث» بعد ذلك حيث كان كل واحد من هذين العنصرين من أهم إنجازات ٩ مؤسسات.

تتعدد بعد ذلك الانجازات الأساسية لهذه الجمعيات مما يعطي انطباعاً عن تعدد النشاط في الجمعية الواحدة والانجاز الواحد المشترك بين عدد من انواع الجمعيات.

جيزل رقم (٦)

العقبات التي تعترض تحقيق الهدف

نوع المعوقات	العدد	النسبة المئوية
١ - معوقات مالية	٢٨	٪٤٥
٢ - قلة المتطوعين	١٣	٪٢٣
٣ - عدم توفر المقر أو ضيقه الخاص بالنشاط	٦	٪١٠
٤ - عدم توفر الوعي الكافي بأهمية جمعيات النفع العام	٥	٪٨
٥ - عدم مساهمة الجانب الحكومي في عمليات التوعية الجماهيرية	٢	٪٤
٦ - عدم كفاية المنشآت اللازمة للأنشطة المختلفة	١	٪٢
٧ - قلة الأموال المخصصة للمصاريف الإدارية	١	٪٢
٨ - غياب التشريعات	١	٪٢
٩ - عدم وجود قضاء متخصص	١	٪٢
١٠ - ارتفاع الأيجارات	١	٪٢
المجموع	٥٩	١٠٠

المصدر : Mosha Ghubash, Non Governmental Organization in the United Arab Emirates, UNDP, 1994

وقد كشفت الدراسة أن مثل هذه الجمعيات تقوم ببعض الأنشطة المتعددة ومن بينها أنشطة ثقافية، وتعليم كبار، وتوظيف، وتعليم حرف يدوية، وتقديم بعض المساعدات القانونية. إلا أن هذه الأنشطة لا تتفق مع حجم هذه الجمعيات أو مع الهدف المنشود من وراء جهود هذه الجمعيات عامة، وأهداف التنمية خاصة. ولعل هذا يرجع إلى وجود عديد من العقبات التي توصلت اليها الدراسة إليها، والتي وصلت حسب توضيح الجدول رقم (٦) إلى عشر معوقات أهمها :

المعوقات المالية (٤٥٪) وقلة المتطوعين (٢٣٪)، عدم توفر أو ضيق المقر الخاص بالنشاط (١٠٪)، عدم توفر الوعي العام بأهمية جمعيات النفع العام (٨٪) وعدم توفر مساهمة الجانب الحكومي في عملية التوعية الجماهيرية (٤٪). (٣١)

أما بالنسبة للجمعيات النسائية فهي الأكثر نشاطاً وعدداً من بين تلك الجمعيات وتقوم بأدوار تنموية وتطوير المرأة، والمساهمة في حل مشكلاتها الأسرية والمالية والتعليمية. وفي

دراسة خصصت للبحث عن مساهمة المرأة في هذه الجمعيات وجدنا العديد من المنارات في تانية هذه الأدوار، إذ طرحت النساء التي طبقت علينا تلك الدراسة.. ما يلي :-

أن هناك ضعفاً في الجهود التي تبذلها الجمعيات للاحتفاظ باستمرارية المرأة المواطنة في المشاركة في العضوية، في هذه الجمعيات، وإنه قد تعتقد الجمعيات النسائية بأنها تبذل جهوداً كبيرة في تنفيذ العديد من الأنشطة والبرامج التي تجذب المواطنات للمشاركة، ولكن من الواضح أن هذه الجهود في حاجة إلى التدعيم والتطوير خاصة وأن النتائج أشارت إلى اتخاذ العضوات موقف التعزوف والإبتعاد عن هذا الدور. (٣٧)

كشفت النتائج كذلك عن أهمية بعض المؤشرات التي قد ترتبط بعزوف المواطنات عن المشاركة في العمل الاجتماعي التطوعي، يأتي على رأس هذه المؤشرات ظهور مفهوم خاطئ عن دور الجمعيات النسائية بالنسبة للمرأة في المجتمع، فالغالبية العظمى من المبحوثات يعتبرن أن هذه الجمعيات وجدت لخدمة المرأة وليس العكس، بمعنى أن دورهن يقتصر على تلقي الخدمات والأنشطة المقدمة، فعلى الجمعية أن تفكر وتخطط وتنفذ وتقوم بكل العمل، والمرأة إذن هي الطرف السلبي في هذه العلاقة التي يفترض أن تكون علاقة تفاعلية ذات إتجاهين يبادلان التأثير والتأثر لصالح المرأة في النهاية.

وعلى أية حال، تعكس نتائج الدراستين موقفاً سلبياً عن المشاركة الفعلية للمرأة الحضرية في الجمعيات، وفي العمل التطوعي وهذا يدل بوضوح على تقاعس الأدوار النسائية في مجالات مجتمعية أخرى، إلى جانب المجالات التي أشرنا إليها بما فيها الأدوار المنزلية.

المرأة الريفية وأدوارها الأسرية والمجتمعية:-

تكتمل جوانب هذه الدراسة بإلقاء بعض الضوء على الأدوار المتاحة للمرأة الريفية للمساهمة في عملية التنمية في مجتمع الإمارات، باعتبار أن نساء الريف يشكلن قطاعاً كبيراً بدولة الإمارات إذ يصل عددهن (١٠٢٠٠٠) امرأة، وبالتالي نتوقع أن يكون لهن مشاركة كبيرة على مستوى التنمية في المناطق الريفية لهذه الدولة.

نفي دراسة حديثة عن أثر التكنولوجيا على تغيير أدوار المرأة الريفية وجدنا نتائج لا تختلف كثيراً عن تلك النتائج التي استعرضناها لأدوار المرأة الحضرية، فدور المرأة الريفية الزراعي والإنتاجي ضئيل جداً، وكذلك الحال بالنسبة لأدوارها الأسرية والمجتمعية. (٣٨)

والواقع أن هذا الدور يختلف حسب مراحل التطور التي شهدها مجتمع الإمارات، إذ توضح البيانات أن هناك فارقاً هائلاً بين ما تقوم به مقدرات العينة من دور في طهي وإعداد الطعام، وبين الأشخاص المساعدين في أداء هذا الدور. فكما توضح البيانات، فإن نسبة ٧٦٫٩٪ أوضحت أن الزوجة كانت هي المسؤولة، بينما أوضحت نسبة ٩٫٦٪ أن أحد أعضاء الأسرة كن مسؤولات، أما الحواة (٢٤٪) أو إحدى البنات في الأسرة (٧٢٪). (٣٧)

وإذا كانت السيدات، بعضهن أو معظمهن، مسؤولات عن إعداد الطعام، كما أوضحنا من قبل، فهل يؤدين أعمالاً أخرى؟ هل يقمن بترتيب المنزل والعناية به؟ الإجابة على هذا بالنفي القاطع، فإن نسبة الإجابات التي حصلنا عليها توضح أن ١٦٫٨٪ من أفراد العينة أشرن إلى أن الخادعات يقمن بهذه المهمة، بينما أوضحت نسبة ٤٨٪ إن هذه مسؤولية إحدى بنات الأسرة، بينما أوضحت نسب ضئيلة أن الزوجات (٥٫٠٪) وكذلك الحموات (٥٫٠٪) مسؤولات عن تلك المهمة.. وهنا نلاحظ التمييز الواضح في هذا الدور الأسري أو المنزلي، حيث كان من أهم أدوار المرأة الأسرية وقد تحول اليوم إلى الخادعات أو المساعدات، وهذه ظاهرة يشترك فيها المجتمع الريفي مع المجتمع الحضري حيث ناقشت العديد من الدراسات هذه القضية.

من أهم المؤشرات الدالة على تغير مكانة المرأة في مجتمع ما، لدى مشاركتها في الأنشطة المختلفة، اقتصادية كانت أم اجتماعية أم ثقافية، وتعد هذه المشاركة - في نفس الوقت - انعكاساً لمستوى المرأة التعليمي، وزيادة وعيها وتأكيداً لأدوارها الرسمية في المجتمع الذي تنتمي إليه، ولقد توجهنا بسؤال أفراد العينة في مجتمعات الدراسة عن مدى مشاركتهم في الجمعيات المتاحة فجاءت إجابتهن أن ١٦٪ منهن يشاركن في جمعية القرية، بينما لا تشاركن نسبة تصل إلى أكثر من ٥١٪ في هذه الجمعية، في الوقت نفسه، أدلت ١٦٫٩٪ من أفراد العينة أنهن لا يعرفن شيئاً عن تلك الجمعية، وبالتالي فإن مشاركتهم معدومة تماماً. (٣٨)

أما كانت نسبة المشاركات في الجمعيات ضئيلة أو كبيرة، فإن الحقيقة التي لا جدال حولها هو أن معظم هذه الجمعيات تقدم العديد من الأنشطة، وتوضح البيانات أنواع الأنشطة التي تقدمها الجمعيات في القرى المدروسة، فقد أعلنت نسبة ١٣٫٩٪ من أفراد العينة أن الجمعيات تقدم أنشطة للمرأة، بينما أوضحت نسبة ٧٪ منهن أنها تقدم نشاطاً خيرياً، ونسبة ٥١٪ أوضحت أنها تقدم نشاطاً ثقافياً، ونسبة ١٦٫٩٪ أوضحت أنها تقدم نشاطاً اقتصادياً، أما نسبة قليلة منهن (٢٫٠٪) أوضحت أنها تقدم نشاطاً سياسياً، بينما أكدت نسبة ١٢٫٣٪ أن هناك أنشطة أخرى لكنهن لم يحددن نوعيتها.

تبدأ أدوار المرأة الريفية التي تتجه الدراسة للتعرف عليها بالأدوار الأسرية وأهم هذه الأدوار تنظيم ميزانية الأسرة إذ اكتشفنا أن الأسرة الريفية أسرة أبوية، ولا زالت السلطة الأبوية تلعب دوراً كبيراً في تنظيم حياة هذه الأسرة وبرز ذلك من خلال الإستجابة على هذا السؤال الخاص بالميزانية حيث وافقت ٥١٪ من مفردات العينة على أن الزوج هو المسؤول عن الميزانية، و ٣٣٪ أجبن بأن الزوجة هي المسؤولة وهنا نعود لطبيعة التطور والتغير الذي واجبه الأسرة الإماراتية واستقرت بعد العديد من التحولات على أن الأسرة الإماراتية سواء كانت في الريف أو الحضر هي من أنواع متعددة، فهناك (الأسرة المعيل) أي مسؤولة الإعالة تقع على الأب، و (الأسرة المساواتية) أي التي برزت فيها أدوار جديدة للمرأة منها مثلاً القيام بتنظيم الميزانية، وأحياناً المساهمة في توفير هذه الميزانية.

أما قبل الزواج فكانت الأدوار تختلف فتتنظيم ميزانية الأسرة كان يقع على عاتق الأب، وما يؤكد ذلك استجابة المبحوثات بنسبة ٧٦٪ وافقن على هذا الدور للأب، أما الأم فنسبة مساهمتها في هذا الدور كانت تصل إلى ١٤٪، ويؤكد ذلك طبيعة ونعط الأسرة الريفية بأنها أسرة أبوية، ويتجسد في هذه الأسرة كونها وحدة أولية اقتصادية واجتماعية.

أما عن مسؤولية شراء الأجهزة المنزلية وكافة احتياجات الأسرة، وجدنا أن هذا الدور يقوم به الزوج أيضاً، إذ أفادت بذلك نسبة ٧٦٪ من مفردات العينة، أما الزوجة فقد تشارك في هذه المهنة المنزلية بنسبة ١٣٪، بالإضافة إلى مساهمة الأبناء في الشراء بنسبة ٤٧٪، وهنا نتأكد مرة أخرى أبوية الأسرة، وغياب أدوار المرأة الريفية، وبالتالي فماذا فعلت التكنولوجيا في الأسرة الريفية؟ وأين هو التغيير؟ وعليه نستطيع التأكيد أن بعض وسائل التكنولوجيا عززت من النظرة التقليدية تجاه المرأة، وأخضعتها لأدوار أكثر تقليدية.

إذا كان الأزواج يمارسون عملهم للحصول على دخل، كما أنهم مسؤولون عن ميزانية الأسرة، فماذا تفعل الزوجات؟ وما هي الأدوار التي يقمن بها؟ توضح البيانات، أن معظم السيدات يشاركن في أنشطة الأسرة اليومية، إذ أجابت نسبة ٦٩٪ أفراد العينة أنهن مسؤولات عن إعداد الطعام، وفي بعض الأحيان يساعدن الطباخين، وفي أحيان أخرى يؤدي الطباخين تلك المهنة (نسبة ٢٣٪)، وفي حالات أخرى نادرة، تقوم البنات بنسبة (٢١٪) بهذه المهنة، كمعدات للطعام أو مساعدات في إعدادهن، وهذه هي الأدوار التقليدية التي لم تستطع أدوات التحديث تغييرها بل عززت من استمراريتها.

وليس هناك جدال في أن تعدد الأدوار قد يخلق نوعاً من الصراع، لكن المسألة تنطوي على مدى الاستعداد لاداء هذه الأدوار، ويدعم هذا المساندة الحقيقية من قبل المجتمع بشتى الطرق، والذي ينبغي فيه على المؤسسات الرسمية أن تلعب دوراً هاماً في تغيير الصور النمطية المتعلقة بالمرأة، وعدم قدرتها على اداء هذه الأدوار، فهذه من أهم الخطوات التي ستعطي للمرأة دفعة قوية للمساهمة ليس فقط في الجمعيات العامة، بل وفي مجالات التنمية بشكل عام.

فكرنا في بداية هذه الدراسة أن هناك معوقات حالت دون أن تساهم المرأة مساهمة متساوية مع الرجل في التنمية بدولة الإمارات فما هي هذه المعوقات؟ نجزم منذ البداية أن هذه المعوقات هي أيضاً من نواتج وأثار ظنير النقط في مجتمع الإمارات، فمثل ما كان لهذا النقط من أثر ايجابي، إلا أنه في تغييره للنساق الاجتماعية والثقافية وقف حائلاً دون التنمية المنشودة، ومما يوضح هذا:

تناقرو دور الفرد مع موقعه التنظيمي وتغريب أدوار المرأة في التنمية التنظيمية والإدارية التي تتطلبها التنظيمات الرسمية كالوزارات والدوائر لتشغل المناصب فيها، حيث لم تكن بالكفاءة العلمية والتدريبية المطلوبة، وبالتالي سادت العلاقة القرواية والقبلية في مجالات التوظيف. ولقد دخلت المرأة سوق العمل في هذه التنظيمات الرسمية الحديثة خاصة تلك التي بحاجة إلى نساء متدربات على الأعمال التقنية والإدارية والفنية والتربوية والصحية والعلاجية والقضائية والعلمية، وكان دخول المرأة الإماراتية إلى هذه القطاعات دون خبرة وبراية، وما كان لديها فقط هو الرغبة في العمل والاستعداد الفطري لاكتساب الخبرات، وبالتالي نجد أن غربة النظام الإقتصادي وعدم ملائحته للنظام الاجتماعي في دولة الإمارات ساهم في الوقت نفسه بخلق دوراً مغترباً للمرأة في عملية التنمية. في حين كان دورها نشطاً وفاعلاً في الحياة الإقتصادية والتجارية والزراعية والأسرية قبل ظهور البترول في مجتمع الإمارات، وهذا التعطيل في أدوار المرأة يعني تعويق تصف المجتمع عن المساهمة في التنمية الحديثة أي أن نصف التنمية الوطنية جمدت دور المرأة ومسؤوليتها، فأصبح دورها هامشياً

ولعل التزاوج بين النظامين أي النظام الإقتصادي القديم، والنظام الحديث الذي انفتح بكل مجالاته على النظام الغربي ترك بصماته على أدوار المرأة في التنمية فلم تكن انتاجيتها بالقدر المطلوب نظراً للصراع ما بين الثقافة التقليدية ومحدداتها بالنسبة للمرأة والثقافة الحديثة، وعدم إتساق معاييرها مع النسق الثقافي التقليدي، ولم يستطع النسق الإقتصادي كذلك زحزحة النسق الاجتماعي فيما يخص دور المرأة، ويخرجها من عاملة بالمنزل إلى سوق العمل خارج

المنزل. ورغم أننا اشرنا الى أن عدد المتخربات في سوق العمل قد وصل الى ٨٧٩٨ امرأة، بحسب ما جاء في جدول (٢). إلا أن هذا العدد لا يمثل سوى ١١٪ من القوى العاملة المواطنة، وبالتالي لا يعكس مساهمة عالية في العمل بالنسبة للمرأة. فالأدوار المتاحة للمرأة في تنمية مجتمع الإمارات قد تكون عديدة ومتنوعة، ولكن مساهمة المرأة فيها تتراجع باستمرار، وتعيش المرأة الإماراتية حالة من الصراع بين الرغبة في تحقيق أدواراً عالية وبين عدد من المعوقات الثقافية والاجتماعية التي تحول دون تحقيقها لأدوارها، أو تأكيدها لذاتها مما يؤثر في نهاية الأمر على مكتسباتها ووضعها على خريطة المكانة الاجتماعية لمجتمع الإمارات العربية المتحدة، فتعود لتعيش في دائرة الظل فيما عدا بعض رائدات من فتيات ونساء الإمارات اللاتي استطعن الموازنة بين الحلم والواقع، بين الطموح ومصادقية التحقق.

الهوامش والمراجع:

١- Institute of Arab studies and Research, 1978, United Arab Emirates: A comprehensive survey

٢- موزة غباش، دراسات في التراث الشعبي لمجتمع الإمارات، دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع (برواق عوشة بنت حسين الثقافي) الطبعة الأولى ١٩٩٤ ص ٦٧ - ٦٨.

٣- انظر المواد من ١٣ - ٢٠ من الدستور .

٤- ٥- معن خليل عمر، دور النقط في تعجيل وتعطيل التغيير في مجتمع الخليج العربي، شؤون إجتماعية - جمعية الإقتصاديين، العدد الثامن والعشرون ص ١٥٢ .

٦- انظر معن خليل عمر، المرجع السابق ص ١٥٠.

٧- تجدر الإشارة الى أننا لسنا بصدد العرض المفصل لتلك النظريات الكلاسيكية منها والمعاصرة، لأن المقام لا يتسع لذلك، خاصة وأن هناك اختلافات وتباينات بين الآراء الذائعة من هذه النظريات والتي تعكسها وجهات نظر الرواد الممثلين لكل نظرية، ولذا نكتفي بعرض محاولتين للتصنيف، ثم نقدم مضامين هذه الاتجاهات وافترضايتها الأساسية، ونحيل القارئ الى عديد من المراجع التي اهتمت بهذه الاتجاهات. لمزيد من التفاصيل حول هذه النظريات ومضامينها، وروادها انظر ما يلي:-

- Peter Lengyel, Approaches to the science of the socio - econmic development, Unesco, paris, 1971

خاصة الفصل الخامس من هذا الكتاب.

- Francois Perroux , A new concept of development, Groom Helm, London, 1992.

-A. H. Somjee , Development theory: critiques and explorations. Macmillan Academic and professional LTD, London, 1990

خاصة الفصل الأخير الذي يركز على النظريات الثقافية المرتبطة بعملية التنمية.

8- Smelser , N. "The Modernisation of Social Relation in : Weinmer, M :Modernisation , The Dynamic of Growth. P.P. 119 - 133

9- Smeleser N. Op cit P.P. 119 - 133.

١٠- السيد الحسيني، التنمية والتخلف، دراسة تاريخية بتائية - دار المعارف، ١٩٨٥ م، ص ١٩.

١١- السيد الحسيني، المرجع السابق، ص ١٨.

١٢- السيد الحسيني، مرجع سابق ص ١٢١.

- ١٣- أبرزنا أهمية هذا البعد في كتابنا «التراث الشعبي في مجتمع الإمارات، الطبعة الأولى، دار القراءة للجمع برواق عوشة بنت حسين الثقافي، دبي، ١٩٩٤.
- ١٤- أمير سالم، التنمية في مؤتمر السكان الدولي، مجلة حقوق الناس، مركز الدراسات والمعلومات القانونية لحقوق الإنسان، القاهرة - العدد الأول ص. ٧.
- ١٥- المرجع السابق.
- ١٦- المرجع السابق.
- ١٧- Mouza Ghubash, Human Development Report 1994, United Arab Emirates, United Nations Development Programme Nov. 1993 p.p.7
- ١٨- Mouza Ghubash, Opcit p. 9
- ١٩- Mouza Ghubash Opcit p. 11
- ٢٠- Mouza Ghubash Opcit p. 15
- ٢١- Mouza Ghubash Opcit p. 18
- ٢٢- دولة الإمارات العربية المتحدة، مشروع الخطة الخمسية الأولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لسنة ١٩٨١، ١٩٨٥، الموارد البشرية أساس التنمية ص ١.
- ٢٣- قارن في ذلك النشرة الإحصائية السنوية للتعليم، منطقة العين التعليمية قسم التخطيط والتقويم ١٩٩٢. وكذلك: Soffan, Linda, The women of the United Arab Emirates, Croom Helnn London 1980 p. 62.
- ٢٤- شمة محمد بن خالد، الرضا الوظيفي والمرأة العاملة بدولة الإمارات العربية المتحدة ١٩٩٤، رسالة ماجستير غير منشورة ص. ٧٥.
- ٢٥- شمة محمد بن خالد، المرجع السابق ص. ٧٧.
- ٢٦- شمة محمد بن خالد، ص. ٧٩.
- ٢٧- شمة محمد بن خالد، ص. ٩٣.
- ٢٨- المصدر: وزارة الداخلية، دولة الإمارات العربية المتحدة التقرير السنوي ١٩٩٣.
- ٢٩- محمد عيسى السويدي، عبدالله بوشهاب وطه حسين، خدم المنازل في الإمارات، دراسة ميدانية، وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٩٤.
- ٣٠- محمد عيسى السويدي، «مساهمة المرأة الإماراتية في سوق العمل» الاتحاد النسائي العام أبوظبي ١٩٩١ ص ٧.

٣١. اجلال اسماعيل حلمي، الوعي الاجتماعي ودور المرأة، شؤون اجتماعية، العدد ٣٥، ١٩٩٢.

٣٢. خلفان على مصبح، المرأة المواطنة العاملة في الحكومة الاتحادية (دراسة تحليلية)، ندوة مساهمة المرأة الاماراتية في سوق العمل، الاتحاد النسائي بالتعاون مع معهد التنمية الادارية ١٩٩١ ص ٣٣.

٣٣. موزة غباش، الهجرة الخارجية والتنمية بدولة الإمارات العربية المتحدة، (دراسة للاثار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للعمالة الأجنبية، دار القراءة للجميع للنشر والتوزيع، (برواق عوشة بنت حسين الثقافي، دبي ١٩٨٥).

٣٤. المصدر Mouza Ghubash, Non Governmental Organization in the United Arab Emirates, UNDP. 1994

٣٥. د. محمد هويدي وآخرون، عزوف المواطنات عن المشاركة التطوعية في الجمعيات النسائية بدولة الامارات العربية المتحدة، جمعية أم المؤمنين النسائية، الامارات العربية المتحدة، عمان، الطبعة الاولى ١٩٩٣.

٣٦. موزة عبيد غباش، أثر التكنولوجيا الحديثة على ادوار المرأة الريفية بدولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة تحت الطبع ١٩٩٥، (الفصل الثاني عشر) قمنا بدراسة عشر قرى من قرى الإمارات، وطبقنا استمارة من (١٠٥ سؤال) لعينة مكونة من ١١٠٠ امرأة ريفية، وكانت الدراسة الاولى التي تتوجه إلى القطاع الريفي بدولة الإمارات.

٣٧. موزة عبيد غباش، المرجع السابق، ص ٢٥٠.

٣٨. موزة عبيد غباش، المرجع السابق، ص ٢٧٠.

**المعوقات الإدارية في مؤسسات الرعاية الإجتماعية
بالمملكة العربية السعودية
(دراسة ميدانية)**

عبد المحسن فهد السيف
أستاذ الخدمة الإجتماعية المساعد
قسم الدراسات الإجتماعية
كلية الآداب
جامعة الملك سعود
١٤١٦هـ

مشكلة الدراسة:

هناك إتفاق عام بين الأكاديميين والباحثين على أن الوظائف الإدارية في مؤسسات الرعاية الاجتماعية تعتبر الدعامة الأساسية لتقديم وإنجاح الخدمات الاجتماعية المتروعة للفعات المستفيدة منها في المجتمع ، حيث أن تلك المؤسسات تلعب دوراً مهماً وحيوياً في حياة الإنسان المعاصر . ويمكن القول أن جميع أفراد المجتمع يستفيدون من خدمات تلك المؤسسات بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ذلك أن حياتنا من المهد إلى اللحد تمر عبر مؤسسات الرعاية الاجتماعية فهي التي تشكل وتغير سلوكنا وتصرفاتنا ، فعلى سبيل المثال يتم ولادة الفرد في مستشفى ، ويتعلم لاحقاً في مدرسة ويتم إجراء زواجه من خلال المحاكم الشرعية . وخلال كل ذلك يتم هناك تفاعل اجتماعي مع العديد من تلك المؤسسات الاجتماعية المتروعة ، إلا أن تلك المؤسسات بالرغم من أهميتها تواجه العديد من المعوقات ، أهمها المعوقات في ممارسة الوظائف الإدارية المتمثلة في (سوء التخطيط ، عدم التنسيق ، ضعف التمويل ... الخ) ، ويلاحظ من خلال الخبرة في مجال الممارسة الميدانية لوظائف الإدارة في مؤسسات الرعاية الاجتماعية في دول الخليج العربية أن هناك تخلف إداري في الممارسة الإدارية لبعض أقسام تلك المؤسسات سواء كانت مؤسسات صحية أو تنمية أوتأهيلية ، ومن مظاهر ذلك، على سبيل المثال ؛ اتباع إجراءات وأشكال تنسم بالإستقالة في الوقت عند تقديم الخدمة للمستفيدين والتي يمكن اختزالها في خطوة أو خطوتين ، إضافة إلى طلب بعض الوثائق من المستفيدين لا مرجب لها ، واستيفاء إجراءات أصبحت غاية في حد ذاتها بدلاً من أن تكون وسيلة لتقديم الخدمة . كما يلاحظ أيضاً صعوبة التعاون بين المستفيدين والمؤسسات وذلك لعدم توفر الثقة بين الطرفين ، حيث أن بعض مؤسسات الرعاية الاجتماعية تلزم عمالها أحياناً بمراجعة مؤسسات اجتماعية أخرى لاستيفاء بعض الإجراءات حتى تقدم خدماتها لهم ، مع امكانية الإستغناء عن تلك الإجراءات .

ومن هذا المنطلق فإن هذه المعوقات تؤدي إلى عرقلة وتعطيل أداء تلك المؤسسات في تحقيق أهدافها التي أنشئت من أجلها . إن نجاح العملية الإدارية وقدرتها على تحقيق

أهداف بفعالية وكفاءة يؤدي إلى استمرارية في أداء المؤسسة لوظائفها الاجتماعية المتمثلة في خدمة المجتمع .

وتدور الدراسة الراهنة حول تقصي المعوقات الإدارية التي تواجه مؤسسات الرعاية الاجتماعية في المجال الطبي والتموي والتأهيلي في المملكة العربية السعودية ، ومن نتائج الدراسة استخلاص مؤشرات تساعدنا على معرفة تلك المعوقات وإعطاء المقترحات التي تسهم في الحد منها .

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أنها تعالج مسألة أساسية يعتمد عليها النجاح في تقديم الخدمات الاجتماعية للمستفيدين منها ، وذلك من خلال الكشف عن واقع المعوقات الإدارية في المؤسسات الاجتماعية . كما تتبع أهمية الدراسة أيضاً مما تقدم من مؤشرات عامة يمكن أن تساهم بفعالية للقضاء على تلك المعوقات بإعطاء توصيات مقترحة لتطوير العمل الإداري في تلك المؤسسات . إضافة إلى ذلك فإن هذه الدراسة قد تكون ركيزة لدراسات لاحقة في مجال إدارة المؤسسات الاجتماعية في مهنة الخدمة الاجتماعية . حيث تعتبر هذه الدراسة إضافة تضع هذا الموضوع ضمن دائرة اهتمام الباحثين والمتخصصين في هذا المجال وبالخصوص في مجال العلوم الاجتماعية ، فضلاً على أن تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل سيقدم للمكبة العربية إضافة في موضوع تعاني نقصاً فيه نوعاً وكماً .

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:-

أولاً : التعرف على المعوقات الإدارية التي تواجه مؤسسات الرعاية الاجتماعية بشكل عام في المملكة العربية السعودية ، والتي تعوق ممارسة العمليات الإدارية كالتنظيم والتخطيط والتنسيق... الخ .

ثانياً : التعرف على بعض الخصائص الأولية لممارسي العمل الاجتماعي في مؤسسات الرعاية الاجتماعية والكشف عما إذا كانوا يشكلون عائقاً في أداء العمل .

ثالثاً : تحديد العلاقة بين أنواع المؤسسات الاجتماعية والوظائف الإدارية المختلفة .

رابعاً : محاولة الوصول إلى مؤشرات عامة تمثل سياسة بحثية للمهتمين بإدارة المؤسسات الاجتماعية .

تساؤلات الدراسة:

في ضوء مشكلة الدراسة والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها تحاول هذه الدراسة أن تجيب على التساؤلات التالية :-

أولاً : إلى أي مدى توجد معوقات إدارية تتصل (بالتخطيط ، التمويل، التنسيق ، السلطة، التنظيم، التوجيه، التسجيل، التوظيف، التدريب) في مؤسسات الرعاية الاجتماعية؟

ثانياً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التخطيط؟

ثالثاً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التنظيم؟

رابعاً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التوظيف؟

خامساً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التنسيق؟

سادساً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التمويل؟

سابعاً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة الإشراف؟

ثامناً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التسجيل؟

تاسعاً : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة السلطة؟

عاشرأ : هل هناك اختلاف ذو دلالة معنوية بين مؤسسات الرعاية في ممارسة التدريب؟

ويقصد الباحث بها أي صعوبات أو معوقات والتي تتمثل في سوء التخطيط أو التنسيق أو التنظيم أو التدريب والتمويل والإشراف .. الخ ، والتي تحد من سير العمل في المؤسسات الاجتماعية في تحقيق أهداف تلك المؤسسات . ويمكن إستعراض أهم الوظائف والعمليات الإدارية وطرح بعض الصعوبات التي تواجه الممارسين للعملية الإدارية في المؤسسات الاجتماعية على النحو التالي:-

أولاً: التخطيط الإداري

التخطيط الإداري مرحلة فكرية يسبق تنفيذ أي عمل وينتهي باتخاذ القرارات المتعلقة بما يجب عمله وكيف؟ ومتى؟ ، ويشمل عدة عناصر من أهمها تحديد الأهداف والأولويات وحصر الإمكانيات والفترة الزمنية والوسائل وإجراء المتابعة والتقييم . والمعوقات التي يمكن أن تحد من فاعليته هي:-

- ١- عدم وضوح الأهداف .
- ٢- خضوع الأهداف إلى اعتبارات شخصية وسيادة طابع الإرتجالية في تحديد الأهداف .
- ٣- غياب المعلومات الدقيقة في عملية التخطيط .
- ٤- ضعف الإعداد المهني للمخططين .
- ٥- غياب المعايير المرصعية في تقييم الأداء والخطط والبرامج .
- ٦- عدم الإستفادة من مردود خطط البرامج .

ثانياً: التمويل

التمويل هو تزويد مؤسسات الرعاية الإجتماعية بالموارد المالية والبشرية اللازمة لتحقيق أهدافها التي أنشئت من أجلها من مصادر مختلفة . والصعوبات التي قد تواجه عملية التمويل هي:-

- ١- ضعف المتخصصين في تقدير الاحتياجات المالية الفعالة (التخطيط المالي) .
- ٢- قلة الموارد المالية وعجزها .
- ٣- سوء إستخدام وتوزيع الموارد المالية .
- ٤- وجود فاقد كبير في الإنفاق .
- ٥- الإجراءات في الرقابة المالية تتصف بالبيروقراطية .
- ٦- ضعف الرقابة المالية وضعف تتبع الأعمال الماضية والحالية بخصوص المصروفات والواردات .

ثالثاً: التنسيق

نعرف التنسيق بأنه تحقيق الانسجام بين مختلف وحدات المؤسسة الواحدة وبين مؤسسات الرعاية الإجتماعية الأخرى بما يؤدي إلى عدم التضارب في الإختصاصات والأنشطة وازدواجية العمل والخدمات ومن معوقاته ما يلي:

- ١- لا يحقق التنسيق عملية التكامل بين اختصاصات الوظائف لعدم وضوح قنوات الإتصال .
- ٢- لا يحقق التنسيق الإرتقاء بمستوى الأداء نتيجة للتضارب والتكرار والتداخل .
- ٣- لا يحقق التنسيق الإستفادة من الجهود البشرية .
- ٤- غياب عملية التنسيق بين مؤسسات الرعاية .
- ٥- الإزدواجية في تقديم الخدمات .
- ٦- غياب التعاون بين الوحدات والأقسام بالمؤسسة وبينها وبين المؤسسات الأخرى.

رابعاً: السلطة

السلطة عبارة عن القوة القانونية التي يمارسها المدير في اتخاذ القرارات على الموظفين ، وذلك بإصدار الأوامر والتعليمات بالقيام في تنفيذ المهام والنشاطات بالمؤسسة لتحقيق أهدافها . وتمثل القيود التي تحد من ممارسة السلطة بفاعلية ما يلي:-

- ١- تركيز السلطة في يد شخص واحد .
- ٢- شيوع روح الاستبداد في الإدارة .
- ٣- شيوع ظاهرة التسلط عند رئيس العمل .
- ٤- شيوع ظاهرة إنتقاد العاملين علناً .
- ٥- إتخاذ القرارات يتم في حدود اللوائح فقط .
- ٦- البطء في البت في الأمور واتخاذ القرار .

خامساً: التنظيم

التنظيم عبارة عن هيكل من العلاقات الشخصية المتفاعلة حيث يتم توزيع أوجه النشاط المختلفة وتقسيم العمل بين الموظفين كل في مجال تخصصه في مؤسسات الرعاية الإجتماعية والتسلسل في اتخاذ القرار من أجل تحقيق هدف مشترك . ومن الصعوبات التي تحد من فاعلية التنظيم :-

- ١- عدم وجود روح الابتكار والإبداع نتيجة مركزية اتخاذ القرار .
- ٢- عدم وضوح التسلسل الإداري .
- ٣- عدم وضوح أدوار العاملين بالمؤسسة .
- ٤- بطء العمل وتعقد الإجراءات .
- ٥- وجود تكرار وإزداجية في العمل .
- ٦- لا يقوم تقييم العمل داخل المؤسسة على أساس التخصص .

سادساً: التوجيه

ونقصد بالتوجيه الإتصال بالعاملين بمؤسسات الرعاية الإجتماعية وترشيدهم بالعمل وتحديد السبل أمامهم للقيام بنشاطات مختلفة لتحقيق أهداف المؤسسة من خلال القيادة والإشراف المباشر واختيار أساليب التحفيز والوقت الملائم بما يتفق مع نوع العمل المطلوب . ومما يحد من فاعليته:-

- ١- عدم وضوح الأوامر والتعليمات الصادرة .
- ٢- ضعف الإشراف والقيادة .
- ٣- ضعف أساليب الإتصال .
- ٤- عدم وجود أساليب التحفيز المناسبة .
- ٥- صعوبة تحقيق الأهداف المرجوة .

سابعاً: التسجيل

التسجيل هو العملية التي يتم بها تدوين جميع معاملات المؤسسة على أساس مهني سواء التي تتم داخلها وبين مكوناتها والمستفيدين منها أو خارجها وذلك لحفظها في ملفات يستفاد منها في استخدامات مستقبلية في اتخاذ قرارات . ومن معوقاتنا :-

- ١- عملية التسجيل تنفيذاً للوائح فقط دون اهتمام بالمبادئ المهنية .
- ٢- يؤدي التسجيل غير متخصصين .
- ٣- عملية التسجيل تنسم بالمظهرية والحشو الزائد .
- ٤- الرجوع لتقارير عملية صعبة .
- ٥- عملية التسجيل بدائية وتقليدية .

ثامناً: التوظيف

يعرف التوظيف بأنه العملية التي يتم بها اختيار أفضل العنصر البشري للعمل في مؤسسات الرعاية الاجتماعية والحفاظ على استمراريتها. ومن الصعوبات التي تواجه عملية التوظيف ما يلي:-

- ١- إعلانات الوظائف إعلانات صورية .
- ٢- عدم وضوح توصيف الوظائف للأخصائيين الاجتماعيين .
- ٣- شيوع ظاهرة المعرفة الشخصية والمحسوبة في التوظيف .
- ٤- عامل الكفاءة ليس أساس في عملية اختيار الموظف .
- ٥- عدم وجود الإستقلالية لإدارة التوظيف في اتخاذ القرار .
- ٦- نموذج تقديم الطلب لشغل الوظيفة يتم بالعمومية .
- ٧- عدم توفر الدقة والوضوح في تحديد مواصفات الوظائف ومتطلبات شغلها .

تاسعاً: التدريب

التدريب هو العملية التي يتم بها اكتساب المهارات الأدائية والسلوكية وما يرتبط بها من أهداف وشروط وإجراءات ومناهج وتقنيات تساعد الموظف في الإرتقاء في أدائه بمؤسسات الرعاية الاجتماعية . ومما قد يحذر من التدريب ما يلي:-

- ١- عدم تحديد الاحتياجات التدريبية بدقة (تخطيط التدريب) .
- ٢- انعدام التدريب عند الإلتحاق بالعمل .
- ٣- غياب تدريب المشرفين وعدم إيمان بعض الرؤساء بأهمية التدريب .
- ٤- لا يحثي التدريب أهدافه فيما يتعلق بوضع مقاييس لإتقان العمل .
- ٥- نقص الإمكانيات البشرية والمادية في عملية التدريب وذلك بعدم وجود أخصائيين للتدريب .
- ٦- انعدام التدريب الميداني للموظفين .

٧- قلة محاكاة التدريب للمشاكل العملية التي يعيشها الجهاز الإداري وإقتصاره على الجوانب النظرية .

٨- عدم تقييم برامج التدريب الموجودة لمعرفة نقاط الضعف والقوة .

(ب) مؤسسات الرعاية الاجتماعية:

هي تلك المؤسسات التي تُعنى وظيفتها الأساسية بحماية وحفظ وتعزيز رفاهية الإنسان من خلال تحديد وتشكيل وتغيير وضعه إلى الأفضل من خلال الموارد المتاحة (Hasenfeld, 1983) .

وتمثل مؤسسات الرعاية الاجتماعية في هذه الدراسة بأنواعها الثلاثة كما هو معمول به في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة الصحة بالسعودية وهي:-

أ - المؤسسات الصحية أو الطبية كالمستشفيات العامة التي تضم أقساماً للخدمة الاجتماعية فيها .

ب- المؤسسات التأهيلية كمؤسسات رعاية الإعاقة ورعاية كبار السن ورعاية الأحداث ومكافحة التسول ورعاية الأسرة والطفولة ودور التربية والملاحظة الاجتماعية .

ج- المؤسسات التنموية وتمثل لها بهذه الدراسة بمراكز التنمية الاجتماعية ومراكز الخدمة الاجتماعية والجمعيات التعاونية .

(ج) إدارة المؤسسات الاجتماعية:

تعتبر الإدارة أداة لازمة لتوصيل الخدمة الاجتماعية . وتحقيقه أو سرعة تحديثه توصف اليوم بأنها دولة المؤسسات التي تهدف إلى تأمين الرفاهية للمواطنين . جميع الجوانب .

وتمثل إدارة المؤسسات الإجتماعية بأنها عملية تنفيذ سياسة مؤسسات الرعاية الإجتماعية وتحويلها لخدمات اجتماعية ملموسة لفئات وشرائح متعددة في المجتمع ، وهي بذلك تمثل تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة الأنشطة الرسمية وغير الرسمية والموجهة نحو تقديم الخدمات لجميع المستفيدين ، والإستفادة من نتائجها في تعديل السياسة .

الدراسات السابقة:

إن من المشاكل التي تواجه مؤسسات الرعاية الإجتماعية هو ندرة البحوث المتخصصة في دراسة تلك المؤسسات من الناحية الإدارية سواء دراسة فعاليتها أو كفاءتها أو دراسة معوقات الوظائف الإدارية في تلك المؤسسات في الوطن العربي عامة وفي دول الخليج على وجه الخصوص ، في حين هناك بعض الدراسات المتناثرة التي أظهرت من ضمن نتائجها ، معوقات إدارية تواجه مؤسسات الرعاية الإجتماعية ، كما أن هناك بعض الدراسات التي حاولت أن تسلط الضوء على مؤسسة بعينها وتحاول أن تدرس جزئية من عناصر التنظيم (كالسلطة مثلاً) وهذا ما يحدث غالباً لأسباب منهجية أو لأسباب تتعلق بالجهد والوقت والإمكانات المتاحة .

على أي حال ، لم يتمكن الباحث الاطلاع على أي دراسة من هذا النوع ، إلا الدراسة التي قام بها (حمزاوي ، ١٩٩١) تعتبر رائدة من نوعها في هذا الميدان واستفاد الباحث منها في هذه الدراسة حيث تهدف الدراسة المذكورة إلى إستقصاء فعلي عن المعوقات التي تواجه إدارة أحيات الإجتماعية في مصر من خلال دراسة ميدانية في محافظة القاهرة ، فقد أظهرت نتائج الدراسة أن هناك معوقات إدارية في أحيات الإجتماعية تشمل سوء ممارسة الوظائف الإدارية والمتمثلة في سوء التخطيط والتنظيم والتوظيف والتوجيه والتنسيق والتسجيل وإعداد التقارير وعمليات التمريل وإعداد الميزانية ، وكذلك سلبية اتقادات ومركزية اتخاذ القرارات وتأثير بعض المتغيرات البيئية والثقافية على ممارسة الوظائف الإدارية ، كما توصلت الدراسة لوجود تشابك غير واضح بين تلك المعوقات حيث يعود ذلك إلى عوامل يئنة وثقافية مركبة يصعب من خلالها تحديد علاقة مباشرة بينها (حمزاوي ،

١٩٩٠) . ودراسة الباحث تتميز عن تلك الدراسة بأنها تقارن بين ثلاثة مجالات من سياسات الرعاية الاجتماعية كما أنها تجري في البيئة السعودية التي تختلف من النواحي 'دارية إلى حد ما عن البيئة المصرية .

وهناك عدد من الدراسات التي دلت نتائجها على وجود بعض المعوقات الإدارية ومنها دراسة التي قام بها (أحمد ، ١٩٨٩) بهدف محاولة التعرف على وجهة نظر الأخصائي الاجتماعي الممارس حول عملية التسجيل في الخدمة الاجتماعية واستهدفت تساؤلات بحث التعرف على مدى توفير المؤسسات الاجتماعية لإمكانية التسجيل ، بواسطة امتياع زع على الأخصائيين الاجتماعيين في المؤسسات الاجتماعية في قطاعات الممارسة الرئيسية ، مدينة الفيوم . وأوضحت بعض نتائج الدراسة أن التسجيل يحتاج إلى جهد ، وأنه أحياناً غير معترف به ولا بالوقت الذي يستغرقه مما ينفر البعض منه ويهمله ، وأن بعض المؤسسات ؛ تنقيد بشكل أو بآخر محدّد للتسجيل مما يؤدي إلى الإجهادات الشخصية في عملية لتسجيل .

كما أوضحت الدراسة التي قام بها (القعود ، ١٩٩٣) حول دور الأخصائي في مستشفيات جامعة الملك سعود في الرياض ، والتي كان من ضمن أهدافها التعرف على المعوقات التي تواجه الأخصائي الاجتماعي في أدائه لدوره في المؤسسات الطبية ، وأسفرت نتائج الدراسة عن النقص الكبير في الدورات التدريبية للأخصائيين الاجتماعيين قبل وبعد التحاقهم بالعمل ، كما أظهرت الدراسة زيادة الأعباء الإدارية التي يقوم بها الأخصائيون الاجتماعيون ، وضعف الإمكانيات المالية اللازمة في تلك المؤسسات والتي تعوق عمل الأخصائي الاجتماعي في إيجاد حلول لمشكلات المرضى .

أما الدراسة التي قامت بها (سنبل ، ١٩٩٤ ، ١٣٥) حول ممارسة الخدمة الاجتماعية في مؤسسة رعاية الفتيات بالرياض فقد تبين من نتائجها أن هناك قصور في تدريب الأخصائيات الاجتماعيات في مجال رعاية الأحداث ، كما أوضحت الدراسة ضعف الإشراف داخل هذه المؤسسات .

وهناك دراسة أخرى قام بها (مختار ، ١٩٩٤) ركزت على تحليل آراء المواطنين السعوديين لخدمات الرعاية الإجتماعية وسياستها ، حيث أظهرت بعض نتائجها عن وجود نقص كبير في الإمكانيات البشرية والكوادر الفنية المتخصصة في الخدمات الصحية ، والخدمات المتصلة بوزارة العمل والشؤون الإجتماعية ، كما يوجد نقص في الإمكانيات المادية التي تتطلبها تقديم خدمات صحية وإجتماعية كافية وفعالة ، إضافة إلى صعوبات إدارية في التعامل بين المستفيدين من الخدمات الصحية والإجتماعية والعاملين بتلك المؤسسات .

المعطيات النظرية:

تعددت النظريات التي تصف وتفسر وتحلل الوظائف الإدارية في العمل التنظيمي ، حيث ظهرت المدرسة الكلاسيكية التي تركز على العمل والميكل التنظيمي ، وإنتاجيته المنظمة حيث تعتبر نظرية البيروقراطية كما وصفها (ماكس فيبر عالم الاجتماع الألماني) كنموذج لضبط أسلوب ممارسة العمل الإداري من خلال التنظيم والذي يكسب العاملين سلطته من هذا التنظيم (Hall, 1987) ، بينما تهتم نظرية الإدارة العلمية والتي ظهرت في الولايات المتحدة كما قدمها (تايلور) على الإهتمام بكفاية أداء العاملين في التنظيم وأثره في الإنتاجية مع اتباع الأسلوب العلمي والذي يركز على الاختيار العلمي للعاملين وتدريبهم والإشراف الدقيق عليهم . في حين حارل (هنري فايول) تقسيم النشاط بالمنظمات المختلفة إلى ستة أنشطة ومن بينها النشاط الإداري الذي يشمل (التخطيط ، التنظيم ، الترجية ، التنسيق ، الرقابة) (النمر وآخرون ، ١٩٩١) .

إلا أن مدرسة العلاقات الإنسانية والسلوكية (ماكريتر ، ماسلو ، هيرزبرغ ، هوفرن ، ماكلياند ، وايت ، فروم) تُرجع ما ينجزه الإنسان وكيفية إنجازه لسلوك الفرد والجماعة ومدى قوة وتأثير هذا السلوك في تحقيق أهداف الإدارة وينادي هذا التوجه باتباع أسلوب العلاقات الإنسانية في التعامل مع الأفراد في مجالات القيادة والتحفيز والاتصالات إضافة إلى الإهتمام بدوافع السلوك الإنساني وليس السلوك ذاته (المغربي ، ١٩٩٥) .

في حين أن الاتجاه الذي يركز على اتخاذ القرارات (برنارد ، مارش ، سايمون) يقضي بضرورة المفاضلة بين البدائل وشمول أسلوب اتخاذ القرار لكل الجوانب والنشاطات الإنسانية في المنظمة المتعلقة بطبيعة البناء التنظيمي وردود الفعل الاجتماعية والنفسية للأفراد والجماعات في التنظيم وتطوير المعلومات الأساسية اللازمة لإتخاذ القرارات ، وتهيئة مناخ مشاركة ، وتحسين وسائل الاتصالات وتحفيز الأفراد ، وتحليل القيم الإنسانية على ضوء الأهداف المحددة (علاقي ، ١٩٩٢) .

في حين أن الاتجاه الذي يركز على النظم الاجتماعية ينظر إلى المنظمة كنظرة شاملة وبأنه تتكون من أجزاء ترتبط ببعضها بعلاقة تفاعل وتداخل بحيث يؤثر كل جزء منها بالأجزاء الأخرى وتؤثر البيئة الخارجية على تلك التنظيم وأجزائه (السلي ، ١٩٨٥) . وبالتالي فإن نظريات التنظيم والإدارة أثارت جدلاً فكرياً حول مجموعة من العناصر الإدارية التي يتطلبها الأسلوب العلمي الراجب تطبيقه لإدارة المنظمات وإنجازها لأهدافها .

ثم تم التوصل إلى المدخل التكاملي في الإدارة الذي أخذ في اعتباره جميع الجوانب الفكرية التي تطرقت لها نظريات الإدارة السابقة وبالتالي فهو يركز على أهمية التخطيط والرقابة على المستويات الإدارية المختلفة ، والعمليات السلوكية والتي تمارس في المنظمة ، كالحوافز والدوافع المؤثرة على العاملين لتحقيق الرضا وزيادة الإنتاجية ، والقيادة ذات الكفاءة والفاعلية التي يمكنها أن تفجر طاقات العاملين لإنجاز الأهداف المرجوة ، وسلامة صنع اتخاذ القرارات بهدف ترسيدها مع مراعاة الظروف البيئية المحيطة على إدارة المنظمة ، وكثافة التكنولوجيا المستخدمة في المنظمة (الأزهري ، ١٩٩٣) .

ينما يشير الواقع إلى فقدان المدخل التكاملي في ممارسة وتدبير العمليات الإدارية بالدول النامية حيث أن التخلف الإداري الذي يسود الدول النامية في أغلب منظماتها الاجتماعية وله عدة مظاهر تمثل أبرزها في جمود التنظيم الإداري وفقدانه الحد الأدنى من المرونة والحركة الفعالة المتجددة ، وشيوع استخدام أساليب عقيمة في العمل متمثلة في أداء روتيني مطول تسبب إرهاقاً بدنياً ونفسياً وعقلياً ملحوظاً للمستفيدين من تلك الخدمات .

إن نشوء العقلية الإدارية لدى القادة المديرين في أغلب الدول النامية ترفض بدون تفكير كل تطور يحصل في مضمار الإدارة حيث يعتبر بعض أولئك المدراء بأن أي تغيير إداري إنما هو مساس بمراكزهم الوظيفية ونيل من خيراتهم الطويلة ، ومن سمات التخلف الإداري أيضاً سيادة القيم والعادات الاجتماعية الهابطة والضارة في العمل الإداري والمتمثلة في المحسوبة على مختلف أشكالها في احتضان القريب غير الكفؤ في إنجاز العمل وتسهيل شؤونه وتعيينه وترتيبه المناصب البارزة التي تنعكس على أداء المؤسسة الاجتماعية التي يديرها (الشيخلي ، ١٩٨٢) .

وإدارة المؤسسات الاجتماعية التي يعمل بها الأخصائيون الاجتماعيون -شأنها شأن أغلب المؤسسات الحكومية العامة- مُثقلة بآثار كبير من المشكلات الناتجة عن قلة في القدرات الإدارية ونقص في الإدراك بطبيعة الإدارة الناجحة ونقص في الإمكانيات المادية والبشرية ، إلا أن إدارة المؤسسات الاجتماعية تزيد من مشكلتها عن تلك المؤسسات الحكومية الأخرى نظراً لكبر حجم الفئات المستفيدة من خدماتها من ناحية ، وخصوصية تعاملها مع قاصرين لا يستطيعون الدفاع عن مصالحهم في الوقت المناسب . فضلاً عن أنها تواجه ظروفاً ديناميكية متغيرة تفرض عليها ضرورة التكيف والمرونة لمواجهة هذه الظروف والتغلب عليها . وبالتالي فإن الحاجة ماسة إلى حسن اختيار الأطر الإدارية حسب معايير وطرق مرضعية ، وتطوير الأساليب الإدارية عقلياً ومادياً ، والتنظيم والتنسيق بين مؤسسات الرعاية ، وتحسين العلاقة الإنسانية بين المستفيدين من الخدمات وتلك المؤسسات، وتطوير اختيار المهنيين العاملين ، وجعلها على أسس مرضعية وعلمية تراعى فيها الكفاءات والمؤهلات .

وهناك شبه اتفاق بين المهتمين بدراسة إدارة المؤسسات الاجتماعي على أن هناك عبدة معوقات تحد من فعالية المؤسسات حيث يرى (أبسر المعاطي ، ١٩٨٨ ، ٢٠١) أن العادات والتقاليد الاجتماعية تقف عقبة في طريق التنظيم الاجتماعي في المؤسسات الإدارية متمثلة بسيادة العلاقات الشخصية على العلاقات المرضعية داخل المؤسسة ، إضافة إلى ضعف

الإحساس بالوقت وأهميته . كما يرى (عبد الرحمن ، ١٩٨٢) أن هناك انقصاص في بعض الأحيان بين الأنظمة والأجهزة والأدوات للمؤسسات البيروقراطية وبين الإنجازات والقيم والسلوك الإداري والتي تظل السبب الرئيسي للمشكلة الإدارية حيث أن الأسلوب القبلي حر السائد في الإدارة ومغطى بشوب جديد يُسمى المركزية ، ويضيف (عبد الرحمن ، ١٩٨٢) في تحليله للمؤسسات البيروقراطية -ومؤسسات الرعاية الاجتماعية جزء منها- أن مشكلاتها هي إفرازات للواقع الاجتماعي والإقتصادي التي تعيشه تلك المؤسسات في الإدارة والتي غالباً ما تعتمد في إدارتها على تسير العمل باجتهادات شخصية قد يكون مقبولاً في البداية ولكن كبر حجم المؤسسات الاجتماعية وكبر عدد المستفيدين من تلك الخدمات وتعدد احتياجات المجتمع لم تعد المعرفة الشخصية مجزأة في هذا المضمار . إن سيطرة الأسلوب البيروقراطي في تسير العمل داخل المؤسسات الاجتماعية تقضي على حرية العاملين في تلك القطاعات وبالتالي يكون لها نتائج عكسية ومنها: إحساس الموظف بالضيق والملل والإحباط مما يؤدي إلى انخفاض إنتاجيته ، وجمود التفكير لدى الموظفين بسبب العمل المحدد لفترة طويلة من الزمن دون أن يكون له حق تغييره .

أما من جانب التخطيط فإن المشكلات الإدارية بصفة عامة تتمثل في اتخاذ القرارات المهمة بدون دراسة مسبقة للنتائج المحتملة حيث يكون هناك ضعف بين ارتباط السياسات الإدارية وواقع الممارسة بسبب العزلة الإدارية. بمعنى أن هناك فجوة بين السياسات والأهداف المعلنة والممارسات التطبيقية وغياب التساغم السليم بين إدارات المؤسسات وفئات المجتمع المستفيدة من تلك المؤسسات بسبب الحواجز في العمل وغياب وسيلة ناجحة في مشاركة الأخصائيين في هذه المؤسسات في الأمور المتعلقة بالممارسة ومصلحة المستفيدين ، وبالتالي فإن الأخصائي الاجتماعي يفتقد للإستقلالية في اتخاذ القرار المبني على خبرته المباشرة بالميدان مع المستفيدين ، وفي هذا الصدد يشير (عبد العال ، ١٩٨٥) إلى أن الأخصائي الاجتماعي في المنظمات البيروقراطية يصطدم عمله بإجراءات روتينية تطمس الجانب المهني منه مما يؤدي إلى عرقلة أداء الممارسة على مستوى مهني لائق ويجب له أعباء مهنية .

وفيما يتعلق بالتنسيق الإداري فإن المشكلة تتبلور في عدم تحقيق الإنسجام بين مختلف أوجه ونشاطات مؤسسات الرعاية الاجتماعية في بعض الأحيان مما يؤدي للتضارب في الاختصاصات والأدوار المحددة للعاملين فيها ، ونتيجة لذلك فإنه يضعف الارتقاء بمستوى الأداء مما يؤدي إلى بطء نسي في أداء الخدمات المقدمة (العبدوي ، ١٩٩٠) .

الإجراءات المنهجية:

١- نوع الدراسة:

يمكن تصنيف هذه الدراسة ضمن الدراسات الرصفية التي تستهدف تقرير خصائص ظاهرة المعوقات الإدارية التي تواجه مؤسسات الرعاية الاجتماعية وتحليلها ، حيث أن نوع هذه الدراسة يتلاءم مع أهدافها وتساؤلاتها .

٢- المنهج المستخدم في الدراسة:

منهج المسح الاجتماعي الذي يعتبر أكثر ملاءمة لتجميع أكبر قدر ممكن من البيانات حول موضوع الدراسة .

٣- مجالات الدراسة:

أ) المجال المكاني:

تم اختيار ثلاث مناطق أساسية في المملكة ممثلة بالمنطقة الوسطى (الرياض) ، والمنطقة الشرقية (الدمام) ، والمنطقة الشمالية (تبوك) وقد اختيرت تلك المناطق عشوائياً من بين مناطق المملكة .

ب) المجال البشري:

بلغ مجتمع الدراسة (٦٠٠) موظف يعملون في مؤسسات الرعاية الاجتماعية بالمناطق الثلاث التي اختيرت للبحث وقام الباحث بإجراء مسح اجتماعي شامل على المؤسسات الطيبة والتأهيلية والتنموية في تلك المناطق وبالتالي فإن المجال البشري للبحث اشتمل على (٦٠٠ موظف) .

ج) المجال الزمني:

استغرقت فترة جمع البيانات خلال أشهر (يونيه ويوليه وأغسطس) من العام

١٩٩٤ م .

٤- أدوات جمع البيانات:

قام الباحث بتصميم استمارة بحث لتحقيق أغراض الدراسة ، احتوت الإستمارة على جزأين رئيسيين الأول يتعلق بالمعلومات والبيانات الأولية تتضمن عشرة أسئلة ، أما الجزء الثاني فقد احتوى على عدة أسئلة تتعلق بالمعوقات المحتملة في إدارة المؤسسات الاجتماعية والمتصلة بالتخطيط الإداري ، والتنظيم ، والتوظيف ، والتوجيه ، والتسجيل ، والتدريب ، والسلطة ، والتنسيق ، والتمويل . وقد توخى الباحث في تصميم الإستمارة السهولة والوضوح من خلال الأسئلة المغلقة ، هذا وقد قام الباحث بعملية اختبار للصدق الظاهري عن طريق عرض الإستمارة على مجموعة من المتخصصين والأكاديميين من حملة الدكتوراه في الإدارة والخدمة الاجتماعية ، كما قام الباحث باختبار الثبات بإجراء اختبار مبدئي على عينة عشوائية من العاملين بالمؤسسات الاجتماعية ، ثم تم تعديل وصياغة بعض العبارات على ضوء ما أبداه بعض الباحثين من ملاحظات على الإستمارة ومن ثم قام الباحث بإجراء مراجعة أخيرة على الإستمارة من جميع النواحي الفنية والشكلية سواء ما كان يتعلق بصياغة الأسئلة أو ترتيبها .

تحليل البيانات:

استخدم الباحث الإحصاء الوصفي في عرض النسب المئوية والتكرارات في الإجابة على التساؤل الأول للبحث ، ثم استخدم التحليل ثنائي الارتباط ومستوى الدلالة الإحصائية (٠.٠٥) للحكم على العلاقة بين نوع المؤسسات والعمليات الإدارية المختلفة للإجابة على الأسئلة من ٢-١٠ كما جاء في تساؤلات البحث . هذا وقد تم دمج عناصر ومكونات الوظائف الإدارية تحت مسمى واحد لكل وظيفة كما هو موضح بالجدولين رقم (١ ، ٢) . كما تم أيضاً دمج العمودين الأول والثاني بنفس الجدولين المذكورين لتحديد مدى وجود المعوقات الإدارية وذلك من أجل تسهيل وتبسيط التحليل الإحصائي .

نتائج الدراسة:

يمكن تقسيم نتائج الدراسة إلى ما يلي :-

أولاً: خصائص مجتمع الدراسة

أجريت الدراسة على (٦٠٠) موظف يمارسون العمل الاجتماعي في مؤسسات الرعاية الاجتماعية يعملون في (٤٣) مؤسسة اجتماعية في مختلف ميادين الرعاية الاجتماعية موزعين على النحو التالي: (٢٧٢) موظف في المجال الطبي بما نسبته (٤٥,٢٪) و (١٠٠) موظف في مجال التنمية بما نسبته (١٦,٦٪) و (٢٢٨) موظف في قطاع التأهيل بما نسبته (٣٩٪) .

وتمثل الفئة العمرية من (٢٥ إلى ٣٠ سنة) في جميع المجالات الثلاثة بما مجموعه (١٦٤) موظف ونسبته (٢٧,٣٪) أعلى فئة عمرية تعمل في هذه المجالات بينما لوحظ تدني نسبة من (٥١) سنة فما فوق إذ تمثل (١٦) موظف بنسبة (٢,٧٪) حيث أن تلك الفئات العمرية تمثل سنوات الخبرة للعاملين ، ونستنتج من هذا أن مدة الخبرة في العمل في تلك المؤسسات قصيرة عند الفئة العمرية من (٢٥-٣٠ سنة) مما يعطي مؤشراً عن معوق إداري لدى العاملين .

وقد تبين أن (٣٥٢) موظف بما نسبته (٥٨,٧٪) يعملون ساعات عمل أكثر من الساعات الرسمية والمحددة بـ (٨) ساعات ، وذلك ربما يعود إلى زيادة عدد المستفيدين من الخدمات وقلة الموظفين في هذا القطاع مما يستوجب المكثرت مدة أطول في العمل وزيادة عدد العاملين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية حتى يتمكنوا من توصيل الخدمات بشكل أفضل وبنوعية أكبر . ويتفق الباحث مع الدراسة السابقة (للقعرد ، ١٩٩٣) ، والتي تشير إلى زيادة الأعباء الإدارية التي يقوم بها الأخصائيون الاجتماعيون في المؤسسات الاجتماعية الطبية .

ويتضح من توزيع مجتمع الدراسة أن هناك (٢٩٢) إداري بنسبة (٤٨,٦٪) وهؤلاء يمارسون العمل المكتبي والإشرافي في بعض الأحيان ، بينما المهنيون يُمثلون ما مجموعه (٢٥٦) وبنسبة (٤٢,٧٪) أما باقي العينة وهي حوالي (٩٪) فإنها تمثل نسبة العمال الذين يعملون في النظافة أو الخدمات الملحقة بالمؤسسة . ويرى الباحث أن نسبة الذين يقومون بأعمال إدارية عالية حيث أن هذه المؤسسات تقوم على المهنيين الذين يمارسون الأعمال المهنية في توصيل الخدمات للمحتاجين إليها إذا ما قورنت بنسبة هؤلاء المهنيين ، وهي إحدى معوقات الهيكل التنظيمي وتوزيع الأدوار داخل هذه المؤسسات .

ومن نتائج عينة الدراسة أن الإداريين والمهنيين الحاصلين على مؤهل الخدمة الاجتماعية يعتبر غالبية إذا ما قورن بتخصصات أخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والقرية لتخصص الخدمة الاجتماعية ، إذ بلغ عدد المتخصصين في الخدمة الاجتماعية والذين يمارسون العمل في تلك المؤسسات الاجتماعية في المملكة (١٥٦) أخصائي من مجموع (٥٤٨) موظف يحملون تخصصات مختلفة ، ونرى أن عدد المؤهلين بتخصص الخدمة الاجتماعية قليل ويعطي مؤشراً غير مقبول مما يجعله عائقاً أمام تحقيق أهداف المؤسسة الاجتماعية بفعالية وكفاءة .

جدول (١)

يوضح المعوقات الإدارية في المؤسسات الاجتماعية

توزيع التوزيعات الموظفين الإدارية		غير موجودة		موجودة		موجودة		موجودة		غير موجودة	
		تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
التخطيط		٦٠	١٠	٢٢٨	٣٨	٢٢٤	٣٧,٣	٢٨	٤٧	٦٠	١٠
التمويل		٦٠	١٠	٢٦٨	٤٤,٧	٢٠٤	٣٤	١٢	٢	٥٦	٩,٣
التنسيق		١٠٠	١٦,٧	٢٠٤	٣٤	٢٢٠	٣٦,٧	٢٠	٣٣,٣	٥٦	٤,٣
السلطة		١٠,٨	١٨	٢١٦	٣٦	٢٠٠	٣٣,٣	٢٨	٤٧	٤٨	٨
التنظيم		٥٦	٩,٣	٢٩٢	٤٨,٧	١٨٠	٣٠	٤٤	٧,٣	٢٨	٤,٧
الترجيح		٧٢	١٢	٣٤٨	٥٨	١٤٤	٢٤	٣٦	٦	-	-
التسجيل		٨٠	١٣,٣	٢٤٤	٤٠,٧	١٨٠	٣٠	٤٤	٧,٣	٥٢	٨,٧
التدريب		٨٨	١٤,٧	٢٥٦	٤٢,٧	١٩٦	٣٢,٧	٨	١,٣	٥٢	٨,٧
التوظيف		٧٢	١٢	٢٢٤	٣٧,٣	١٨٨	٣١,٣	٦٨	١١,٣	٤٨	٨

ثانياً: تحليل نتائج الدراسة الميدانية

بعد استعراض خصائص مجتمع البحث والتعرف على خلفية أفراده للتأكد من مدى الإعتماد على تقديراتهم المختلفة ، فإنه يمكن تناول النتائج التي تم الحصول عليها ميدانياً لتحليل الإحصائي . وفي ضوء أهداف البحث المباشرة فإنه يمكن ترشيد الوظائف الإدارية التي تمارسها مؤسسات الرعاية الاجتماعية لتقديم الخدمات الاجتماعية للمستفيدين وفي ضوء السياسة الاجتماعية من خلال تقويم المعوقات الإدارية التي تواجهها هذه المؤسسات . ولا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق تحديد مدى تواجد عناصر ومكونات هذه الوظائف من عدمها وذلك من أجل الوصول إلى مؤشرات عامة تساعد على رسم سياسات رشيدة لإدارة مؤسسات الرعاية الاجتماعية . وبناءً على ذلك فإنه يمكن عرض وتحليل نتائج البحث احصائياً للإجابة على التساؤلات المثارة في البحث ، على النحو التالي:-

أ) تحليل المعوقات الإدارية في مؤسسات الرعاية الاجتماعية:

تشير كثير من الدراسات النظرية والامبريقية إلى ضرورة ترشيد العملية الإدارية حتى يمكن تحقيق الكفاءة والفاعلية لمؤسسات الرعاية الاجتماعية في تقديم خدماتها وإشباع احتياجات المستفيدين وإحداث التغير المرغوب فيه ، ولكن الممارسة الفعلية للمسؤولين عن إدارة هذه المؤسسات يواجهون العديد من المعوقات التي تحد من تحقيق ذلك .

ولقد أظهرت نتائج هذه الدراسة كما هو موضح في الجدول رقم (١) أن المعوقات موجودة في جميع الوظائف الإدارية التي يتم ممارستها في هذه المؤسسات الاجتماعية ، وإن اختلفت درجة وجود هذه المعوقات بالنسبة لكل وظيفة على حدة .

وتشير النتائج الإحصائية إلى أن أغلب المعوقات تتركز في وظيفة التوجيه ويليها التنظيم والتدريب ، وفي نهاية الترتيب التوظيف والتخطيط . ويمكن تناول تحليل هذه المعوقات الوظيفية على النحو التالي :

١- التوجيه:

تبين النتائج ان التوجيه كوظيفة إدارية يواجه أكثر المعوقات الإدارية في مؤسسات الرعاية الإجتماعية على اختلاف نوعيتها ، حيث بلغت نسبة هذه المعوقات (٧٠٪) (١٢٪ + ٥٨٪) . ويعني ذلك أن معظم عناصر ومكونات وظيفة التوجيه لا يتم ممارستها بصورة المرجوة ، وقد يرجع ذلك إلى: عدم الإهتمام بصياغة الأوامر والتعليمات الصادرة ، ضآلة الإهتمام بتنمية وتطوير اساليب القيادة والإشراف لهذه المؤسسات ، وقصور اساليب الإتصال الحالية التي تركز على الإتصال من طرف واحد. بالإضافة إلى عدم وجود أساليب تحفيز العاملين لحثهم على تحسين مستوى الأداء ، مما يؤدي إلى صعوبة تنفيذ وتحقيق الأهداف المرجوة .

٢- التنظيم:

تبرز النتائج للموجودة في الجلول رقم (١) أن التنظيم كوظيفة إدارية يواجه الكثير من المعوقات التي بلغت نسبتها (٩٣٪ + ٤٨٪) أي (٥٨٪) ويدل ذلك على غياب معظم عناصر ومكونات وظيفة التنظيم عند ممارسة هذه الوظيفة الحيوية للمؤسسات الإجتماعية . ومن مقدمة هذه المعوقات عدم تأمين أدوار العاملين كي يؤديوا الواجبات والمهام الموكولة إليهم ، يليها بطء العمل وتعدد الإجراءات وغلبة الطابع الروتيني في أداء العمل ، مما أدى إلى فقدان روح الإبتكار والإبداع في تلك المؤسسات .

٣- التدريب:

توضح نتائج الدراسة أيضاً أن التدريب يعاني عدد لا يستهان به من المعوقات حيث بلغت نسبتها (٥٧٪) (١٤٪ + ٤٢٪) وتمثل هذه المعوقات في عدم تحديد الإحتياجات التدريبية بدقة كافية مما يؤدي إلى عدم فاعلية البرامج التدريبية القائمة ، ونقص الإمكانيات المالية والبشرية والكوادر المؤهلة التي تقوم

بهذه المهمة . إضافة إلى سوء اختيار التوقيت الملائم للتدريب وتركيز التدريب على الطابع النظري بعيداً عن دراسة الحالات والتطبيق العملي ، وانعدام تقييم البرامج التدريبية للوقوف على مدى فاعليتها في إكساب المعارف والمهارات اللازمة لتحسين مستوى الإنجاز .

٤- التمويل:

تبين نتائج الدراسة أن التمويل يمثل عقبة تؤود أمام المؤسسات الاجتماعية في إنجازها لأهدافها حيث بلغت نسبة المعوقات به (٥٤٧٪) (١٠٪ + ٤٤٧٪). وقد يرجع ذلك إلى صعوبة التخطيط المالي بهذه المؤسسات عند تقدير الاحتياجات المالية اللازمة للإنفاق على برامج الخدمات . هذا إلى جانب سوء استخدام وتوزيع الموارد المالية المتاحة ، وذلك لوجود فاقد كبير في الإنفاق، نتيجة لضعف الرقابة المالية .

٥- السلطة:

وتوضح النتائج أن معوقات السلطة قد بلغت نسبة عالية (٥٤٪) (١٨٪ + ٣٦٪) . وتركز معوقات السلطة في الرغبة الشديدة لدى معظم المديرين بمؤسسات الرعاية الاجتماعية في التسلط وعدم تفويض مسؤولياتهم في اتخاذ القرارات دون الرجوع إليهم. ويرجع ذلك إلى خوفهم الشديد وترددهم نتيجة عدم الثقة في كفاءة مسؤوليهم . هذا إلى جانب عدم وضوح حدود السلطات والمسؤوليات مما يؤدي إلى تداخلها وبطء تنفيذ القرارات والأوامر .

٦- التسجيل:

تبرز نتائج الدراسة أن معوقات وظيفة التسجيل تتمثل في ترتيبها مع معوقات السلطة حيث بلغت نسبتها (٥٤٪) (١٣٣٪ + ٤٠٧٪) وقد يعزى ذلك إلى الإهتمام بالشكل دون المضمون المهني ، هذا فضلاً عن أن من يقومون بعملية التسجيل أشخاص غير مهنيين . بالإضافة إلى أن عملية التسجيل تمثل عبئاً

إضافياً زائداً على الدور المهني . وبالتالي فإن الرجوع إلى التقارير يصبح عملية صورية . كما أن التقارير في مؤسسات الرعاية الإجتماعية تتسم بالتزعم وغير مرضحة الأسس المهنية مما يترتب عليه إغفال عملية التسجيل .

٧- التنسيق:

توضح النتائج أن هناك مجموعة معوقات تحول دون التنسيق الكامل بين وحدات المؤسسة الإجتماعية وبينها وبين المؤسسات الأخرى ولقد بلغت نسبتها (٥٢٧٪) (١٦٧٪+٣٤٪) . وقد يعود ذلك إلى غياب التعارن بين الوحدات التنظيمية الداخلية في هذه المؤسسة وبين المؤسسات الأخرى نتيجة عدم تحديد الاختصاصات بالدقة الواجبة ، ومن ثم قد تحدث ازدواجية في تقديم بعض الخدمات أو عدم تقديمها في أحيان أخرى . إضافة إلى الرغبة في الإستقلالية وتجنب الإنتقادات .

٨- التوظيف:

تبين النتائج أن معوقات التوظيف قد بلغت نسبتها (٤٩٣٪) (١٢٪+٣٧٣٪) . وقد يرجع ذلك إلى صعوبة الحصول على أفضل العناصر البشرية اللازمة للقيام بالعمل في مؤسسات الرعاية الإجتماعية ، لعدم وجود سياسات اختيار سليمة لغياب برامج تحليل وتوصيف وتقويم الوظائف . هذا إلى جانب عدم قدرة هذه المؤسسات على استخدام العناصر البشرية المتاحة لديها أفضل استخدام ممكن لعدم فاعلية برامج تقييم الأداء والتدريب والتحفيز .

٩- التخطيط:

توضح النتائج بجلاء أن التخطيط كان أقل الوظائف الإدارية التي واجهت معوقات تحد من كفاءته حيث كانت نسبته (٤٨٪) (٣٨٪ + ١٠٪) وهي تمثل أقل نسبة للمعوقات . ومع هذا فقد اقتصرت المعوقات على: عدم واقعية بعض الأهداف ، وعدم دقة بعض معايير الخطط والبرامج ، وعدم التركيز على الإستفادة من المردود .

جدول (٢)

يوضح العلاقة الارتباطية بين أنواع المؤسسات الاجتماعية
والوظائف الإدارية المختلفة من حيث التواجد

المعيار	درجة التواجد	نمط المؤسسات			الدلالة الإحصائية
		النقطة	النقطة	النقطة	
التخطيط	موجود	٦٠ر٧	٣٤ر٨	٤٤ر٤	*٠١٩٦٨٥
	غير موجود	٣٩ر٣	٦٥ر٢	٥٥ر٦	
التمويل	موجود	٤٧ر٣	٤٣ر٥	٤٢ر٩	*٠٤٢٠٨
	غير موجود	٥٢ر٧	٥٦ر٥	٥٧ر١	
التسيق	موجود	٥٠ر٩	٥٢ر٢	٣٢ر١	*٠١٨٧٣٥
	غير موجود	٤٩ر١	٤٧ر٨	٦٧ر٩	
السلطة	موجود	٥١ر٩	٢٧ر٣	٣٦ر٧	*٠١٨٤٦٤
	غير موجود	٤٨ر١	٧٢ر٧	٦٣ر٣	
التنظيم	موجود	٤٨ر٢	٤٣ر٥	٣٣ر٩	*٠١٣٣٦
	غير موجود	٥١ر٨	٥٦ر٥	٦٦ر١	
التوجيه	موجود	١٨ر٥	٢٦ر١	٢٥ر٨	*٠٨٤٩٨
	غير موجود	٨١ر٥	٧٣ر٩	٧٤ر٢	
التسجيل	موجود	٦٠	٢٧ر٣	٣٤ر٥	*٠٢٦٦٩١
	غير موجود	٤٠	٧٢ر٧	٦٥ر٥	
التدريب	موجود	٤٩ر١	٣١ر٨	٣١	*٠١٧٧٣٦
	غير موجود	٥٠ر٩	٦٨ر٢	٦٩	
التوظيف	موجود	٥٤ر٥	٢٩ر١	٣٩ر٧	*٠١٤٦٦٤
	غير موجود	٤٥ر٥	٦٠ر٩	٦٠ر٣	

Significant at 0.05 Level

ب) تحليل العلاقة الارتباطية بين نوعية المؤسسات الاجتماعية والوظائف الإدارية من حيث

التواجد:

تحتاج مؤسسات الرعاية الاجتماعية شأنها شأن أي مؤسسة في المجتمع إلى ممارسة الوظائف الإدارية ترصلاً لتقديم خدمات الرعاية الاجتماعية للفئات المستفيدة منها من المجتمع بدرجة عالية من الكفاءة والفاعلية . ولإدراك مدى ممارسة المؤسسات النوعية لهذه الوظائف الإدارية في المجالات (الطبية ، والتنمية ، والتأهيلية) ، والتي يمارس فيها الاختصاصيون الاجتماعيون أدوارهم المهنية بالإضافة إلى الوظائف الإدارية تبين للباحث أن هذه المؤسسات في المجالات النوعية المشار إليها تتباين في مدى إستخدامها لهذه الوظائف .

ولقد أوضحت نتائج تحليل العلاقة الارتباطية بين نوعية المؤسسات الاجتماعية وتواجد الوظائف الإدارية بها من علمه كما هو موضح بالجدول رقم (٢) ، على النحو التالي:-

١- التخطيط:

تظهر نتائج التحليل أن التخطيط كوظيفة إدارية تبرز في الممارسة في مؤسسات التأهيل عنها في المؤسسات الطبية ، والتنمية . حيث بلغت نسبته في مؤسسات التأهيل (٦٠,٧٪) بينما بلغت نسبته في المؤسسات الطبية (٤٤,٤٪) ، وبلغت النسبة في المؤسسات التنمية (٣٤,٨٪) .

وبتحليل مدى معنوية الفروق بين هذه المؤسسات باستخدام "كا^٢" تبين أن هناك فروق جوهريّة ذات دلالة معنوية بين إستخدام أو ممارسة التخطيط في هذه المؤسسات . مستوى معنوية (٠,٠٥) ويعزو الباحث ذلك إلى أن طبيعة الأهداف بالمؤسسات التأهيلية أكثر وضوحاً من تلك التي تتصل بالمؤسسات الأخرى . هذا فضلاً عن أن اهتمام المسؤولين عن سياسات الرعاية يتركز في إشباع احتياجات الفئات المحرومة والتي تخدمها مؤسسات التأهيل .

٢- التمويل:

تبين نتائج التحليل ان التمويل كوظيفة إدارية يبرز في الممارسة في المؤسسات التأهيلية حيث بلغت نسبته (٤٧,٣٪) بينما كانت نسبته في المؤسسات التنموية والطبية (٤٣,٥٪) ، (٤٢,٩٪) على التوالي . وباستخدام اختبارات معنوية الفروق "كا٢" يتبين عدم وجود أي اختلافات جهرية بين تقديرات فئات المسؤولين.مجمع الدراسة حول ممارسة هذه الوظيفة في هذه المؤسسات وذلك بمستوى معنوية (٥,٠) . مما يدل على أن هناك إتفاق عام بينهم حول مدى استخدام هذه الوظيفة .

وقد يرجع ذلك إلى التزام هذه المؤسسات جميعها بنظم مالية موحدة .

٣- التنسيق:

تشير نتائج التحليل أن التنسيق كوظيفة إدارية يبدو جلياً في المؤسسات التنموية عنها في مؤسسات التأهيل أو المؤسسات الطبية ، فقد بلغت نسبته في المؤسسات التنموية (٥٢,٢٪) بينما كانت نسبته في المؤسسات التأهيلية والطبية (٥٠,٩٪) ، (٣٢,١٪) على التوالي . وبالنظر إلى مدى معنوية الفروق بين هذه المؤسسات باستخدام "كا٢" تبين أن هناك فروق جهرية ذات دلالة معنوية بين ممارسة التنسيق في هذه المؤسسات بمستوى معنوية (٥,٠) .

وقد يرجع ذلك إلى ضرورة الحاجة إلى التنسيق في المؤسسات التنموية التي تتطلب مشاركة الأجهزة الحكومية المختلفة فضلاً عن مشاركة الأهالي عنها في المؤسسات الأخرى .

٤- السلطة:

توضح نتائج التحليل أن ممارسة السلطة في المؤسسات التأهيلية أعلى بكثير منها في المؤسسات الطبية والتنموية ، فلقد بلغت نسبتها في المؤسسات التأهيلية

(٥١٩٪) ، في حين بلغت في المؤسسات الطبية والتنمية كانت نسبة كل منها (٣٦٧٪ ، ٢٧٣٪) بنفس الترتيب .

وتبين اختبارات معنوية الفروق "كا^٢" أن هناك اختلافات جوهرية بين هذه المؤسسات عند ممارسة سلطاتها ، وذلك بمستوى معنوي (٠.٠٥) ، ويعود ذلك إلى ضرورة الإلتزام والانضباط في المؤسسات التأهيلية عنها في المؤسسات الأخرى ، وذلك لتعاملها مع فئات قابلة للانحراف .

٥- التنظيم:

تشير نتائج التحليل إلى أن ممارسة وظيفة التنظيم تبدو جلية في المؤسسات التأهيلية حيث بلغت نسبتها (٤٨٢٪) ، بينما كانت أقل من ذلك في المؤسسات والتنمية والطبية ، حيث وصلت نسبة كل منها (٤٣٥٪ ، ٣٣٩٪) على التوالي .

وتطبق اختبار معنوية الفروق "كا^٢" لمعرفة مدى معنوية الفروق بين هذه المؤسسات حول ممارسة وظيفة التنظيم ، يتبين أن هناك اختلافات جوهرية بينهم بمستوى معنوي (٠.٠٥) ويمكن تبرير ذلك للإستقرار التنظيمي في المؤسسات التأهيلية عنه في المؤسسات الأخرى نتيجة لقدم نشأة العمل الإجتماعي في هذه المؤسسات .

٦- التوجيه:

تظهر نتائج التحليل أن التوجيه كوظيفة إدارية لم يتم ممارسته بالقدر المطلوب في تلك المؤسسات ، حيث كانت نسبته متواضعة في جميع هذه المؤسسات . فقد وصلت نسبته في المؤسسات والتنمية (٣٦١٪) ، والمؤسسات الطبية (٢٥٨٪) ، والمؤسسات التأهيلية (١٨٥٪) .

ويؤكد اختبار معنوية الفروق "كا^٢" على عدم وجود أي فروق جوهرية بين هذه المؤسسات حول ممارسة وظيفة التوجيه وذلك بمستوى معنوية (٠.٠٥). ويرجع ذلك إلى غياب وظيفة التوجيه لهذه المؤسسات نتيجة إلى قلة الإهتمام بتطوير أساليب القيادة والإشراف وأساليب التحفيز الحديثة .

٧- التسجيل:

تبين نتائج التحليل إلى أن ممارسة وظيفة التسجيل كانت بارزة جداً في المؤسسات التأهيلية عنها في المؤسسات الأخرى حيث بلغت نسبته بها (٦٠٪)، في حين كانت نسبة متواضعة في المؤسسات الطبية والتنمية ، حيث بلغت (٣٤.٣٪) في المؤسسات الطبية ، (٢٧.٣٪) في المؤسسات التنمية .

وبتحليل معنوية الفروق باستخدام اختبار "كا^٢" تبين أن هناك فروق جوهرية ذات دلالة معنوية بين هذه المؤسسات حول ممارسة وظيفة التسجيل وذلك بمستوى معنوية (٠.٠٥) . ويرجع ذلك إلى طبيعة العمل الاجتماعي في المؤسسات التأهيلية الذي يتطلب ضرورة التسجيل في دراسة الحالات عنه في المؤسسات الأخرى .

٨- التدريب:

تظهر نتائج التحليل أن وظيفة التدريب يتم ممارستها بصورة معقولة في المؤسسات التأهيلية حيث بلغت نسبتها (٤٩.١٪) ، في حين أنها كانت نسبتها متواضعة في المؤسسات التنمية والطبية ، حيث بلغت نسبة كل منها (٣١.٨٪ ، ٣١٪) على الترتيب .

وباستخدام اختبار معنوية الفروق "كا^٢" تبين أن هناك اختلافات جوهرية بين هذه المؤسسات حول ممارسة وظيفة التدريب وذلك بمستوى معنوية (٠.٠٥) ويعزو ذلك إلى أن المؤسسات التأهيلية لديها اختصاصيين مدربين على رأس العمل وذلك على خلاف المؤسسات الأخرى ، وذلك لحدثة عهدها .

٩- التوظيف:

تبين نتائج التحليل أن ممارسة التوظيف كانت بارزة في المؤسسات التأهيلية عنها في المؤسسات الأخرى حيث بلغت نسبتها (٥٤ر٥٪) ، في حين كانت نسبتها متواضعة في المؤسسات الأخرى فلقد بلغت المؤسسات الطبية (٣٩ر٧٪) ، وفي المؤسسات التنموية (٣٩ر١٪) .

ويعتبر هذا من مميزات الفرق "كأ" يتضح أن هناك فروق جوهريّة ذات دلالة إحصائية بين هذه المؤسسات حول ممارسة التوظيف ، وذلك بمستوى معنوية (٠.٠٥) . ويصود ذلك الفرق بين هذه المؤسسات إلى عراقية وكبير حجم المؤسسات التأهيلية عنه في المؤسسات الأخرى ومن ثم زيادة الإهتمام بعناصر التوظيف كالاختبار وتقويم الوظائف وتقييم الأداء .

وجملة النتائج التي توصل إليها هذا البحث تتفق مع نتائج الدراسة الميدانية التي أجريت بمحافظة القاهرة (حمزاوي ١٩٩١) ، الأمر الذي يؤكد أن معوقات الإدارة واحدة على الرغم من اختلاف البيئة الاجتماعية والاقتصادية ، فإن لمواجهة هذه المشكلات يتطلب إجراء العديد من الدراسات للترصل إلى نماذج علمية يسترشد بها لحل المشكلات .

مقترحات الدراسة:

في ضوء ما سبق من نتائج الدراسة تم التوصل إلى مجموعة من المقترحات والتي قد تساعد -إذا ما نفذت- على فاعلية الوظائف الإدارية للمؤسسات الاجتماعية والحد من المعوقات التي تواجه مكونات وعناصر تلك الوظائف في تلك المؤسسات ولقد راعى الباحث أن تكون هذه المقترحات مرتبطة بكافة الوظائف الإدارية وفعاليتها وقد تضمنت المقترحات ما يلي:-

- ١- الإهتمام بصياغة الأوامر والتعليمات الصادرة من مستويات الإدارة العليا وتطبيقها في ظل توجيهات الإشراف مع الإهتمام بتنمية أساليب القيادة والإشراف وأساليب الإتصال لتحفيز العاملين وتنمية أداؤهم .
- ٢- تأمين تكامل أدوار العاملين ليؤدوا الواجبات والمهام الموكولة إليهم مع إتجاه الفرصة لهم للمبادرة والإبتكار والإبداع في مجال أعمالهم والقضاء على الروتين الغير لازم وتسهيل الإجراءات .
- ٣- ضرورة تحديد الإحتياجات التدريبية بدقة كافية والمتعلقة بنوعية المتدربين ومحتوى التدريب واختيار التوقيت الملائم للتدريب وتقويم نتائج البرامج التدريبية والوقوف على مدى فاعليتها في إكساب المعارف والمهارات اللازمة لتحسين مستوى الإنجاز .
- ٤- إيلاء معاهد التدريب التي تقوم على تدريب العاملين في مؤسسات الرعاية الإجتماعية الرعاية والعناية المطلوبة .
- ٥- إعطاء عناية خاصة للتخطيط لمؤسسات الرعاية الإجتماعية عند تقدير احتياجاتها المالية اللازمة للإلتفاق على برامج الخدمات لضمان كفايتها واستمراريتها لإشباعها حاجات المستفيدين من تلك الخدمات .
- ٦- إيضاح حدود السلطات والمسؤوليات في مؤسسات الرعاية الإجتماعية حرصاً على عدم تداخلها وتلافياً لبطء تنفيذ القرارات والأوامر .
- ٧- التدقيق في متابعة العاملين والمشرفين لتدوين التقارير وتسجيلها بنوعياتها المختلفة وفق الأسس المهنية لكي يحقق ما يلي:-

- أ (تنمية عملية الإشراف التي تهدف إلى تحسين مستوى أداء العاملين .
- ب (توفير المعلومات الضرورية لصنع واتخاذ قرارات رشيدة لتطوير الممارسة المهنية .
- ج (توفير المعلومات اللازمة التي تصلح أساساً لتقويم فاعلية الخدمات المقدمة .

٩- الإهتمام بتدعيم الإعتماد والتعاون الرطيفي المتبادل بين وحدات المؤسسة الإجتماعية والمؤسسات الإجتماعية الأخرى تحقيقاً لتكاملها في تقديم الخدمات وتلافياً للتضارب والإزدواج والتكرار .

٩- إعادة النظر في سياسات اختيار الموظفين العاملين في المؤسسات الإجتماعية واعتمادها على برامج تحليل وتوصيف الوظائف حتى تتمكن من استخدام أفضل العناصر البشرية مع اتفيم المستمر لها - لها وتدريبها وتحفيزها

١٠- الحرص على واقعية أهداف مؤسسات الرعاية الإجتماعية ومرضوعيتها ومرونتها وتناسقها وارتباطها مع احتياجات البيئة الخارجية .

١١- تشجيع الأكاديميين والباحثين على إجراء مزيد من البحوث المتعلقة بالمشكلات والصعوبات الإدارية التي تواجه مؤسسات الرعاية الإجتماعية والتي تعيق من تقديم الخدمات بسهولة ويسر مع ضرورة إبراز المسببات الفعلية لتلك المشكلات .

المراجع

أولاً: المراجع العربية

- أبو المعاطي ، ماهر . (١٩٨٨) إدارة المؤسسات الإجتماعية، دار تكنوماشين للطباعة، بالقجالة - مصر .
- أحمد ، سالم صديق . (١٩٨٩) الممارسة المهنية والتسجيل في الخدمة الإجتماعية ، بحث مقرر للمؤتمر العلمي الثالث لكلية الخدمة الإجتماعية ، ديسمبر ، كلية الخدمة الإجتماعية ، جامعة حلوان - مصر .
- الأزهرى ، محي الدين . (١٩٩٣) الإدارة ودور المديرين (أساسيات وسلوكيات) ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر .
- حمزاوي ، رياض أمين . (١٩٩١) معوقات إدارة الهيئات الإجتماعية: دراسة ميدانية بمحافظة القاهرة ، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الخامس للخدمة الإجتماعية ، ديسمبر ، كلية الخدمة الإجتماعية ، جامعة حلوان - مصر .
- السلمي ، علي . (١٩٨٥) تطور الفكر التنظيمي ، مكتبة غريب ، القاهرة - مصر .
- السنبيل ، منيرة عبد الله . (١٩٩٤) ممارسة الخدمة الإجتماعية في مؤسسات رعاية الفتيات في الرياض ، دراسة ميدانية مطبقة على مؤسسة رعاية الفتيات بالرياض ، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات الإجتماعية ، جامعة الملك سعود - الرياض .
- الشخيلي ، عبد القادر . (١٩٨٢) معوقات تطوير نظم وأجهزة الخدمة المدنية في الأقطار العربية ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان .

- عبد الرحمن ، أسامة . (١٩٨٢) البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية: مدخل إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المتنامية للنفط ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت .
- عبد التال ، عبد الحليم . ضا . (١٩٨٥) الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، دار النهضة العربية - القاهرة .
- العبودي ، محسن . (١٩٩٠) المعوقات الإدارية وأثرها في رفع إنتاجية الإنسان المصري ، دار النهضة العربية - القاهرة .
- علاقي ، مدني عبد القادر . (١٩٩٢) الإدارة دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية ، تهامة للنشر - جدة .
- القعود ، عبد الرحمن عبد الله . (١٩٩٣) دور الأخصائي الاجتماعي في مستشفيات جامعة الملك سعود في مدينة الرياض ، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات الاجتماعية ، جامعة الملك سعود - الرياض .
- مختار ، عبد العزيز عبد الله . (١٩٩٤) سياسة الرعاية الاجتماعية في المجتمع العربي السعودي: دراسة تحليلية لسياسة الرعاية الاجتماعية في قطاعات الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية، مركز البحوث، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود - الرياض .
- المغربي ، كامل محمد . (١٩٩٥) السلوك التنظيمي: مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم ، دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان .
- النمر ، سعد وآخرون . (١٩٩١) الإدارة العامة الأسس والوظائف ، مطابع الفرزدق التجارية - الرياض .

ثانياً: المراجع الأجنبية

Hasenfeld, Yeheshel . (1983) Human Service Organizations, Prentice - Hall Inc., Englewood Cliffs, N.J.

Hall, Richard H. (1987) Organizations Structures, Processes, and Outcomes, Prentice - Hall Inc. Englewood Cliffs, N.J.

ملخص الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تقصي المعوقات الإدارية التي تواجه مؤسسات الرعاية الاجتماعية وتحديد العلاقة الارتباطية بين نوعية المؤسسات الاجتماعية وتواجد الوظائف الإدارية بها من علمه حيث أجريت الدراسة على (٦٠٠) موظف يمارسون العمل الاجتماعي في المؤسسات الطيبة والتأهيلية والتنمية في ثلاث مناطق في المملكة العربية السعودية (بالرياض ، والدمام ، وتبوك) .

أوضحت جملة نتائج هذه الدراسة أن هناك معوقات في ممارسة الوظائف الإدارية في تلك المؤسسات على الرغم من التباين بينها في مدى استخدامها لهذه الوظائف وأخيراً تم التوصل إلى مجموعة من المقترحات التي تساعد على فاعلية الوظائف الإدارية للمؤسسات الاجتماعية والحد من المعوقات الإدارية التي تواجهها .

تنمية المجتمع الريفي وطفل القرية المعوق
" دراسة تحليلية عن دور المجتمع في
رعاية الطفل المعوق "

إعداد

د . أحمد مصطفى محمد خاطر
وكيل المعهد العالي للخدمة الاجتماعية
بالاسكندرية

تمهيد :

إن أحد السمات الأساسية التي تحدد معالم مجتمع العالم الثالث ، أو المجتمعات التنامية هي وجود هوة Gap أو تفاوت Differentiation أو تحايز بين المجتمع الحضري والريفي ، وإذا كان التخلف يعتبر وصمه تدن كاتة هذه المجتمعات ، إلا أن المناطق الريفية تكون أشد تخلفاً وتعانى الحرمان الشديد من أشكال وأنماط الرعاية الاجتماعية المختلفة ، لدرجة تصل إلى حد اعتبار أن الخدمات والرعاية الاجتماعية نوع من الأسراف الذى لا طائل من ورائه فى هذه المناطق الريفية . ولكن نتيجة لسيادة الفكر التنموى فى هذه المجتمعات والتي من بينها مصر - كن من الطبيعى أن ينال الريف حقه المتوازى مع المجتمعات الحضرية ، بل أن منطق العدالة ، ولتعويض سنوات التخلف الطويلة يجعلنا نولى الريف مزيد من الاهتمام حتى يلحق بركب المدينه .

ولما كان الإنسان هو محور العملية التنموية وهو المستهدف والمستفيد فى النهاية من مردودات التنمية ، لذا نجد أن كافة البرامج الخاصة بالتنمية تسعى إلى دعم وتوفير فرص النمو المتكامل للثروة البشرية فى المجتمع .

ومن هنا كان الاهتمام والعناية التي توليها المجتمعات لتثنية أترادها وفقاً لقدراتهم واستعداداتهم ، لضمان النمو المتوازن لهم ، كما تنادى كافة الاتجاهات الاجتماعية والتربوية التي تعيش معظم المجتمعات فى إطارها اليوم بحق كل فرد فى الانتفاع بالخدمات التربوية المختلفة التي تساعد على الوصول إلى أقصى مدى تؤهله له امكانياته وقدراته ، وحيث أن الطفل هو الركيزة الأولى لأي مجتمع فإذا ما وفرنا له الفرص التربوية المناسبة متمثلة فى الفرص الاجتماعية والنفسية والصحية لا يمكن تحقيق أعلى عائد بشرى يعود بالنفع على الطفل والمجتمع . (عبدالرحيم ، ١٩٨٣) .

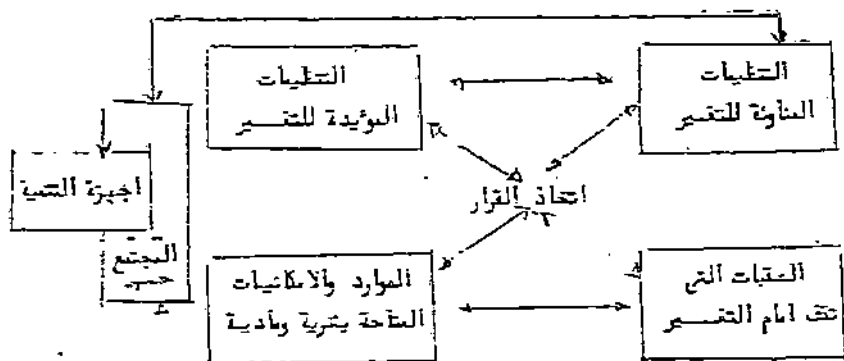
المشكلة البحثية وأهميتها :

لقد نال مجال رعاية المعوقين أهتماماً بالغاً فى السنوات الأخيرة ، ويرجع ذلك إلى الانتعاش المتزايد فى المجتمعات المختلفة ، بأن المعوقين كثيرهم من الأفراد لهم الحق فى النمو بأقصى ما تمكثهم قدراتهم وطاقاتهم من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الاهتمام من المجتمعات بفتات المعوقين يرتبط بتغير النظرة المجتمعية إلى هؤلاء الأطفال (الهام ، ١٩٨٢) والتحول من اعتبارهم عالية اقتصادية على مجتمعاتهم إلى النظر إليهم كجزء من الثروة البشرية مما يحتم تنمية هذه الثروة والاستفادة منها إلى أقصى درجة ممكنة ، ومما لاشك فيه أن الاهتمام بهؤلاء الأطفال المعوقين يساعدهم على تحقيق توافيقهم الاجتماعى والنفسى مع البيئة المحيطة بهم ، فضلاً على أن توفير بيئة اجتماعية مناسبة لهم تساعد على التخلص من الصراعات المحيطة بهم .

وتساير هذه الدراسة اهتمام الدولة برعاية الطفل بصفة عامة والطفل المعوق بصفة خاصة ، وذلك يتضح فيما اعلمته المؤتمر الخامس للطفولة غير المعوقة (١٩٨٩) باعتبار فترة العشر سنوات (١٩٨٩ - ١٩٩٩) عتداً لحماية الطفل المصري ورعايته والتي تضمنت عدة أهداف محددة للالتزام بتحقيها والتي من ضمنها توفير قدر مناسب من الرعاية الاجتماعية والصحية والنفسية للأطفال المعوقين .

والتركيب السكاني لى مصر يشير الى ١٠٠ ص.باً هائلاً يصل فى مجموعة إلى نحو ٢٠ مليون طفل تحت سن الـ ١٥ سنة ، أى حوالى ٤٠٪ من اجمالى عدد السكان ، ولهذا لو توفر رعاية اجتماعية سليمة لهذه الفئة لأمكن من خلالها تحقيق طموحات المجتمع فى المستقبل القريب (نواد ، ١٩٨٩) ولكن معاشه الباحث للواقع المصرى ورصد مردودات التنسيق التيمى والمسلمات الاساسية فى المجتمع ، وتبعاً لمعاناة المجتمع من عدة مشكلات لاتخفى على واضعى السياسة الاجتماعية ، نجد أن توقع المجتمع واستجاباته لرعاية المعوقين ليست على المستوى المأمول بصفة عامة ، فكيف الحال بالنسبة للمعوقين من بين أطفال قرية المصرية ، على اعتبار أن المناطق الريفية لاتحظى بنفس مستوى ومعدل الرعاية الاجتماعية كذا هو الحال فى مجتمع المدينة .

ولذا كانت التنمية هى القضية الاساسية ومحورية للدول النامية فان غايتها النهائية هى الانسان ، واذا جاز لنا للتعبير فان هذا الانسان هو الذى يدفع تكلفة العملية التنموية وليس فقط المستفيد من مردوداتها ولذلك كانت نقطة الانطلاق فى لية برامج تنموية هى تحقيق للاستخدام الأمثل للموارد المتاحة ، سواء كانت مادية أو بشرية ، ورعاية المعوقين تضمن اضافة حقيقية تدعم للتصير البشرى المشارك فى التنمية ، كما أنها تعمل على تحويل شريحة فى المجتمع من مجرد مستهلكين أو مشاركين فقط فى اقتسام موارد المجتمع ؛ الى مشاركين فى دعم الموارد البشرية وفى الانتاج لدخل المجتمع ، وبهذا تكون قد ولجها أحد المشكلات أو المعوقات الاساسية للتنمية ، وفى نفس الوقت أحد سمات الدول المتخلفة ألا وهى ضعف الانتاجية حيث أن هذا مصطنع لأمتور كثيرة منها جوانب تقنية ، ولخبر متعلقة بالأمية ، ولخبرة تتعلق بالجوانب الاجتماعية خاصة ببعض المعوقات التى تؤثر فى عملية اتخاذ القرار وتؤثر سلباً فى نور أجهزة التنمية (شكل رقم ١) .



وعلى ذلك يمكن ان تستمد هذه الدراسة أهميتها من حيث رصد واقع دور الأسرة في اكتشاف الإعاقة أو الحد منها . وتحديد اتجاهات أفرادها نحو الإعاقة ومحاولة التوصل الى مدخل مناسب يشارك في تغيير نمط الاعتقاد لدى المجتمع ويسمح بالاستجابة بطريقة إيجابية لهذه المشكلة ، وذلك من منطلق أن كثير من معوقات رعاية المعوقين لا تتمثل في عدم الدراية بالخطوات أو العمليات والاجراءات الخاصة بالتأهيل المهني للمعوقين والتي تحدثت بشكل نهائي على النحو التالي (Alexandria ١٩٨٤) .

١ - التأهيل الطبي	Midical Rehabilitation
٢ - التأهيل النفسي والاجتماعي	Psychosocial Rehabilitation
٣ - التأهيل المهني	Vocational Rehabilitation

حيث أن هذه العمليات بالكامل لا يمكن أن تتحقق دون مرحلة سابقة أساسية ، وهي جوهر أو اهتمام هذا البحث وتتمثل في اكتشاف الاعاقة واتخاذ الإجراءات المناسبة لبدء الخطوات العلمية للتعامل معها .

الأنطار النظرى المرجعى الموجه للدراسة :

يتحدد مفهوم الاعاقة Disability في كل نقص ناجم عن عجز في القدرات ، ويؤدى الى انخفاض لداء الفرد عن غيره من الأشخاص العاديين ، أى أن الاعاقة هي نوع من التصور الذى يسيب النكامل أو التماثل بين قدرات الفرد العملية أو المهارية والسلوكية (Wood ١٩٨٠) وفى ضوء ذلك يكون المعوق Handicap هو " كل شخص يعانى قسراً من العجز يحول دون تحقيقه لأنواره في المجتمع بشكل يتفق مع توقعات المجتمع " . ويقوم هذا المقياس على عدة معايير من بينها الجنس والسن والعوامل العقلية والاجتماعية (Who ١٩٨٠) معنى ذلك ان نوع ودرجة الاعاقة تتحدد من خلال قيم واتجاهات المجتمع والتوقعات المقارنة بالأشخاص العاديين في البيئة الاجتماعية .

وعلى هذا تصبح عملية التأهيل المهني Rehabilitation هي مجموعة من الاسهامات التى تسعى الى تحقيق الاعتماد على الذات بندياً ، وتنقيط قدرات الفرد لمواكبه الحياة الاجتماعية ، وتحقيق الكفاية الاقتصادية (Who ١٩٨٠) ولوحارنا استقراء أدبيات الرعاية الاجتماعية بالنسبة لمشكلة المعوقين في المجتمع ، لوجدنا تطوراً ملحوظاً في رعاية المعوقين عبر التاريخ تمثل في مجموعة انتقال المجتمع من مرحلة للدرونية الاجتماعية (الانتخاب الطبيعى ، والبقاء للأصلح) الى مرحلة الرعاية الاجتماعية كنظام لجماعى يضمن حق الامان في الرعاية والايامن بالفروق الفردية ، ويظهر لك من استقراء التاريخ الذى يؤكد لنا ان بعض الملوك الفراعنة كانوا يحكمون على بعض المرضى والمعوقين بالطرد من المساكن وعزلهم عن المجتمع ، بينما نجد في التراث الاغريقى قوانين (ليكورجوس الأسبرطى) ، (سولون الاثينى) تسمح بالتخلص بمن بهم نقص جسمى ، كما أعلن

انطلاقاً من مبادئه على مثل هذا العمل ضمن تصوراتنا للمدينة الفاضلة ، وكانت السلال تباع علناً في اسواق اسيرطة وإثينا ليوضع فيها الصغار المشوهون خارج حدود المدينة املاً على ان يربوهم ، وفي روما ظل الناس اجيالاً عديدة يفرقون الأطفال غير مكتمل النمو في نهر التيبر (نور ، ١٩٧١) أو عندما يولد طفل يتعين أن يخطر ولاء الأمر ، فيؤخذ الطفل أمام جماعة من الشيوخ أو الحكماء ، وهؤلاء يقررون مصيره ، فإذا كان صحيح الدين أعطى لوالديه لتربيته وتنشئته حتى السابعة وبعدما ينضم الى مدارس أعداد المحاربين لكي يسلك طريقه في سلك رجالات الحرب ، لما اذا كان ضعيف البنية ، أمر الشيوخ بمرص العين لليرد وانجح حتى الموت .

وينزل الكتب السماوية ، وارساء قواعد التكامل الاجتماعي والقيم الدينية المتصالحة أدى هذا الى دعم قواعد الرفق بالإنسان العموق ، وحسن المعاملة ، وخير مثال على ذلك عتب الله عز وجل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالنسبة لمعاملة الكفيف ونزول الآيات الكريمة " عيس وتولى ابن جاه الأعشى وما يدرك لئه يركى ، أو يفكر فتتفعه للكرى " "سورة عيس" وفي هذا ارساء لقاعدة اساسية من حيث ان معيار المفاضلة في مجال الخطاء ، أو كفاءة الاداء لا ترتبط بالاعتناء مهما كانت ، وفي هذا رد على بعض من يرددون وعى أو علم بأننا يجب أن نهتم بإيجاد فرص عمل لغير المعوقين أولاً .. ولكن يجب ان تكون المفاضلة عاتلة بمعيار الكفاءة فقط .

أما عن دور الدولة بالنسبة لرعاية المعوقين ، فإن لتجارتنا كان لها السبق في هذا المجال حيث نجد أن قانون لتقتر الأول ١٦٠١ م أكد على مسؤولية الدولة في رعاية المرضى والمحتاجين ومعدومي الأملية ، ثم شهد القرن الثامن عشر تطوراً ملحوظاً في العلوم الطبية وتزايد عدد الأطباء والمستشفيات العامة ، وهذا بشكل عام وفر الرعاية الصحية لكافة المواطنين ومن بينهم المعوقين . وفي عام ١٨٩٣ تم إنشاء مدارس خاصة بالتعليم الإلزامي للمكفوفين والصم والبكم ، وفي عام ١٩١٤ صدر قانون يؤكد على مسؤولية الدولة في توفير التعليم للأطفال المصابين بالصمم والمكفوفين عتياً ، وفيما بين عامي ١٨٩٧ - ١٩١٦ صُنعت قوانين التخصيصات للمعوقين نتيجة إصابة للعمل ، ثم تليها أول قرية نموذجية لرعاية مرضى القرن عام ١٩١٧ وإيجاد فرص عمل لهم تحت الاشراف والتوجيه . وقد كان لنتائج الحرب العالمية الأولى والثانية دوراً كبيراً في توفير مراكز التأهيل المهني للمعوقين (N.A.S.W., ١٩٧١) .

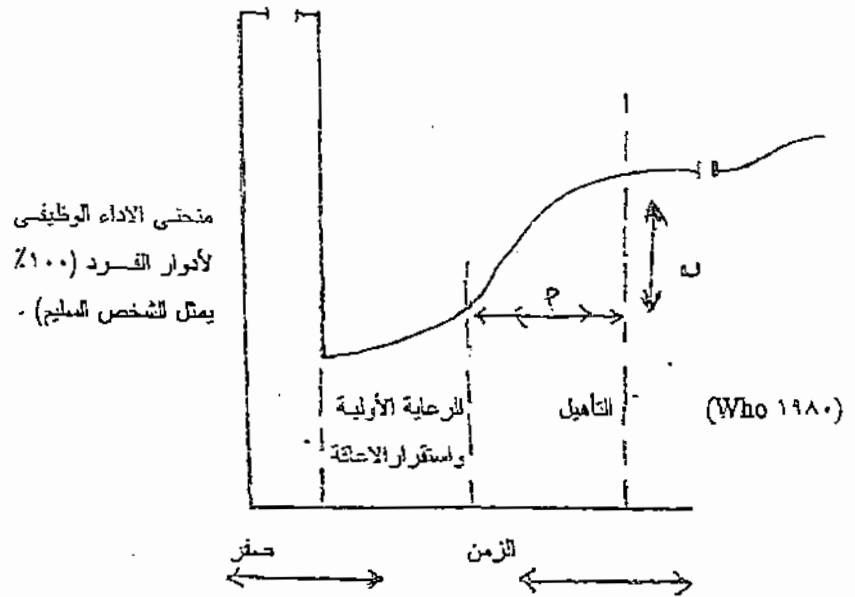
ان الدارسين تتطور الرعاية الاجتماعية على دراية كاملة بأن لتجارتنا كان لها الصدارة في تكتين دور الدولة بالنسبة لأشعة وبراسج وخدمات الرعاية الاجتماعية ، إلا أن الازدهار الحقيقي حدث في أمريكا وبطريقة يعلم الجميع لبعادها من حيث أنها لم تكرر لجهود لتجارتنا كمرحلة انتقالية ، أو البدء من حيث لتكت لتجارتنا واستمرار تصاعد وتنوع أساليب الرعاية بعد ذلك ، وحتى بالنسبة لتسوا التامية فتحت أيضاً - ومن خلال تفتراء تطوّر الرعاية في مصر - بدلاً بمرحلة التقل عن لا

الغربي من خلال رؤية الرواد الأوائل بالنسبة للرعاية الاجتماعية ، وبعد ذلك تطورت استراتيجيات وأساليب الرعاية للمعوقين من واقع المطالبة بالتوطين وخصوصية التجربة التنموية في مصر .

وعلى الرغم من أهمية دور الدولة في توفير الرعاية للمعوقين في كافة نماذج التنمية (السمالوطي ١٩٧٤) سواء النموذج للتكامل Integration Type من حيث أن المعوقين هم مواطنون لهم كافة الحقوق فلا بد وأن تشملهم برامج الرعاية الاجتماعية في كافة القطاعات التي يتواجدون بها ، أو من خلال النموذج التكيفي Adaptation Type حيث أن حجم مشكلة المعوقين في تزايد نتيجة لتطور الحياة وزيادة مصادر التمييز البيئية ، لذلك نجد أن الدولة تحاول إيجاد مشروعات تنموية تستوعب هذا القطاع ، أو من خلال نموذج المشروع Project Type حيث أن رصد واقع الرعاية الاجتماعية في مصر يندفنا بصورة متعددة لمشروعات متخصصة لتنمية القدرات والطاقات الخاصة بالمعوقين ، إلا أنها رعاية تعتمد في المقام الأول على دور الأسرة سواء في اكتشاف أو توجيه الطفل المعوق ، وإذا أخذنا في الاعتبار نمط الاعتقاد السائد في المجتمع الريفي ورسومه للقيم الدينية المرتبطة بالقضاء والقدر ، نجد أن تقبل المشكلة أو الاعاقة أمر واد ويتحقق بسهولة في المجتمع - ولكن رد فعل المجتمع والأسرة الريفية تجاه هذه المشكلة يتسم بالانسحاب في معظم الأحيان ، أو عدم الإيجابية في التوجيه كرد فعل طبيعي لما تتسم به شخصية المعوق من حيث الميل إلى العدوان وللعنف نتيجة لشعورهم بالاحباط وعدم القدرة على مسايرة الأطفال الآخرين ، أو لشباب احتياجاتهم الأساسية .

والعدوان كظاهرة سلوكية شائعة في التفسير للكثير من الاجتهادات التي لتضخ عن مصداقيتها حيث نجد (فرويد ١٩٣٠ ، انلر ١٩٣١) يؤكدان على أن العدوان غريزة فطرية ، والعدوان بمعنى الشائع يقصد به الأساليب السلوكية المتضمنة لبواعث الاتلاف والتخريب والتخريب والعنف والاذلال والتهديد ، وكلها مظاهر سلبية للسلوك (جلكسون ١٩٥٤) واتضح للروية أكثر في مسيرة العلم ، واعتبار أن العدوان مكتسب ولا يظهر الا عندما يشعر الطفل بالاحباط ومن مظاهر للتلق والكرهية لمصدر الاحباط (الاعاقة) وهذا ما يؤكد (هورني ١٩٣٩) على أساس أن الطفل في سبيل تحقيق الاشباع لحاجاته الأساسية . ونتيجة لوجود الاعاقة يصعب تحقيق الاشباع الأمثل ، مما يولد لديه الرغبة في التمييز كتمييز عن الشعور بالاحباط ، وإذا كان الطفل لا يستطيع ان يعيش هذا الاحباط لفترة طويلة ، ويريد أن يتخفف من توتراته لذلك يقوم بتفريغ هذه المشاعر الانفعالية السلبية في شكل عدوان على المجال المحيط ، وتسهم المدرسة السلوكية في علم النفس (دولارد ١٩٤٤) بدور كبير في تفسير سلوك المعوق من حيث وجود علاقة بين تعلم العدوان والشعور بالاحباط .

لذلك نحن بحاجة الى ترشيد دور الأسرة في التعامل مع الأطفال المعوقين ثم الاهتمام بتأهيلهم
سينياً ، ذلك لان الميزانيات التي ترصد لرعاية المعوقين وتأهيلهم مبنياً تعتبر نوع من الاستثمار له
مردود ملموس سواء من الناحية الاجتماعية والنفسية بل أيضاً من الناحية المادية أو الاقتصادية ، وهذا
ما تؤكد دراسات الجدوى الاقتصادية والاجتماعية لمشروعات التأهيل المهني ورعاية المعوقين ،
وليس على ربح زرع شتات "تحت" في هذا القطاع .



حيث نجد أ = تكلفة التأهيل

ب = مردودات أو عائدات التأهيل

$$ج = \text{فاعلية التأهيل للمعوقين} = \frac{\text{عائدات التأهيل}}{\text{التكلفة}} = \frac{ب}{أ}$$

الاستراتيجية المنهجية :

تدرج هذه الدراسة تحت الدراسات الوصفية التي تستهدف بالإضافة إلى رصد الواقع ، قياس تأثير المتغيرات التي تسهم في دعم أو تأكيد ظاهرة البحث بالإضافة إلى تحليل وتفسير مدلول البيانات الإحصائية في ضوء الأطار النظري الذي يوجه الدراسة ، وتحدد مجتمع البحث في اختيار قرية خورشيد (البحرية والقبلية) عن طريق الحصر الشامل للأسر التي لديها أطفال معوقين دون سن الخامسة عشر ، وبلغ عدد هذه الأسر ٧٠ أسرة ، وتم جمع البيانات عن طريق استمارة " استبان " تحتوي على عدة مقاييس تمثل محاور الدراسة وهي :

- بيانات أولية عن المعوق ونوعية الإعاقة .
- بيانات خاصة عن أسرة المعوق من حيث مدى استجابة الأسرة لتحتياجات المعوق .
- بيانات خاصة بالأسرة ومدى وعيها بنوع الإعاقة .
- الزواج القرابي ومردوده بالنسبة لظهور الإعاقة .
- العلاقة بين سلوك الأم أثناء العمل وحجم الأسرة .
- استجابة الأسرة والبيئة الاجتماعية المحيطة لسلوك المعوق .

وقد تلاحظ أثناء جمع البيانات بمعرفة الباحث نفسه ، تبين ردود أفعال الأسرة تجاه مناقشة مشكلات المعوق .. فبينما تستسلم بعض الأسر بالكامل واتسحابها من مواجهة المشكلة ، إلى موقف الرغبة الشديدة في التعامل مع المشكلة والرغبة في إيجاد قنوات مفتوحة لتناول هذه المشكلة بالحل المناسب ، وأخيراً بعض مظاهر التبرم أو الشعور بالأحباط لدى الأسرة نتيجة هذه المشكلة وعدم الرغبة حتى في مناقشتها أمام الآخرين .. وسوف يؤثر دور هذا في تحليل النتائج الخاصة بالدراسة .

لما عن الأسلوب الإحصائي للدراسة :

- تم استخدام عدة أساليب لتحليل بيانات الدراسة كل منهما يكمل الآخر مثل :
- ١ - عرض جداول بسيطة تقوم على التكرارات والنسب المئوية .
 - ٢ - اختبار مربع " كاي " لدراسة طبيعة واتجاه العلاقة الارتباطية بين متغيرات الدراسة .
 - ٣ - اختبار " تشاريرو " لإيجاد قيمة " T ٢ " والتي تعكس قوة العلاقة أما ما يمكن تفسيره بالتباين ويحسب من خلال المعادلة :

$$\text{شدة العلاقة } T^2 = \frac{\text{قيمة مربع "كاي"}}{n} = \frac{(\text{عدد الصفوف} - 1)(\text{عدد الأعمدة} - 1)}{n}$$

- ٤ - تم حساب معامل الارتباط بطريقتين :
- أ - معامل الارتباط (معامل فاي) لجداول مربع كاي (2X2) وهذا المعامل يشبه معامل ارتباط بيرسون وتتراوح قيمته بين صفر ، ١ ويحسب من المعادلة :

$$\sqrt{\frac{25}{n}} = \text{معامل فاي}$$

ب - كذلك تم حساب معامل الارتقان (معامل كرامر) لجداول مربع كاي والتي تضم خلايا أكثر من (2X2) وهو كذلك يشبه ارتباط بيرسون ومعامل فاي ويحسب من المعادلة :

$$\sqrt{\frac{25}{n(1-k)}} = \text{معامل الارتقان لكرامر}$$

حيث ك عدد الصفوف أو الأعمدة أيما لصغر أو عدد الصفوف أو الأعمدة في حالة تساويهما

نتائج الدراسة الميدانية :

أولاً : خصائص مجتمع البحث : ويتضح من الجدول التالي أن حالات شلل الأطفال ما زالت متواجدة بشدة برغم جهود الدولة بالنسبة لهذا المجال ، ولكن ما يشير بالخير وله دلالة ايجابية حقيقية هي أن نسبة المعوقين ومن سن الخامسة أقل ممن هم يتراوح عمرهم بين الخامسة والخامسة عشر وهذا متناه لأن مصادر التعويض بدأت تنصير الى حد ما ، أو لن الرعاية الصحية وخاصة بالنسبة للمناطق الريفية المتاخمة للمدينة كان لها مردود في علاج بعض الحالات التي لولا هذه الرعاية الصحية لتضاعف هذه الاعداد .

وبما يلتفت النظر أن حجم أسرة المعوق غالباً ما تكون كبيرة الحجم بنسبة ٨٤,٣٪ من حجم مجتمع البحث ، وهذا مرده ليس فقط القيم الاجتماعية (العزوة والمكانة الاجتماعية ومصادر الدخل) ولكن أيضاً قد يكون السبب عملية تعويضية عن الفرد المعوق كرد فعل سلبي من جهة الأسرة ، أو لن كبر حجم الأسرة نفسه أحد لمباب التعويق نتيجة الحما المتكرر وعدم الانتمام بالأم الحامل لشاء الحمل والولادة ، وعدم توفير الرعاية المناسبة للأبناء ومع الاعتراف بأن الاعاقة غالباً لا تورث وأن العوامل البيئية من أكثر مصادر التعويق ، إلا أن نسبة لا بأس بها ٤٤,٣٪ من مجتمع الدراسة توجه سابقة احاقة في أسرة الزوج أو الزوجة وهذا يعكس واقع المجتمع الريفي ودرجة تخلفه عن المدينة ، حيث ان هذه النسبة تقل كثيراً في دراسات سابقة عن مثل هذه الظاهرة في المدينة ، والفروق غير ذات دلالة بين للزواج الداخل (من دخل العائلة) أو الخارجى ولكنه في النهاية يعيل الى ان فرص الاعاقة بين المتزوجون من داخل العائلة يزيد عن الأسر المتزوجة من خارجها ، كما أن ظاهرة الزواج في سن مبكرة مازالت ملحوظة في الريف بنسبة ١٥,٧٪ على الرغم من ارتفاع سن الزواج في المدينة ، وصغر سن الزوجين يجعل خبرتهم محدودة في رعاية الأطفال والاستجابة الإيجابية لحالات المعوقين وتزداد حدة هذه المتغيرات إذا أخذنا في الاعتبار انتشار الامية وما لها من تأثير سلبي على كافة مناحي الحياة .

جدول رقم (١)

خصائص مجتمع الدراسة

النسبة	العدد	الخصائص	النسبة	العدد	الخصائص
٤١,٤	١٥	الحالة العمرية للمعوق	٣١,٤	٢٢	نوع الاعاقة
٢٧,١	١٩	أقل من ٥ سنوات	٢١,٤	١٥	شغل أطفال
٥١,٥	٣٦	١٠ - ٥	٤٧,٢	٣٣	تخلف عقلي
		١٥ - ١٠			أخرى
٤,٢	٣	حجم الأسرة	٢٧,١٠	١٩	للصحة الإيجابية
١١,٥	٨	٢ - ٤	٣٤,٣	٢٤	للحمل عن رغبة
٨٤,٣	٥٩	٥ - ٧	٣٨,٦	٢٧	للحمل من غير رغبة
		٧ - أكثر			استخدام عقاقير
					وموانع للحمل
٥٤,٣	٣٨	الزواج العائلي :	٤٤,٣	٣١	سابقة اعاقة بالأمرة
٤٥,٧	٣٢	من دخل العائلة	٥٥,٧	٣٩	يوجد
		من خارج العائلة			لا يوجد
٣٨,٦	٢٧	التعليم بالنسبة للوالدين	١٥,٧	١١	سن الزواج للوالدين
٦١,٤	٤٣	أمية أحد الوالدين	٨٤,٣	٥٩	دون الـ ٢٠
		الإلمام بالقراءة والكتابة			٢٠ - فأكثر

ثانيا : مدى استجابة الأمرة لاحتياجات الطفل المعوق :

أبرزت نتائج الدراسة أنه بسؤال الطفل المعوق عن احتياجاته أو لحد والديه أضح أن غالبية المبحوثين بنسبة ٧٣٪ لديهم احتياج فيما يتعلق بالذهاب للطبيب بغرض العلاج ، بينما كان الاحتياج متوسط فيما يتعلق برغبة الطفل في تعليمه حرفه بنسبة ٦١٪ ، في حين كان أقل من نصف المبحوثين احتياجهم في باقي الاحتياجات الذهاب للمدينة بغرض الترفيه ، أخذ مصاريف من والديه ، الذهاب للمدرسة بنسب ٤١٪ ، ٣٩٪ ، ٣١٪ على الترتيب جدول (٢) .

جدول رقم (٢)

توزيع المعوقين وفقاً لتحديد احتياجاتهم بالنسبة لدرجة اهتمام الأسرة لهم

الاحتياجات	مرتفع		متوسط		منخفض		لا يوجد	
	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%	تكرار	%
العلاج الطبي	٥١	٧٣	٧	١٠	٢	٣	١٠	١٤
تعليم خاصة	٤٣	٦١	٣	٤	١	١	٢٣	٣٤
شغل وقت الفراغ	٢٩	٤١	٣	٤	-	-	٣١	٥٥
مصاريف الاعاشة	٢٧	٣٩	٦	٨	-	-	٣٧	٥٣
التعليم المتخصص	٢٢	٣١	٤	٦	-	-	٤٤	٦٣

٠ ن = ٧٠

كما أتضح أيضاً أنه يسؤال ولى أمر الطفل المعوق عن أسباب عدم تلبية احتياجات الطفل أشارت النتائج أن هناك عدة أسباب منها انخفاض مستوى المعيشة ، زيادة حجم الأسرة ، عدم اللامبالاه بنسب ٨٣% ، ٦٧% ٤٦% على الترتيب . جدول رقم (٣) .

جدول رقم (٣)

يوضح أسباب عدم تلبية احتياجات الطفل المعوق

الأسباب	التكرارات	%
انخفاض مستوى المعيشة	٥٨	٨٢,٨
زيادة حجم الأسرة	٤٧	٦٧,١
عدم اللامبالاه (الاتكالية)	٣٦	٤٥,٧

توضح تلك النتائج للرؤية لدى المهتمين بشئون الطفل أهمية رفع مستوى الحياة لدى الأسرة ونمسيب الفرد من النخل القومي عن طريق المزيد من مشروعات التنمية للريف ، مع زيادة الوعي وهذا دور الخدمة الاجتماعية بالنسبة لرعاية المعوقين .

ثانياً : النتائج المستخلصة بالوعي الأخرى نحو أشكال الإعاقة :

تت نتائج للدراسة أنه لا يوجد وعى لدى الزوج فيما يتعلق بأشكال الإعاقة شلل لطفال ، أمراض مزمنة ٧٣% ، ٦٩% على الترتيب . بينما يوجد وعى لدى الزوج فيما يتعلق بالتخلف العقلى ٦٧% جدول (٤) . وفيما يتعلق بالزوجة أبرزت نتائج الدراسة أنه لا يوجد وعى لدى الزوجة فيما يتعلق بأشكال الإعاقة أمراض مزمنة ، شلل أطفال ، تخلف عقلى ٩٢% ، ٩١% ٦٧% على الترتيب جدول (٤) .

لذا يمكن القول أن الأسرة الريفية ما زالت في حاجة إلى مزيد من المعرفة عن مخاطر الإسهال في رعاية الطفل والمواقب التي تنجم عن ذلك .

مما يتطلب الأمر من المسؤولين عن رعاية الطفل بإعطاء المزيد من الإهتمام والتخطيط لخلق مزيد من الوعي الأسري وذلك من خلال برامج موجهة للأسرة عن كيفية إتباع الطرق التي تقلل من إنتشار بعض الأمراض داخل الأسرة عن كيفية إتباع الطرق التي تقلل من إنتشار بعض الأمراض داخل الأسرة من خلال الحد من زواج الأقارب ، أو إتباع الطرق والوسائل الصحيحة لمنع الحمل ، - ضرورة المحافظة على متابعة وسائل التغذية المختلفة للطفل -

مما يتطلب من وسائل الإعلام الموسوعة والمرئية المزيد من البرامج الخاصة بذلك .

جدول رقم (٤)

توزيع المبحوثين وفقاً لوعيهم تجاه أشكال الإعاقة

الوعي		الزوجة						الزوج					
		شال أطفال		أمراض مزمنة		تخلف عقلي		شال أطفال		أمراض مزمنة		تخلف عقلي	
الأسري تجاه	أشكال الإعاقة	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%	عدد	%
يوجد	٦	٢٧	٤	٩	٢	١٠	٢٧	١٠	٣١	٢	٢	١٣	٠.٢
لا يوجد	١٦	٧٣	٩	٢٠	٩٢	١٢	٣٣	٥	٦٩	١٣	٩١	٨٢	١٣
المجموع	٢٢	١٠٠	١٣	١٠٠	١٠٠	١٣	١٠٠	١٥	١٠٠	١٥	١٠٠	١٥	١٠٠

أيضاً يقع العبء على الوحدات الصحية المنتشرة في الريف بإلقاء المزيد من التثديرات التي من خلالها يتم شرح أبعاد ومخاطر الزواج من الأقارب وعدم إتباع الوسائل الوقائية المناسبة لمنع الحمل وخطورة عدم تطعيم الأطفال حسب الجرعات المقررة لهم .

رابعاً : النتائج المتعلقة بالعلاقة بين مصدر الزواج ووجود حالة مماثلة من الإعاقة بالأسرة :
أوضحت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام مربع كاي بوجود علاقة معنوية بين مصدر الزواج ووجود حالة مماثلة من الإعاقة بالعائلة حيث كانت قيمة كاي المحسوبة (١٥,٦٤) عند مستوى معنوية ٠,٠١ (جدول ٥) .

جدول رقم (٥)

التطابق النسبي بين مصدر الزواج والإعاقة

وجود حالة من الإعاقة معاناة بالعائلة		يوجد	لا يوجد	المجموع
مصدر الزوج				
العائلة		٢٥	١٥	٤٠
		١٧,٧١	٢٢,٢٨	
خارج العائلة		٦	٢٤	٣٠
		١٣,٢٨	١٦,٧١	
المجموع		٣١	٣٩	٧٠

كاي الجلولية عند مستوى ٠,٠١ ، د. ح (١) = ٦,٦٤

كاي للمحسوبة = ١٥,٦٤

٠٠. يوجد فرق معنوي .

ويحساب معامل (T٢) وجد أن هذه القيمة ٠,٢٣٣٤ ، وهي قيمة تعنى أن متغير الزواج الداخلى ينسرح ٢٣,٣٤ ٪ من التباين ، وكذلك تم إيجاد معامل فاي ، حيث تبين أن قيمة هذا المعامل بلغت ٠,٤٧٢٦ ، وهي قيمة تعكس جود علاقة افتراضية معنوية بين متغيري مصدر الزواج ووجود حالة إعاقة معاناة بالأسرة .

خامساً : النتائج المتعلقة بالعلاقة بين سلوك الأم أثناء الحمل وحجم الأسرة :
أبرزت نتائج التحليل الإحصائي باستخدام مربع كاي بوجود علاقة معنوية بين سلوك الأم أثناء الحمل وحجم الأسرة حيث كانت قيمة كاي المحسوبة (١٥,١٥) عند مستوى ٠,٠١ (جنول ٦) .

جدول رقم (٦)

التطابق النسبي بين سلوك الأم أثناء الحمل وحجم الأسرة

حجم الأسرة / سلوك الأم أثناء الحمل	أسرة صغيرة الحجم ٤ أفراد فأقل	أسرة متوسطة الحجم (٥ - ٧) فرد	أسرة كبيرة الحجم ٧ أفراد فأكثر	المجموع
الحمل عن رغبة	٣ ٠,٨١	٦ ٢,٤٤	١٠ ١٣,٠٢	١٩
الحمل عن غير رغبة	صفر ١,٠٢	١ ٣,٠٨	٢٣ ١٦,٤٥	٢٤
تناول عقاقير أو موانع للحمل	صفر ١,١٥	٢ ٣,٤٧	٢٥ ١٨,٥١	٢٧
المجموع	٣	٩	٥٨	٧٠

كما الجدولية عند مستوى معنوية ٠,٠١ ، د. ح. (٤) = ١٣,٢٨

كما المحسوبة = ١٥,١٥ .

ولبيان شدة العلاقة (T٢) بلغت القيمة ٠,٨٦٥٧ وهي قيمة تحسب أم متغير حجم الأسرة يقدر نحو ٨٦,٥٧٪ من التباين في سلوك الأم أثناء الحمل .

كما تم إيجاد قيمة معامل كرامر لبيان طبيعة العلاقة الارتباطية بين المتغيرين (سلوك الأم أثناء الحمل ، وحجم الأسرة) ، وذلك لزيادة حجم الخلايا من خليتين حيث تبين أن هذه القيمة قد بلغت ٠,٦٥٧٩ وهي قيمة عالية للمعنوية لدرجة كبيرة .

أي أن السلوك الإيجابي السليم يضمن حجم صغير للأسرة ، وهذا يؤكد أهمية الأخذ بالأسباب واستخدام وسائل تنظيم الأسرة دعماً للاقتصاد القومي ، وضمان جيل قادر على تحمل المسؤولية بنسبة إعاقه أقل مما هو عليه الآن .

ماداماً : النتائج المتوقعة باستجابة الأسرة والبيئة الاجتماعية للمحيط لسلوك المعوق :
أن سلوك الطفل المعوق دخل البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ذات طابع خاص تؤثر وتأثر بهذه البيئة وقد إتضح بالنسبة لهذه العلاقة داخل الأسرة وجود علاقة بين سلوك المعوق ومعاملة الأسرة له .

جدول رقم (٧)

التطابق التام بين سلوك الطفل المعوق داخل المنزل ومعاملة أفراد أسرته له

المجموع	عدم تقبل سلوك الطفل	تقبل سلوك الطفل	معاملة أفراد أسرة المعوق له داخل المنزل
			سلوك الطفل المعوق داخل المنزل
٢٨	٢	٦	عصبى
٢٨	٣٢,٠٢	٥,٩٧	منطوى
٤	٢٢,٧٦	٤,٠٤	مرح
	صفر	٤	
	٣,٢٧	٠,٦٢	

كما الجدولية عند مستوى معنوية ٠,٠١ ، د. ح (٢) = ٩,٢١

كما المحسوبة = ١٧,٧٩

٠٠. يوجد فرق معنوى .

ولبيان شدة العلاقة تم إيجاد قيمة (T٢) حيث تبين أن هذه القيمة قد بلغت ٠,٠٨ وهى قيمة تعنى أن متغير معاملة أفراد أسرة المعوق له داخل المنزل تفسر نحو ٠,٠٨ من التباين فى سلوك الطفل المعوق داخل المنزل ، كما تتم إيجاد قيمة مقابل تكرار حيث تبين أن هذه القيمة قد بلغت ٠,٧١٢٩ وهى قيمة عالية المعنوية بدرجة كبيرة .

لما عن سلوك الطفل فى البيئة الخارجية (الرفاق ، الجيران ، المدرسة ،) فالجدول رقم (٨) يوضح ذلك .

جدول رقم (٨)

التطابق النسبي بين سلوك الطفل المعوق خارج المنزل مع الآخرين

المجموع	معاملة الآخرين للطفل المعوق		معاملة الآخرين المعوقين للطفل المعوق		معاملة الآخرين للطفل المعوق ملوك الطفل خارج المنزل
	غير منتمج	منتمج	غير منتمج	منتمج	
٧٥	٣٧	٣٨	٣٨	٣٨	عصبي
	٦٣,٢١	١٦,٧٨	٦٢,١٤	٦,٤٢	
٤٢	٢١	٢٠	٢٠	٢٠	منطوي
	٣٥,٠٤	٦,٠٦	٣٤,٠٨	٧,٠٢	
٢٢	١	١٠	١٠	١٢	مرح
	١٩,٣٨	٣,٦١	١٩,٠٥	٣,٩٤	
١٤٠	٥٩	١١	٥٨	١٢	المجموع

٢٤ الجدولية عند مستوى معنوية ٠,٠١ - د. ح (٦) = ١٦,٨١ .

٢٥ للمصوبة = ١١٥,٨٢ .

٢٦ يوجد فرق معنوي .

كما بلغت شدة العلاقة معياراً عنها بقيمة (T٢) ٠,٦٧٥ وهي قيمة تعني أن متغير معاملة الآخرين للطفل المعوق تفسر نحو ٦٧,٥٪ من التباين في سلوك الطفل خارج المنزل ، كما بلغت قيمة معامل كرتلر ٠,٧٧٢٦ وهي قيمة تعني وجود علاقة أكثر من معنوية بين المتغيرين السابقين .

وعلى هذا فهناك حاجة شديدة لجهود متخصصة تساعد على إدماج المعوق في البيئة المحيطة وضمنان تقبل الآخرين للأطفال المعوقين .

المستخلصات العامة والتوصيات :

- ١ - مازال الريف وفقاً لنسق الاعتقاد السائد والسلطات التي تشكل إستجابات أفراده تجاه الموانع يتف أتم مشكلة المعوقين ومواجهتها بأنماط سلبية فى مجملها تتراوح بين : التجاهل .. أو الشفقة والاستسلام .. أو عدم الأخذ الأمر بجدية إستجابة لبعض المظاهر المرضية التي تؤدي فى النهاية إلى الإعاقة .
- ٢ - ظاهرة الزواج المبكر .. لم يَحسَّس عنها الضوء بعد فى المناطق الريفية .. وعلى الرغم من تأثير ذلك على حجم السكان والتركيب السكاني كأحد معوقات التنمية فى المجتمع ، إلا أن خبرة الزوجين المحدودة تحول دون قيامهم بالإنتاج وتوفير الرعاية للألم بطريقة تضمن محدودية الإعاقة ، بل أنها تسهم بطريقة غير مباشرة فى مزيد من المعوقين جدد فى المجتمع .
- ٣ - يعتبر الزواج من الأقارب من أحد أسباب ظهور بعد الأمراض الوراثية التي تصل إلى حد الإعاقة .. ورغم ذلك ونتيجة لتأثير القيم الاجتماعية والضغط الاجتماعى الشديد فى القرية المصرية ، مازال هناك تحييد لهذا النمط من الزواج ويحصد فى النهاية المزيد من المعوقين ولا يسيل لمواجهة ذلك سوى العمل مع المجتمعات المحلية للتأثير فى نسق للقيم السائد وتغيير الاتجاهات .. مع توفير مفائد مقترحة للبدائل المطروحة (زواج الأقارب قد يكون غير مكلف لم الزواج من خارج الأسرة ومشكلة التكلفة فى ظل ظروف اقتصادية غير مواتية) .
- ٤ - المناخ الصحى العام (صرف صحى - مياه نقية ...) وتوفير الرعاية الصحية السريعة لمقابلة بعض الأعياب التي تؤدي إلى شلل الأطفال بالذات (الحميات) وعدم الوعي بخطورة بعض المظاهر المرضية وعلاجها بسطحية تؤدي إلى مخاطر التعويق .
- ٥ - ليست هناك أى دراسة أو معرفة لدى أسر المعوقين عن شخصية المعوق ومرود الشعور بالإحباط لديه ، وتفسير الإستجابة التي تختلف عن إستجابات للشخص العادى ، مما يزيد من الشعور بالإحباط لدى المعوق ، وهذا بالإضافة إلى إستجابة البيئة الاجتماعية خارج الأسرة .
- ٦ - إذا كان برنامج تنظيم الأسرة فى المجتمع المصرى بدأ يكون له صدى .. وهناك إقبال من الريفيات وخاصة فى المجتمعات شبه الحضرية كمجتمع الدراسة إلا أن استخدام الوسائل ، أو تناول بعض المعتقدات الطبية التي لها آثار جانبية على الجنين فى حالة حدوث الحمل مازالت تحتاج إلى مزيد من الجهد لدى الأسر الريفية .
- ٧ - تكلفة علاج ورعاية المعوقين غير حادية ، لا تتحملها ميزانية الأسرة فى المجتمعات النامية لذلك لا يكفى وجود مؤسسات لرعاية المعوقين أو لصرف الأجهزة التوزيعية أو مدارس متخصصة لتعليم الفئات الخاصة ، ولكن تكلفة هذه الرعاية تثيراً ، ففوق إمكانيات الأسرة .. ويكفى تكلفة إنتقال المعوق وأسرته من وعلى مركز رعاية المعوقين .
- ٨ - مازال المجتمع بشكل عام .. تغل مشكلة شديدة الإعاقة (من لا يستطيع تحفة نفسه) عبء كبير على الأسرة ويجب أن نجد وسيلة من تتمثل فى «مؤسسات إيوائية لمثل هذه الحالات .

٩ - ظاهرة التشوه في الأطفال نتيجة إجراءات متابعة الأم الحامل أو التوليد الأمن لها دور كبير في ظهور مشاكل الإعاقة ولذلك يجب الإسراع في مشروع " الصحة الانجابية " بوصفه مخططاً متكاملًا لرعاية الأم والطفل وضمان مزيد من الوعي بكل المتغيرات التي توفر طفولة قوية ومواجهة سليمة لمشكلات كثيرة من بينها مشكلة المعوقين .

مؤلف الخدمة الاجتماعية من رعاية الأطفال المعوقين :

• المعوق إنسان ...

أسرة المعوق ...

المحيطون بالمعوق ...

كل هذا يؤكد أهمية العلوم الاجتماعية ومن بينها الخدمة الاجتماعية التي تعمل مع الإنسان .. أينما كان .. وفقاً للاتجاه القلبي والتوجه العام الذي يحدد أهدافها من حيث الإيمان بقيمة الإنسان .. وأهمية المساعدة الذاتية .. وهذا يجعلنا نؤكد على حق المعوق .. وعلى العمل لتحويله من شخص عالة على المجتمع إلى شخص قادر على المساهمة الفعالة في الإنتاج داخل المجتمع أو على الأقل الحد من معاناته أو تحديد موقفه ليكون قادراً على إعالة نفسه على الأقل ... ويتحقق ذلك من خلال عدة محاور من بينها :

١ - الاهتمام بدعم الأطر النظرية ضمن مناهج إعداد الاختصاصي الاجتماعي وخاصة للعمل مع للمعوقين من الأطفال .

٢ - توفير فرص تدريب مناسبة لإكساب الاختصاصي الاجتماعي مزيد من المهارات في العمل مع المعوقين من خلال مؤسسات متخصصة ، ولها فاعلية في الأداء بالنسبة لهذا المجال .

٣ - تضمين دور الاختصاصي الاجتماعي في المدارس أساساً : لاكتشاف الإعاقة بين طلاب المرحل الدراسي الأولى وتوجيه الطالب وأسرتة نحو الله ، لذوى القنات الخاصة أو للمؤسسات التي ترعى هذه القنات .

٤ - تضمين دور الاختصاصي الاجتماعي في المستشفيات لأساليب العمل مع أسر المعوقين المترددين على المستشفيات لكيفية التعامل مع الأبناء ، وعند دورات تدريبية خاصة بذلك .

٥ - الاهتمام بالمزيد من البحوث الميدانية وعند المؤتمرات العلمية الخاصة بظاهرة المعوقين وتبادل الخبرات بين الاختصاصيين الاجتماعيين في هذا المجال .

٦ - يمكن أن تسهم الدراسات المتقدمة (دبلومات) في توفير كل جديد بالنسبة لمجال رعاية للمعوقين بالنسبة للخدمة الاجتماعية .

- ٧ - من أهم المجالات التي تحتاج إلى عمل الفريق .. مجال رعاية المعوقين .. لذلك يجب على المؤسسات التي تعمل في هذا المجال عقد لقاءات بين المشاركين لتحديد خطط العمل المشتركة .
- ٨ - أن الخدمة الاجتماعية شأنها في ذات شأن كافة التخصصات الاجتماعية تحتاج إلى تحويل الأطر النظرية وفي ضوء خبرة ممارسة وتوثيقها إلى الخروج بنماذج تهدف إلى نقلين الممارسة - توفر قدر من المرونة - مما ينافي بالممارسة عن الاجتهادات الشخصية .

استمارة بحث
عن الأطفال المعوقين بالقرية المصرية
" دراسة بقرية خورشيد "

- البيانات الواردة بهذه الإستمارة لن تستخدم إلا للأهداف العلمية ومكتول لها كامل السرية

- اسم المبحوث :
 ١ - سن للمبحوث :
 ٢ - عدد أفراد الأسرة :
 ٣ - سن الزواج للزوج :
 ٤ - مهنة رب الأسرة :
 ٥ - سن الزواج للزوجة :
 ٦ - شكل الإعاقة :

الحالة التعليمية لأفراد أسرة المبحوث	أمي	يقرأ ويكتب	تعليم أساسي	تعليم متوسط	تعليم جامعي
الزوج					
الزوجة					
الطفل المعوق					
باقي أفراد الأسرة					

- ٨ - الحيازة الزراعية :
 ملك
 أيجار
 مناصفة
 إجمالي
 ط ف
 ط ف
 ط ف
 ط ف
 ٩ - الحيازة الحيوانية :
 جالسوس ()
 أبقار ()
 لخرى ()

- ١٠ - نوع للسكن :
 بالطوب الأحمر ()
 بالطوب اللين ()
 بالطين ()
 نوعية أرضية الحجرات : تربية ()
 لسمنتية ()
 بلاط ()
 حنفيه خاصة بالمنزل ()
 حنفيه أخرى ()
 حنفيه عمومية ()
 حنفيه خاصة بالمنزل : نعم () لا ()
 الصرف الصحي : وجود صرف صحي بالمنزل : نعم () لا ()
 ١١ - الدخل السنوي للأسرة :
 أ - مصدر زراعي جنيه
 ب - مصدر حيواني جنيه
 ج - مصادر أخرى جنيه
 د - الإجمالي جنيه

- ١٢ - تقدر تقول لي يا حاج أنت متزوج من العائلة () خارج العائلة ()
 ١٣ - هل فيه حد من العائلة معوق بنفس إعاقة أبنتك : نعم () لا ()
 ١٤ - تقدر تقول لي نوع إعاقة أبنتك دي من الولادة () لم أنها غير تلك ()
 في حالة ما إذا كانت بعد الميلاد يسأل :
 هل تم عرض أبنتك على طبيب ؟ نعم () لا ()
 في حالة الإجابة بـ لا يسأل :

ما سبب عدم عرضه على الطبيب ؟

- قلة الدخل () كثرة الأولاد () البركة في أخواته ()
ما كنتش أحسب أن ده حايحصل ()

١٥ - تسأل الزوجة : هل كنت حامل في هذا الطفل وراغبة فيه : نعم () لا ()
في حالة الإجابة بـ لا تسأل الزوجة :

- هل تناولت مواعيد أثناء الحمل : نعم () لا ()
هل حاولت التخلص من هذا الجنين نعم () لا ()

١٦ - تحديد الطفل لاحتياجاته .

(يسأل الطفل إذا كان لديه فترة أو ولى أمره)

تقدر تقولى نفسك فى إيه ؟

- ألبس كويس () ألبس مع رفاقى ()
أوفر مصاريفى () أتعالج عند الدكتور ()
أروح المدرسة () أتعلم أى حرفة ()

- يسأل ولى أمر الطفل :

ليه يا حاج محفلتش للى نفسه فيه ليه ؟

- كثرة الأولاد () قلة الدخل ()
إرادة ربنا كده () حظه كده ()

١٧ - تقدر تقولى يا حاج أزاى تقدر نحقق لأبنك لاحتياجاته ؟

- ياريت يكون فيه مساعدة من الحكومة مالية () علاجية ()
- وجود أماكن للأطفال يلها فيها ()
- وجود ورش يتعلموا فيها أى حرفة ()
- وجود مراكز طبية للكشف عن الأطفال وهم فى سن مبكر ()

١٨ - سلوكيات الطفل المصعوق :

(لدخل المنزل) :

- بيعمل إيه الطفل مع أخواته فى البيت ؟ مرح () منطوى ()
عصبى ()

فى حالة ما إذا كان عصبى يسأل ما هى الأسباب ؟

أ - عدم اندماجه مع أخواته ()

ب - حبه للتملك لأى شئ مع أخواته ()

طيب سلوكك أنت إيه يا حاج معاه ؟

بأطيب خاطره : الزاى : أعطيه فلوس () العب معاه ()

باشترى له كل الى هو عايزه () مش قاضى له ()
مش مناهض على متطلباته () لحياتنا أكون حازم معه ()
(سلوك الطفل خارج البيت) :

- يعمل إليه الطفل لما يخرج للشارع ويلقى أطفال في عمره محوقين ؟

مرح () منطوى () عصبى ()

الأسباب :

طيب سلوكه إليه لما يلعب مع أطفال في عمره غير محوقين ؟

مرح () منطوى () عصبى ()

الأسباب :

١٩ - كلمة أخيرة تحب تهمس بها فى أذن المسئولين بخصوص أبنك واللى زيه من أبناء القرية :

١ - ٢ -

٣ - ٤ -

٥ - ٦ -

مراجع الدراسة :

- ١ - فتحي عبد الرحيم ، قضايا ومشكلات في سيكولوجية الاعاقة ورعاية المعوقين ، النظرية وتطبيق ، الكويت ، ١٩٨٢ .
- ٢ - الهام مصطفى عبيد ، دراسة تحليلية لمدارس تربية المتخلفين عقلياً في مصر ، دكتوراه الفلسفة في التربية ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٢ .
- 3 - Steven Vago, Social Change, New Jersey, Englewood Cliffs, 1980 .
- 4 - Alexander, J.L., & Fuhree, M.J. Functional Assessment of individuals with physocial imairments, in A.S.Halpern & M.J.Fuhrer (Eds), Functional assessment in pehabilitation, Baltimore, Paul H. Brookes Publishing, 1984 .
- 5 - Wood, P.H. & Badley, E., People with disabilities Toward a quiring information wich reflects more sensitively their problems and needs- N.Y., World rehabilitation Fund, 1980 .
- 6 - N.A.S.W., Encyclopedia of Social Work, N.Y. 1971 .
- ٧ - محمد عبد الستار بدر ، الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيل ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧١ .
- ٨ - محمد يحيى عوين ، لتحليل الاقتصادى للكني ، المؤلف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- ٩ - نبيل السملوطى ، علم اجتماع التنمية ، دراسة في لاجتماعيات العالم الثالث ، الهيئة المصرية لعامة للكتاب ، اسكندرية ، ١٩٧٤ .
- 10 - Freud, S., New Intriduction to Psycho-analysis, N.Y. Norton, 1930 .
- 11 - Adler, A., What life shood mean to you, Boston, Little, 1931 .
- 12 - Jackson, L. (ed), Aggression and its interpretation, London, Mathuerm 1954 .
- 13 - Horney, K., New Ways in Psycho-analysis, London, Kegan Paul, 1939 .
- 14 - Dollard, J., (ed), Frustration & Aggression , London, Kegan Paul, 1944 .

المرأة اليونانية هذا المخلوق الضعيف
بين الموروث الحضارى وعلماء الطب

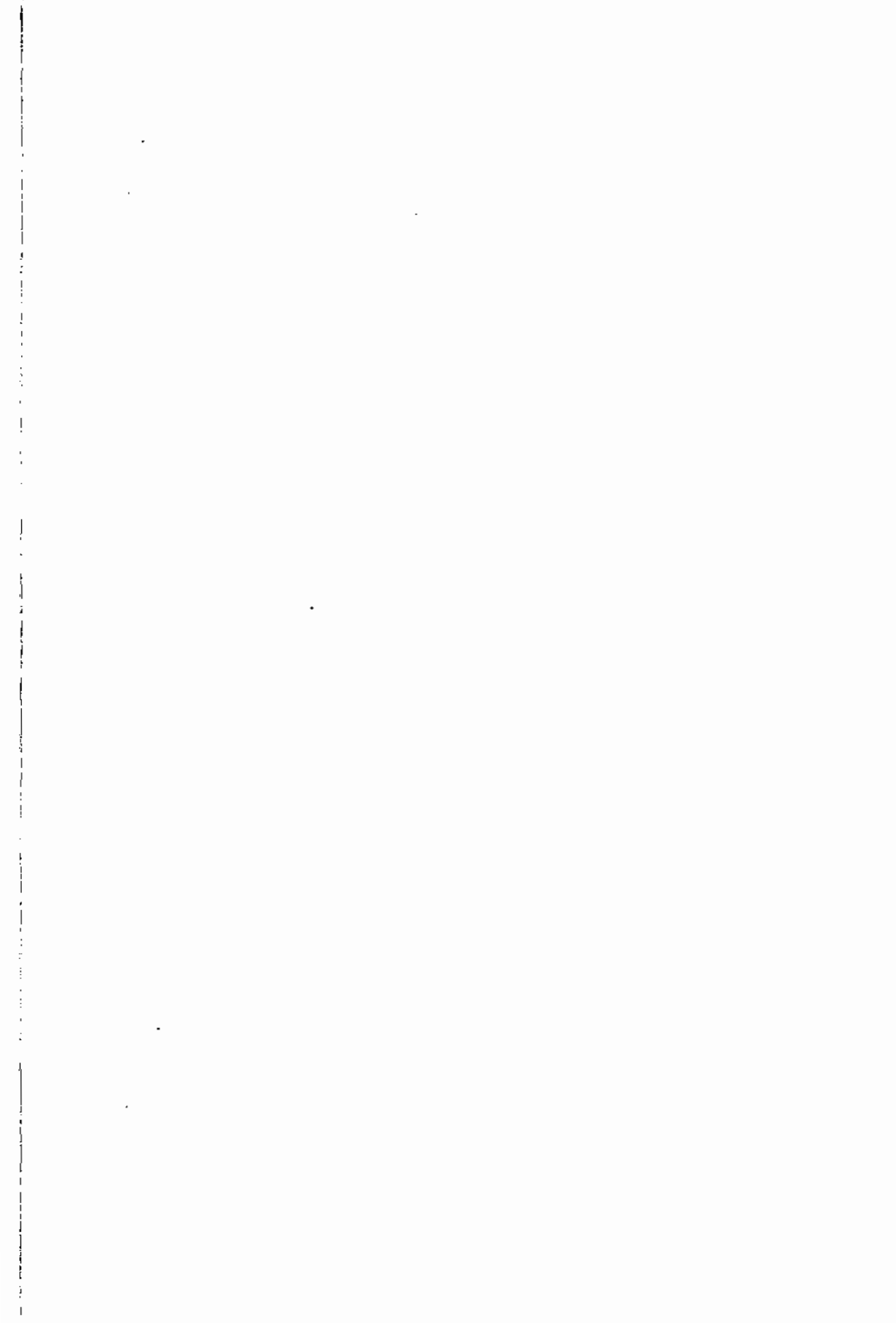
د. سلوى محمود نصر

جامعة الإسكندرية

كلية الآداب

قسم الآثار والدراسات اليونانية الرومانية

١٩٩٥



المرأة اليونانية هذا المخلوق الضعيف بين الموروث الحضارى وعلماء الطب

سلوى محمود نصر

إنحسر دور المرأة فى المجتمع اليونانى فى العصر الكلاسيكى فى نطاق المنزل والأسرة، فمجتمع اليونان القديمة كان مجتمع رجال بالدرجة الأولى، لم يكن للمرأة فيه دور بارز أو مؤثر بشكل مباشر على أكل تقدير. ومع ذلك فهذا لايعنى أن المجتمع اليونانى خلا تماما من نماذج لشخصيات نسائية قوية ومؤثرة، مثل التى صورها شعراء الملحم أو كتاب المسرح، ومنها على سبيل المثال لالاحصر، أندروماخى، إليكترا، كليتمسترا، ليمستراتى وبراكساجورا، تلك الشخصيات التى لم تكن كلها من صنع خيال هؤلاء الشعراء، فبعض منها كان يعبر عن أنماط لشخصيات نسائية موجودة بالفعل فى داخل هذا المجتمع. ولكن مثل هذه الشخصيات كانت بلا شك تمثل الإستثناء، فى مقابل القاعدة العريضة التى تمثلها المرأة المستكنة ربة المنزل والأم، وهى النموذج الذى تبنى به هذه الدراسة فى المقام الأول، ولتت على الرغم من أن دورها فى هذا المجتمع كانت له حدوده المحسوبة والمعترف بها، إلا أنها كانت من أكثر الموضوعات التى حظيت بدراسات لاحصر لها، كانت تدور فى معظمها، وحتى وقت قريب فى نطاق المنزل والأسرة وتربية الأطفال.

وبالرغم من أن دور المرأة فى هذا المجتمع، كانت له حدوده المحسوبة والمعترف بها، إلا أن موضوع المرأة كان من أكثر الموضوعات التى حظيت بدراسات لاحصر لها، كانت تدور فى معظمها، وحتى وقت قريب، فى نطاق المنزل والأسرة وتربية الأطفال (١).

ولكن العصر الهيلينى كان هو العصر الذى صاحبه تغير ملحوظ فى وضع المرأة اليونانية، التى بدأت فى الإعلان عن تولدها فى الساحة، وأصبح لها دور وكيان لا يمكن إغفاله، سواء على مستوى مجتمعها الصغير الذى تمثله أسرته، أو على مستوى المجتمع الموسع بصفة عامة، حيث مارست المرأة العديد من الأعمال العامة، وحيث برزت نماذج لنساء فى مجالات متعددة (٢).

ومع ذلك فهذا التخير في وضع المرأة الذي واكب العصر الهيلينستي، لم يأتى نتيجة لتخير مفهوم الرجل تجاه المرأة، ونظرتة لها على أنها أضعف من أن يكون لها دور إيجابى فى هذا المجتمع، فقد ظل الرجل اليونانى على موقفه المتشدد تجاه المرأة، متأثراً بمفهومه للموروث الحضارى المتأصل فيه. ولكن ظروف العصر الجديد، والمد الحضارى، والإفتتاح على العالم الخارجى، فرضت نفسها، وخصوصاً فى مجال التعامل مع الممالك الهيلينستية، التى حفظت بعض مجتمعاتها للمرأة حقوقها وكيانها، سواء على مستوى الحكام أو على مستوى القاعدة، ومثال على ذلك مصر (٣).

وبناء على ذلك فموضوع هذه الدراسة هو عرض لأسباب تخرج عن النطاق التقليدى الذى يمثله الموروث الحضارى فى مفهوم الرجل اليونانى المتشدد تجاه المرأة، وهو موضوع لعدد من الدراسات المحدثة، التى إتخذت محورا لها، قضية طبية، ربطت فيما بين تراجع دور المرأة فى هذا المجتمع فى العصر الكلاسيكى، وبين تكوينها الجسمانى والنفسى الأكثر ضعفاً من الرجل (٤).

وجدير بالذكر أن هذه الدراسة تعتمد بشكل كبير على مصدرين أساسيين تناولوا بالتفصيل التشريح الفسيولوجى لجسم المرأة، ومواقع الضعف فيه التى أشار إليها علماء الطب اليونانى، حيث يختص المصدر الأول بأمراض النساء لهيبوكراتيس، وهو عبارة عن مجموعة من الأبحاث العلاجية للنظرية، كتبت فيما بين الربع الأخير من القرن الخامس، ومتنصف القرن الرابع ق.م.، حيث تتسبب هذه الأبحاث إلى عدد من المؤلفين، الذين بالرغم من توافقه فى معظم الأحيان، إلا أنهم كانوا يختلفون فى رأى فى بعض القضايا فى أحيان أخرى، ولكنهم فى النهاية يشكلون كياناً واحداً، خصوصاً فى مجال المقارنة مع المصدر الثانى الذى يتعلق بمجموعة أعمال فى علم الأحياء لأرسطو، منها على سبيل المثال "Historia Animalium" الذى يعالج فيه أرسطو عدد من الموضوعات التى ترتبط بحياة الحيوانات وتصنيفها، وسلالاتها، وأجزائها العضوية، هذا إلى جانب دراسات أخرى تنتمى إلى نفس المجموعة، منها ما يتعلق بالروح "De Anima" ومنها أيضاً ما يتعلق بتفسير الأحلام، ويرجع تاريخ هذه المجموعة إلى حوالى الشطر الأخير من القرن الرابع ق.م. (٥).

ولكن قبل المضى فى استعراض بعض أمثلة لما إعتبره هؤلاء العلماء نقاط ضعف فى التكوين الجسمانى، ومن ثم النفس للمرأة؛ يجدر بى التوقف والتتويه بوضع المرأة من مفهوم هذا الموروث الحضارى وشواهد، التى منها على سبيل المثال لا الحصر، ما ورد فى ملحمتى الأعمال والأيام، وأنساب الآلهة لهزيودوس، حيث يوضح أن الآلهة خلقت الرجل فى البداية، ثم منحت المرأة (٦).

النص:

“... θαῦμα δ' ἔχ' ἀθανάτους τε θεοὺς θνητοὺς τ' ἀνθρώπους,
ὥς εἶδον δόλον αἰπὺν, ἀμήχανον ἀνθρώποισιν.
[Ἐκ τῆς γὰρ γένος ἐστὶ γυναικῶν θηλυτεράων.] 590
Τῆς γὰρ ὀλώϊόν ἐστι γένος καὶ φύλα γυναικῶν,....”

وهى القصة التى ترددت عبر العصور بشكلها الأسطورى، الذى تحول فيما بعد إلى مضمون دينى كما جاء فى الإسلام على سبيل المثال (٧).

أو كما يوضح هزيودوس فى أنساب الآلهة بالذات، حيث يتحدث عن المرأة على أنها الأنثى والزوجة التى تعيش مع معشر الرجال لتلحق بهم الأذى، فلا نفع لهن مع النفاق، ولكنهن على استعداد للمشاركة فى الثروة، مشبها إياهن بجموع نحل العسل، التى تعمل فيها الشغالات لتمتلى بطون من يقعون فى المستودع، بإنتاج ومجهود خيهم، وهكذا النساء فهن وبأل على الرجال ومتأمرات فى

المشر (٨).

“... πῆμα μέγ' αἱ θνητοῖσι μετ' ἀνδράσι ναιετάουσιν
οὐλομένης πενίης οὐ σύμφοροι, ἀλλὰ κόροιο·
ὥς δ' ὅπότε ἐν σμήνεσσι κατηρεφέεσσι μέλισσαι
κηφίνας φόσκεισι, κακῶν ξυνήοντας ἔργων· 595
αἱ μὲν τε πρόπαν ἥμαρ ἐς ἥλιον καταδύντα
ῥμάπαι σπεύδουσι τιθεῖσσι τε κηρία λευκά,
οἱ δ' ἔντοσθε μένοντες ἐπηρεφέας κατὰ σίβλους
ἀλλότριον κάματον σφετέρην ἐς γαστέρας ἄμυνται·
ὥς δ' αὖτως ἀνδρεσσιν κακὸν θνητοῖσι γυναῖκας...” 600

النص:

وفى هذا الصدد، ففكرة خلق المرأة بعد الرجل، ترددت فى القصص اليونانى، إلا أنها تراجعت فى فترة ما، أمام مد الفلسفة الطبيعية، التى ظهرت فى منطقة أيوتيا فى القرن السادس ق.م، فى الوقت الذى لم تعد فيه الأساطير بشكل عام تكتفى لإعطاء التفسير المنطقى المقبول لخلق العالم (٩).

هذا من جانب، ومن جانب آخر وفى إطار الحديث عن مضمون الموروث الحضارى اليونانى المتشدد تجاه المرأة، نجد أن هذا المضمون يستند فى الأساس على اختلاف الشكل الخارجى للمواصفات الجسدية فى وضعها المثالى للرجل والمرأة، بحيث تصبح هذه المواصفات المثالية هى النموذج المعتمد، وأى اختلاف عن ذلك يعتبر خروجاً عن القاعدة، التى بموجبها يتم التصنيف، الذى يرتبط إلى حد كبير جداً بالسلوك، ومن ثم يتحدد على أساسه الدور المنوط بكل من الجنسين فى المجتمع. حيث حصر دور الرجل فى الخارج المنزل أو المدينة، بينما كان دور المرأة بين جدران المنزل وفى حدود الأسرة، وهو دور لا يمكن بأى حال الإستهانة بأهميته، بل إن المرأة تستطيع من خلاله أن تثبت وجودها وتحقق ذاتها، إذا ما أدته على الوجه الأكمل. وبالرغم من ذلك ظلت وفقاً للمفهوم التقليدى، فى مرتبة أقل من الرجل، تعتمد عليه، ومسئولة عنه، وذلك على اعتبار أنها غير قادرة على عدد من الممارسات التى تتطلب مجهوداً عضلياً (١٠).

هذا ونستطيع أن نرى هذا المضمون يتكرر عند كسنوفون على لسان بطله إيسخوماخوس، حيث يرى أن الطبيعة قد حددت لكل جنس دوره فى الحياة، وإنه لمن الأوفق أن يلتزم كل منهما بالدور المنوط به، والمجال الوحيد الذى تفرد به المرأة من وجهة نظره، هو حضانتها للمولود، والمحافظة على ممتلكات الأسرة، وهذا فى حد ذاته - حسب قوله - أمر ليس باليسير "οὐ κακίον ἐστὶ" (١١) هذا بالرغم من أن هذه الخاصية الأخيرة، وهى المحافظة على ممتلكات الأسرة، ليست بمستحيلة على إكانيين الرجل، الذى يستطيع أن ينهض بالمهام المنزلية الأخرى التى تقوم بها المرأة، بنفس القدر من الجودة، بل إن إيسخوماخوس نفسه يبدو فى الموقع الذى يقوم هو فيه بتدريب زوجته على التفاوض بأعمال المنزل، وهذا إن دل على شئ، فهو يدل على أن كسنوفون لا يجد غضاضة فى أن يقوم الرجل وقت الحاجة بالمهام المنوطة بالمرأة (١٢).

هذا وفى إطار الحديث عن أهم نقاط الضعف فى جسم المرأة، التى توافق فيها رأى كل من الهيبوقراطيين من جانب وأرسطو من جانب آخر، وعلى الرغم من أننى لست هنا بصدد بحث نقاط الاتفاق والاختلاف بين الطرفين، فمع ذلك يجب الإشارة على أقل تقدير إلى أنه بالرغم من اختلاف التفاصيل، وطريقة تناول التى إتبعها كل من الطرفين، إلا أن مفهوم الموروث الحضارى اليونانى، كان الأساس المشترك الذى إنطلقا منه، وقادهما لنفس النتيجة التى تتلخص فى كون المرأة مخلوقاً ضعيفاً بطبيعته عن الرجل.

وكما كان الأساس الذى انطلق منه كل من اليبوقراطيين وأرسطوا واحدا، كانت هناك أيضا بعض المبدئيات التى لم يكن هناك مجالا للاختلاف فيها بينهما، ومنها على سبيل المثال، قضية اختلاف الشكل الخارجى فيما بين الرجل والمرأة، الذى لا تتضح معالمه إلا عند سن البلوغ، عندما يبدأ كل جنس فى الإعلان عن خصائصه التى تختلف عن الجنس الآخر، وتبدأ الأعضاء المختلفة فى أداء وظائفها، التى على أساسها تحدد نقاط القوة والضعف، علما بأن البوارى الحقيقية لهذا الاختلاف من المفروض أنها تبدأ فى المرحلة الجنينية (١٣).

أما بالنسبة لنقاط الضعف، فأول وأهم عناصرها من وجهة نظر هؤلاء العلماء، هو ما يختص بقضية الحيض، حيث توصلوا إلى تشخيص موداه، أنه فى سن البلوغ تتسع المسام "ἀραιαὶ" ليصبح جسم المرأة أسفنجيا وممتلئا (١٤).

"σπογγώδες ἀραιαὶ καὶ πλόνες"

وذلك استعدادا لامتصاص الدم الزائد من معدتها، والذى يتحول بدوره - حسب الاعتقاد الذى كان سائدا - من الغذاء المخترن. هذا فى الوقت الذى نجد فيه أن طبيعة جسم الرجل غير المسامية لا تمتص للسوائل الزائدة فى الجسم، حيث تقوم الغدد بهذه المهمة، التى لا تبدأ فى أداء وظائفها فى جسم الرجل، إلا بعد أن يكون قد استنزف معظم رصيدة من السوائل فى المجهود العضلى الشديد. وبما أن الأنثى فى مرحلة النضوج الحقيقية، ولا تستطيع أن تطرح جسدها ليقوم بنفس المجهود العضلى الذى يقوم به الرجل، فهى أضعف منه (١٥).

وإذا كانت هذه القاعدة العامة، فهناك بالضرورة إستثناء لهذه القاعدة، حيث نجد مثلا فى عدد من المجتمعات القديمة وعلى رأسها بلاد اليونان، أو حتى فى مجتمعات العصور الوسطى التى عرفت الرق والعبودية، حيث كانت تقوم فيها الإماء بمجهود عضلى كبير، لا يقل بأية حال عن قدرة الرجل إن لم تفقها فى بعض الأحيان.

هذا وفى إطار الحديث عن التأثير السلبى لحيض على الناحية العضوية فى المرأة، نجد أرسطو الذى يرى أن تكافؤ دم البض هو سبب المباشر فى إعتلال صحة المرأة وسحبها، وبالتالي فهى تبعد عن الصحة المثالية التى يتمتع بها الرجل (١٦)، بل ويذهب أرسطو إلى أبعد من ذلك، عندما يعقد مقارنة بين المرأة وأنتى الحيوانات، بل ويعتقد أيضا أنه إذا كان

الذكر عموماً في كل جنس يتفوق فيسيولوجيا على الأنثى، فإن المعدل يكون أكثر ارتفاعاً فيما يخص البشر (١٧).

كان هذا فيما يخص تأثير السليم. للحوض في الناحية العضوية للمرأة، أما فيما يخص الناحية النفسية، حيث يرى هؤلاء العلماء أن جسد المرأة الضعيف بالقطرة يجعل للحوض تأثيراً سلبي على مشاعر المرأة وأدائها الذهني، وإتقانها العقلي، ومن ثم يصبح دورها في المجتمع دور ثانوي محدود (١٨).

وحديث علماء الطب اليونانيين عن قضية الحيض كواحدة من أهم نقاط الضعف في جسم المرأة، لم يتوقف عند حد السليبيات، ولكنه تطرق لعدد من الإيجابيات التي كان أهم محور لها هو العامل الذي جعل من المرأة ضرورة لاغنى عنها في هذا المجتمع، وهو إمكانية التماسك، وهي وظيفة الحيض كما يرى أرسطو (١٩)، أو مجموعة هيبوكراتيس، الذين يرون أن تخلص جسم المرأة من الأشياء الزائدة عن طريق الحيض مرة كل شهر، لهو كفيلاً بحمايتها من الأمراض، وهو ضمانها الوحيد للتمتع بصحة جيدة (٢٠).

هذا ولا يكتمل الحديث عن التماسك إلا بذكر العضو الأكثر أهمية في جسم المرأة المعنى بهذه الخاصية وهو الرحم، الذي عده علماء الطب اليوناني نقطة للضعف الثانية بعد الحيض عند المرأة، وهو العضو المسئول عن إمتصاص السائل من بقية أجزاء الجسم المسامية الإسفنجية - التي سبقت الإشارة إليها - ثم تفريغها على هيئة دم الحيض، وإذا عجز الرحم عن أداء هذه المهمة، مما يؤدي إلى إحتجاز الدم في جسد المرأة، الذي إذا طال مدة إحتباسه دون سبب وجيه مثل الحمل، من الممكن أن يكون أذى. هذا بالإضافة إلى أن رحم المرأة التي سبق لها الإنجاب، تسهل مهمة الحيض الذي يجد طريقة بلا عقبات، مهما كان كমে قليل (٢١).

ولكن السبب الأساسي الذي جعل هؤلاء العلماء يعتبرون الرحم نقطة ضعف في جسم المرأة، هو اعتقادهم بأن الرحم لو لم يرتكز في الجسد بسبب الحمل أو الإشباع المنتظم، فهو يجف ويصبح عرضة للإنبذاب نحو الأعضاء الرطبة في الجسم مثل الكبد أو المثانة أو المستقيم، وتكون إمكانية حركة الرحم أكثر سهولة إذا كانت المدة فارغة، بحيث لا تعترض طريقة (٢٢)، ولذلك فإن الفتيات

الصغيرات والأرامل والنساء اللاتى يقتدن الإشباع المنتظم، يكن عرضة أكثر من غيرهم لتغير مكان الرحم، الذى يطلق عليه فى هذه الحالة "الرحم الهائم" ويعد أفلاطون أهم من روج لهذه الفكرة فى محاوره تيمايوس (٢٣).

وكما كان للجانب السلبى فى الحيض يتمثل فى إعتلال صحة المرأة وضعفها، كان أيضا الرحم الهائم، الذى اعتبره علماء الطب اليونانى تعليلا مناسباً للعديد من الأمراض التى تعاني منها المرأة، فهو يقتد المرأة المقدرة فى السيطرة على أنوثتها، وذلك على اعتبار أن نظرية الرحم الهائم تعطى الإنطباع انه دون تدخل الرجل بصفته كطبيب أو بصفة المعاشرة، يظل هذا الرحم عامل ضغط على المرأة، يؤثر على حياتها ونفسيتها (٢٤).

الجزئية الثالثة التى اعتبرها علماء الطب اليونانى ضمن نقاط الضعف فى جسم المرأة بعد قضيتى الحيض والرحم، هى الثدي الذى يعد ضمن الغدد، التى يختلف حجمها فيما بين الرجل والمرأة، وبناء على ذلك اعتبر مؤشرا آخر على مدى التراخى الذى إتصف به جسم المرأة (٢٥). والثدى هو أحد الأعضاء التى لا تتضح أوجه الخلاف فيها بين الرجل والمرأة إلا عند سن البلوغ، حين يبرز، بالنسبة للمرأة على وجه الخصوص، وعندما يتكون فيه اللبن، وهو الأمر الذى لا يحدث بالنسبة للرجل، نظرا لطبيعة جسده المحكم. ولكن مكن الضعف فى هذه الغدة بالنسبة للمرأة، كما شخصه علماء الطب اليونانى، يأتى على اعتبار أنه الجزء الذى يجعل المرأة عرضة أكثر من الرجل للتصرف غير العقلانى، وذلك نظرا لأن ثدى المرأة يعتبر من أهم مراكز الشعور بالنسبة لها، الذى يتأجج فيه الدم فى حالة الغضب (٢٦).

يتضح مما سبق أن محاولة علماء الطب اليونانى، إبراز نقاط الضعف فى جسم المرأة، أعطت الواجهة العلمية لمفهوم الموروث الحضارى المتأصل عن ضعف المرأة كمخلوق، يأتى فى المرتبة الثانية بد الرجل. وبالرغم من ذلك فليس من المستبعد أن يكون إحساس هؤلاء العلماء بأهمية المرأة فى هذا المجتمع، من واقع إمتلاكها خاصية التماسك - كما سبق وأوضحت - هى التى دفعتهم الى المبالغة فى إظهار وتجسيم نقاط الضعف فيها، لكبح جماحها ووضعها فى إطار ضيق لا يستطيع منه فككا، خصوصا لو عرفنا أن تاريخ بلاد اليونان مرت عليه فترات تنرق فيها تعداد

للنساء على الرجال، بالذات في أعقاب الحروب الكبرى، التي كانت تأتي على أعداد كبيرة من الشباب والرجال.

رأى أن حرص هؤلاء العلماء على إثبات هذا المفهوم، هو الذي أوقعهم في بعض الأحيان في عدد من الأخطاء، وهو أمر طبيعي ووارد بالقياس لظروف العصر وإمكاناته المتاحة، ولكن البعض قسر ذلك على أنها مغالطات، فقامت إلى الاعتقاد بأنهم كانوا يطوعون معلوماتهم في طب النساء لخدمة هذا الهدف، والأمثلة على ذلك كثيرة، أنتفى منها مثلاً رأى أرسطو فيما يخص عدد الثنايا الموجودة في جمجمة الرجل، التي تفوق مثلثاتها لدى المرأة، وذلك على اعتبار أن مخ الرجل أكبر حجماً من مخ المرأة، ولذلك فهو في حاجة إلى مزيد من التهوية التي توفرها تلك الثنايا (٢٧). هذه النظرية التي استمرت حتى إلى عصرنا الحالي، بالرغم من تغير ظروف العصر والإمكانات المتاحة، حيث ساد الاعتقاد أن رأس الرجل أكبر حجماً من رأس المرأة، وبالتالي فحجم مخ الرجل يفوق المرأة، ولذلك فهو يتمتع بنكاه أكثر من المرأة. مع أن الثابت أن عدد الثنايا واحد لدى الجنسين. هذا بالإضافة إلى أن أرسطو كان يهتم فيما يخص التشريح الفسيولوجي للمرأة بالجانب النظري فقط، دون الممارسة العملية أو العلاجية.

مثال آخر من نفس النوعية يسوقه أرسطو أيضاً، عندما يذكر أن الرجل لديه عدد أكبر من الأسنان عن المرأة (٢٨)، حيث يربط بين تلك وبين طول عمر الرجل، الذي على حد تفسيره، يكون له القدرة على مضغ الطعام مضغاً جيداً، ومن ثم تكون قدرته على الهضم أفضل. وهو خطأ من جانب أرسطو لأنه من المعروف أن كل جنس يتمتع بنفس عدد الأسنان على الأقل في البداية (٢٩).

هذا بالنسبة لبعض الأمثلة الخطأ التي وقع فيها أرسطو، أما بالنسبة للهيپوقراطيين، فمن الممكن أن وقعهم في عدد من الأخطاء يرجع إلى أنهم كانوا لا يترددون في الربط بين معلوماتهم عن التشريح الفسيولوجي للحيوانات الثديية والمرأة، بالذات عندما كان يتعذر وجود مثال بشري حي لديهم أو طالما لم يتوفر لديهم ما يثبت العكس (٣٠).

هذا من جانب، ومن جانب آخر، فجزء من معلوماتي فيما يخص طب النساء كانوا يستقونهم من بعض النسوة اللاتي تطوعن بوصف ما يعترين من أعراض، مثلا بسبب عدم ثبات الرحم، وذلك مثل الإحساس بالإختناق "Prux"، الأمر الذي كان من الممكن أن يؤدي في بعض الأحيان إلى عدم دقة المعلومات، خاصة إذا لم تكثر بالفحص الإكلينيكي.

يتضح مما سبق، مدى تأثير علماء الطب اليوناني بمضيق الموروث الحضاري عن ضعف المرأة، هذا المضمون الذي كان يشكل بالضرورة جانباً كبيراً من كيان هؤلاء العلماء الفكري والوجداني، فجاءت نظرياتهم الطبية عن نقاط ضعف المرأة تأكيداً لهذا المفهوم، ورغبة في استمرار وضع المرأة ودورها المحدد في المجتمع اليوناني على ما هو عليه، فكان هذا هو الإطار الذي تحركوا في حدوده، دون أن تتخذ محاولتهم هذه موقف العداء من المرأة، كما فعل غيرهم من العلماء والمفكرين (٣١).

- (١)
- Marilyn B. Arthur, "The origins of the Western Attitude toward women". The Arethusa papers, State University of New York press, Albany, 1984. p.9, p. 13
- بعض المراجع الأخرى التي تناولت موضوعات تخص المرأة في المجتمع، وشئون المنزل والأسرة:
- R. Just, Women in Athenian Law and life, London, 1989.
 - W.K. Lacey, The family in Classical Greece, Cornell University press, New York, 1984.
 - C.B. Paterson, "Marriage and the Married Women in Athenian Law", Women's History and Ancient History, the University of Carolina press, 1991.
 - S.B. Pomeroy, Women in Hellenistic Egypt from Alexander to Cleopatra, New York, 1984.
 - Eva Cantarella, Panadora's Daughters, The Johns Hopkins University press, 1987.
- (٢)
- Cantarella (1987), p. 90, p. 97; W.W. Tam and G.T. Griffith, Hellenistic Civilization, London, 1952, p. 99.
- (٣)
- Pomeroy, 1984, p.91, pp. 96-97; Lacey, 1984, pp. 164-167; Cantarella, 1987, p.90; Pomeroy, Goddesses, Whores Wives, and Slaves, Women in classical Antiquity, New York, 1975, p. 130.

(٤) نماذج لدراسات محدثة حول هذا المفهوم :

- Stephan Joy Gould "Women's Brains" in the panda's thumb: More reflections in Natural History (New York: W.W. Norton 1982).
- Stephan Joy Gould, The Mismeasure of Man (New York: W.W. Norton, (1981).
- Anne Fausto - Sterling, Myths of Gender (New York: Basic books, (1985).
- G.E.R. Lloyd, Science, Folklore and Ideology (Cambridge: Cambridge University press, 1983).

(٥) راجع الدراسات القائمة لهذه المصادر:

- Ann Ellis Hanson, "Continuity and Change: Three case studies in Hippocratic Gynecological therapy and theory", Women's History and ancient History, The University of North Carolina press, 1991, pp. 73-79.

- Hesoid, Works and Days, 60-95, Theogony, 570-616. (٦)

(٧) - عن أسطورة خلق حواء يُنادورا عند اليونان "لَتِي لَتِي بكل الشرور وأصبحت مصدرا لها، ونفس الفكرة نجدها في الكتاب المقدس وفي التوراة.

- Genesis 2-4-25, 3.1-22.

أما بالنسبة للدين الإسلامي فقد خلقت حواء من ضلع آدم.

- سورة الأعراف آية ١٨٩، سورة النساء آية رقم ١.

راجع أيضا الحديث الشريف الذي يدور حول نص المعنى رقم ٣٣٣١، صحيح البخاري، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُستوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء"

Hesiod. Theo.. 590-602.

(٨)

راجع الدراسة القائمة على هذا الموضوع:

- Linda S. Sussman, "Workers and Drones; Labor. idleness and Gender deffinition in Hesiod's beehive." the Arethusa papers, 1984. pp.79-89.

راجع أيضا:

- Marylin B. Arthur, op. cit. pp. 19-21, pp. 23-26.
- Lesely Dean - Jones "The Cultural constreut of the female body in classical Greek Science". Women's History and ancient History, 1991, p.112. (٩)

(١٠) - نفس المرجع السابق، ص: ١١٢-١١٣.

- Xenophan, Oeconomicos, 7.22-30. (١١)

(١٢) - نفس المصدر السابق، ٩-٢٢.

- Arist., G.A. 765 A35 - 766 B10, 728 B22-32, 728 A17. (١٣)

- Diseases of Women (DW), 101 (= 8:2). (١٤)

منقول في:

- Lesley Dean - Jones, op.cit., p. 114

(١٥) - عن القدد: نفس المصدر السابق.

- DW, (= 8.556).

منقول من نفس المرجع السابق.

- Arist., G.A., 727 A 22 - 25. (١٦)

- Arist., G.A., 728 B 10- 15. (١٧)

- Lesley Dean - Jones, op. Cit., p. 119. (١٨)

- Arist., G.A., 727 A 22 - 25. (١٩)

(٢٠) -- نفس المرجع السابق.

Affections 30 = 6: 228; Internal Affections, 30 - 34. 244-52; (٢١)
DW 1.1 = 8 = 10.

منقول في:

- Lesley Dean - Jones, op. Cit., p.120, Not., 43, 44.

- Ann Ellis Hanson, op. Cit., pp. 81 - 87. (٢٢)

راجع أيضا:

Dw. 1-7 (C) = 8 = 32. 1-12.

منقول في نفس المرجع السابق.

- Plato, Timaeus, 19B - D. (٢٣)

- Arist., Hist., An., 582 22-26; Lesley Dean Jones, op. Cit., p. 123. (٢٤)

نفس المرجع السابق ص: ١١٥. (٢٥)

- Epidemics, 2.6-19 (=5:136). (٢٦)

منقول في نفس المرجع السابق.

- Arist., PA 653 A 27-29; 653 B 1-3, Hist. An, 491 B 3-5. (٢٧)

- Arist., Hist., An., 50, B 20 - 24. (٢٨)

- Lesley. Dean - Jones, op. Cit., p. 126, p. 137. (٢٩)

- الباحثة ترى هنا فيما يخص هذه الجزئية أن أرسطو في معالجته لهذه القضية، لابد أنه اختار نماذج من نساء لها أوضاع خاصة، مثال على ذلك أن السيدات الحوامل اللاتي يفقدن قدر كبير من الكالسيوم أثناء الحمل فيعرضن لفقد أسنانهن في سن مبكرة، أو مثال آخر لنساء صغيرات في السن لم يكتمل نمو أسنانهن والمقصود بذلك ضرورس العقل وفي مقارنتهن بأزواجهن الأكبر منهن منا يبدو الفارق في أن عدد أسنان الرجل أكثر من المرأة. وبالتالي فهي نماذج لا يصح تعميمها مما أوقع أرسطو في الخطأ.

(٣٠)

نفس المرجع السابق، ص ١٠٠

(٣١)

- أمثله لنساء الذين كان لهم موقفا عدائيا من امرأة بصرف النظر عما قدموه من أسباب،

وممنهم على سبيل المثال: ألكسندر أبلاتون وسقراط.

راجع البحث القائم على هذه الفكرة.

- Dorothea Wender, "Plato: Misogynist paedophile, and Feminist,"

Women in the ancient world, The Arthusa papers, 1984,

pp. 213- 228.



37



38





1



1



1
15



16



1



18



19





1
23



24



33



34

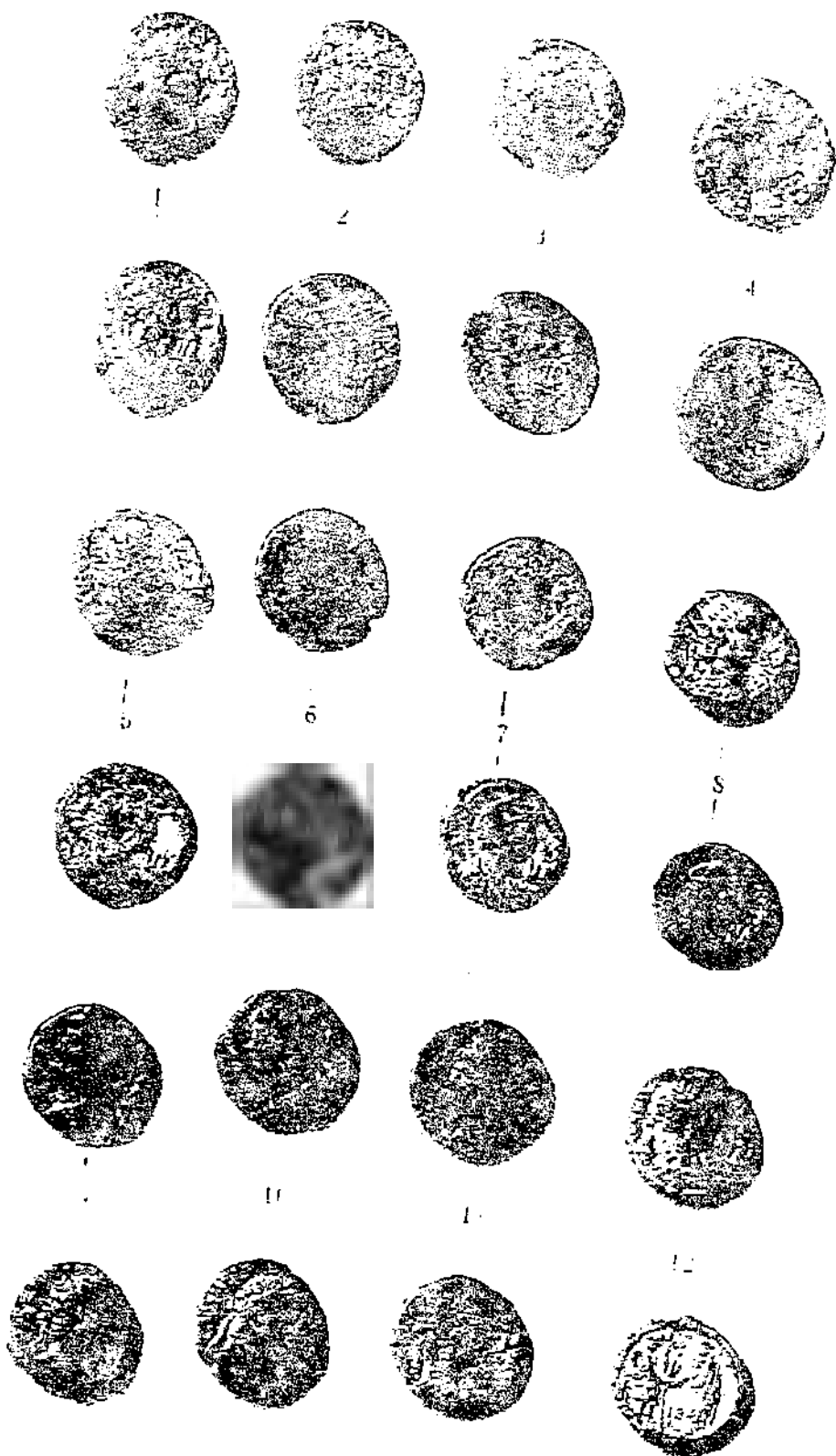


35



36





Type	Pose	Emperor	No.
Lion	leaping	Antoninus Pius	16
Nike	seated	Philip I	19
	flying	Philip I	22
Nilus	bust	Hadrian	14
	seated	Hadrian	15
Serapis	seated	Hadrian	13
Tiberius	head	Nero	8-11
Tyche	Standing	Maximian	37

Index of Reverse Types

Type	Pose	Emperor	No.
Alexandria	bust	Nero	1-7
	standing in group	Hadrian	12
	standing alone	Philip I	20
	standing alone	Diocletian	34
	standing alone	Maximian	36
Athene	seated	Philip I	17
Dikaiosyne	standing	Probus	31
Eagle	wings open	Valerian	23
	wings open	Salonina	26
	with palm	Gallienus	24
	with palm	Probus	33
	With head turned back	Claudius II	27
	With head turned back	Aurelian	28,29
	With head turned back	Probus	32
Elpis	standing	Tacitus	30
	standing	Maximian	35,38
Helios	bust	Philip I	21
Homonoia	standing	Philip I	18
	standing	Gallienus	25

- 35- For the numerous and various types of Nike see Milne, op. cit. pp. 142 - 143.
- 36- Milne, op. cit. pp. 142 - 143.
- 37- Marie-Odile Jentel, Neilos, in "LIMC" VI, I. Munich, 1992, pp. 720-726.
- 38- Milne, op. cit. pl. IV, no. 1095.
- 39- Dattari, op. cit. pl. xx, no. 2781; Milne op. cit. pl. III, nos. 2860 - 2861.
- 40- Poole, op. cit. p. lv, Milne, op. cit, p. 149.
- 41- Poole, op. cit. p. lv.
- 42- Milne, op. cit. pp. xxxiii - xxxiv.
- 43- Poole, op. cit. p. xxxii.
- 44- Vogt, op. cit. p. 115; Poole, op. cit. pp. lvi-lvii.
- 45- E.A. Wallis Budge, the Gods of the Egyptians, Vol. 2. New York 1969, p. 360.

- 17- Milne . op. cit. pp. 151 ff.
- 18- Ibid, pp. 151 - 153.
- 19- Vogt, op. cit. p. 21.
- 20- Milne, op. cit, nos. 2632-2636.
- 21- Helene Cassimatis , Athene , in "Lexicon Iconographicum Mythologiae Classicae ", (LIMC), vol. II, 1, Munich, 1982, p. 1408.
- 22- G. Dattari , Numi Augusti Alexandrini , vol. I, Cairo, 1901, nos. 1384, 1385; Milne, 1106 - 1107 and passim.
- 23- For the functions of Serapis see , P.M. Fraser , Ptolemaic Alexandria , vol. 1 , Oxfor, 1972 , pp, 246 ff. In respect of the pantheistic types with several attributes , see Poole, op. cit. pp. Ixii-Ixiii; Milne op. cit. nos. 1948,1370,2334 and passim .
- 24- Fraser, op. cit. p. 246.
- 25- Poole, op. cit. no. 621; Milne. op. cit. no. 492.
- 26- Milne, op. cit. no. 3392.
- 27- in some of her representations the concept of the city manifests itself by means of the turrets , hence Alexandria is depicted wearing a cap surmounted by turrets , see Milne, op. cit. nos. 4447, 5090. 5091, pl I, no. 4174.
- 28- Poole, op. cit, pl. xxiii, no. 1597; Milne, op. cit. no. 2866.
- 29- Poole, op. cit, pl. xxvii, nos. 668 669; Milne, op. cit. nos. 1294 - 1298 and passim.
- 31- Vogt, op. cit. p. 102.
- 32- Poole, op. cit. p. ii.
- 33- Ibid, p. lii.
- 34- ibid, p. liii.

Footnotes

- 1- I wish to express my gratitude to the dean and the curators of the museum for allowing me to publish this collection .
- 2- The registered coins which had been in display in glass cases were sent to the laboratory of the Graeco-Roman Museum for cleaning . The Museum of the Faculty of Arts is closed due to a partial reconstruction in progress in 1993.
- 3- J. G. Milne , Catalogue of Alexandrian Coins in the Ashmolean Museum, 2nd edition , oxford , 1971 , p . x v .
- 4- Ibid , p xviii.
- 5- Ibid, p . xvi.
- 6- J. Vogt, The Decline of Rome , Translated by Janet Sondheimer , London , 1967 , pp 11 ff: Milne , op, op. pp. xv ff.
- 7- R.S. Poole, Catalogue of Greek Coins , Alexandria and the Nomes , London , 1892 , p. xxxviii.
- 8- J. Vogt, Die alexandrinischen Kaisermünzen , vol . I, Stuttgart, 1924 , p.4: Poole , op , cit pp . xxxviii-xxxix.
- 9- Vogt, op . cit. p. 23.
- 10- Ibid, p. 111.
- 11- Ibid, p . 147.
- 12- Poole, op. cit, pp. ix ff; Vogt, op. cit. p. 3.
- 13- The Emperors Galba. Otho. Vitellius and Vespasian present an obvious example of this case , for them see Vogt, op. cit. pp. 37ff.
- 15- Vogt, op cit. p.27.
- 16- R. Cagnat & V. Chapot , Manuel d'archeologie romaine , Paris , 1916, pp. 488 ff .

Rev., Alexandria standing l. To l. L and to r. Δ .

Bib., Milne , no . 4904.

37- D: 19mm M: bi Y: 8.

Ob., MAΞIMIANOCЄB . Bust of Maximian r., laureate.

Rev., Tyche standing l. L and to r. H . In the exergue Γ.

Bib., Poole , no. 2589 ; Dattari ,no 5993 ; Milne, no. 5079;

Geißen, no . 3331.

38- D: 22mm M: bi Y: 10.

Ob., as no 37 .

Rev. , Elpis standing l. To l. Land to r. I .

Bib., Milne , no . 5164.

Rev., eagle standing r. and its head back l. L and to r. B.

Bib., Milne, no. 4540.

33- D: 21 mm M: bi Y: 3.

Ob., as no. 31.

Rev., eagle standing r. with a palm crossing it towards l. To l. L
and to r. Γ

Bib., Poole, no. 2439; Dattari, no. 5562; Milne, no. 4564;

Geißel, no. 3130.

Diocletian

34- D: 18 mm M: bi Y: 5.

Ob., (AKΓOV) ΑΛΔΙΟΚΑΗΤΙΑΝΟCCЄB . Bust of Diocletian
r., laureate.

Rev., Alexandria standing l. To l. L and to r. Є.

Bib., Milne, no. 4915.

Maximian

35- D: 21 mm M: bi Y: 2.

Ob., (AKMOVA) ΜΑΞΙΜΙΑΝΟCCЄB . Bust of Maximian r.,
laureate.

Rev., Elpis standing l. To l. L and to r. B.

Bib., Milne, no. 4828.

36- D: 19mm M: bi Y: 4.

Ob., (AK) ΜΟVΑΜΑΞΙΜΙΑΝΟCCЄB . Bust of Maximian r.,
laureate.

Aurelian

28- D: 20 mm M: bi Y: 5

Ob., AVTKAΔAVPHΛIAVOCCεB . Bust of Aurelian r.,
laureate .

Rev., eagle standing l. and its head back r. To l. c TOVC and to
r. ε.

Bib., Milne, no. 4430; Geißen, nos. 2082 - 2087 .

29- As no. 28 .

Tacitus

30- D: 19 mm M: bi Y: 1 .

Ob., AKKATAKITOCCεB . Bust of Tacitus r., laureate .

Rev., Elpis standing l. To l. ε TOVC and to r. A.

Bib., Milne, no. 4494 .

Probus

31- D: 20 mm M: bi Y: 2 .

Ob., AKMAVPIΠPOBOCCεB . Bust of Probus r., laureate .

Rev., Dikaïosyne standing l. To l. L^B.

Bib., Milne, no. 4522

32- D: 20 mm M: bi Y: 2 .

Ob., as no. 31 .

Gallicenus

24- D: 22 mm M: bi Y: 13 .

Ob., (AVTK) ΠΑΙΚΓΑΛΛΙΗΝ (OCCεB). Bust of Gallienus
r., laureate.

Rev., eagle standing r. with a palm crossing it towards l. To l .
L and to r. ΙΓ .

Bib., Milne , no. 4079

25- D: 22 mm M: bi Y: 14 .

Ob., AVTKΠΑΙΚΓΑΛΛΙΗΝOCCεB. Head of Gallienus r.,
laureate.

Rev., Homonoia standing l. To l. L^Δ.

Bib., Poole , no. 1186 ; Dattari ,no. 5296 ; Milne, no. 4136;
Geißen, no . 2978.

26- D: 21 mm M: bi Y: 14 .

Ob., (KOPNHAIACAΛΩΝ) εINACεB. Bust of Salonina r .

Rev., eagle standing l. with wings open . To l. L^Δ.

Bib., Poole , no. 2278 ; Dattari ,no5345 ; Milne, no. 4135;
Geißen, no. 2978 .

Claudius II Gothicus

27- D: 20 mm M: bi Y: 2 .

Ob., AVTKKΛΑΥΔΙOCCεB. Bust of Claudius II r., laureate.

Rev., eagle standing l. and its head back r. To l. (L) and to r. B.

Bib., Milne , no. 4243 .

Rev., Nike seated on a stool l. L^Δ.

Bib., Milne, no. 3669.

20- D: 23 mm M: bi Y: 4.

Ob., (AKMIO)VΦIAIΠΠIOCЄVC(CЄB). Bust of Philip I r.,
laureate.

Rev., Alexandria standing l. To l. L and to r. Δ.

Bib., Milne, no. 3658

21- D: 24 mm M: bi Y: 7

Ob., AKMIOVΦIAIΠΠIOCЄVC(CЄB). Bust of Philip I r.,
laureate.

Rev., bust of Helios r. To r. L and to l. S.

Bib., Poole, no. 1949; Milne, no. 3748; Geißen, no. 2749.

22- D: 23 mm M: bi Y: 7.

Ob., AKMIOVΦIAIΠΠIOCЄVC. Bust of Philip I r., laureate.

Rev., Nike flying r. To r. LS.

Bib., Poole, no. 1968; Milne, no. 3765; Geißen, no. 2750.

Valerian I

23- D: 22 mm M: bi Y: 3

Ob., AKPIAIOVAAЄPIANOCЄVЄVC Bust of Valerian I r.,
laureate.

Rev., eagle with wings open. To r. L and to l. Γ.

Bib., Poole, no. 2144; Dattari, no. 5189; Milne, no. 3914;

Geißen, no. 2857.

15- D: 25 mm M: bi Y: 22 .

Ob., (AVT) KAICTPAAΔ ΠIANOCCEB . Head of Hadrian r., laureate .

Rev., Nilus seated l. To l. KB .

Bib., Dattari , no 1438 ; Milne, no. 1571 ; Geißen, no . 1241 .

Antoninus Pius

16- D: 34 mm M: ae Y: 8 .

Ob., () AA () . Head of Antoninus Pius r., laureate .

Rev., a lion leaping r. In the field above the head of Helios and a star . In the exergue LH.

Bib., Geißen , nos. 1495 - 1497 .

Philips I

17- D: 23 mm M: bi Y: 2 .

Ob., AKMIOVΦIAIΠΠIOC EVC E B . Bust of Philip I r., laureate.

Rv., Athene seated on a throne l. To l. L and to r. B.

Bib., Milne , no. 3531 .

18- D: 24 mm M: bi Y: 2 .

Ob., as no . 17 .

Rev., Homonoia standing l. To l. L^B.

Bib., Milne, no. 3530 ; Geißen, no . 2710

19- D: 23 mm M: bi Y: 4 .

Ob., AKMIOVΦIAIΠΠIOC EVC E B . Bust of Philip I r., laureate.

Bib., as no. 8 .

11- D: 24 mm M: bi Y: 13 .

Ob., (NEPΩ) ΚΛΑΥΚΑΙΣΣΕΒ (ΓΕΡΑΥ) .Portrait as no . 8 .

Rev., (ΤΙ) ΒΕΠΙΟ (ΣΚΑ) ΙΣ (ΑΡ) . Type as no .8 .

Bib., as no. 8 .

Hadrian

12- D: 25 mm M: bi Y: 15 .

Ob., (ΑΥΤΚΑΙ) ΤΡΑΙΑΔ ΠΙΑ (CЄB) . Bust of Hadrian r.,
lauriate .

Rev., The Emperor recieving from Alexandria corn ears. In the
exergue IC.

Bib., Geißen , nos . 1026 - 1027 ; Milne, nos. 1294 - 1296 ;
Vogt, no. 53.

13- D: 25 mm M: bi Y: 17 .

Ob., (ΑΥΤΚΑΙ) ΤΡΑΙΑΔ ΠΙΑ CЄ(B) . Bust of Hadrian r.,
lauriate .

Rev., Serapis seated on a throne l. to l. LI and to r. S .

Bib., Milne, no. 1328 ; Geißen, no . 1059 .

14- D: 24 mm M: bi Y: 19 .

Ob., ΑΥΤΚΑΙ (CΤΡΑΙΑΝ) ΑΔ ΠΙΑΝΟCC (ЄB) . Head of
Hadrian l., laureate .

Rev., bust of Nilus r . To l. LЄN and to r. NЄAK (ΑΙΔЄΚΑ) .

Bib., Milne, no. 1454 ; Geißen, no . 1147 .

Rev., AV(TOKPA). Types as no . 2 .

Bib., as no. 2.

6- D: 23 mm M: bi Y: 12.

Ob., (N) EPΩKAAV (KAISΣEBΓEPAV). Portrait as no . 2 .

Rev., (AVTOKP) A. Type as no . 2.

Bib., as no. 2.

7- D: 23 mm M: di Y: 12 .

Ob., (NEPΩKA) AVKAISΣE (BΓEPAV). Portrait as no 2 .

Rev., AV (TOKP) A . Type as no. 2 .

Bib., as no. 2 .

8- D: 23 mm M: bi Y: 13 .

Ob., (NEPΩKAAVKAISΣEBΓEP) A (V).Head of Nero1.,
radiate.To 1.LII

Rev., TIBEPIOΣ (KAISAP). Head of Tiberius r., lauriate.

Bib., Geißen, nos. 187- 189 ; Poole, nos. 114 - 115 .

9- D: 23 mm M: bi Y: 13 .

Ob., (NEPΩKAAVKAISΣEBΓEP) A (V).Head of Nero1.,
radiate.To 1.LII

Rev., TIBEPIOΣ (KAISAP). Type as no .8 .

Bib., as no. 8 .

10- D: 23 mm M: bi Y: 13 .

Ob., NEPΩKA (AVKAISΣEBΓEPAV) .Portrait as no . 8 .

Rev., TIBEPIO (ΣKAISAP). Type as no .8 .

Catalogue

Nero

1- D: 25mm M: bi Y: 11

Ob., (NEPΩ) ΚΛΑΥΚ (ΑΙΣΣΕΒΓΕΡ). Head of Nero r., radiate.

Rev., ΑΥΤΟΚΡΑ. Bust of Alexandria wearing the elephant skin on her head r. To r. L^{IA}

Bib., Geißen, no. 168 : Vogt, no. 10.

2- D: 24mm M: bi Y: 12.

Ob., ΝΕΡΩΚΛΑΥΚΑΙΣΣΕΒ (ΓΕΡΑΥ). The portrait is as no. 1

Rev., ΑΥΤΟΚΡΑ. Bust of Alexandria wearing the elephant skin on her head r. To r. L^{IB}

Bib., Geißen, no. 137 : Milne, no. 283.

3- D: 23 mm M: bi Y: 12.

Ob., (NEPΩ) Κ (ΑΑΥΚΑΙΣΣΕΒΓΕΡ ΑΥ). Portrait as no 2.

Rev., (ΑΥΤΟΚΡ) Α. Type as no. 2.

Bib., as no 2.

4- D: 25 mm M: bi Y: 12.

Ob., (NEPΩΚΛΑΥ)ΚΑΙΣΣΕΒΓΕΡ(ΑΥ). Portrait as no. 2.

Rev., (ΑΥΤΟ)ΚΡΑ. Type as no 2.

Bib., as no. 2

5- D: 24mm M: bi Y: 12.

Ob. (NEPΩΚΛΑΥΚ) ΑΙΣΣΕ(ΒΓΕΡΑΥ). Portrait as no. 2.

Poole , R. S. Poole , Catalogue of Greek Coins , Alexandria and
the Nomes . (London 1892) .

Vogt , J. Vogt , Die alexandrinischen Kaisermünzen . 2 vols .
(Stuttgart 1924) .

Abbreviations

ae = bronze drachm .

bi = billon tetradrachm .

Bib. = bibliography .

D = diametre .

l. = left .

M = metal

no. = number .

Ob. = obverse .

r. = right .

Rev. = reverse .

Y = year .

() = letters between brackets are either effaced or indistinct .

Abbreviations of the Bibliography

Dattari , G , Dattari , Numi augusti alexandrini . 2 vols .
(Cairo1901).

Geißen , Angelo Geißen , Katalog alexandrinischen kaisermünzen
der Sammlung des instituts der universität zu Köln . 5
vols .(Opladen 1974 - 1982).

Milne, J. G. Milne, Catalogue of Alexandrian Coins in the
Ashmolean Museum. 2nd edition. (Oxford 1971).

year of Antoninus Pius .⁽⁴⁴⁾ As one of the attributes of the sun gods , the lion has a solar significance .⁽⁴⁵⁾

Conclusion

This collection intermittently covers the [periode between A.D.64/65 - the 11th year of Nero - and A.D. 294/295 - the 10th year of Maximian . the major part of the collection belongs to the third century . Consequently it can be suggested that it might come from the same provenance . Two denominations are represented in this collection , the billon teteradrachms - 37 coins - and the bronze drachm - one coin - which indicates that it might come from a separate provenance . The obverse legends are limited to the names and titles of the emperors or the members of the imperial family , while the reverse bears mainly the date and sometimes the names and titles of the emperor . The obverse types are constricted to the portraits of the emperor or a member of the imperial house . The reverse types are diverse and can be distributed to number of subjects such as the types of the emperor or a member of the imperial house , gods an goddesses of the Greek and Graeco - Egyptian cycle , personifications and the zoological types . Therefore this collection generally reflects the main features of the Alexandrian coins in the Roman Imperial period .

a peplos with the knot of Isis .⁽⁴¹⁾ On the coin of Maximian no . 37 , she is represented holding a rudder in her right hand and a cornucopia in her left hand .

IV- Zoological types .

The reverse types include several types of animals and birds which have mythological significance to Egyptian and Graeco-Roman deities . In this collection two zoological types are included :

1- **Eagle** . It was taken over from the Ptolemaic coinage and found popularity with the Romans because of its military significance . It became the Roman legionary Aquila .⁽⁴²⁾ It is frequently represented with a laurel wreath in his beak , with a palm across it or with the standards . The use of the eagle as a reverse type increased in the third century A.D.⁽⁴³⁾ In this collection it occurs in three types : with wings open under Valerian I no . 23 , and Gallienus no . 26 ; with palm under Gallienus no . 24 , and Probus no . 33 and with the head turning back under Claudius II no . 27 , Aurelian nos . 28 , 29 and Probus no . 32 .

2- **Lion** . As a zodiacal sign referring to Sun in Leo , the lion is represented on the bronze coin of Antoninus Pius no . 16 leaping and over his back appears the bust of Helios . The zodiacal signs and types were made to commemorate the beginning of the sothiac cycle in A.D. 139 which corresponded to the third regal

Philip no . 18 and Gallienus no . 25 . she appears standing and holding cornucopiae in her left hand .

5- Nike. The personification of victory is conceived as a deity rather than as a personification. ⁽³⁵⁾ Her types began to appear as early as the time of Augustus and remained very common throughout the whole imperial period . She has diverse types ⁽³⁶⁾ of which she appears in two under Philip I , the seated type no. 19 and the flying type no . 22 . In both cases she is represented winged , holding a laurel wreath in her right hand and wearing chiton and peplos .

6- Nilus . The personification of the river Nile , according to the Greek myth , is considered as the son of Oceanos and Tethys and the brother of the other Fluvii. ⁽³⁷⁾ As a deity of fertility he is confounded with Osiris and assimilated to Serapis who appears in a pantheistic form with the attributes of Nilus . ⁽³⁸⁾ The female consort of Nilus is Euthenia , the personification of abundance , with whom he appears in jugate types on the Alexandrian coins⁽³⁹⁾ . He is represented in two types under Hadrian . The bust type no . 14 has a cornucopia behind his left shoulder . The seated type no . 15 is represented with a reed in his right hand and a cornucopia in his left hand . In all his types he appears as an old stout man with a beard .

7- Tyche , the personification of fortune and the deity of city gained popularity on the Alexandrian coins where she appeared in diverse types and attitudes from Domitian to Diocletian . ⁽⁴⁰⁾ She is assimilated to Isis whose headdress she wears . She also wears

personifications represent the majority of the reverse types in this collection .

1- Alexandria . The personification of the city of Alexandria ⁽²⁷⁾ is usually represented with other allegorical divinities like Roma ⁽²⁸⁾ and Nilus ⁽²⁹⁾ or paying respect to the emperor. ⁽³⁰⁾ In this collection she is represented in three types . The first is the bust type in which she appears wearing the elephant skin . This type is exclusively represented on the coins of Nero nos . 1-7 . The second is the standing type which occurs in association with the Emperor on the coin of Hadrian no . 12 . This type refers to the arrival of Hadrian to Egypt and the Loyalty shown by Alexandria towards him ⁽³¹⁾ . The third is the single standing type which occurs on the coins of Philip no. 20 , Diocletian no . 34 and Maximian nos . 25 , 37 .

2- Dikaioyne The personification of justice ⁽³²⁾ is represented as a young woman holding scales in her right hand and a sceptre or a cornucopia in her left hand . On the coin of Probus no . 31 she is represented standing with scales in her right hand and a cornucopia in her left one .

3- Elpis . Elpis is the personification of hope. ⁽³³⁾ She occurs thrice under Tacitus no . 30 and Maximian nos. 35-38 where she is shown walking, holding a flower with her right hand and slightly raising the drapery of her dress with her left hand .

4- Homonoia . the personification of concord ⁽³⁴⁾ implies its influence on the members of the imperial family . On the coins of

1- **Athene** . The types of Athene are very common from the beginning to the end of the Alexandrian coins . The first appearance of the seated type which we have in this collection occurs under Commodus .⁽²⁰⁾ The Roman types of Athene in Egypt are Greek and inspired of the Attic art .⁽²¹⁾ The goddess always wears a helmet and frequently has a shield in addition to a spear as represented on the coin of Philip no . 17.

2- **Helios** . the Greek sun god who is distinguished by the radiate diadem , appears as a bust under Philip I on coin no . 21 . His first appearance in this type occurs under Hadrian .⁽²²⁾

3- **Serapis** . The Graeco-Egyptian god of underworld , fertility and many other functions , in accordance with the attributes he receives because of his identification with several gods⁽²³⁾ , is a common type on the Alexandrian coins . He is also a member in the Graeco-Egyptian triad with Isis and Harpocrates⁽²⁴⁾ . He is represented in a purely Greek type . His seated type on the coin of Hadrian no . 13 appears for the first time under Domitian .⁽²⁵⁾ In this type he is represented seated on a throne crowned with the modius and wearing the himation . His right hand is stretched out downwards and his left hand is resting on a sceptre . Before his feet the dog Kerberos is represented . The last use of this type occurs under Gordian III .⁽²⁶⁾

III - Personifications

The concept of the personification applies to the embodiment of an abstract meaning , land or whatever natural phenomenon in the attitude of the human being . The instances of

Reverse types

The reverse types of the Alexandrian coins contain a great deal of diverse representations . The types of this collection might be divided into four classes :

1- Imperial types

Many instances of types of the Emperor or a member of his house like the Empress or a Caesar appear on the reverses of the Alexandrian coins . Also groupes of two Emperors or an Emperor and a Caesar occur occasionally .⁽¹⁷⁾ The Emperor occurs in several other types . He is represented , riding a horse , on a chariot drawn by horses or elephants and in group with a deity or a personification .⁽¹⁸⁾ Two representations of imperial types occur in this collection :

1- **The Emperor** . On the coin of Hadrian no . 12 , the Emperor is represented receiving corn ears from Alexandria .

2- **A member of the imperial family** . Under Nero the head of deified Tiberius occurs in four instances nos . 8-11 . This tradition began under Tiberius when the head of deified Augustus appeared with a radiate diadem .⁽¹⁹⁾

II- Deities

Of the diverse types of Greek and Graeco-Egyptian deities , three are represented in this collection :

three coins bear the word ETOVΣ and belong to Aurelian nos . 28 , 29 and Tacitus no . 30

Types

* Obverse types

The types of the obverse are confined to the portrait of the emperor or a memb of his house . One example of a member of the imperial house occurs here on coin no . 26 which bears the bust of Cornelia Salonina the wife of Gallienus .

The Emperor is generally represented laureate while the Caesar is represented bare-headed . The first imperial portrait to appear with the radiate diadem is Augustus who is represented as an obverse type on the coins of Tiberius and this is connected with the deification of Augustus . Nero was the first emperor to wear the radiate diadem in his lifetime and this tradition came in parallel with his representation on the Roman dupondius ⁽¹⁵⁾

Hadrian was the first to be represented bearded . The beard adds serious expressions on the portrait which seems idealistic . The head of Antonius Pius is thin and elongated with a thick pointed beard .His representation mingles the idealistic with the realistic expression .The portraiture of the Roman emperors in the second half of the third century highlights the serious faces with rigid features which mirror the military spirit and personality . ⁽¹⁶⁾

Maximian

Two inscriptions appear on the coins of Maximian .

1-AVTOKPATΩP KAICAP MAPKOC OVAΛEPIOC
MAΞIMIANOC CЄBACTOC in the 2nd and 4th years on
coins nos . 35 - 36 .
IMPERATOR CAESAR MARCUS VALERIUS
MAXIMIANUS AUGUSTUS.

2- MAΞIMIANOC CЄBACTOC in the 8th and 10th years on
coins nos . 37 - 38.
MAXIMIANUS AUGUSTUS .

The reverse legends of the Alexandrian coins might bear various legends as the names and the titles of some of the emperors , members of the imperial family , names of deities and personifications and the date . The use of the dating began for the first time in the Imperial period in the 20th regal year of Augustus . The Alexandrian year commences on 1 Thoth which corresponds to 29 August ⁽¹²⁾ Therefore the first year of the emperor begins from his succession until 29 August and his last year is reckoned from 29 August until the end of his reign before the beginning of the new year . Consequently more than one emperor might join in the same year but with different dates . ⁽¹³⁾

The symbol L is far more frequent than ETOVΣ on the Alexandrian coins to indicate the year . It is suggested to be a lineal descendent of the Domotic expression for "year" or a corruption of the initial of ETOVΣ ⁽¹⁴⁾ In the collection only

IMPERATOR CAESAR CLAUDIUS AUGUSTUS .

Aurelian

AVTOKPATΩP KAICAP AVKIOC ΔOMITIOC
AVPHAIANOC CεBACTOC in his 5th year on coins nos.
28-29.

IMPERATOR CAESAR LUCIUS DOMITIUS AURELIANUS
AUGUSTUS .

Tacitus

AVTOKPATΩP KAICAP KAAVAIOC TAKITOC
CεBACTOC in the 1st year on coin no . 30 .

IMPERATOR CAESAR CLAUDIUS TACITUS AUGUSTUS .

Probus

AVTOKPATΩP KAICAP MAPKOC AVPHAIOC ΠPOBOC
CεBACTOC in the 2nd and 3rd years on coins nos .31-33.

IMPERATOR CAESAR MARCUS AURELIUS AUGUSTUS.

Diocletian

AVTOKPATΩP KAICAP ΓAIOC OVAΛEPIOC
ΔIOKAHTIANOC CεBACTOC in the 5th year on coin no . 34
IMPERATOR CAESAR GAIUS OUALERIUS
DIOCLETIANUS AUGUSTUS .

Valerian I

The coin of the Emperor bears the instruction

ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ ΚΑΙΣΑΡ ΠΙΥΒΑΙΟC ΑΙΚΙΝΙΟC ΟΥΑΛΕΡΙΑΝΟC
ϵΥΤΥΧΗC ϵΥCϵΒΗC in the 3rd year on coin no. 23
IMPERATOR CAESAR PUBLIUS LICINIUS VALERIANUS FELIX PIUS

The first Emperor to use the title ϵΥΤΥΧΗC was
Commodus in his 31st regal year ⁽¹¹⁾

Gallienus

Two inscriptions for the Empror and his wife occur on the
coins of Gallienus :

1- ΑΥΤΟΚΑΤΩΡ ΚΑΙΣΑΡ ΠΙΥΒΑΙΟC ΑΙΚΙΝΙΟC
ΓΑΛΛΙΗΝΟC CϵΒΑCΤΟC in the 13th years on coins nos.
24-25.

IMPERATOR CAESAR PUBLIUS LICINIUS GALLIENUS
AUGUSTUS .

2- ΚΟΡΝΗΛΙΑ ΚΑΛΩΝϵΙΝΑ CϵΒΑCΤΗ in the 14th year on
coin no. 26 .

CORNELIA SALONINA AUGUSTA .

Claudius II Gothicus

ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ ΚΑΙΣΑΡ ΚΛΑΥΔΙΟC CϵΒΑCΤΟC in the 2nd
year on coin no. 27.

2- ΝΕΡΩ ΚΛΑΥΔΙΟΣ ΚΑΙΣΑΡ ΣΕΒΑΣΤΟΣ ΓΕΡΜΑΝΙΚΟΣ
ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ from the 12th and the 13th years on coins
nos. 2-11.

NERO CLAUDIUS CAESAR AUGUSTUS GERMANICUS
IMPERATOR.

The first Emperor to use the title ΓΕΡΜΑΝΙΚΟΣ
ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ was Claudius⁽⁹⁾.

Hadrian

The coins of Hadrian bear one inscription :

1- ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ ΚΑΙΣΑΡ ΤΡΑΙΑΝΟΣ ΑΔΡΙΑΝΟΣ
CЄBACTOC in the 15th and 17th years on coins nos. 12-16.
IMPERATOR CAESAR TRAIANUS HADRIANUS
AUGUSTUS

Philip I

One inscription appears on the coins of Philip I :

ΑΥΤΟΚΡΑΤΩΡ ΚΑΙΣΑΡ ΜΑΡΚΟΣ ΙΟΥΛΙΟΣ ΦΙΛΙΠΠΟΣ
ЄVCЄBHC in the 2nd, 3th and 7th years on coins nos. 17-22.
IMPERATOR CAESAR MARCUS IULIUS PHILIPPUS PIUS.

The first appearance of the title єVCЄBHC occurred in
the second year under Antoninus Pius⁽¹⁰⁾.

Legends

The Alexandrian coins have independent obverse and reverse legends with the exception of the coins of Nero nos. 1-7 and the coins of Aelius Caesar in which the obverse legends are completed on the reverse⁽⁷⁾.

The legends of the obverse generally occur in the nominative form with two exceptions, first the legends of Augustus whose legends use the genitive form and second the legends of Aemilian which appear in the accusative form⁽⁸⁾.

The obverse bears the name and the titles of the emperor or a member of the imperial family and they normally appear abbreviated.

The full forms of the Greek inscriptions with their Latin equivalents will be presented in addition to the diverse forms of these inscriptions in our collection.

Nero

Two legends appear on the coins of Nero :

1- ΝΕΡΩ ΚΛΑΥΔΙΟΣ ΚΑΙΣΑΡ ΣΕΒΑΣΤΟΣ ΓΕΡΜΑΝΙΚΟΣ

in the 11th year on coin no. 1.

NERO CLAUDIUS CAESAR AUGUSTUS GERMANICUS.

Denominations

The Alexandrian mint struck billon i.e. debased silver coins. One denomination was issued in billon and five denominations were issued in bronze. The first use of the billon tetradrachm had been under Tiberius in his seventh regal year. The completion of the five bronze denominations took place in the last years of Domitian. These denominations are: the drachm, the half-drachm, the diobol, the obol and the quarter-obol. They were hardly struck after A.D. 220 except for the drachm which was struck infrequently for commemorative purposes⁽¹⁾.

Two denominations are represented in this collection, the billon tetradrachm and the bronze drachm whose existence is excessively rare as there is only one drachm no. 16. The constant diminishing of the silver content and even the size of the tetradrachm manifested itself through the coins of the third century A.D. The silver-plated bronze tetradrachms which have lost their silver coat turn to a mere bronze pieces as a result of the effect of time and nature. The depreciation of the value of the tetradrachm was concurrent with that of the denarius⁽²⁾. The deterioration of the value of the coins was closely connected with the deterioration of the economic conditions of the Roman Empire in the third century which occurred as a result of the attacks of the enemies of the Empire and the civil war among the emperors and the pretenders who looked forward to assuming the purple⁽⁶⁾.

Roman Alexandrian Coins in the Museum of the Faculty of Arts, University of Alexandria.

The Museum of the Faculty of Arts possesses a large number of unregistered coins of unknown provenance. The collection is kept in boxes inside the safe of the museum.

Intending to publish the Roman Alexandrian coins in sequence⁽¹⁾, I begin with box no. 1 which contains 122 Roman Imperial and Roman Alexandrian coins. A considerable part of the Roman Alexandrian coins, which slightly outnumber the Roman Imperial ones, is effaced and in a very bad condition. Consequently I have chosen 38 coins out of them to deal with⁽²⁾. In this paper I shall try to shed some light on the various features of this collection.

To secure the position of Egypt under his tight control, Augustus set up a special monetary system for this most important province. Unlike the other provincial mints of the Empire, the Alexandrian mint issued coins with Greek legends and different denominations. The Alexandrian coins could not be, circulated outside Egypt as they were futile for economic exchange and commercial purposes. Only the whole course changed with the assimilation of the Alexandrian mint to the other mints of the Empire under the reign of Diocletian in A.D 296⁽³⁾.

**ROMAN ALEXANDRIAN COINS IN THE
MUSEUM OF FACULTY OF ARTS,
UNIVERSITY OF ALEXANDRIA**

Hussein Abdel-Aziz

Department of Archaeology and Classical Studies,

Faculty of Arts, University of Alexandria

Periodicals :

- (1) Akbar, J. " Courtyard Houses : A case study from Riyadh : Saudi Arabia ", In, serageldin, I. & El Sadek, S. (eds.), The Arab city symposium, Medina, Saudi Arabia 28 Feb - 5 March 1981 pp. 162 - 176 .
- (2) Al- Khajiat, H., " Long - term Housing Costs in the Hot and Arid Environment of Kuwait " in Energy Building, 12 (1988) .
- (3) Al- Yawer, D. " Urban spaces in Islamic city : Development and prospects with particular reference to Kuwait " in, The Arab city Symposium, Medina, Saudi Arabia, 28 Feb - 5 March 1981 pp. 111 - 119 .
- (4) Bianca, S. " Traditional Muslim cities and western planning Ideology : an outline of structural conflicts " In sergeldin, I. & El- Sadek, S. eds., The Arab City Symposium Medina, Saudi Arabia, Feb - 5 March 1981 pp. 36 - 53 .
- (5) Costa, F. & Noble, A. " Planning Arabic Towns ", in Geographical Review, vol. 76, No. 2, April, 1986, pp. 160 - 172.
- (6) Stone, K., " The Development of A focus for the Geography of settlement ", in, Economic Geography, 1965, Spt. pp. 346 - 355 .

Government Sources :

- (1) Buchanan, C, " Master plan for Kuwait ", final report, vol. 1 planning & policy (1983 - 2005), Kuwait Municipality .
- (2) Centre for Research of Kuwaiti studies, 1994, " Kuwait : A study in historical maps ", Kuwait .
- (3) Cox, S. " Master plan for Kuwait " final report, vol. 1 planning and strategy (1977 - 2000), Kuwait Municipality .
- (4) Council of Planning, 1972, The Ideal Home, Kuwait .

Bibliography:

- (1) Abu-Hakima, 1982 "The Modern History of Kuwait: 1750-1965", McGill University : Montreal.
- (2) Al-Sabah, Y. 1982 "The Oil Economy of Kuwait", Kegan paul: London.
- (3) Al-Feel, M . 1972 "Historical Geography of Kuwait" Dar Lobnan : Beirut.
- (4) Al-Qinai, Y. 1987 "History of Kuwait", Thatu-Salsil : Kuwait.
- (5) Al-Reshaid, A. 1978 "History of Kuwait", Al-Hayat : Beirut.
- (6) Nababani, M. 1923, "History of the peninsula," Al Mahmoodia : Cairo.
- (7) Ffrench, G. & A. Hill, 1971 "Kuwait : Urban and Medical Ecology", springer-verlag Berlin-Heidelberg.
- (8) Demangeon, A. "The origins and causes of settlement types "Transfrous "La geographic de Habitat rural", in, Annal de Geographic, XXXVI (1927), reprinted in A.Demangeon, problemss de geographic humaine (Paris : A.colin 1942).
- (9) Danial, P. & M. Hopkinson, 1979 "The geography of settlement" Oliver & Boyed : London.
- (10) Dickson, H. 1956 "Kuwait and her Neighbours", Geogрге Allen & unwins : London.
- (11), 1949 "The Arab of the Desert", George Allen & Unwin : London.
- (12) Dickson, V. 1970 "Forty years in Kuwait ",George Allen & unwin : London.
- (13) Freeth, Z. & V. Winston, 1972, "Kuwait prospect and Reality", George Allen & Unwin : London.
- (14) Brian, C. & Gleave, M. "Social patterns in cities", No. 5, March 1973, I.B.G. : London.

Nowadays, one could see some efforts to re-built the Kuwaiti house, and the concept of quarter in some areas, but still, it needs some coordination and incorporation of these efforts or their equivalents into the new house.

On the other hand, village settlements and Oases settlements are almost disappeared under the urban expansion. Large farms for agriculture products are now pushed by law to the southern and northern parts of Kuwait, i.e. in "Wafra" and Abdely.

In terms of nomads settlements, they have almost disappeared from Kuwait nowadays as they are considered Unauthorized settlements. People of Kuwait use tents lately for camping in spring or sometimes for traditional parties under the call of Arabian Culture.

On the other hand, according to Akbar (1981), most foreign settlement planners did not understand and appreciate the suitability of the courtyard house as in the Kuwaiti house. Even Kuwaiti planners in modern times also failed to understand it. The new type of house plan has not answered religious- social demands, nor has it met satisfactorily climatic conditions. The once private open - air courtyard has disappeared, only to be replaced by garden surrounding the house and enclosed by an eye-level wall which is overlooked by neighbours who might sit on their first floor in afternoon. The intense heat on the other hand prohibits the garden from being used before late afternoon. Climatically, modern houses are inferior to the traditional courtyard houses. Since they are detached houses they have the maximum area exposed to direct solar radiation they have large climatically unprotected windows which invite overlooking and present social problems. Those windows cannot be open during the day because the hot dry air, forcing inhabitants to rely on fans or air conditions.

Islamic urban cultural organization is physical manifestation of the equilibrium between social homogeneity and heterogeneity in a social system which requires both segregation of domestic life and participation in the economic and religious life of the community. The old town, comprises a system of public, semi-public, semi-private and private spaces varying in degrees of accessibility and enclosure. The traditional houses were always served by pedestrian systems, which consist of walk ways on different levels of privacy and visual access.

Today the movement is mainly for vehicle and is therefore unsafe for small children. It prevents social activities and group gathering and damaging quarter system of the social structure of the town. The domain of men in public areas of town like shopping area, market, gatherings etc., was separated from the domain of women who have their own social gatherings and meetings, the women may observe public life under certain conditions (Akbar, 1981:162-163).

General comments and conclusion:

In conclusion we can argue that Kuwait before oil discovery witnessed number of settlements i.e.

- (a) Urban settlements in the town.
- (b) Rural settlements which include coastal-villages and oasis-villages to the south and west of the town beyond the mud-wall and
- (c) Nomad settlements, or temporary settlements which include Badawins and semi-Badawins settlements.

Most of these settlements had almost disappeared in the oil era under the impact of main factors:

- (a) The western Master plans which forced new style of settlements and house types with new urban planning,
- (b) The housing plans, which prepared new built-houses for those who want to change their old houses.
- (c) The municipality acts which adopted demolishing of almost all of the structure of old town except mosques.
- (d) The change in economic activities which transferred people from primary production like fishing, pearl diving, into social welfare activities.
- (e) New plans of developing fishing herding and agriculture activities under modern basis, and transferring those activities into new locations.
- (f) The change in income had change the old needs into modern needs.

There are also other factors which played significant role in this context; like the change in population size under the influx of immigration which forced descion-makers to move into new areas beyond the old city.

Nowadays, Kuwait is mostly an urbanized society were about more the 90% of population are urban settlers.

external rendering . The settlements of pre- oil era although simple in construction but were characterized of high quality control and durability of environment requirements . New settlements should match between old and new designs by considering possible standard elements along with socio- culture elements .

Table (3)
Breakdown of house costs

Item	% of total cost
Foundation	6
Substructures	3
Superstructure	16
Exterior Closure	11
Roofing	2
Interior Construction	26
Air conditioning	18
Electrical Works	9
Site Works	9
Total cost = K.D 130/m ² (U.S. \$ 430/ m ²)	

Source : Al- Khaiat , Long- term Housing costs in the Hot and Arid Environment of Kuwait ; *Energy Building* , 12 (1988) table (1), p. 132 .

The new settlements in Kuwait are not efficiently suitable to the environment requirements nor to the consumption standards . According to Al- Khaiat (1988) , the high electricity consumption in buildings is due to a number of factors i.e. : (a) large surfaces are exposed to the sun (b) building materials which are inefficient in conserving energy (c) designs that disregard the environment requirements (d) badly fitting of many works like windows , doors, etc.. which encourage high solar gains .

While it may be possible to standardise new layouts it should be possible to standardise some elements of the houses without seriously affecting individual tastes . These should include room size , ceiling heights , door , and window openings . Consideration the thermal properties of the new houses at the design stage could drastically reduce plant costs and energy requirements . Economics in materials can be effected by reducing foundation sizes, eliminating much of the frame in favour of wall bearing designs, reviewing floor and roof construction and cutting out

In general , the urban context in Kuwait had become amosaic of multi urban , cultural , social of local and outside effects . Methods of construction have changed in many ways, i.e. new wall construction , floors, roofs, foundations and framwork . The consideration of climate during the long hot summer which extends from mid- April till the end of October, Keeping cool is a major environmental problems . In the old courtyard dwellings this was achieved by opening the shutters at dawn to capture the cool of morning air . Everything was then sealed up and the house remained Comfortable for much of the day . As the heat begin to penetrate the walls, it was possible to move into a shaded part of the courtyard and to sleep on the roof at night . The new houses which replaced the old , were less thermally efficient . Concrete lets in almost twice as much heat as the equivalent thickness of mud, and with concrete block it was possible to build thinner walls . The 30 cm . thick was replaced by a 15 cm concrete one which was only 35% as efficient in impeding the passage of heat, thus the use of air- conditioning , once considered something luxury has become Universal so that 66% of summer peak load is utilised for this purpose (1) . In another study, by Al-Khaiat (1988), the cost of air- conditioning is about 18% of the total cost of building , this percentag is approximalley the same for other havsing units with central air- conditioning, plus about K.D. 200 (U.S. 670) per year for maintenance, for a 400 sq/mt. middle - income governmental housing (2) . This means , it is perhaps twice as much for the case of private villas of 750 or 1000 sq/mt . The per capita consumption of electicity on the other hand has in creased from 1000 Kwh/yr in 1957 to 9100 Kw/yr in 1985 (3) . Table (3) shows the breakdown of house building cost in Kuwait .

(1) Council of planning , " The Ideal Home " , 1972, p. 21 .

(2) Al - Khaiat , H. " Long - term Housing costs in the Hot and Arid Envanrment of Kuwait " . in Energy Buildings . 12 (1988) 129, 134. p.131

(3) OP. cit

The rejection of the courtyard was principally because it was considered old fashioned to some people, while to the others new facilities in the modern designs made old units of courtyard houses no more essential i.e. the availability of air conditioning, the large roofs, and heat proof etc ...

New building materials have come to be seen replacing old materials i.e. cement, iron, aluminum, bricks of limestone, marble, gravel, new man-made materials instead of chandel (wood bars), basjeel (bamboo sections), buwari (grass mat) mud and straw etc., which caused continuous changes in expenses of buildings i.e. labour, materials of constructions, and costs of land. The result was not all people were able to build their own houses at their own expenses which caused to results (a) establishing the Bank of loans and (b) building popular low and middle - class housing and other electives.

Settlements Types after Oil Discovery :

Nowadays, government is responsible of building and or dealing with types of dwellings :

- 1- private villas for those who can still afford to build them, by allowing them a loan of K.D 70,000 (about 245,000 U.S. Dollars) . This loan had been developed every ten years i.e. (used to be K.D 24,000 then K.D 54,000, then lately K.D 70,000 after liberation) .
- 2- Middle - income houses for Kuwaiti graduates, (this title has been canceled avoiding class- division problems) .
- 3- Low- income housing for low- income groups, (this title has been canceled avoiding class- division problems)
- 4- Popular housing mainly for badawins through the plan of re-settlement of Badawins .
- 5- Apartments in the city- centre in large complexes (i.e. Suwaber) for graduates who like to live in the city centre .
- 6- Land- loan grants from the government, for those who would like to apply their own designs over a 400 sq. mt of land .
- 7- A loan of K.D 70,000 for those who prefer already built houses or villas and afford to add some of their own income .

the projections of the Master plan . Population census now expect about amillion and half for total population or little more with non- Kuwaiti labor of 800,000 . The projections of 2000 of shankland cox Master plan expected about 2,760 million which is no more exist after liberation .

(c) The National Physical Plan (1) (NPP) :

The third division of plan phases in the Master plan of Kuwait (i.e. NPP) , put forward by consultants includes many overall aspects . Those are, for example national constraints and opportunities, sites for major growth areas, alternative strategies i.e. dormitory sattlite strategy, self-contained new town strategy, and conurbation strategy, which reflect clearly the impact of modern planning on Kuwait urban structure .

Impact of Modern Planning on Settlements :

By modern planning we mean the application of those Master plans which had been adopted in Kuwait after oil discovery since the 1950s , as mentioned earlear . The first major decision of development was to develop and expand the old town and its surroundings . This lead directly to the drawing up of the original town plan with its ring roads concentric with the old town (now expanded to the seventh Ring Road) . The subdivision of the sectors of land so formed into building plots and the allocation of these plots to families whose land in the old city had been acquired by the government or the those who had not benefited from the land acquisition scheme .

The decision to abandon the courtyard princible was unanimous . On private plots owners were free to build whatever they liked within reason .

Not all house holders opted for detached Mediterranean style villa situated in the centre of the plot but in general new styles posted the whole lot . The government had considered this issue by allowing and building both eastern (coryard style) and western (semi - detached) houses for the lower income groups .

The MSP covers many urban aspects i.e. Kuwaiti and non- Kuwaiti areas, Industrail area distribution, shopping centres and services, social facilities, health services, land scape and recreation, transport system and road network, public utilities etc ..

(b) City centre structure plan (CCSP) : (1)

It comprises the area formally known as Kuwait Town and is defined by the green built and first ring road . The city centre is characterised by the main Souk (old market) and the commercial area adjoining the Sief palace . It covers many land uses i.e. residential, industry, government offices, public building, open space, cemeteries, retail offices and vacant land .

It is also connected to an urban design strategy which includes conservation areas, defining the CBD , the environmental areas . The structure plan of the CCSP has an employment targets of 120,000 - 140,000 jobs together with residential population of 117,000 persons has been approved in principle by the Municipal council in order to provide practical level of movement , parking, and access to the centre .

Table (2)
Population Growth and Distribution 1975 - 1995 (millions)
according to S . Cox Master plan

	1975	1980	1985	1990	1995
National Population	1.000	1.333	1.665	2.002	2.207
Metropolitan Structure plan	0.960	1.288	1.545	1.697	1.777
Rural Areas	0.40	0.45	0.050	0.055	0.060
Residue for new growth areas	-----	-----	0.270	0.270	0.570

Source : Shankland cox partnership, Master plan for Kuwait, First review 1977
- 2000, vol. 1, table 51 , 106

The invasion of Kuwait in 1990 had its catastrophic impacts on

(1) Ibid., p 69

new expansion beyond the old city . The 1960 - 1967 was the Municipality plan, followed by Colin Buchanan 1970, Shankland in 1977, then Buchanan 1983 . The later ones i.e. Buchanan 1970 lasted up to 1995 in terms of its projections of labor, migration, housing, transportation, electricity etc . Shankland also expanded from 1977 to . 2000 Utilizing the year 1975 as a basis for future projections . Buchanan of 1983 also extended to 2005 which means long - term comprehensive urban planning i.e . 25 years for each of these Master plans .

The new Master plans starting from 1970 put forward a number of new urban strategies which brought modern urban aspects of planning by subdividing Kuwait into three main urban function areas i.e.,

- (a) Metropolitan area
- (b) City centre, and
- (c) National physical area .

Each of those areas witnessed special concern which made them large urban units attached together by a transportation and communication system providing active urban mobility .

(a) The Metropolitan structure plan (1) (MSP):

From the point of view of the consultants the metropolitan Area includes the capacity and residential densities or the ultimate population capacity of the Metropolitan structure plan through the years of the plan . The plan covers three main areas : (i) between Shuwaikh and Jahra to the west, (ii) From Sabah Al- Salem (formerly Messila) southwards to Shuaiba and Mina Abdullah and (iii) the central zone north of the sixth Ring Road to the City centre . These areas continue the general direction of the largest proportion of urban development which has been closely related to the coastline because of constraints to development further inland i.e. oil fields , oil reserves and major water gathering grounds . Additionally, the desert offers little environmentally for the siting of major new settlements or the extension of existing areas .

(1) Shankland Cox partnership, "Master plan for Kuwait ", vol. 1, final report, " Planning and Strategy ", (1977 - 2000), p. 25 see also Colin Buchanan, Master plan for Kuwait ", final report , vol 2, " Economics, Demography, Utilities, 1983 - 2005, p. 17

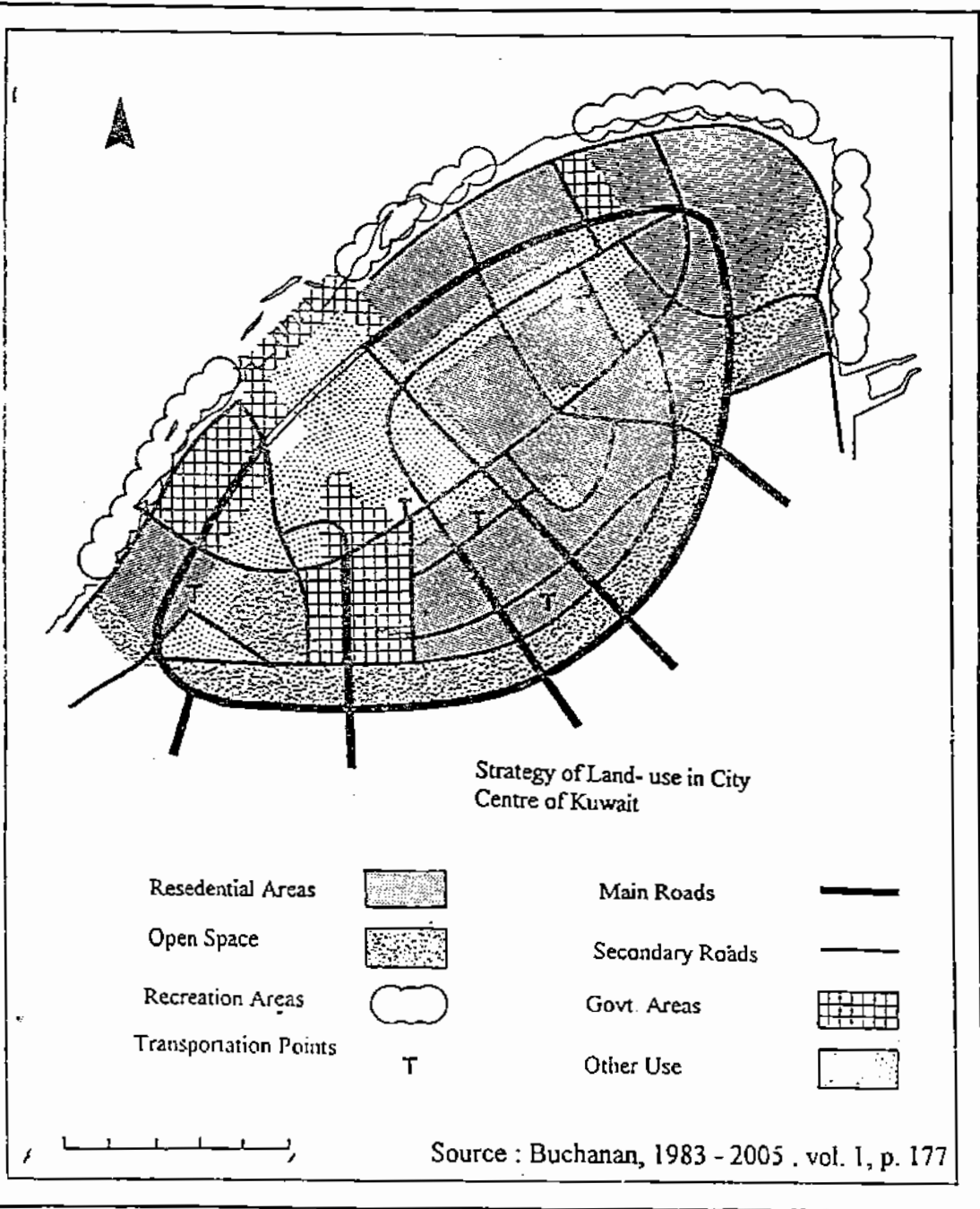


Figure No. 10

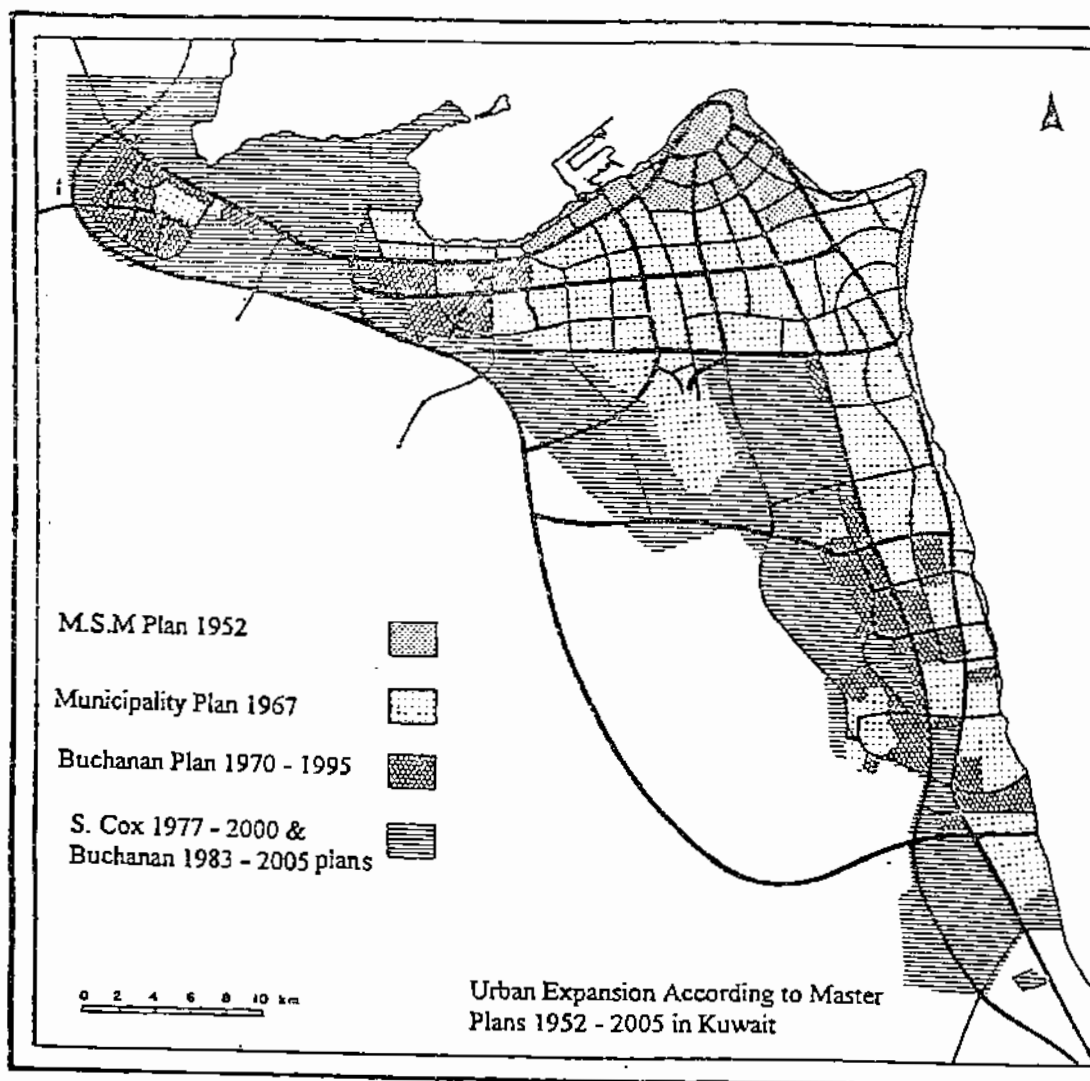


Figure No. 9

Kuwait Municipality invited number of consultants to put forward a comprehensive urban - structur covering every single element of future urban expansion which extended beyond the year 2000 . Those plans were undertaken by number of western consultants in cooperation with the municipality, i.e. (see figure no . 9) , :

- (1) Master Plan of 1952 by a British consultant firm, Minopario, Spencely & Macfarlane .
- (2) Urban plan of 1967 by Kuwait Municipality .
- (3) Master plan of 1970 - 1995 by a British consultan firm, Colin Buchanan & Partners .
- (4) Master plan of 1977 - 2000 by a British consultant firm, Shankland Cox & Partners .
- (5) Master plan of 1983 - 2005 by Colin Buchanan & Partners .

By those comprehensive urban - structure plans Kuwait city in particular and Kuwait in general had dramatically changed . The most important one of those was the 1952 plan, because it was the first plan which forced outstanding changes in urban land - use , and later on settlement's socio- aspects on the basis of western urban planning, and secondly because most if not all the other plans had followed almost all its general strategies . These strategies were : (a) the old city was planed for wholesale redevelopment as a modern City Centre serving all of " Greater Kuwait " , (see figure no . 10), (b) a road system was to comprise a series of radial dual- carriage ways with semi- circular cross connections together with system of minor roads in a broadly rectangular layout within the new neighbourhouds . Overall, traffic system was to be highly centralized on the old city, and (c) new neighbourhoods were to have a selection of centrally located services like schools, mosques, shops, for district's residents . (d) Construction of public buildings and some Ministries in the centre of old town , (see figure 11) .

The supsequent urban expansion was occared later categorically when the aims of the previous Master plan had been realized and witnessed , for example, in 1960, the approximating targets of the first Master plan of 1952 was completed, thus , another consultants were asked to continue

Urban Aspects of Kuwait City after the Discovery of Oil :

With the spiralling oil revenues and the influx of foreign- born immigrant population to Kuwait, the city expanded rapidly both vertically and horizontally . This urban expansion was under financial, legislative and planning policy powers which transformed the city .. rapidly both physically and socially by time incidentally .

There were two main factores which shaped out new urban expansion, i.e .

- (1) The property acquisition scheme in 1951 .
- (2) The application of comprehensive urban planning .

The property acquisition scheme began in 1951 with twin aims : (a) infusing sums of oil- revenue indirectly into the economy's private sector and (b) facilitating the whole sale reconstrucation of the old city . (1)

Owners of land and property within the old city and its surroundings were offered high prices to encourage them to move into the new suburbs in addition of providing them with certain amount of working capital for the new oil economy . Almost in less than 15 years about K.D. 600 million was transformed to the Kuwaitis of the old town (2) .

Land acquisition scheme continued its policy and have reached its peak both money and land wise in 1986 were about K.D. 620 Million were disbursed to Kuwaitis but in the area beyond the old city, covering about 5, 144, 537 m² , and generally about K.D. 4,250,00000 covering about 156,000 Km² from 1951 - 1994 .(3)

The application of comprehensive Urban planning started along with the acquisition scheme . That was when the government through

(1) Ffrench, G & Hill, A. 1971. " Kuwait Urban and Medical Ecology " . Springer - velag Berlin - New York, p . 35

(2) Op Cit

(3) Direct information from debuty in chief of the " Expropriation for public welfare Dept " , in 3/4/1995. at Kuwait Municipality. K.D. 1=S 3 3

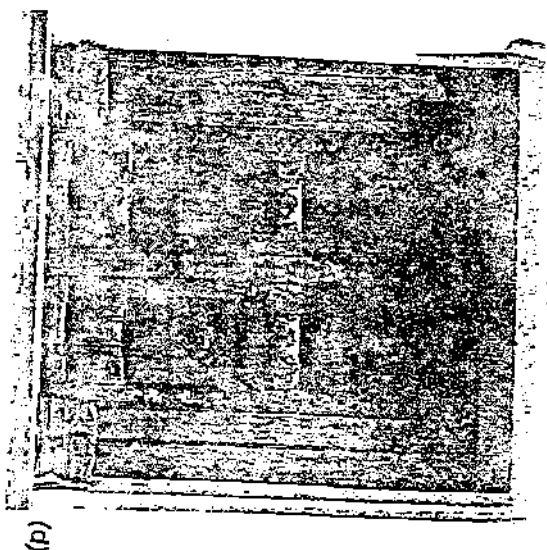
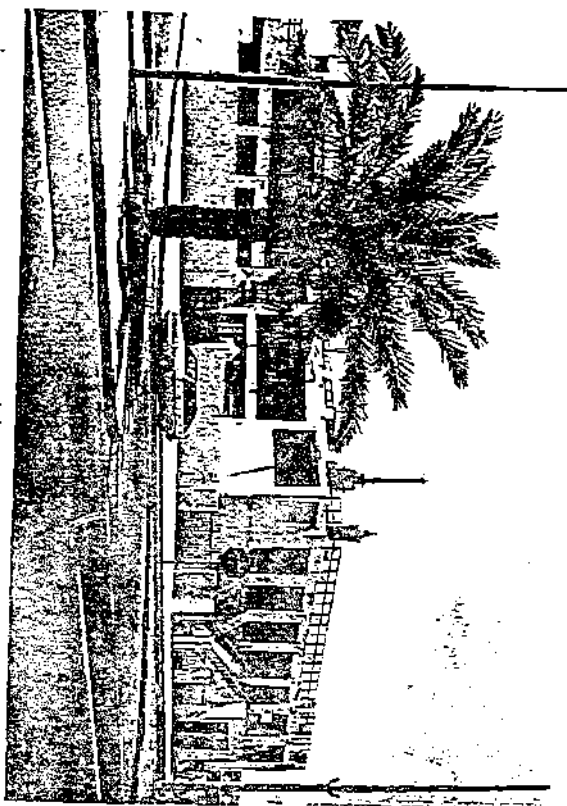
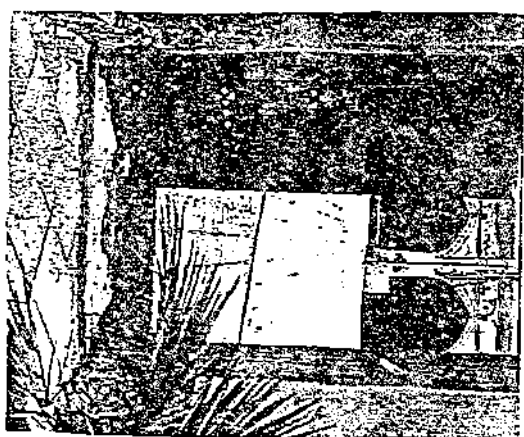
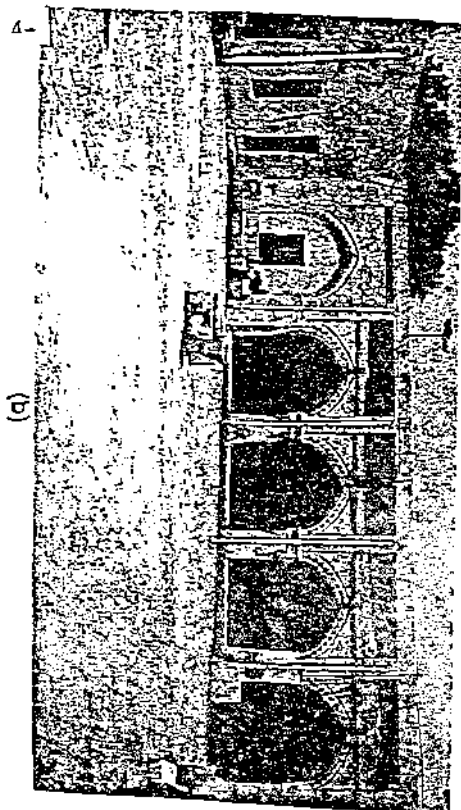


Figure (B) shows number of pictures in the old town i.e. (a) shows an old door leading to courtyard in Kuwaiti- House, (b) shows the courtyard with its water wall in the centre , (c) shows the old British political Residency where the Dickson's spent most of their life in Kuwait, and (d) another old door. (Photos by the author)

from sheep's wool, never from camel hair, so that the name "Camel hair tents" is a misnomer according to (Dickson, 1949 : 66).

Tents are differ according to the social position of the person in the tribe i.e. in size, number of poles, number of broad strips. Each tent has number of portions, i.e. men's portion, women's portions, kitchen etc. (see figure No. 7).

The town is usually deals with the Badawins who bring their product to the town, i.e. woven ruags, ugurt, leather built, camels, sheep, goats etc. According to Lorimer (1905) there were about 135 dealers for Badawin requistes (Lorimer, 1905 : 1054).

They have there "Land port" in the town "Safat" yard where they sell there products and by new ones.

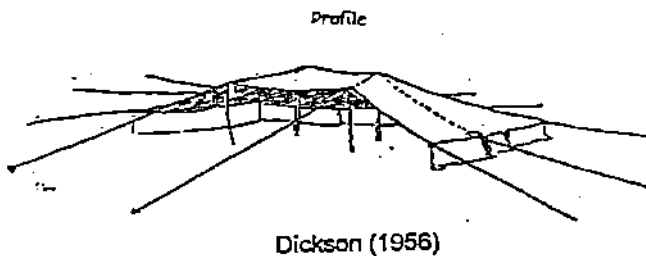


Figure (7) showing two types of tents in front of modern settlements, black and white tents. The black tent is the usual Badawin tent, while the white is new style. These tents nowadays especially the black one are used for traditional parties i.e. feasts, weddings and group meetings under the call of Arabian roots but no more resedencē. (Photo by the author)

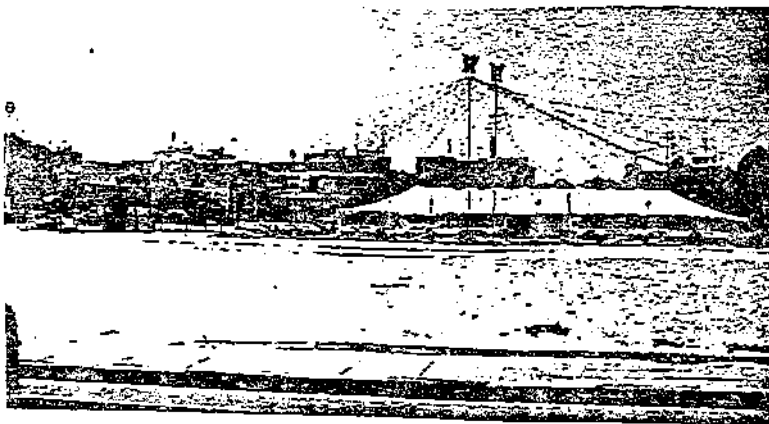


Figure (7)

Likewise, his report on Fehailil" represented similar accounts i.e. "Acoast village in "Adan" district of Kuwait principality 21 miles south-south-east of Kuwait town. It consists of 50 houses and has 20 wells of good water about 18 feet deep. There were 200 well-grown date palms, and some cultivation of wheat, barley, and melons, irrigated from the wells. The inhabitants who belong to various Arab tribes, own some flocks of sheep and goats. Fahail, is a resort in the coast for twons men of Kuwait (Lorimer, 1905 : 511).

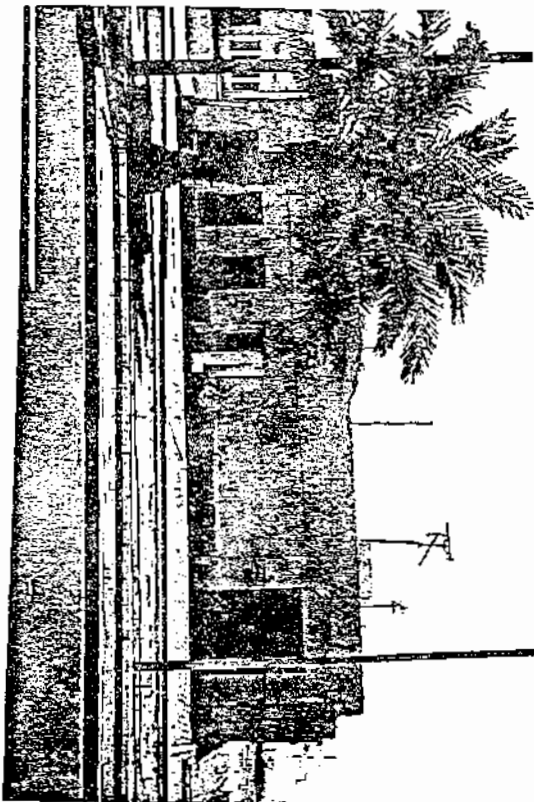
These coastal villages as mentioned before practiced rural activities which produce settlement of particulars forms i.e. small houses attached to cultivated land, water wells, palme trees etc, with small numbers of population between 300 - 100 houses. Until recent times, even after oil discovery and oil production those areas practice small-scale cultivation as well as resort places in certain seasons.

On the other had, some places regarded as a combination of, cultivation and animal hearding only like the village-oasis of "Jahra", Dicakon (1956), considered "Jahra" "A considerable village and oasis", situated near the foot of Kuwait Bay, about two miles in land, forty feet above sea level, and distant twenty miles from Kuwait town. The permanent inhabitants of Jahra are mostly cultivators of Najdi extaction, and in summer there were large Badawin encampments a short distance from the oasis, for its excellent drinking-water.

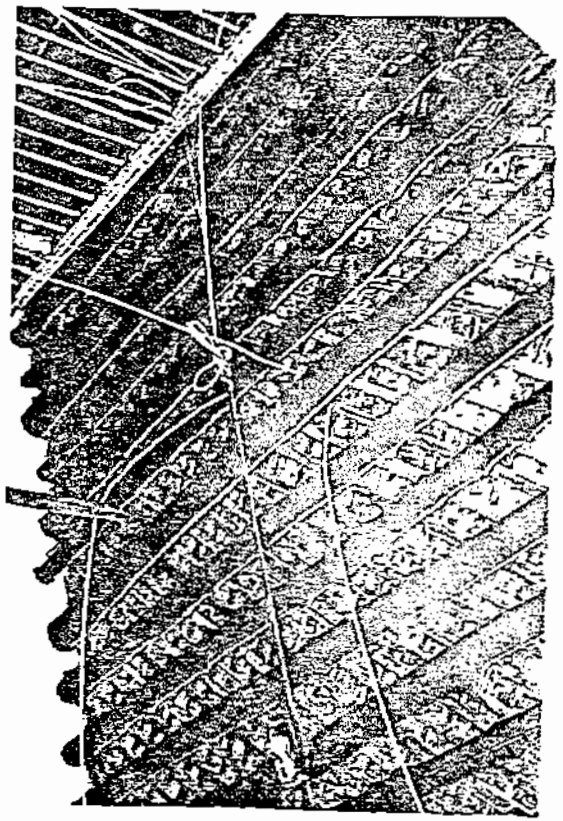
Nomads Settlement:

In the early 1900 s, the estimated numbers of the nomads were between 13-15000 people. They were scatered over the desert and some were surrounding the wall of Kuwait. Some were close to the town who are called "Arab-dar" or "Badawins of the houses" as mentioned before as they spent summer near the town. The magority were nomads, who spent most of there life in a nomadic cycle of movement according to seasons of the year, i.e. in summer they look for water wells located near some villages i.e. Jahra village of Kuwait, while in winter and spring they roam over the desert of the peninsula over there usual places "Diras".

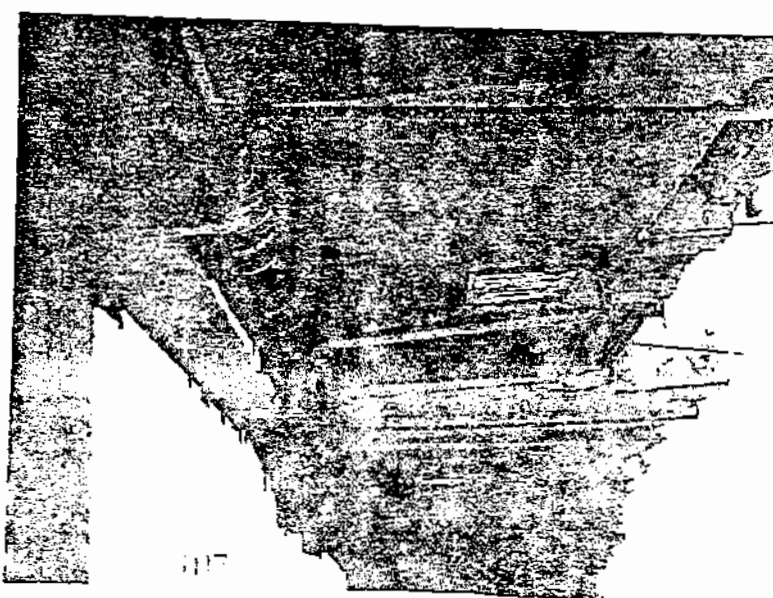
The settlement which nomad Badawins used was the tent which made up of strips of black or brown coarse cloth. They are woven for goats hair or



(b)



(c)



(a)

Figure (b) shows number of pictures of Diweniyah (men reception room). In picture (a) out door summer 'reception' place on the main entrance while picture (b) shows complete house where both reception room of large windows in addition of out - door men reception place picture (c) shows the old roof of a kuwaiti house with "chandaals" round wooden poles (Photos by the author)

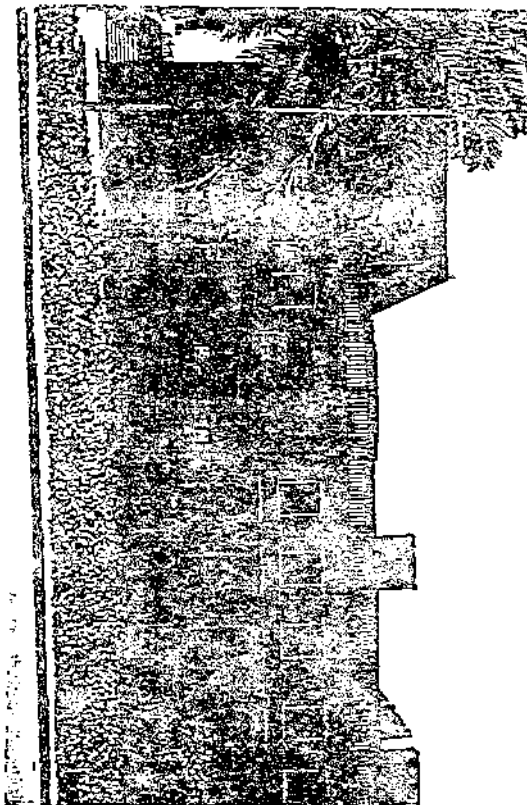
meters length), imported from the Rufiji River in East Africa. By the standard length of those mangrove poles the width of rooms was limited. On top of those poles were placed reed mats which supported about 30 cms of mud mixed with straw. Teak wood is used for windows and doors. Large windows always for men reception facing outside, while small windows are high allowing light and air to the interior. Occasionally, there was no second story, instead there was a single room attached to open roof with walls "Sateh" for sleeping in summer. The internal courtyard was usually "Screened" near the entrance, so that visitors could enter without encountering the family inside. The "Diwaniyah" (men reception room), for friends and close members of the family is located to the right or left side of the main entrance. Water is obtained throughout digging wells in the courtyard of the house or by purchasing water from people who usually bring it from southern Iraq.

The well-to-do houses are larger in size and higher, with many rooms and double courtyards with two stories. Burned bricks were used instead of mud bricks. On the roof of houses, there exist "Bagdir" or "Badgir" (high octagonal division of shaft provides inlet and out left for ventilation 2-3 meters high and 2 meters cross (see figure No.6)

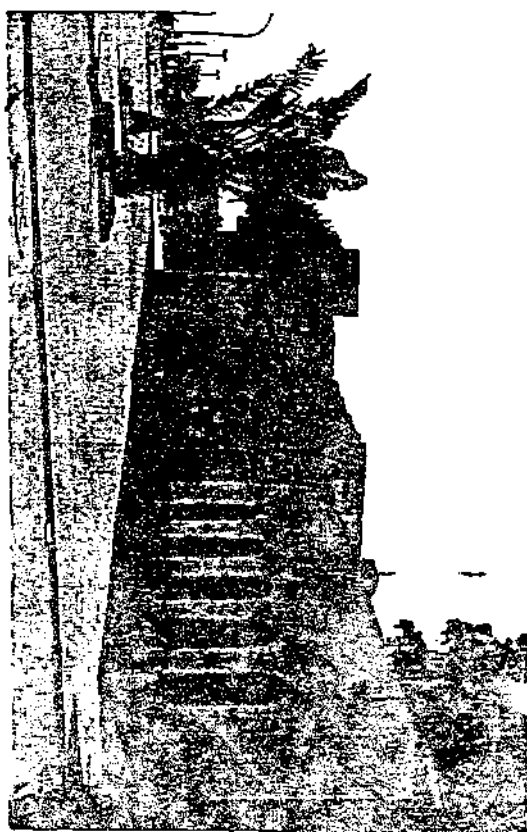
In general the total size of the house was about 10 by 15 meters, or 10 by 12 meters, some times more or less than that size depending on the condition of the family i.e. 40 by 30 meters for rich families or more.

Rural Settlement of Kuwait:

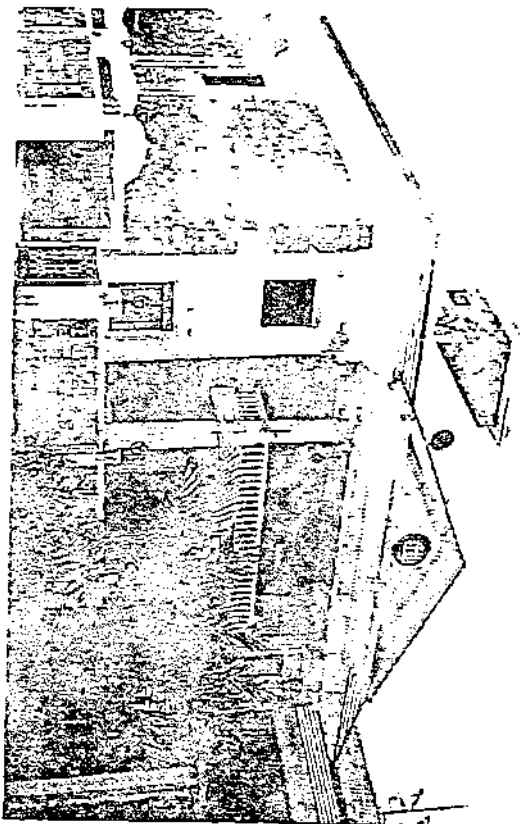
Not far from the town were number of villages over which some small scale agriculture took place as mentioned earlier. There were some sort of rural settlements attached to these parts differ from what was seen inside the mud wall of the town. According to Lorimer (1905), "Fantas" a coast village in "Adan" district of Kuwait principality 16 miles south-south-east of Kuwait town. It contains about 100 houses, the inhabitants belong to various mixed Arab tribes which are found in Kuwait town. There were about 30 wells, some are brackish, but other contain good water at depth of 20 feet. Cultivation consist of barley, lucerne, melons, radishes and onions, the village has 300 date palms and many ber trees. It is accounting resort for town's 5 men of Kuwait" (Lorimer, 1905 : 535)



a



(b)



(c)

Figure (5) shows number of pictures of old and new houses in Kuwait picture (a) and (b) shows well - to - do Kuwait Houses of the pre-oil era while picture (c) shows modern house which has no connection with the past Photos by the author.

(3) Indigenous planners and local contractors:

This factor could be understood by comparing it with western planning methods. The western planning methods stress the division of urban life along isolated functional criteria. Special areas for housing, recreation, commerce, industrial activities and governmental use are singled out by corresponding zoning schemes. The result was loss of social contacts and isolation. True traditional Islamic city, on the other hand, under local planning, stresses the idea of close interaction between the various aspects of town life. The separation between ethnic groups allows individual groups to follow their own way of life. There is also a clear division between public and private realms, which reflect the Islamic concern for privacy in the residential quarter. The concept of "Local ward" do not contradict with the introvert aspect of residence allowing residential and public spaces to be "back to back" without the outside world interfering in the private sphere of the house. All this resulted in closely interwoven clear definition of spaces in correlation to their users, connections to the needs of pedestrian movement, allowing harmonical social interaction (Bianca, 1982 : 36). When western plans were adopted from the late fifties into the town, "Kuwait town" had changed dramatically as the idea of functional zones in a semi-concentric zone areas were forced on new town. The wall of the town was demolished in 1957, and the old town almost disappeared except for old mosques which remained by law providing the limits of each ward or quarter. Under the impact of first Master plan i.e. "Monoporio, spencely and Macfarlane" in the fifties followed by the Buchanan and shankland Master plans in the seventies and eighties, Kuwait town almost became a history.

New houses, have lost their privacy and are exposed to the public through low walls, wide windows, while large streets replaced the intricate curvilinear irregular pattern of roads (see figure 5).

Characteristics of the "Kuwaiti House":

The bulk of Kuwaiti house structure was formed largely of indigenous materials which answer the requirements the environment. The walls were constructed of sun-dried mud, pallets; or lemps of coral rocks taken from the seashore. Mud mortar was used to bind these units together, and mud plaster to face them. The roof was supported on "Chandals" (round wooden poles about 10 cms in diameter and always cut to a standard 3

- (e) Group worship i.e. five time daily prayer in addition to congregational Friday payer, and Ramadan fasting month and the "Eid" (festival) of breaking fast after Ramadan and "Al-Hajj".
- (f) The high value of guest and hospitality in general.

These factors shape out the Arabian town and dwellings as in Kuwait town similar to these towns all over the region. "Complete privacy" for example, produces dwellings with few openings to the public, the existing screening is usually providing direct sunlight to prevent viewings from outside. The introvert character of dwellings stresses privacy of family sitting, through high walls, narrow inlets, while widely open inside to produce free privacy.

"The group-feeling and close-connection", strengthen face-to-face relations which was translated into certain design of close-end-wards for group gathering, and short and narrow paths which make door-to-door connections by dwelling a daily aspect. The compactness of town was a true meaning of group-feeling surrounded by wall from sea to sea.

"Strong family and kinship feeling" created inter connected organized town, divided according to family, tribe, and kinship system. Each ward was named after certain family or certain tribe which strengthen family inter-marriage, family meetings and family feelings.

The "close neighbour" has a great value in the ward as the prophet (peace be upon him) strongly stressed on the rights of the close neighbour and other neighbours in the ward, there must be no harm to him i.e. "Let no damage and no damaging", "No man would build his roof higher than his neighbour's" this will interfere his privacy etc.

"The daily worship and annual Islamic festivals" also surround all the previous factors by stronger unity as they pray five times daily seeing each other and meeting each other before and after worship, in addition to the Friday prayer, forcing building mosques in neighbourhoods in certain location i.e. centralized sites. "Hospitality" and special value of guest is very highly considered and still is existing until now. The design of house is effected by this factor, a "Reception room" for daily guests in addition to other room for special guests who might stay for some time (usually three days) must be considered in building any house.

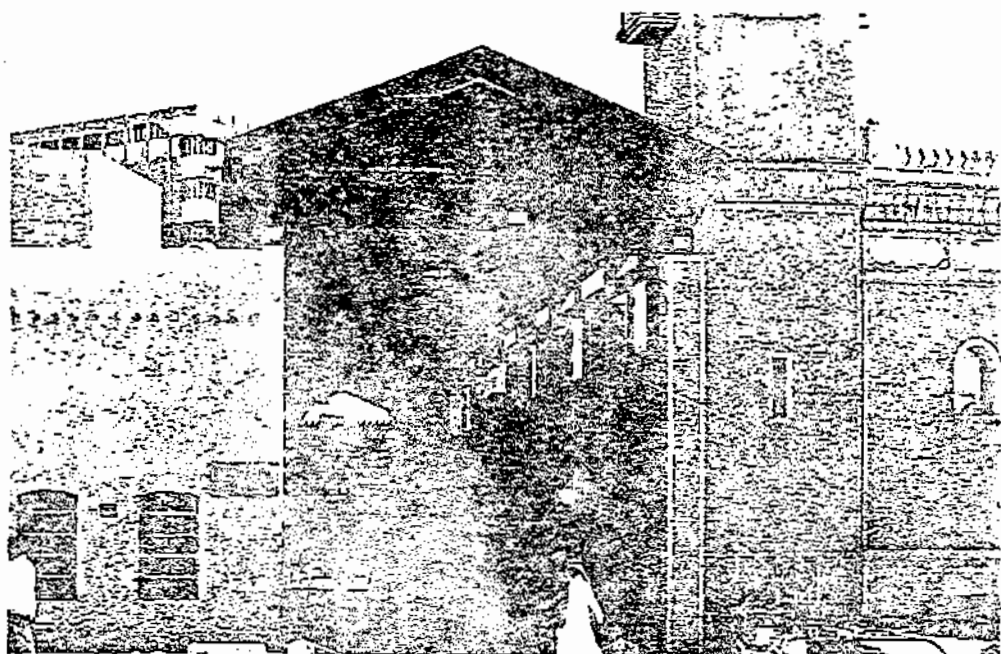
to 50°. More specifically, average night minima exceed 24° during this period. Relative humidity drops below a maximum of 50 percent throughout the summer. Rain is never recorded but winds can be relatively strong during summer particularly in July and August coasing dust, and sand winds sometimes. The prevailing winds at all seasons are north-westerly, although in summer, strong south-easterly winds are occasionally recorded, and bring humidity, experienced in the coastal areas further down, but not comparing to Bahrain and Muscat for example, who suffer both high temperatures and high humidities in summer (French and Hill, 1971 : 67). At the end of September temperature drop sharply, cold north westerly and north easterly prevail most of the season. Water resources are scares, depending on importing water from southern Iraq, underground water on the coastal villages and Jahra village to the west are of good water. Soils are mostly sandy with high digree of salt, while agriculture soils over the villages are poor of essential menirals in general. Irrigation is very essential in some location, brackish water is always found near the surface while on some depth of about 20 feet good water appears.

Under the previous circumstances, "House forms" were designed to gain "Minimum heat" and "Maximum cool" in summer, while "Maximum heat" with "Minimum cool" in winter. All the micro climate scale requirements could be obtained through the "Location" and "Direction" of house in relation to sun light sun heat, and prevailing winds. The town was facing north-west which prevents direct sun heat. The narrow streets and high walls of houses and dwellings provide continuos shad for pedestrians. The small windows provide sufficient light and air current, the barren soils do not reflect heat or sun radiation. The mud-walls keep conduction and convection of heat very slow to the interior of houses by slowing down time-lage of heat radiation.

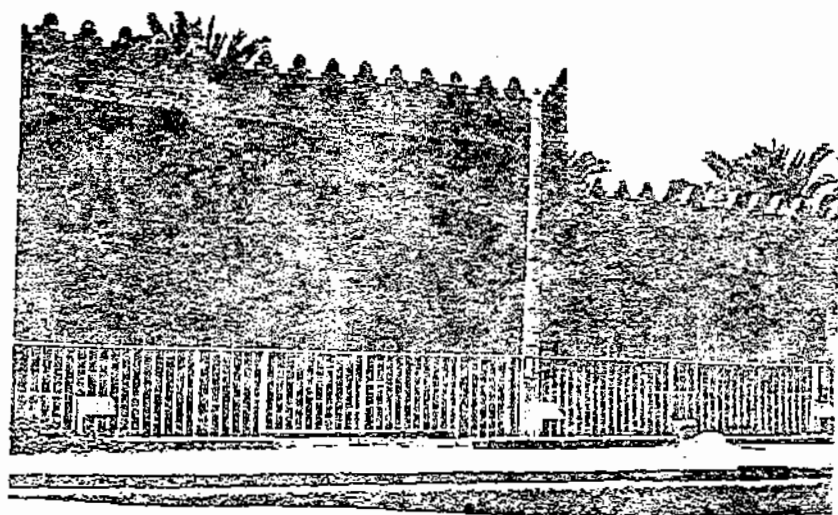
Islam teachings and Arabian Culture:

Islam provides the most significant factors in shaping and styling settlements and dwellings. The teachings of Islam in relation to settlements and neighborhood based on some aspects i.e

- (a) Complete privacy of family.
- (b) Group-feeling and close-connections.
- (c) Strong family and kinship relations.
- (d) High value of the close neighbour and neighborhood in general

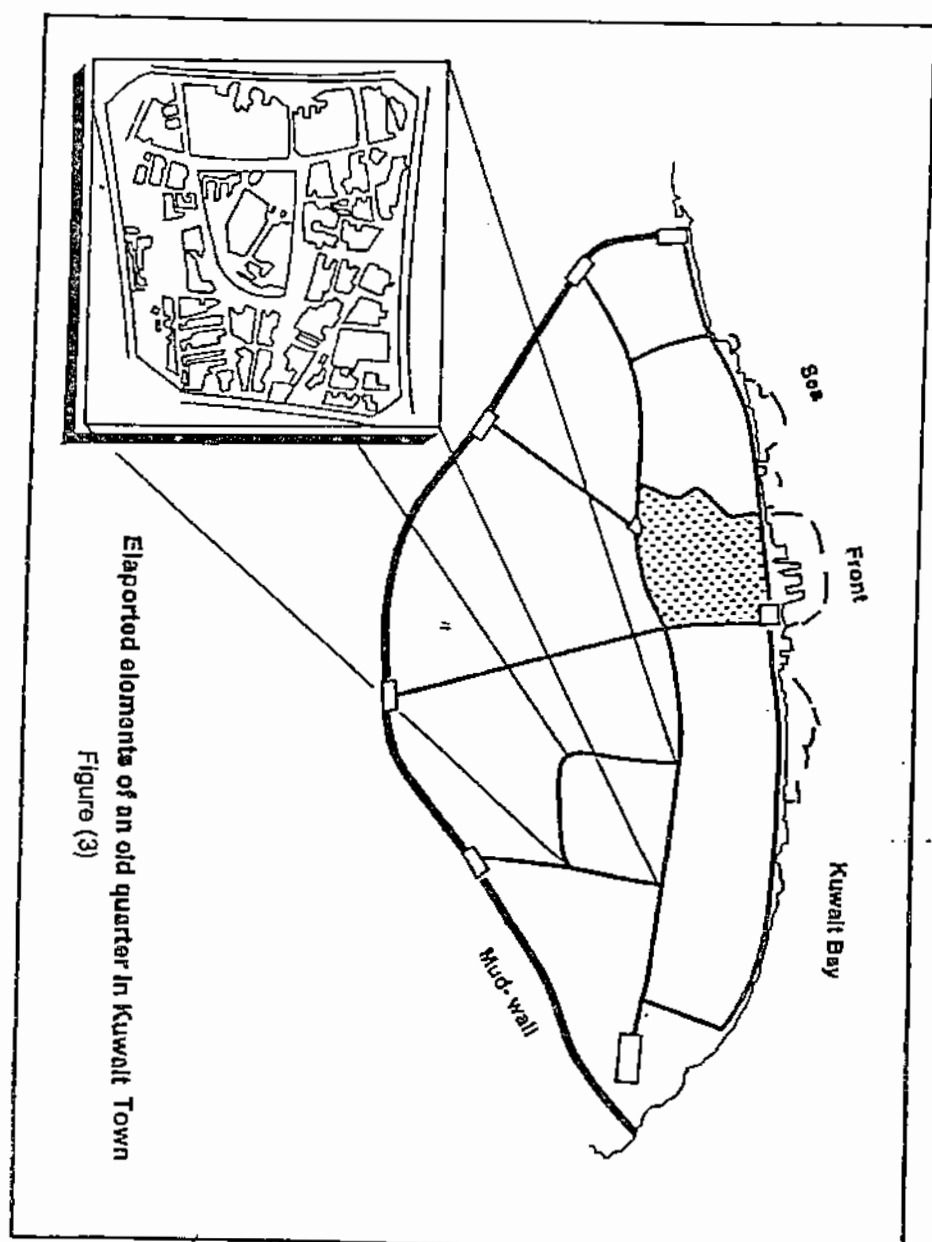


(a)



(b)

Figure (4) shows pictures of old market
as in (a) , while on (b) a picture of an old
Gate of the old town kept as monument.
(Photos by the author)



have visited the town during pearl-diving and trading seasons where the town left obsolete. It said also, that he must have visited the town during the epidemic which struck the town in that year causing high number of deaths and migration from the town. The years of the forties witnessed some decrease in population as a result of the world war. The structure of population in terms of its ethnic groups and socio-cultural roots belong to Arabian tribes either settled in central-middle and southern parts of the peninsula and its eastern coasts, or who were nomads for long time until seventies or late sixties of this century. It is also worth mentioning that there were group from the southern parts of Iran i.e. Persian and Arabs mixed with persians, besides, settled groups from other communities of Emarates of the Gulf at that time. Those groups have an outstanding influence on structure of settlements of the Kuwaitis i.e the Kuwait house and the wool-tent etc. The distribution of population could be seen through discussing the morphology of town which reflected characteristics of settlement geography of the town at that period.

Morphology of town in relation to economic activities and population size etc.:

The structure of Kuwait town was influenced by many factors among which economic activities and population size were important beside other factors. In 1905, Lorimer in his "Gazetter of the Gulf", described the town as :

Small in size, about 3 KM along the shore, streets are irregular and winding, many of them blind alleys, and town is not laid out on any general plan, the only streets of apparent importance, besides the main bazaar which runs at right angles to the sea about the middle of the town, is one which leads from the suq or market square, situated at the back of the town near "Murgab" quarter, to the north-east and of the town, the sewage is deposited in large open public cesspools in various quarters. There are between 20 and 30 mosques of which 4 are Jami's or Friday congregational mosques, (Lorimer, 1905 : 1050).

The town was morphologically subdivided into five main quarters or division, including structure inside and beyond the wall of the town, (see figure No.(2). Those divisions were:

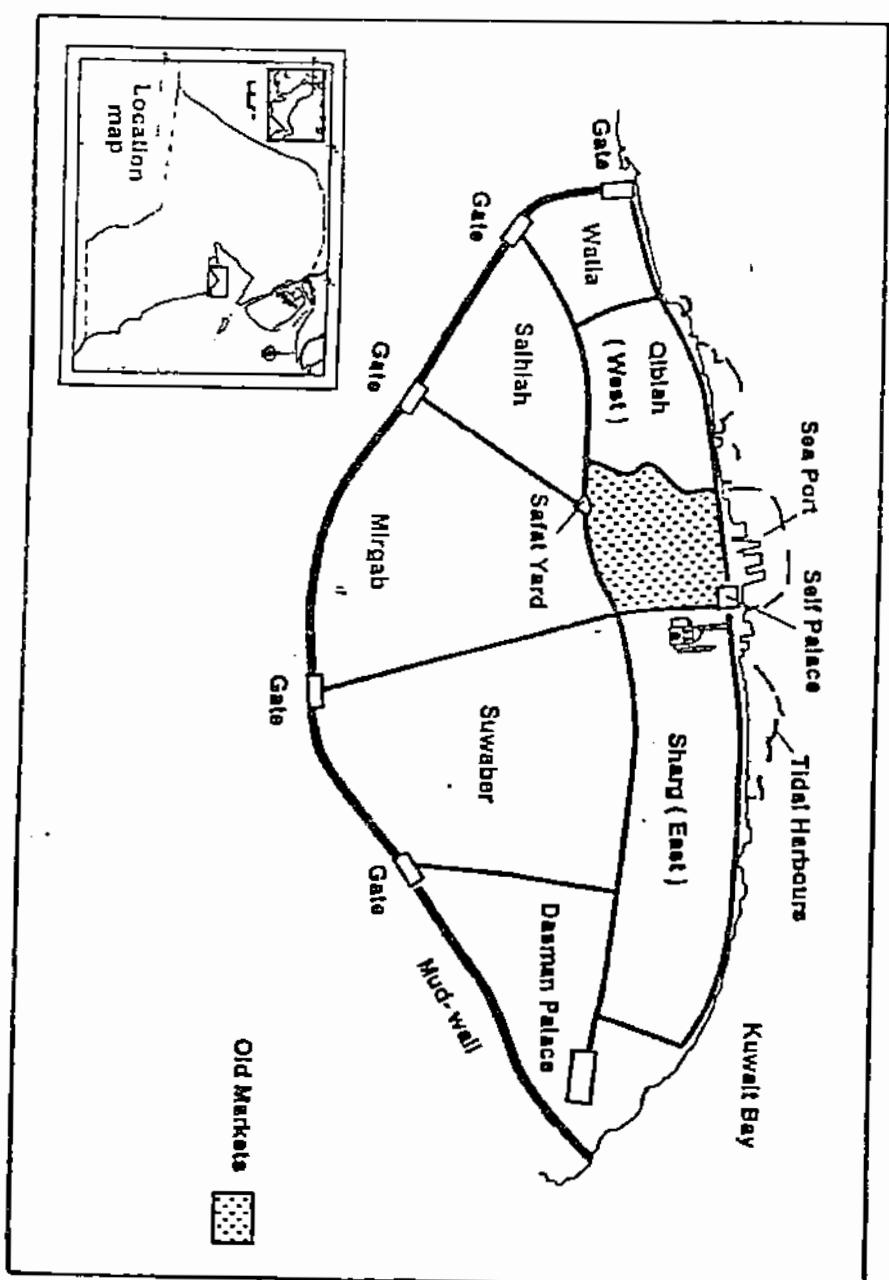


Figure (2) Old quarters of Kuwait Town

desert side, is "The desert division", where the product of desert and its nomadic and semi-nomadic life cycle. All those divisions were located directed and to the of the town core, and all of the town was centralized around the "Palace of the Emeer" or the Shaikh of the town in "Al-Wasat division" (centre), which includes also the main Mosque, the main market place and the main port of the town. On that basis, Kuwait town was a typical "Arabian Islamic town" particularly the type of the eastern coasts of the Arabian peninsula which consisted of the five main components.

- (a) The walls and gates of the town.
- (b) The main Mosque.
- (c) The palace of the Emeer.
- (d) The roofed markets and Bazaar, and
- (e) the closely compact residential areas of narrow wind streets. (see figure 2 , 3 , 4)

Settlement forms with reference to the "Kuwaiti House" :

Settlement geography and settlement forms in Kuwait were effected by number of factors before the discovery of oil with reference to the "Kuwaiti House", such as:

- (1) Physical geography with reference to climate and soil.
- (2) Islam teachings, and Arabian culture.
- (3) Indigenous planners and local contractors.

(1) Physical Geography with reference to climate and soil:

We have mentioned earlier that traditional "Arab town" and "Arabian house" were moulded by physical , religion, and social factors in addition to other side factors. Climate and soil and other environmental conditions effect very strongly the settlement geography of Kuwait. Kuwait lies between 28° and 30° north of the Equator between 46° and 48° east of the Greenwich meridian. The surface lacks bold relief. In the west the land rises to just over 300 m above sea-level, shelving gradually eastwards so that the eastern third of the state is less than 150 m above sea level and this part includes all the permanently inhabited divisions of the state including Kuwait town centre. In summer between May and September, Kuwait town is among the hottest spots in the world, mean monthly temperatures exceed 30°, and in July and August it reaches sometimes up

- (a) The sea-front division.
- (b) The markets division.
- (c) Residential area division.
- (d) Coastal villages beyond the wall of the town.
- (e) Desert division, beyond the wall of the town.

"The sea-front division", was directly located on the sea, it was the busiest part of the town, particularly in the trading and pearl-diving seasons. All dhows were spread over inside several tidal harbours, called "Niga'ahs" of considerable size formed by piers and break waters of loose coral blocks. Those dhows were loaded by goods or made repairs inside the low coral harbour walls. Attached to this small harbours on the opposite side, were houses of merchants who owned those ships. Between the sea-shore and the houses of merchants were the busiest street of the town during the favourite seasons, and in fact throughout the whole year. "The market division" was located between the sea front and the residential area of the town. This division was consisted of roofed markets attached to each other. To the sea-front it was considered a kind of "Hinterland" which received goods or loading other, while to the people it was the market place of clothes, foods, money exchange, meeting place for new labours for sea faring activities, new contracts for new seasons etc. This division was "A typical Arabian market", where, number of small special markets attached to each other in narrow paths with high covered roofs allowing in air current for moderating the heat of weather.

"The residential division" was divided into four large quarters which were subdivided into small wards. These four quarters were "Jiblah" (West), "Wasat" (centre), "Sharg" (east), "Mirgab" and "Salhiya" to the interior, (see figure 2). The small wards were divided according to family and tribe kinship system in addition to the origin of migration place of groups. For example those who came from the centre of the Arabia Peninsula i.e. Najd province were settled in the West (Jiblah quarter), while those who came from the east coast of the Arabian peninsula and southern parts of Iran were settled in the east of town (Sharg quarter) and so on. All the previous division i.e. sea front division, market division and residential division were surrounded by mud-wall with large five gates open to the desert.

The "Coastal Villages", on the other hand, were located beyond the mud-wall along the coast toward the south. Those villages used to provide the town with some small agriculture products as mentioned before. To the

On the other hand, to the oboisit side the town, there existed another socio-economic cycle of human activities which had its settlement prints on the land. By that we mean, the activities of the people of the desert i.e. nomads (Al-Badia or Badawins), who camped beyond the town-wall. According to Dickson (1956), who spend almost all his life in Kuwait with his family at that time as British political agent the people of the town divided into three divisions i.e. "Al-Hadhar who are town people, or villagers, Al-Badia, who live nomad life in the desert, and Araibdar-Arabs of the homeland who live between Al-Badia and the Al-Hadar as "Semi-nomads", camping close to or living in town during the summer and back to the desert in winter (Dickson, 1956 : 82). In general, nomads and semi-nomads provided the town with their products i.e. wool, sheepskin, milk, camels, horses, weaved-wool peices, etc. The previous groups translated their existence in a number of settlements i.e. houses of mud or stones, shaks or wood houses, tents , as we shall see later.

Population size:

Population had their impact on the settlement geography of the town in terms of their distribution and ethnic roots, and other aspects. The population size was totally based on estimation, until the first official census in 1957 which was undertaken every five years from that time. the total numbers of population as shown in table (1) were represented by estimations of travellers or by political agents, or by locals.

Table (1) Population of Kuwait before oil discovery

Year	Total population	Source of Estimation
1756	10000	Niebuhr, a Danish traveller
1831	4000	Stoequeier, a traveller
1862	35000	Palgrave, a traveller
1904	48000	Lorimer, in his "Gazetter" of Gulf
1919	85000	Food Supply Dept. in Kuwait
1944	70000	Miscellaneous
1947	120000	Miscellaneous
1952	160000	Dickson, British P. Agent
1957	206413	First Official census of population

A gradual growth of population could be seen in table (1), except for the year 1831 i.e. the estimation of stoequeier. In his estimation of 1831 did not include the nomad and semi nomad tribes, in addition to that, he must

Pearl diving used to be the old occupation of the inhabitants of the coasts of the Arabian Gulf. It was full of high degree of risks and sufferings before reaching the satisfactory profitable catch of pearls. The pearl diving season was built on debt system between the owners of ships and the divers and other crew where they got further advances of payments to feed their families during the diving season. This industry provided income for the Shaikh of Kuwait, merchants and the whole town, according to Lorimer (1905) in the "Gazetter of the Gulf", this industry at its peak exports exceeded about £.2 million in value and in 1904. Kuwait had more than 500 vessels, more than 460 boats were engaged in pearl diving employing more than 9000 men, and reached before the break of world war 700 boats employing 15000 men (Al-Sabah, 1982 : 16). By the start of the first world war the number of boats putting to sea was small, the severe depression after that war further decreased the number of boats and finally, the introduction of the cultured pearl by the Japanese almost destroyed the total structure of this industry.

Kuwait town on the baies of that economy was open to the sea and almost closed to the desert.⁽¹⁾ Sea trade on the other hand depend on transit trading to Gulf region, the peninsula, beside Europe carrying cargo, materials, dates, grains, among port of Southern Iraq, India, East Africa, beside Emerates of the Gulf and Yemen. On return, they brought foods, coffe, tea, rice, spices, some metals, clothes etc. According to the British political Agency, Kuwait foreign export from 1820 - 1905 reached number of Rs 142,000 to Rs 1, 154, 322 (Dickson, 1956 : 461), (Al-Sabah, 1982 : 20).

Agriculture, also had its impact on the activities of the town as it produced some essential needs to the people. It was a small scale activity scattered over some spots on the edge of the town and coastal villages and oases. There were some crops and trees grew in winter and summer over some villages like Jahra, Fintas, Failaka Island, Abu-Halifah and other locations. Palm trees used to be widly spread particularly in Jahra oasis-village, Fintas, and Abu-Halifah-winter crops were tomatoes, chard, coriander, cress, onions, while in summer, watermelon, and melon, cucumber. There were also wheat planted between October and April, barly in Jahra and Failaka Island, almost over the areas of wheat. Agriculture was faced with almost sand soil all over the area, and scarcity of ground water of high salt.

-
- (1) In fact, although there was a wall surrounding Kuwait town, it was not closed totally to the desert. Trad in and out of Kuwait followed two old routes : The Gulf sea - route and the Caravan tracks . Desert caravans loaded at Kuwait and carried goods from it to Basrah, Bagdad, Aleppo, and other countries and ports of the Gulf . Estimation of camel's number in a caravan was ranging between 200 - 5000 camels with about 150 - 1000 men (see , Abu -Ha kimah , 1982, 93 - 94)

The Arabian and European sources gave number of dates for the exact time of town establishment, capital of the present state of Kuwait. The English East India Company suggested that the town was built about 1716 (Abu - Hakima, 1982 :1). The Kuwaiti sources, however, suggested that Kuwait was established in 1100 A.H. (1679), or 1125 A.H. (1704) (Al-Rashaid, 1978 : 33). Other Kuwaiti sources suggested early 1010 A.H. (1603) and was known under its old name "Gorain" (Al-Nabahani, 1923 : 126). It is worth mentioning that both names "Gorain" and "Kuwait" are diminutive forms of the Arabic word "Qarn" meaning high hill, while Kuwait is diminutive form of "Kut", meaning castle or fort surrounded by walls.

Kuwait town used to be a typical Arabian-Islamic town similar to those towns scattered over the eastern coast of the Arabian peninsula before the discovery of oil. There were number of factors which had shaped the morphology of the town, i.e.:

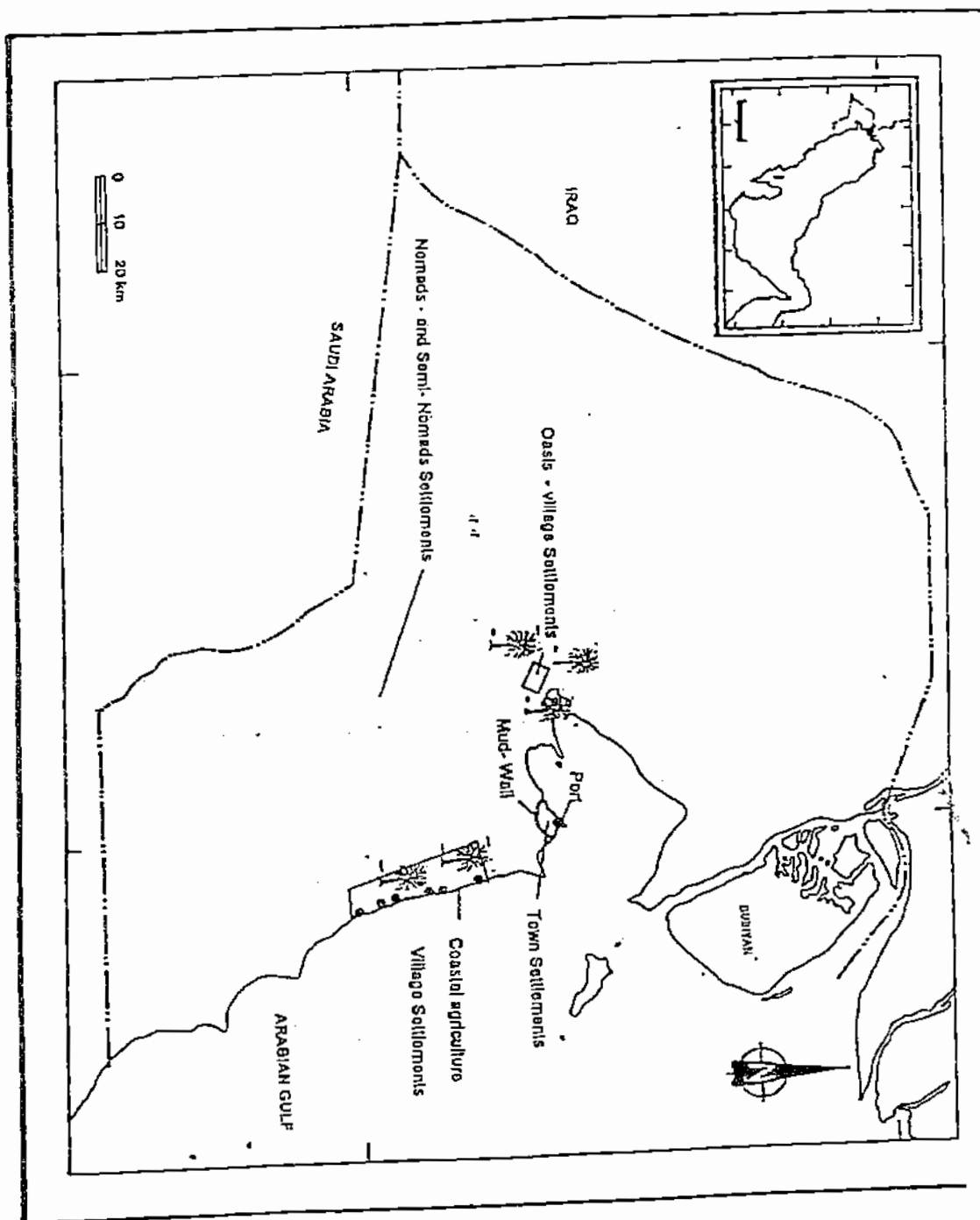
- (a) Economic activities
- (b) Population size, we shall discuss each factor in relation to the settlement question.

(a) The pre-oil economy of Kuwait:

Before the discovery of oil, Kuwait economy was based on pearl-diving, seafaring, boat building, trading, small size agriculture, fishing, herding and some small crafts (Al-Sabah, 1980 : 12). Beginning with the establishment of Kuwait, it grew rapidly in the first 50 years of existence. A further spur to rapid urban and economic growth was provided by the Persian occupation of Basra (Southern Iraq), and the diversion of much of Basra's trade to Kuwait. Carsten Niebuhr, a Danish traveller passed by Kuwait in 1764 and described the town as,

- (1) "Koueit or Graen as it is called by the Persians and Europeans is a sea port, three days journey from Zobejer or old Basara. The inhabitants live by the fishing of pearls and of fishes. They are said to employ in this species of naval industry more than eight hundred boats" (Freeth & Winston, 1972 : 62).

(1) The name "Gorane" was written in many ways as shown in the old maps of area i.e. it was written "Grane" by E. weller in a map published in England in the 19th century, and also by Hall Barry on the map of Persia and Afgansitan published in Edinburgh in 1856, and also by the "Society for the Diffusion of useful Knowledge" in London on a map of the Peninsula; while in the map of Asia by Arrowsmith Published by Longman & co., in 1829 in London was written "Grayn"; on the other hand Niebuhr wrote it "Gran" and some wrote it "Graen" or "Gorain" etc., see, "Kuwait: a study in historical maps", 1994, by the Centre of research and Kuwaiti studies.



Culture also puts forward strong pressure on settlement forms forcing certain design type or house type, even though some times, its design makes no environmental sense. Folk culture, for example force "Cultural landscape" that is when every folk society produces its own distinctive cultural aspects overland. The house or dwelling are the most basic structure of essence of each province or settlement location. One way to classify folk houses is by the type of building materials, or style of wood building vertical or horizontal or diagonal squared (Jordan & Rowntree, 1982 : 225 - 227).

In the Arabian Peninsula region, Islam and teachings attached to it affect form and styles of settlements in addition to other environmental and cultural adherences among the Arabs. That is why, to some scholars, "A traditional Arabian town, and Arabian house, is a unique phenomenon molded by physical, religion and social factors", (Costa & Noble, 1982: 162 - 163).

Settlement groups in Kuwait:

On the basis of previous remarks on settlements in relation to socio-economic-cultural and physical factors, we shall focus on the case of settlement groups in Kuwait and the main factors behind that before oil discovery.

There were four main settlement groups in Kuwait at the pre-oil era i.e:

- (a) Town settlements,
- (b) Coastal-villages settlements,
- (c) Oases-village settlements, and
- (d) Desert settlements, see Figure (1)

Kuwait was always described as a mixture of activity groups at that time as follows, "The people who settled in what is now Kuwait were a mixture of desert-farers, seafarers, deep-sea divers and traders. This array of livelihoods at once both differentiated between individuals and integrated them within the same individual" (Al-Yawer, 1981 : 111). The town and its settlements was designed and styled under the impact of those groups of people in addition of other significant factors to be discussed later.

explained in purely physical or rational terms without considering social, cultural and perception of people in relation to their surroundings.

Many efforts has been inforced in this context starting from the early twenties and the thirties in the "Classical Models" of urban Geography by Burgess in the "Concentric zones Model", Hoyt in the "Sector Model", and Harris & Ullman in the "Multiple Nuclei Model", which ended up with the notion that settlements and people under socio-economic factors were distributed in patterns over the urban landscape.

Moreover Shevky and Bill in the early fifties considered economic, family, and ethnic status in their "Social area analysis" of the cities, followed later by "Factor analysis" and "Factorial ecology" approaches in analysing urban aspects by utilizing number of social and economic variables. The study of lynch in the sixties on Boston by interpreting and analysing the "Mental Map" of the settlers in perceiving and understanding their urban realm, also threw strong light on this line of socio-behavioural approaches on the settlement question. Demangeon, on the other hand considered physical, social and economic factors as principal causes effecting settlement forms and their distribution. He stated, "The description and classification of settlement forms can be achieved only through study the influences that determine them. These influence fall into three main groups:

(1) The influence of natural conditions, (2) The influences of social conditions, and (3) The influence of the agricultural economy", (Demangeon, 1942 : 506). According to Demangeon and Aurousseau rural settlement under previous influences will produce certain types of distribution i.e. agglomeration or nucleation and dissemination or dispersal.

Settlements on the other hand, are not limited to dwellings, nor are they restricted to permanent ones. There are degrees of permanency all of which represent some sort of attachment to the land. On our region, the Arabian Peninsula, and in Kuwait, there exist number of factors effecting settlement forms and patterns. Urban settlers, or town settlers for example are deferent from Bedouins who are continually oriented to nomadic cycle which force certain forms of settlement i.e. tents, easy to fix and easy to remove Likewise, in Europe, in terms of relation between activities and settlement types i.e the seasonally-occupied stone hut of native fisherman, a log cabin of woodcutter, or a year-round brick home of a farmer (stone, 1965 : 348).

A house is more than mere shelter; it is a personal, social, and cultural reflection. The domestic settlements spring from the past which melt ingredients from various factors and effects old and new to present a uniform explanation of places which are inhabited permanently. That is why most of entire history of civilization is reflected in certain forms of human establishments over human landscape.

The geography of settlement is defined as "The description and analysis of the distribution of buildings by which people attached themselves to the land", the suggested core of settlement geography is buildings, simply because they are considered some sort of presentation at the process of living in an area (Stone, 1965:347).

However, certain forms today are not the ancestral ones under the effect of continuous evolution, and new changes of needs and requirements. We should go back to trace their remote origins sometimes, in order to follow their evolution until present time. It is also necessary to refer to other effects in this context i.e. natural, social, and economic conditions (Demangeon, 1942:506).

It is suggested that settlement geography concerned with rural settlement and urban settlement. By rural settlements we mean studying buildings to which people attached themselves to the land for primary production like for example, agriculture, forestry, mining, fishing hunting etc., while as for urban settlement we study buildings of people relating to secondary and tertiary production. Each group present different forms, sizes, and types of distribution of dwellings, i.e. single dwellings in small clusters hamlets or villages for rural settlements versus large groupings, sizes and styles for urban settlement (Stone, 1965: 347-348).

Settlement forms are affected by many factors, for example, physical conditions i.e. rock, soil types, climate, slope and so on which are actively shape the pattern and style of dwellings, land tenure, and even type of crops attached to the settlement. Physical conditions were strongly considered under the school of "Physical determinism". Today the concept of social factors are also important and in fact superseded physical factors in the form and location of settlements (Danial & Hopkinson 1979: 13). The social and behavioural approaches are prevailing strongly in the interpretation of settlement distribution, thus human decisions cannot be

Literature :

The study depends on four types of sources i.e .

- (a) Sources which deal with approaches of settlement geography in studying settlement origins, forms, and types, like the works of Demangeon (1927), Stone (1965), Jordan (1982) and other scholars . Although most if not all of their case studies related to European or American aspects of settlements, they produce a systematic and clear guidelines for further studies on other parts of the world .
- (b) Sources which cover that period in Kuwait based on studies undertook by those who lived in Kuwait during that time and eyewitnessed all types of settlements and the related aspects, like the works of the Dickson family i.e Harold Dickson (1949, 1956), his wife violet, and their daughter Zahra. The study also makes use of the works of Kuwaiti scholars who explained the socio-economic and the socio- culture aspects in Kuwait which covered aspects of settlement geography . Non the less, the reports of the British political agencies, and other elaborated reports i.e. the work of Lorimer (1905) in the " Gazetter of the Gulf " are highly considered here ,
- (c) Field work study based on tracing the remaining settlements in the old town and villages in Kuwait, which will produce a real picture of the settlement types of Kuwait in relation to that period . The study also look over some contemporary studies on town and settlements in Kuwait in general, and .;
- (d) For the oil- era, the study also makes use of Master Plans reports and technical papers which introduce clear and accurate analysis of settlements and aspects of urbanization for that period .

Aim of Study :

This study aims to trace and to analyse the settlement geography of Kuwait before oil discovery . The pre- oil era covers the period from early 1700s until the late 1940s . During that period number of factors played significant role in shaping the settlement and structure of Kuwait town . Those factors were :

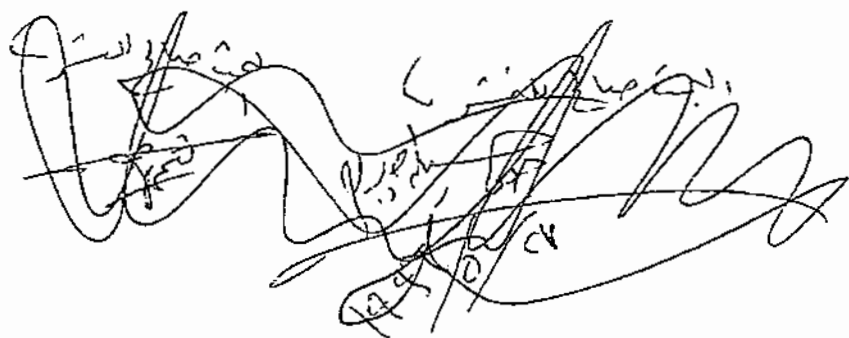
- (a) Economic activities
- (b) Population size,
- (c) Islam teaching and Islamic culture,
- (d) Environmental Factors,
- (e) Building materials, and
- (e) Local planning and indigenous design .

The study believes strongly in the impact of the previous factors on the settlement geography of Kuwait before oil era in particular . During the pre- oil era Kuwait town witnessed four main types of settlements i.e .

- (a) Town settlements,
- (b) Coastal village settlements,
- (c) Oases- village settlements, and
- (d) Desert settlements .

Each of those types of settlements had its own characteristics and aspects under the impact of certain factors . We will also throw some light on settlement and urban aspects of the Oil- era in relation to the main theme of the study in order to understand the differences .

The study adopts analytical approaches in tracing and correlating aspects of settlement geography in Kuwait, mainly, the socio- economic, socio- cultural, and socio- urban approaches . It is difficult, however, to trace settlement's "form and pattern " i.e. agglomeration or nucleation basically because of types of human activities and land shape in Kuwait which prevent clear patterns of distribution . However the " Kuwaiti House " as a settlement phenomenon do exist in certain patterns during that period over the area of the town and other related parts .



The Settlement Geography of Kuwait : Asocio - cultural and Historical Perspectives

By: Dr. Waleed A. AL- Mnais
Geography Dept.
Kuwait University

Appendix 2: A list of the stimulus words and their meaning bias.

Word	Meanings	Percentage of bias
دل	fled appointed	96 4
نقد	criticism cash	100 0
مشروع	project permissible	96 4
خيار	choice best cucumber	74 22 4
سهل	easy valley	91 9
سائل	liquid beggar	71 29
تظاهر	pretence demonstration	87 13
عرض	width parade	79 21
قرن	century horn	92 8
تشكيل	diacritics formation	76 24

تجنب ذلك المسائل.

(non-biased, distanced, proactive disambiguation)

٨- سوف يتم اذا لم تعطيه / تجنب ذلك المسائل .

(non-biased, non-distanced, retroactive disambiguation)

Appendix 1: An example in Arabic of the stimulus material

١- تجنب ذلك السائل / اذا كنت لا تريد أن تضيق وقتك فيما لا طائل من ورائه / فسوف
يحمد اذا لم تغليه.
(*biased, distanced, retroactive disambiguation*).

٢- تجنب ذلك السائل / فسوف يحمد اذا لم تغليه.
(*biased, retroactive, non-distanced disambiguation*).

٣- سوف يحمد اذا لم تغليه / فاذا كنت لا تريد أن تضيق وقتك فيما لا طائل من ورائه /
تجنب ذلك السائل.
(*biased, distanced, proactive disambiguation*).

٤- سوف يحمد اذا لم تغليه / فتجنب ذلك السائل.
(*biased, non-distanced, proactive disambiguation*).

٥- تجنب ذلك السائل / اذا كنت لا تريد أن تضيق وقتك فيما لا طائل من ورائه /
فسوف يشتم اذا لم تعطيه .
(*non-biased, distanced, retroactive disambiguation*).

٦- تجنب ذلك السائل / فسوف يشتم اذا لم تعطيه .
(*non-biased, non-distanced, retroactive disambiguation*)

٧- سوف يشتم اذا لم تعطيه / فاذا كنت لا تريد أن تضيق وقتك فيما لا طائل من ورائه /

Thorndyke, P. W. (1975). Conceptual complexity and imagery in comprehension and memory. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 14, 359-369.

Thorndyke, P. W. (1976). The role of inferences in discourse comprehension. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 15, 437-446.

Walczyk, J. & Royer, J. (1992). Does activation of a script facilitate lexical access? *Contemporary Educational Psychology*, 17, 301-311.

Weiner, E. J. & P. DePalma (1993) Some Pragmatic Features of Lexical Ambiguity and Simple Riddles. *Language and Communication*, Vol. 13, 3, 183-193

Schank, R. (Ed.) (1975). *Conceptual Information Processing* (Fundamental Studies in Compute Science 3). Amsterdam: North Holland.

Seidenberg, M., Tanenhaus, M., Leiman, J. & Bienkowski, M. (1982). Automatic access of the meanings of ambiguous words in context: some limitations of Knowledge-based processing. *Cognitive Psychology*, 14, 489-537.

Seidenberg, M., Waters, G., Sanders, M. & Langer, P. (1984). Pre- and postlexical loci of contextual effects on word recognition. *Memory & Cognition*, 12, 315-328.

Shank, R. & Ableson, R. (1977). *Scripts, Plans, Goals, and Understanding: An Inquiry into Human Knowledge Structure*. Hillsdale, N.J. Erlbaum.

Swinney, D. & Hakes, D. (1976). Effects of prior context upon lexical access during sentence comprehension. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 15, 681-689.

Taman, H. A. (1993). The utilization of syntactic, semantic, and pragmatic cues in the assignment of subject role in Arabic. *Applied Psycholinguistics*, 14, 299-317.

Tanenhaus, M., Dell, G., & Carlson, G. (1987). Context effects in lexical processing: A connectionist perspective on modularity. In J. Garfield (Ed.), *Modularity in Knowledge Representations and Natural Language Understanding* (pp. 83-108). Cambridge, M.A: MIT Press

Tanenhaus, M. & Lucas, M. (1987). Context effects in lexical processing. *Cognition*, 25, 213-234.

- Mondria, J. A. & Boer, M. W. (1991). The effects of contextual richness on the guessability and the retention of words in a foreign language. *Applied Psycholinguistics*, 12, 249-267.
- Oden, G. (1983). Influence of context on the actuation and selection of word senses. *Quarterly Journal of Experimental Psychology*, 35A, 51-64.
- Raskin, Vicotor (1985). *Semantic Mechanisms of Humor* (Synthese Language Library 24). Dordrecht: D. Reidel.
- Reber, A. & Anderson, J. (1970). The perception of clicks in linguistic messages. *Perception and Psychophysics*, 8, 81-89.
- Roller, C. & Matambo, A. (1992). Bilingual readers' use of background knowledge in learning from text. *TESOL Quarterly*, 26, 129-141.
- Rumelhart, D. (1975). Notes on a schema for stories. In D.G. Bobrow and A. Collins (Eds.) *Representing and Understanding: Studies in Cognitive Science*, New York, Academic Press.
- Ryder, J. & Walker, E. (1982). Two Mechanisms of Lexical Ambiguity. In Mehler, J. , Walker, E. and Garrett, M. (Eds.) *Perspectives on Mental Representation: Experimental and Theoretical Studies of Cognitive Processes*. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum Associates.
- Sanford, A. & Garrod, S. (1981). *Understanding Written Language: Exploration of Comprehension Beyond the Sentence*. Academic Press.

MacWhinney, B. (1990). Competition and connectionism. In B. MacWhinney & E. Bates (Eds.), *The cross-linguistic study of sentence processing* (pp. 442-457). New York: Cambridge University Press.

MacWhinney, B., Bates, E. & Kleigl, S. (1984). Cue validity and sentence interpretation in English, German, and Italian. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 23, 127-150.

Marslen-Wilson, W. ; Brown, C. & Tyler, L. (1988). Lexical representations in spoken language comprehension. *Language and Cognitive Processes*, 3, 1-16.

Marslen-Wilson, W. & Tyler, L. (1980). The temporal structure of spoken language understanding. *Cognition*, 8, 1-71.

Marslen-Wilson, W. & Tyler, L. (1983). Reply to Cowart. *Cognition*, 15, 227-235.

Marslen-Wilson, W. & Tyler, L. (1987). Against modularity. In J. Garfield (Ed.), *Modularity in Knowledge Representation and Natural Language Understanding* (pp. 37-62). Cambridge, MA: MIT Press.

Mistler, J. (1972). *Comprehension and Production in the processing of ambiguous sentences*. Unpublished Ph.D. dissertation, State University of New York at Buffalo.

Mohanty, A. (1983). Perceptual complexity of lexical, surface structure, and deep structure types of ambiguous sentences and change in hear rate. *Journal of Psycholinguistic Research*, 12, 339-352.

Hirst, G. (1988). Humorous Information Processing: Why Artificial Intelligence and Cognitive Science Must Consider Humor as a Cognitive Phenomenon. Technical Report, Computer Systems Research Institute, University of Toronto.

Johnson-Laird, P. (1968). The choice of the passive voice in a communicative task. *British Journal of Psychology*, 59, 7-15.

Kintsch, W. (1974), *The Representation of Meaning in Memory*, Potomac, MS., Erlbaum.

Kuno, S. (1980). Functional syntax. In E. Moravcsik & J. Wirth (Eds.), *Current approaches to syntax: Syntax and semantics*. New York: Academic.

Ladefoged, P. (1976). *Three Areas of Experimental Phonetics*. Oxford: Oxford University Press.

Lakoff, G. (1972). Structural complexity in fairy tales. *The Study of Man*, 1, 128-150.

Levelt, W. (1991). The time course in lexical access in speech production: A study of picture naming. *Psychological Review*, 98, 122-142.

Mackay, D. (1966). To end ambiguous sentences, *Perception and Psychophysics*, 1, 426-436.

Mackay, D. & Bever, T. (1977). In search of ambiguity. *Perception and Psychophysics*, 2, 193-200

Fodor, J. (1987). Modules, frames, fridgeons, sleeping dogs, and the music of the spheres. In J. Garfield (Ed.), *Modularity In Knowledge Representation and Natural Language Understanding* (pp. 25-35) Cambridge, MA: MIT press.

Fodor, J., Bever, T. & Silver, M. (1965). The psychological reality of linguistic segments. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 4, 414-420

Forster, K. I. (1979). Levels of processing and the structure of the language processor. In W. Cooper & E. Walker (Eds.), *Sentence processing: Psycholinguistic studies presented to Merrill Garrett* (pp. 55-56). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Foss, D. & Jenkins, C. (1973). Some effects of context on the comprehension of ambiguous sentences. *Perception and Psychophysics*, 4, 304-306.

Foss, D. (1970). Some effects of ambiguity upon sentence comprehension. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 9, 699-706.

Garnham, A. & Oakhill, J. (1992). Discourse processing and text representation for a 'Mental Models' perspective. *Language and Cognitive processes*, 7, 193-204.

Givon, T. (Ed.). (1980). *Syntax and semantics: 12. Discourse and syntax*. New York: Academic.

Hammadou, J. (1991) Interrelationship among prior knowledge, inference, and language proficiency in foreign language reading. *Modern Language Journal*, 75, 27-38.

Hirst, G. (1987). *Semantic Interpretation and the Resolution of Ambiguity*. Cambridge University Press.

Clark, H. (1965). Some structural properties of simple active and passive sentences. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 4, 365-370.

Clark, H. & Haviland, S. (1977). Comprehension and the given-new contract. In R. Freedle (Ed.), *Discourse Production and Comprehension*. Norwood, NJ Ablex.

Conrad, E. (1974). Context effects in sentence comprehension: A study of the subjective lexicon. *Memory and Cognition*, 2, 130-138.

Cullingford, R. (1978). *Script application: Computer Understanding of Newspaper Stories*. Unpublished Ph.D. dissertation, Yale University.

Dell, G. (1991). Mediated and convergent lexical priming in language production: A comment on Levelt et al (1991). *Psychological Review*, 98, 604-618.

Dik, S. (1978). *Functional Grammar*. New York: North Holland.

Fillenbaum, S. (1974). Pragmatic normalization: Further results for some conjunctive and disjunctive sentences. *Journal of Experimental Psychology*, 102, 574-578.

Fodor, J. (1983). *The Modularity of Mind*. Cambridge, MA: MIT press.

Fodor, J. (1985). Précis of the Modularity of Mind. *The Behavioral and Brain Sciences*. 8, 1-42.

REFERECNCES:

Andruski, J. (1994). The effect of subphonetic differences on lexical access. *Cognition*, 52, 163-187.

Arbib, M., Conklin, J. & Hill, J. (1987). *Form Schema Theory to Language*. Oxford University Press.

Bates, E. (1982). Functionalist approaches to grammar. In L. Gleitman & E. Wanner (Eds.), *Language acquisition: The state of the art*. New York: Cambridge University Press.

Bates, E. (1987). Competition, variation and language learning. In B. MacWhinney (Ed.) *Mechanisms of Language acquisition*. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

Beauvillain, C. (1994). Morphological structures in visual word recognition: evidence from prefixed and suffixed words. *Language and Cognitive Processes*, 9, 317-339.

Berg, T. (1992). Prelexical and postlexical features in language production. *Applied Psycholinguistics*, 13, 199-235.

Carey, P. W., Mohler, J. & Bever, T. G. (1970). Judging the veracity of ambiguous sentences. *Journal of Verbal Learning and Verbal Behavior*, 9, 243-254.

Charniak, E. (1984). Cognitive science is methodologically fine. In Kintsch, W., Miller, J. & Polson, P. (Eds.) *Methods and Tactics in Cognitive Science*. Hillsdale, NJ: Erlbaum, 263-274.

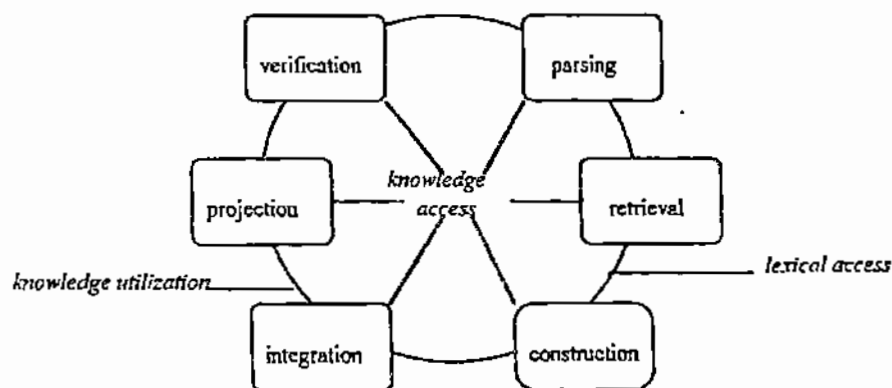
Chomsky, N. (1980). Rules and representations. *The Behavioral and Brain Sciences*, 2, 1-62.

It should be noted that this model combines some aspects of modularity with some aspects of interaction, which makes it more more suitable, and possibly more successful, in Artificial Intelligence (AI) or Natural Language Processing (NLP) applications than purely modular or extremely interactive models. It is modular in the sense that it proposes a concatenation of discrete stages for the processor in which the output of a given stage can be the input for the next one. It is also interactive as it does not assume any information encapsulation, and it allows for interaction between higher and lower level information by making higher level knowledge available to the processor all the time.

retrieval refers to accessing mental representations as well as textual and contextual information relevant to the process unit. Construction, on the other hand, refers to building grammatical as well as propositional (textual) units from the input text. It is during these last two stages that the process of lexical access takes place.

The process of integration refers to the establishment of a dynamic link between textual-textual, textual-contextual, and contextual-contextual information. It is at this stage that attempts at resolving incongruities take place, and, as mentioned earlier, a processes of backtracking may be involved. Finally, projection refers to anticipating structural as well as propositional units on the basis of the data available to the processor. Of course, subsequent text may be congruent or incongruent with these projections. Knowledge utilization is assumed to take place during these last two stages. Figure 5 illustrates the five stages of the comprehension process. Notice that higher level knowledge is available to the processor throughout the six stages.

Figure 5: A Proposed Model for the Interaction of Higher and Lower Levels of Information



voiding active scenarios and activating alternatives. It is to be noted also that the process of knowledge access is different from the process of knowledge utilization; whereas knowledge access functions to invoke initial scenarios, knowledge utilization functions to integrate textual input with contextual and pragmatic information, and to concoct forthcoming input.

Distancing text intervening between the ambiguous stretch and the disambiguating text was found to reinforce initial scenarios. This indicates that initial scenarios are not always unequivocal. In the course of language comprehension, a positive relationship is maintained between the quality of textual information available to the processor, and the quality of accessed higher level knowledge. That is to say, when text information is ambiguous, incomplete, or absent, higher level knowledge is only hypothetical, and vice versa. Also, a self-optimizing relationship is held between textual input and higher level knowledge; in the processor's attempt to interpret the linear input of language data, the deficiency of the input text is counterbalanced by activating higher level schemata.

The results of the study also point to an intricate process of interaction between different levels of information. To characterize the nature of this process, we can assume that comprehension takes place in a cyclical fashion, and it exhibits a concatenation of six distinct stages, namely, (verification), parsing, retrieval, construction, integration, and projection. Verification refers to checking the contents of the processor against concurrent textual and contextual information. If the processor is empty, or if the contents are already validated, this stage is not invoked.

Parsing refers to the mechanical process of perceiving and segmenting oncoming language data into process units, and

The process of lexical access can also be viewed from this perspective; throughout the process of comprehension, the processor has continuous access to higher level (non-textual) information. Scenarios are created, modified, or changed as a result of a dynamic process of resolving incongruities between textual/textual, textual/non-textual, or non-textual/non-textual information. Lexical access cannot be viewed independently from higher level information. Rather, it should be viewed as integral element in the dynamic chain of invoking scenarios, integrating data fragments, and resolving conflict in the flow of information in a horizontal (textual) or vertical (contextual) fashion. In this way, lexical access could, depending on the state of the processor, trigger, or be triggered by higher level information. Also, depending on the quantitative/qualitative relationship between higher level and lower level information at a given point in the process of comprehension, the process of lexical access may involve an exhaustive, random, or guided search for lexical candidates. This might explain the contradicting claims and experimental findings of the various models of lexical access. However, it should be noted that the present results offer more support to Interactive Models than to Autonomous Models of lexical access.

The invocation of initial scenarios and checking them against subsequent text indicates that higher level knowledge is accessed extemporaneously, and refers to both text knowledge and world knowledge. The processor has continuous access to this type of knowledge. A scenario is invoked with a minimal textual input, and other forms of higher level knowledge as well as subsequent textual information are utilized on the basis of the invoked scenario. With the progress of text, and depending of the state of the processor, subsequent textual information has three basic functions, namely, invoking new congruent scenarios, validating and reinforcing active scenarios, and

The analysis of reading-for-comprehension (RFC) latencies in the disambiguating fragment offers significant results. It should be noted again that the disambiguating fragment could be either congruent or incongruent with the biased reading of the ambiguous word, and that it could occur in initial position, in final position following the ambiguous fragment only, or in final position following both the ambiguous fragment and the distancing text. Results indicate that higher level information penetrate the process of comprehension from the beginning, and that bias plays a major role in deciding the nature of non-textual information. As shown in Table 3, higher latencies occurred in non-biased vs. biased contexts, and in distant vs. immediate contexts. Disambiguating fragments exhibited the lowest latency in initial position, and the highest latency in distant, non-biased contexts. Again, it can be assumed that non-biased disambiguating fragments take longer to process because they are incongruent with an already invoked scenario, and that distancing text reinforces that scenario. The varying latencies can be explained in terms of the reader's attempt to reconcile the maintained scenario with the conflicting information presented in the disambiguating fragment. The rank order of RFC latencies in table 8 supports this assumption.

CONCLUSION:

The results of the present study indicate that resolving lexical ambiguity occurs within the framework of a scenario element based on text input, text knowledge, and higher level knowledge. Incongruity between textual information and other textual or higher level information has adverse effects on latencies in the processing of language data.

distancing text. This explains the smaller differences between proactive and retroactive disambiguation in the absence of distancing text. The effect of distancing text is also affected by bias; the difference between episode 5 and episode 7 is statistically significant, whereas the difference between episode 2 and episode 4 is not.

The results of the effect of sequence and bias combined (see table 6) also show that higher level information is accessed early in the process of comprehension, and that incongruity between textual and non-textual information results in reading latency since it involves a process of backtracking of some kind. The results of analyzing reading time latencies for the ambiguous fragment in the various contexts support the above conclusion: the incongruity between the scenario invoked by non-biased disambiguating context and the biased reading of the ambiguous fragment results in higher latencies. Reading latencies are even higher in this case when the ambiguous fragment is preceded by both the non-biased disambiguating context and the distancing text, since, as mentioned earlier, the distancing text reinforces the invoked scenario. Because no incongruity is involved when the ambiguous fragment follows a biased disambiguating context, reading time in this case is not significantly different from that of the ambiguous fragment in initial position.

Results indicate that the reading time of the distancing text is not affected by the type of the preceding context, presumably because it is always compatible with any scenario that could be invoked by either the ambiguous fragment, the biased disambiguating context, or the non-biased disambiguating context. However, distancing text has the effect of consolidating the invoked scenario and thus increasing latency in backtracking as mentioned earlier.

Again, a scenario is invoked on the basis of this context. In episodes 3 and 4, however, an ambiguous word is encountered. Since the biased reading of the ambiguous word is incongruent with the invoked scenario, this dominant reading is deactivated, and a search for the congruent reading is initiated. It is also possible that a process of backtracking is initiated in an attempt to reconcile the meaning of the ambiguous word with the invoked scenario. As a result, the mean reading time is significantly higher in episodes 3 and 4 than in episodes 7 and 8 in which the biased meaning of the ambiguous word is congruent with the invoked scenario.

To test the effect of direction, episodes 1,2,5 &6 were compared respectively to episodes 3,4,7 & 8. On the whole, the results of the present experiment show higher latencies for retroactive than for proactive disambiguation. However, only differences in the case of distant retroactive disambiguation are statistically significant ($p < 0.01$). One plausible explanation for this is that when a scenario is invoked as a function of the biased reading of the ambiguous word as in episodes 1,2,5 &6, it remains tentative until validated or invalidated by subsequent text, but when the disambiguating text is encountered first, as in episodes 3,4,7 &8, the transition between presumed and confirmed information is relatively smoother. In other words, there is no conflict between higher level and lower level information, particularly when the subsequent ambiguities are congruent with preceding information. However, when a conflict exists between higher and lower level information, that is, when the relationship between the biased meaning of the ambiguous word and the disambiguating context is incongruent, the difference between proactive and retroactive disambiguation is no longer significant. This explains the statistically significant differences between episodes 1 and 3, but not 5 and 7. Notice also that provoked scenarios persist when reinforced by

Table 8

Mean Reading Time for Diambiguating Fragments in the Various Textual Conditions.

Condition	Fragment position	Bias	Text Type	Mean R.T.
1	Initial	-----	3,4,7,8	5583.9
2	following ambiguous fragment only	non-biased	2	6382.8
3	following ambiguous fragment + distance	non-biased	1	6884.9
4	following ambiguous fragment only	biased	6	5625.
5	following ambiguous fragment + distance	biased	5	5903.

INTERPRETATION OF RESULTS:

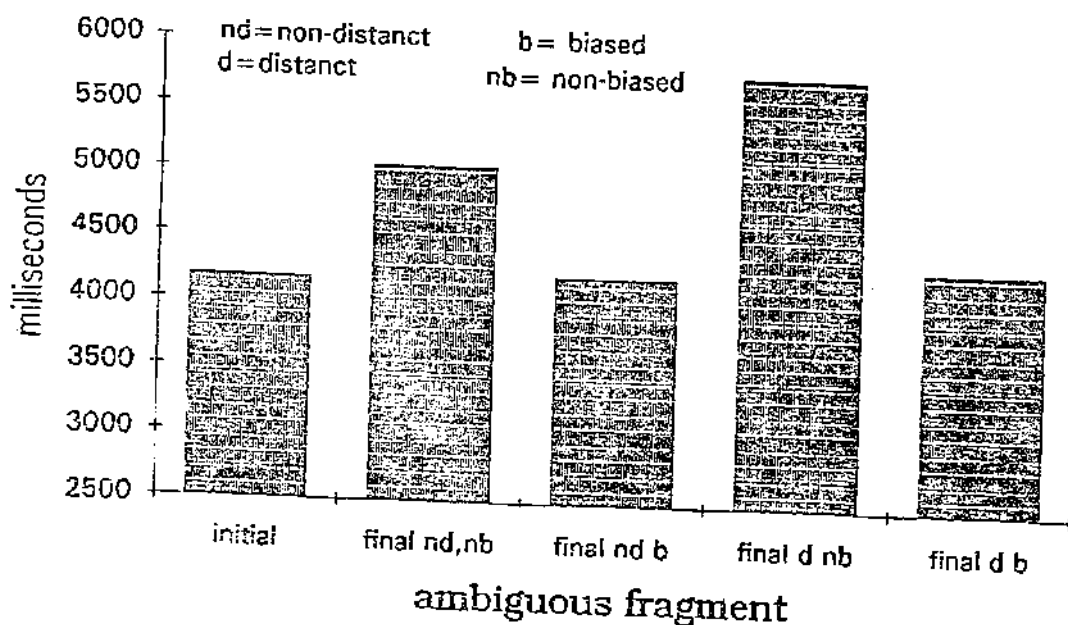
It is presumed that relative differences in reading-for-comprehension time reflect corresponding differences in the amount of cognitive processing in a given unit of language data. On the basis of this assumption, reading-for-comprehension time was analyzed for the eight text structure types involving lexical ambiguity (see figure 1), in addition to the various fragments within those types. Preliminary analysis (see table 3)

shows that latency in reading for comprehension is higher in distant vs. immediate disambiguation, for non-biased vs. biased cases, and for retroactive vs. proactive disambiguation. These results tend to emphasize the role of bias in activating higher level knowledge structures that guide the process of comprehension. One plausible explanation for the higher latencies in the case of retroactive disambiguation is that it involves a process of backtracking, particularly when the disambiguating context confirms the non-biased reading. It also indicates that non-textual information is accessed early in the process of comprehension. This conclusion contradicts the principles of the Modularity Hypothesis.

This observation is also confirmed in the analysis of the effect of bias, direction, and bias and direction combined in the corresponding text structures. In the case of bias, episodes 1,2,3 & 4 were compared respectively with episodes 5,6,7 & 8. In episodes 1,2,5 & 6, and in the absence of previous context, a scenario is invoked as a function of the biased reading of the ambiguous word. In the case of episodes 1 & 2, the invoked scenario is incompatible with the disambiguating context, and a process of backtracking is consequently initiated. In the case of episodes 5 & 6, on the other hand, the provoked scenario is validated, and no backtracking is involved. This explains the higher latency measures for episodes 1 and 2 as compared to episodes 5 and 6. Intervening text between the ambiguous word and the disambiguating context seems to consolidate the invoked scenario. For this reason, the difference between episode 1 and episode 5 is greater than the difference between episode 2 and episode 6. Moreover, the difference between means in this last case is not significant at $p < 0.01$ (see table 4).

In the case of episodes 3, 4, 7 & 8, a disambiguating context is provided before the ambiguous word is encountered.

Fig. 3: Reading time for the ambiguous fragment in the various contextual conditions



No significant differences were found in the reading time of the distancing text in the three different contexts, namely, following the ambiguous fragment, following the non-biased disambiguating fragment, and following the biased disambiguating fragment. The first context is represented in text types 1&5 (mean R.T. = 5212.1 Msc.). The second context is represented in text type 3 (mean R.T. = 5415.1 Msc.), and the third context is represented in text type 3 (mean R.T. = 5553.1 Msc.).

The reading time of disambiguating fragments in the various contexts is particularly important as far as the basic assumptions of the present study are concerned. It should be

noted that disambiguating fragments are congruent with either the biased or the non-biased interpretation of the ambiguous fragment. In either case, the disambiguating fragment could occur in initial position, in final position following the ambiguous fragment only, or in final position following both the distancing text and the ambiguous fragment. This creates six different contextual possibilities for the disambiguating fragment. However, since bias is neutralized in initial position by virtue of the fact that the ambiguous fragment is not yet encountered at that point, only five contextual possibilities of disambiguating fragments were considered. In other words, the mean reading time of disambiguating fragment in initial position is the average mean of text types 3,4,7&8. Table 8 shows the mean reading time for disambiguating fragments in the various textual conditions. Figure 4 is a graphic representation of the data in table 8.

Figure 4: A graphic representation of the data in table 8

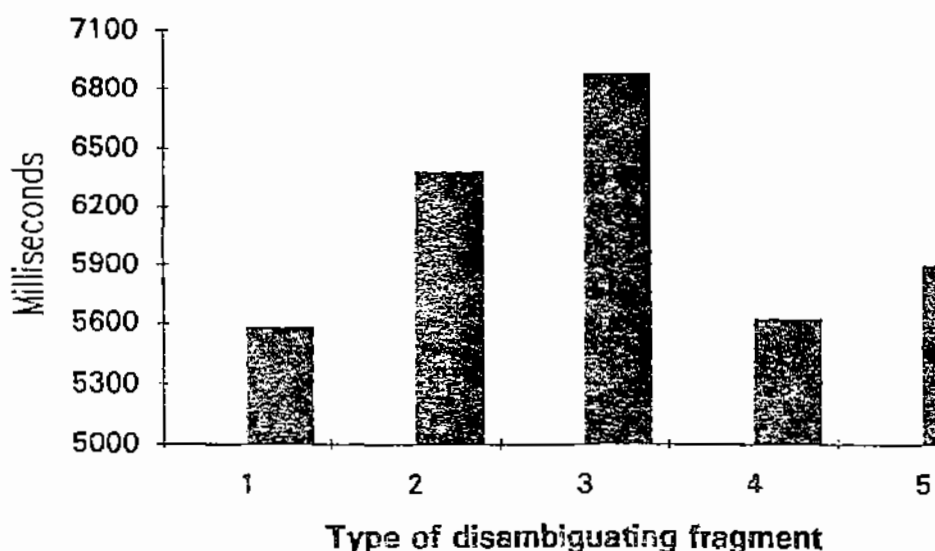


Table 7

Mean Reading Time for Ambiguous Fragments in the Various Textual Conditions.

Fragment Position	Text Type	Mean R.T.
Initial	1,2,5,6	4184.47 Msc.
Final, non-distant, non- biased	4	5042.75 Msc.
Final, non-distant, biased	8	4223.92 Msc.
Final, distant, non-biased	3	5766.78 Msc.
Final, distant, biased	7	4328.02 Msc.

Table 6

T-Test Results of Sentence Types Representing the Effect of Sequence and Bias Combined.

Variable	Mean	Std.Dev	D.F	T Value	P
1 7	16248.0400 12308.1100	869.2564 837.1290	99	68.93	*
2 8	11958.2500 9381.8100	934.3916 900.1362	99	22.05	*
3 5	14313.7800 13210.8600	872.9461 939.6645	99	18.62	*
4 6	10337.1800 11285.9700	900.4756 893.7741	99	13.40	

(*) Significant at $P < 0.01$.

Reading time for individual text fragments was also considered. Specifically, the reading time for fragments representing the ambiguous stretch, the distancing text, and the disambiguating text across the various textual conditions was tabulated separately. As far as the ambiguous stretch is concerned, there were five different conditions that can be shown along with their mean reading times in table 7. Figure 3 is a graphic representation of the data in this table. Notice that the reading time of the ambiguous fragment is higher when it follows a non-biased disambiguating context, more so when it follows both the disambiguating context and the distancing text. The latency measures for the ambiguous fragments in initial position, and following biased disambiguating contexts are not significantly different.

disambiguation, whereas types 2,4,6 &8 represent immediate disambiguation. As shown in table 5, reading time is significantly higher for retroactive disambiguation. T-test results show that the differences between corresponding conditions were significant at $P < 0.01$, except conditions 2 vs.4 and 5 vs. 7.

Table 5

T-Test Results of Sentence Types Representing the Effect of Fragments Sequence.

Variable	Mean	Std. Dev.	D.F	T Value	P
1	16248.0400	869.2564	99	32.02	*
3	14313.7800	872.9461			
2	11958.2500	934.3916	99	14.63	
4	10337.1800	900.4756			
5	13210.8600	939.6645	99	14.59	
7	12308.1100	837.1290			
6	11285.9700	893.7741	99	26.14	*
8	9381.8100	900.1362			

(*) Singificant at $P < 0.01$.

Table 6 presents a comparison of means, standard deviations, and T-test results of corresponding text structure types representing the effect of sequence and bias combined. This comparison involves text types 1,2,3 &4 respective to text types 7,8,5,&6. Results show that text structures with non-biased disambiguating context exhibit longer reading time regardless of the sequence of text fragments. T-test results show that the differences between corresponding conditions were significant at $P < 0.01$, except condition 4 vs. condition 6.

condition two vs. condition six. It should be taken into consideration here that conditions 1,2,3 &4 represent the non-biased condition, that is text structures in which the disambiguating context supports the unbiased sense of the ambiguous word, whereas conditions 5,6,7 & 8 represent the biased condition, that is text structures in which the disambiguating context supports the biased sense of the ambiguous word. This means that bias plays an important role in the access and utilization of both textual and non-textual information.

Table 4

T-Test Results of Text Structure Types Representing the Effect of Bias.

Variable	Mean	Std. Dev.	d.f.	T value	P
1	16248.0400	869.2564	99	41.43	*
5	13210.8600	939.6645			
2	11958.2500	934.3916	99	5.96	
6	11285.9700	893.7741			
3	14313.7800	872.9461	99	36.14	*
7	12308.1100	837.1290			
4	10337.1800	900.4756	99	16.29	*
8	9381.8100	900.1362			

(*) Singificant at $P < 0.01$

Table 5 presents a comparison of means, standard deviations, and T-test results of corresponding text structure types representing the effect of direction of disambiguation or the sequence of text fragments. It should be noted that types 1,2,5 & 6 represent retroactive disambiguation, and they correspond respectively to types 3,4,7 &8, which represent proactive disambiguation. Types, 1,3,5 &7 represent distant

According to table 3, the eight experimental conditions rank order as follows in terms of reading time;

- 1- Distant non-biased retroactive disambiguation.
- 2- Distant non-biased proactive disambiguation.
- 3- Distant biased retroactive disambiguation.
- 4- Distant biased proactive disambiguation.
- 5- Immediate non-biased retroactive disambiguation .
- 6- Immediate biased retroactive disambiguation.
- 7- Immediate non-biased proactive disambiguation.
- 8- Immediate biased proactive disambiguation.

This rank order shows that immediate disambiguation takes less time than distant disambiguation. This is only intuitive by virtue of the latency created by the distancing text. What we need to know, however, is the effects of bias (biased vs. non-biased), the direction of disambiguation (proactive or retroactive), and finally, bias and direction combined. To achieve this, a cross comparison between corresponding pairs of experimental conditions was conducted in the following fashion:

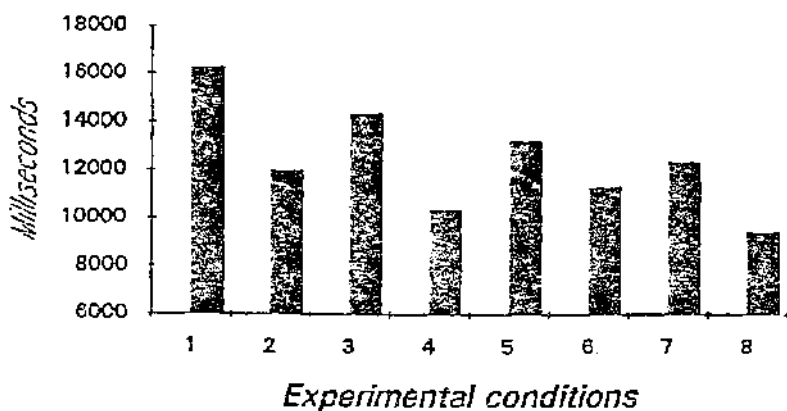
Bias:	1x5; 2x6; 3x7; 4x8
Direction:	1x3; 2x4; 5x7; 6x8
Bias & Direction:	1x7; 2x8; 3x5; 4x6

Table 4 presents a comparison of means, standard deviations, and T-test results of corresponding text structure types representing the effect of bias. As shown in this table, reading time was significantly higher in condition one as compared to condition five, in condition two as compared to condition six, in condition three as compared to condition seven, and in condition four as compared to condition eight. T-test results show that the differences between pairs of conditions were statistically significant at $p < 0.01$, except in the case of

Table 3: Mean Reading Time in Milliseconds for the Eight Experimental Text Structures.

Condition	N	Mean	Std.dev.	Minimum	Maximum
1	100	16248.0400	869.2564	12601	17869
2	100	11958.2500	934.3916	10029	13968
3	100	14313.7800	872.9461	12128	16003
4	100	10337.1800	900.4756	8890	11989
5	100	13210.8600	939.6645	10129	14977
6	100	11285.9700	893.7741	9897	13620
7	100	12308.1100	837.1290	10837	13989
8	100	9381.8100	900.1362	7889	12049

Figure 2: Reading time in the eight experimental conditions



Sample:

The target sample size was 80ss, but 237 undergraduate students at the Faculty of Education Alexandria University participated in this experiment. Due to the circumstantial nature of the experimental task, the responses of 157 students were excluded, either because they failed to follow the instructions of the experiment, or failed to comprehend the experimental episodes, or because of mechanical problems in recording their responses. In every case, alternative respondents were recruited to participate in the experiment until the target sample size was reached. All respondents were native speakers of Arabic with normal (or corrected) vision, and all were graduates of governmental secondary schools. Each respondent was randomly assigned to one of eight experimental groups.

Apparatus and experimental task:

The stimulus materials were presented in an IBM compatible microcomputer. Response times were measured and recorded using a program written in BASIC. Latency measurements were accurate to within one millisecond.

Respondents were tested individually. Each respondent was seated 50 cm from the computer screen. He/she was asked to rest the index finger of his/her dominant hand on the ENTER key of the keyboard. Respondents were told that they would be presented with a written episode that would appear on the screen in two or three installments. They were further told that they could control the appearance of the episode fragments by hitting the ENTER key. They were supposed to hit the ENTER key after comprehending the fragment. A beep sound indicated the end of the episode, thereon, they were supposed to stop and paraphrase the whole episode to the experimenter. The

respondents were not told that their reading was being timed. A practice demo was given at the beginning of every session. The demo did not include any of the actual stimulus materials. Respondents were allowed to re-run the demo until the experimental task was fully understood.

Pilot study:

A pilot study was conducted with the aim of testing the experimental apparatus, preparing a set of instructions, and exploring any difficulties that might arise during the actual experiment. Ten respondents took part in the pilot study. The results of the pilot study showed that respondents might tend to interrupt their reading before the beep in order to ask the experimenter for clarification. It was also found that some respondents might regard episode fragments as unrelated or nonsensical. The most serious problem was mishitting, that is, pressing the ENTER key longer than necessary resulting in multiple presentations of fragments. All these remarks were taken into consideration when preparing the instructions and the apparatus for the actual experiment.

RESULTS:

The data in the eight experimental groups were rearranged and tabulated according to the eight experimental episode types (see figure 1). For instance, reading time for all instances of immediate proactive non-biased disambiguation (type 1) were grouped from episode 1 of group 1, episode 2 of group 8, episode 3 of group 7, and so forth (see table 2). Table 3 shows mean reading time in milliseconds for the eight experimental text structures, and figure 2 is a graphic representation of the data in this table.

(Notice the equivalence of 'we can turn on the air conditioning unit', and 'we can put off the mud wrestling contest').

A similar set of stimuli was constructed for each of the ten Arabic ambiguous words. The 80 stimulus episodes of the ten words were then put in eight different groups in such a way that each of the eight experimental conditions appeared only once for each word within each group. The episode types were rotated so that the eight groups were equivalent in the number and types of experimental conditions. This was meant to control for any possible primacy effects or intergroup variance. Table 1 shows the rotation of the experimental conditions in the eight experimental groups. For instance, group four comprised episode 1 in experimental condition 4, episode 2 in experimental condition 5, and so forth. Table 2 shows the representation of experimental conditions in the eight groups. For instance, experimental condition 1 (distant retroactive disambiguation-see figure 1) can be found in episode one of group one, episode two of group eight, episode three of group seven and so forth. This table will be used as basis for statistical comparisons among the various experimental conditions.

Procedure:

The aim of this experiment was to measure the reading time for the various experimental episodes. A program was written in BASIC to present the data and measure the reading time in milliseconds. The episode fragments were flashed on the computer screen one after the other in a 'reader controlled text window' (self-paced reading task). A beep sound marked the end of an episode. The program consisted of eight modules, one module for each experimental group.

TABLE 1

The Rotation of the Experimental Conditions in the Eight Experimental Groups.

SEN	GROUP							
	1	2	3	4	5	6	7	8
1	1	2	3	4	5	6	7	8
2	2	3	4	5	6	7	8	1
3	3	4	5	6	7	8	1	2
4	4	5	6	7	8	1	2	3
5	5	6	7	8	1	2	3	4
6	6	7	8	1	2	3	4	5
7	7	8	1	2	3	4	5	6
8	5	6	6	8	1	2	3	4
9	5	6	7	8	1	2	3	4
10	1	2	3	4	5	6	7	8

Table 2

The Representation of Experimental Conditions in the Eight Stimulus Groups.

Cond ition	Stimulus group/Episode									
1	1/1	8/2	7/3	6/4	5/5	4/6	3/7	1/8	1/9	1/10
2	2/1	1/2	8/3	7/4	6/5	5/6	4/7	2/8	2/9	2/10
3	3/1	2/2	1/3	8/4	7/5	6/6	5/7	3/8	3/9	3/10
4	4/1	3/2	2/3	1/4	8/5	7/6	6/7	4/8	4/9	4/10
5	5/1	4/2	3/3	2/4	1/5	8/6	7/7	5/8	5/9	5/10
6	6/1	5/2	4/3	3/4	2/5	1/6	8/7	6/8	6/9	6/10
7	7/1	6/2	5/3	4/4	3/5	2/6	1/7	7/8	7/9	7/10
8	8/1	7/2	6/3	5/4	4/5	3/6	2/7	8/8	8/9	8/10

1- "Never mind the fans,"/ He said after thinking for a while/ "We can always turn on the air conditioning unit". (*biased, distanced, retroactive disambiguation*).

2- "Never mind the fans," / "We can always turn on the air conditioning unit". (*biased, retroactive, non-distanced disambiguation*).

3- "We can always turn on the air conditioning unit"/ He said after thinking for a while/ "So, never mind the fans" (*biased, distanced, proactive disambiguation*).

4- "We can always turn on the air conditioning unit" / "So, never mind the fans". (*biased, non-distanced, proactive disambiguation*).

5- "Never mind the fans,"/ He said after thinking for a while/ "We can always put off the mud wrestling contest". (*non-biased, distanced, retroactive disambiguation*).

6- "Never mind the fans," / "We can always put off the mud wrestling contest". (*non-biased, non-distanced, retroactive disambiguation*).

7- "We can always put off the mud wrestling contest" / He said after thinking for a while / "so never mind the fans," / . (*non-biased, distanced, proactive disambiguation*)

8- "We can always put off the mud wrestling contest" / " So, never mind the fans." (*non-biased, non-distanced, retroactive disambiguation*)

ambiguous fragment from the disambiguating context. This last sentence was always neutral as far as ambiguity resolution was concerned. Its sole function was to distance the ambiguous text from the disambiguating context.

Depending on the sequence of the ambiguous fragment and the disambiguation context, the presence or absence of distancing fragment, and the bias condition, each ambiguous word appeared in eight experimental conditions comprising two or three fragments that, together, form a coherent episode (to be used interchangeably with 'text structure'). Sentences in the parallel experimental conditions were constructed in such a way that they had the same number of words, the same number of morphemes and the same number of transformations, to control for ease or difficulty of comprehension.

The fragment with the ambiguous word, together with the distancing fragment were constructed in such a way that allows more than 250 Milliseconds of Stimulus Onset Asynchrony (SOA) between the ambiguous word and the disambiguating context. This was meant to allow for lexical access and lexical processing (according to the Autonomous Models) to take place (for a discussion of the concept of SOA, see Tanenhaus & Lucas, 1987).

For convenience of illustration an example will be given here in English (see appendix 1 for an example in Arabic): consider the English word 'fan', which has two different meanings, namely, the sense of an air propeller, and the sense of a sports fan, for instance. Assuming that the reader is biased towards the first meaning, the eight experimental conditions for the word 'fan' can be illustrated as follows (refer to figure 1):

It should be noted that, if both readings are maintained until a disambiguating context is encountered, or if no macrotextual or contextual information has been accessed, there would be no difference between reading time in cases where the disambiguating context confirms a biased reading or a non-biased one. Moreover, reading time for texts in which the disambiguating context precedes or follows the ambiguous word should be more or less the same.

METHOD:

Materials:

A list of 40 ambiguous Arabic words was presented to 200 university students, all native speakers of Arabic. They were asked to use each word in a sentence. The list was presented to them in writing, and their responses were tape recorded. The respondents were instructed to consider the words in the list, one by one, and to use each one in a sentence that best expresses its meaning. Responses were then tabulated according to the senses of each ambiguous word, and the number of respondents who favored one sense or the other. 10 words that exhibited response polarity, i.e. high degree of bias towards one meaning as opposed to the other(s) (>90%), were chosen for the experiment. Respondents who participated in the test for bias did not take part in the actual experiment.

200 Arabic text fragments were then constructed, twenty for each ambiguous word in accordance with the experimental conditions outlined in figure 1. The text fragments constructed for each ambiguous word comprised a sentence in which the ambiguous word was embedded, a sentence containing a disambiguating context, and, depending on the experimental condition (see figure 1), a third sentence separating the

processor access a single reading or multiple readings?

- 2- If multiple readings are accessed, does the distance between the disambiguating context and the ambiguous word affect the maintenance of those readings?
- 3- If a single reading is accessed, is it a function of bias or dominant sense?
- 4- If a single reading is accessed as a function of bias, what effect does subsequent context have in the maintenance of this reading?
- 5- If subsequent context is incongruent with a biased reading, does this invoke a process of backtracking?

WORKING HYPOTHESIS:

The present study presumes that higher level (non-textual) knowledge plays a major role in the process of comprehension in general, and the process of lexical disambiguation in particular. It also presumes that higher level information penetrates the process of comprehension all through, and is normally invoked with the minimal textual input. When an ambiguous word is encountered, and the previous context does not provide any clue as to the contextually appropriate reading, an interpretation is adopted as a function of bias or frequency. Two possibilities might take place in this case, i.e. subsequent context may be congruent or incongruent with the selected reading. If subsequent context is incongruent with the selected reading, a process of backtracking will be initiated. The longer the distance between the ambiguous word and the disambiguating context in this last case, the longer the reading time.

- (*) *ambiguous word*
 ⊙ *biased disambiguating context*
 □ *non-biased disambiguating context*
 *intervening text*

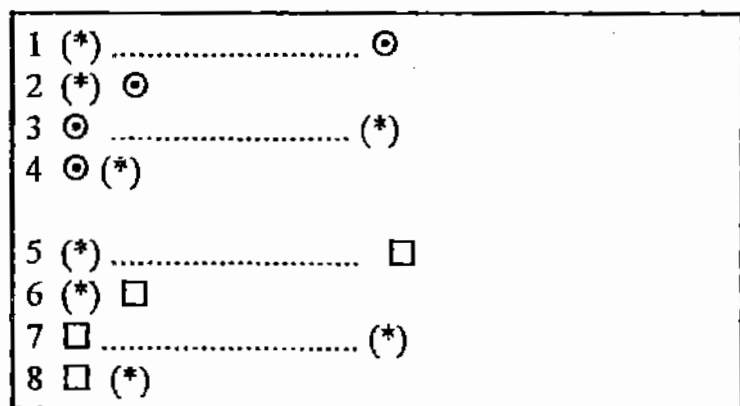


Figure 1-B :A Schematic Representation of the Contextual Disambiguation Mechanisms

STUDY QUESTIONS:

The study seeks to answer the main question of when and how higher level (non-textual) information penetrates the process of comprehension; is it accessed spontaneously, or only when the process of comprehension stalls (i.e. when textual input is insufficient or ambiguous)? Is it always present at conscious level or is it accessed in a self-optimizing fashion? This question gives rise to the following questions:

- 1- When an ambiguous word is encountered and the previous context does not provide any clue as to the contextually appropriate interpretation, does the

1982; Ryder and Walker, 1982; Oden and Spira, 1983; Hirst, 1987). If we take bias into consideration, another set of four possibilities will emerge. Thus, the present study will consider eight different contextual disambiguation mechanisms (see figure 1), with the aim of characterizing the role of contextual information, and the way such information is accessed and utilized in on-line comprehension.

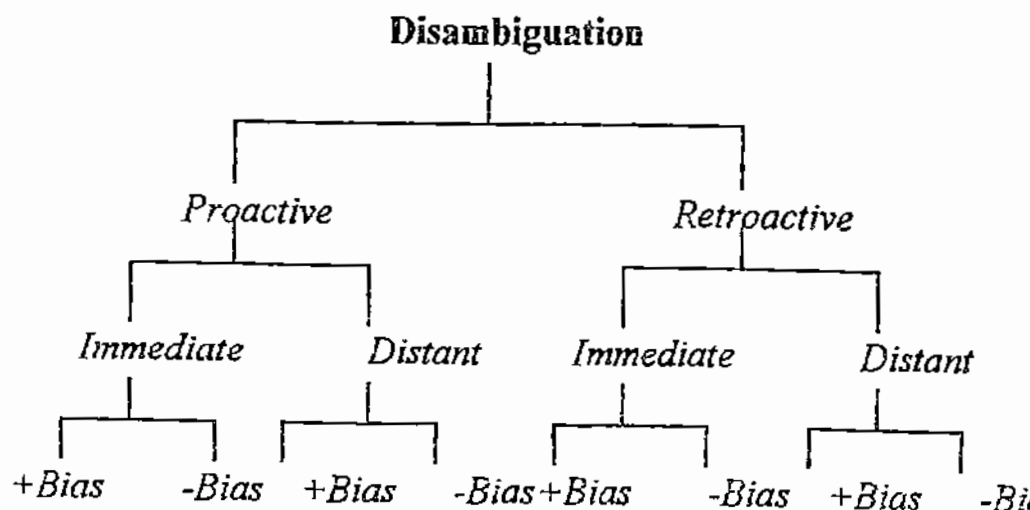


Figure 1-A :A Diagram Representing The Eight Disambiguation Mechanisms.

organization and re-organization of input information. Lexical ambiguity is not necessarily resolved by information present in the same sentence in which the ambiguous word occurs, as assumed in the majority of experiments. Also, ambiguity is not necessarily resolved by subsequent context exclusively, as it has often been assumed. In addition, disambiguating information is not necessarily present in the immediate sentential context, but it might be traceable in the distant preceding or subsequent context. Above all, bias towards one sense or another of the ambiguous word can play a significant role in the process of disambiguation; schizophrenia patients often interpret ambiguous words only with their most frequent meaning, even if the result is nonsense, which indicates that the most frequent sense is psychologically distinguished (see Hirst, 1987).

Thus, there are four different possibilities of text-context resolution of lexical ambiguity, these are:

- 1- Immediate proactive disambiguation, in which the disambiguating context immediately precedes the ambiguous word.
- 2- Distant proactive disambiguation, in which the disambiguating context precedes the ambiguous word, distanced by intervening text.
- 3- Immediate retroactive disambiguation, in which the in which the disambiguating context immediately follows the ambiguous word.
- 4- Distant retroactive disambiguation, in which the disambiguation context follows the ambiguous word, distanced by intervening text.

To my knowledge, the above possibilities and their permutations have never been considered all together (see Seidenberg et al.

given-new clues. It was also demonstrated that syntax is not sufficient to block context-driven checks for semantic relationships between what is currently being interpreted and what has just been read.

In the Scenario Theory, on the other hand, knowledge plays a major role in the comprehension process. According to this theory, the reader has two different tasks to perform, namely, identifying an appropriate domain of reference (or scenario) that corresponds to what the text is about, and using the identified domain of reference to interpret the subsequent text. So, whereas the sequence of action in the text-based theory is [text---propositional episodes---(knowledge)---interpretation], the sequence in the scenario theory is [text---knowledge---episodes-interpretation]. In spite of the fact that this last theory was tested in a computational framework, it has been criticized on various grounds, not least of which is the questioning of its psychological reality. In addition, it was not completely successful at the computational level (see Arbib et al., 1987). It should be mentioned here that some recent studies (c.f. Walczyk, 1992; Beauvillain, 1994; Andruski, 1994) minimize the role of scripts in the process of lexical access, but, again, the experimental task in such experiments, being word reading or word naming, does not coincide with the nature of script processing. Such findings are often cited in support of the modularity theory.

Since the resolution of lexical ambiguity necessarily involves both textual and as well as contextual knowledge, it can be best explained in a model that is both text-based and knowledge-based. In other words, we need to characterize the relationship between word sense and conceptual mechanisms (e.g. schema, scripts, scenarios, plans) invoked by the processor's inherent capacities as well as its dynamic

indispensable to successful discourse processing and text representation. For a discussion of the important role of inferencing in language processing see Garnham & Oakhill; 1992, Roller et al., 1992; Mondria et al., 1991; Hammadou, 1991.

A good model of language processing should then incorporate an adequate characterization of text and world knowledge (TWK), particularly *how* and *when* such knowledge is invoked and what effect does it have in handling processing difficulties such as structural complexity and lexical ambiguity. In fact, this issue has been addressed in the psycholinguistic literature, albeit unsatisfactorily. In the late seventies and early eighties, two main theories were presented in an attempt to characterize knowledge access, namely, a text-based propositional theory, best represented in the work of Clark (1975), and Clark and Haviland (1977), and a scenario-based theory, best represented in the works of Schank and Abelson (1977), and Charniak (1984). This last theory was developed and tested in a computational framework as in the case of the well-known SAM program (Cullingford, 1978; Schank and the Yale AI Project, 1975).

According to the text-based theory, knowledge plays a limited role in the construction of mental representations. The major problem that the reader encounters is linking together text-based propositions, so the essential mechanism lies in using propositional argument repetition as a means of cohesion. If, and only if, argument repetition fails, is background knowledge invoked. That theory was tested mainly on reference, and it was criticized for overemphasizing the role of syntax. It was found that, although syntactic signals in a given sentence force the reader to look for antecedent to given information, the reader often seems to infer connections in the absence of appropriate

only by extrapolating beyond sentential context. It is true that, compared to lower level information, higher level information cannot be easily subjected to quantitative analysis, and that explains the dearth of experimental research in that respect. Another plague, in my view, is that experimental findings, which are highly contradictory to begin with, are almost always cited in support of one theoretical model or another instead of being utilized in the formulation of a functional model that stems from serious, target-oriented experimentation.

The inadequacy of existing models shows very clearly in any attempt to apply them in NLP systems (see Hirst, 1987). In essence, psycholinguistic theory, to date, has failed to present an adequate functional model of language processing that integrates such aspects as lexical access and lexical and other types of ambiguity in a dynamic relational format. There is a pressing need for a feasible characterization of such phenomena in the design and implementation of AI and MT systems, particularly in the design of lexical data bases to interface with such systems.

One important issue that should be addressed in this endeavor is the integration and utilization of information obtained from previous context (text knowledge), in addition to the listener/reader's experience (world knowledge). After all, text is but a concatenation of sentences that contribute, collectively and additively, to the transmission of a communicative intent. A model that considers single sentences out of their context would fail to capture textual and contextual effects on the process of comprehension. Similarly, a model that regards the reader/listener background knowledge as zilch, would certainly fail to capture information highly relevant to the process of language understanding. It is through such clues that an active process of inferencing is triggered, an activity

RESEARCH PROBLEM AND STATEMENT OF PURPOSE:

The issue of lexical ambiguity resolution is closely related to the notion of lexical access, which is in turn related to the phenomenon of language processing. Any attempt to characterize lexical ambiguity whether for theoretical or for practical purposes (e.g. automatic processing of natural language) should take into consideration the dynamic relationship among these three phenomena. In other words, a model of lexical disambiguation that does not take into consideration the process of lexical access, and the nature of language processing in general is likely to be extremely inadequate. Conversely, models of language processing should comprise an adequate characterization of lexical access, which, in turn, can be best studied in the framework of lexical ambiguity.

One remarkable observation about the studies discussed above is the absence of integration between the various levels of language analysis. Despite the intuitive relationship between lexical access and language processing, both phenomena have been tackled more or less independently. This is reflected very clearly in the inadequate characterization of higher level information in lexical access. The bulk of studies on lexical access, as shown above, were concerned with lexical decision tasks or phoneme monitoring.

Also, studies that attacked the issue of lexical ambiguity resolution were limited to sentential context. It goes without saying that immediate context clues, such as semantic and syntactic co-occurrence restrictions help resolve ambiguities within a sentence. However, in the majority of cases, the sentential context is not sufficient, and ambiguities are resolved

Perhaps the most influential work contradicting the functionalist view is Fodor's Modularity Hypothesis (Fodor, 1983, 1985, 1987). According to this hypothesis, stimulus information passes through three distinct processing systems, namely, transducers, input analyzers, and the central system. He further assumed that input analyzers are 'informationally encapsulated' by virtue of being reflexive, and that the language comprehension mechanism is functionally similar to the perceptual mechanism. The most important implication of this view is that modular processes are completely data-driven, since they resist the cognitive penetration from higher centers. Thus, modular processes take place during lexical access, and central (or Knowledge driven) processes can intervene only later.

It should be noted here that, contradictory to this view, the interactive models of language processing allow for non-modular processes to occur very early during access of lexical items. Thus, the underlying mechanism for language processing is a general cognitive system in which various kinds of knowledge can communicate and interact with one another. Various experimental results that are often cited in support of the Modularity Hypothesis can be interpreted to support the interactive role of contextual information. A good example of this is Dell's (1991) reinterpretation of the data in Levelt et al. (1991); the data were taken to agree with the predictions of a two stage theory of lexical processing, but Dell et al. (1991) discuss how the same data can be reconciled with interactive spreading-activation theories of language production. Recent experimental results (e.g. Berg, 1992; Walczyk et al. 1992; Levelt et al. 1991) can also be interpreted along these lines.

The late seventies and early eighties witnessed a major thrust of studies that tackled the semantic and pragmatic effects of grammar (see Dick, 1978; Forster, 1979; Givon, 1980; Kuno, 1980). Such studies yielded a number of functionalist models of sentence processing based on 'performance grammar'. One famous model, the Competition Model, has prompted a remarkable surge in experimental research, which continues up to the present time. It is a probabilistic model of language comprehension based on a functional theory of grammar in which the relationship between the underlying meanings and intentions, and their surface representations is stated in a direct fashion (for a discussion of the linguistic and psychological assumptions underlying this model, see Bates & MacWhinney, 1981, 1982, 1987; MacWhinney, Bates & Kliegl, 1984; MacWhinney, 1990; Taman, 1993)

One of the long standing controversies in psycholinguistic research, however, is whether language processing is highly interactive or highly specialized, and whether lexical access is an autonomous or integrated process. According to the functionalist viewpoint (see, for instance, Fillenbaum, 1974) language system is considered too impoverished to function independently. It is also argued that the stimuli we receive during language processes are relatively imperfect and inadequate, and therefore unreliable. This makes it mandatory for a language processing system to allow other sources of nonlinguistic knowledge, such as contextual and pragmatic information, to intervene.

In contrast to the functionalist assumption, some researchers (e.g. Chomsky, 1980) argue that language processes can be regarded as a specialized multilevel system which is different and independent from the general cognitive system.

that some of the studies that tackled sentence ambiguity (e.g. Carey, Mehler and Bever, 1970 (pictorial context); Mistler, 1972) did include some attempts at characterizing context effects. The contexts used, however, were either non-verbal, partial, or unnatural. Moreover, the disambiguating contexts almost always preceded the ambiguous item.

The study of Kintsh (1974) presented a serious attempt at the study of text comprehension. His theory treats the text as a "supersentence", where the mental representations of a given text consists of a concatenation of propositions derived directly from its constituent sentences. This concatenation of propositions is called 'text base'. According to this theory, different surface structures, or texts, with the same meaning, can be produced for any given text (for a full explanation of this theory, see also Sanford and Garrod, 1981). This notion of text base and transformations is analogous to the relation of surface structure and meaning in case grammar. Kintsh's theory was criticized on several grounds including the fact that propositions are hard to define. Most important of all, this theory gives no explicit characterization to what happens during reading. It merely assumes that during reading, propositions are extracted from the text (with additional 'inferential' propositions, if necessary). Perhaps the most serious trouble with the theory is that it cannot handle complex materials, since it was initially tested using rather short passages, sometimes single sentences.

In the seventies, a great deal of interest was also undertaken in the comprehension of stories and how it relates to text grammar (e.g. Lackoff, 1972, Rumelhart, 1975, Thorndyke, 1975; 1976). It should be noted here that work on story comprehension was mostly memory oriented. Also, stories do not represent all types of discursive texts, since their structure is rather formatted and predictable.

informational encapsulation and support the context-dependent hypothesis of lexical access.

LEXICAL AMBIGUITY AND MODELS OF LANGUAGE PROCESSING:

Research in the area of natural language comprehension started with fragmentary experiments in free recall, prompted recall, and word association. With the advent of the transformational theory of linguistics the sixties, research attempts focused on correlating ostensible stages of comprehension with the three levels of language proposed by that theory, namely, the deep structure level, the surface structure level, and the lexical realization level. Research in this regard is best exemplified in the works of MacKay 1966; MacKay and Bever, 1967; Foss et al. 1968, and Carey et al. 1970). Also within the framework of the transformational theory, several studies were undertaken to test the effect of different sentence transformations on comprehension time (e.g. Clark, 1965, and Johnson-Laird, 1968).

Attempts to discover the constituents and stages of comprehension are represented in the click-displacement, and phoneme monitoring experiments (Foder and Bever, 1965, Ladefoged, 1967, Reber and Anderson, 1970). The basic assumption of such experiments was that the unit of speech perception corresponds to the constituent. An interesting phenomenon known as 'The Phonemic Restoration Effect' was characterized by Warren (1970). That, in my view, was the first serious attempt at characterizing sentential context effects.

A common factor among all the studies cited above is the disregard for intersentential context effects, or the comprehension of discursive text. It should be noted, however,

processing is data driven and unaffected by any information provided by the syntactic and semantic contexts. Thus, non-lexical information cannot influence the processes occurring within the lexicon, and no cognitive penetration can take place in the initial access of lexical entries.

Seidenberg & Tanenhaus (1987) propose a two-stage model of lexical access in which all possible candidates related to the sensory input are activated in the first stage. They refer to this stage as 'prelexical processing', and assume that contextual appropriateness has no effect on the access process at this point. In other words, the first stage is context-independent and insensitive to semantic or pragmatic interpretations provided by the context. The second stage is called 'postlexical processing', and it involves the use of contextual as well as non-linguistic information such as pragmatic sense and world knowledge. The major problem with this model, as it is the case with similar models, is that it does not present any clear-cut demarcation between the two stages, hence, it provides no answer for the long-standing controversy regarding the role of non-lexical information on initial lexical access. Labeling contextual effects as 'post-access' effects does not resolve the issue in view of the fact that some studies reported contextual effects early in lexical processing (see Seidenberg, Waters, Sanders, and Langer, 1984).

In contrast with autonomous models of lexical access, interactive models (see Marslen-Wilson, Brown, and Tyler, 1988; Marslen-Wilson & Tyler, 1980; 1983; 1987) assume that different levels of processing can operate simultaneously and influence one another. Within this framework, contextual information play a major role in the process of lexical access. Various experimental findings were presented in these and in similar studies to counter the modular notions of speed and

accessed. According to Swinney and Hakes 1976, prior context "aids in the selection of an appropriate reading to retain from those accessed, but does not affect the access process itself" (p. 683). The third model is labeled the One Meaning Hypothesis by Foss, (1970), the Garden Path hypothesis by Conrad, (1974), and the Ordered Search hypothesis by Hirst (1987). It assumes that only the dominant reading is accessed and search for other readings is initiated only when the first reading is found to be contextually inappropriate.

LEXICAL AMBIGUITY AND MODELS OF LEXICAL ACCESS:

Lexical access is usually defined as the process of mapping incoming sensory stimuli onto possible candidates in the mental lexicon (see Tanenhaus, Dell & Carlson, 1987; Tanenhaus & Lucas, 1987). It is also presumed that the process of lexical access involves retrieving all phonological, syntactic, and semantic codes related to a given lexical item. In the case of lexical ambiguity, however, the important question is how the processor identifies the contextually appropriate lexical entry from a number of possible candidates.

One renowned model of lexical access, the Autonomous Model, was proposed by Forster (1979). This model assumes that lexical processing is an independent subcomponent of language comprehension. According to Forster, language comprehension consists of three component processes, lexical, syntactic, and semantic. He postulated three corresponding processors which he labeled lexical, syntactic, and semantic processors. He also assumed that these three processors operate in a linear fashion. Perhaps the most serious (and controversial) claim in Forster's model is the assumption that lexical

Lachman, 1977, Hoppe & Kess, 1980). Many of the studies that tackled this point attempted to relate it to stages of the comprehension process. Despite the intuitive appeal of this trend, it has not yielded any reliable theory of comprehension for two main reasons, namely, the sharp disagreement in research results, and the challenge to surface/deep structures as psychologically valid notions. Most serious of all, in my view, is that the avid interest in this particular research trend has led to the disregard for intersentential effects.

The second issue has to do with psychological models of processing ambiguous sentences. The central question in this regard has been whether all, some, or only one of the possible meanings of a given ambiguous word come to conscious processing, in addition to the role played by context and/or expectation in the resolution of ambiguity. More importantly, in the case of multiple access, is the question how and when is a choice made? This question is particularly relevant to MT and NLP systems.

MODELS OF PROCESSING LEXICAL AMBIGUITY:

Three different models for processing lexical ambiguity can be distinguished: The Prior Search Model (Foss and Jenkins, 1973), Which assumes that prior context somehow determines lexical access. The second model is known as "The Choice-Decision Model" (also labeled the Exhaustive Search Hypothesis by Conrad, 1974, the All Readings Hypothesis by Swinnney and Hakes, 1976, and Hirst, 1987). According to this model, all meanings of the ambiguous word are accessed and checked against the context. In other words, all meanings of the ambiguous word are accessed and processed to determine their compatibility with the context. Thus the effect of context in the interpretive process occurs only after all readings have been

experimental framework, and relevant implications for the theory of language processing and lexical access will be drawn.

ASPECTS OF THE STUDY OF LEXICAL AMBIGUITY:

There are two aspects to the study of ambiguity; first, studying ambiguity in its own right with the aim of finding out how ambiguous sentences are actually processed, whether the different senses of an ambiguous word get activated simultaneously or consecutively, and the extent to which this affects the complexity (the difficulty) of the sentence. This first trend subdivides into two major directions, theoretical and practical; the theoretical direction has, more or less, the same objectives outlined above. The practical direction, on the other hand, is represented by researchers in the fields of Machine Translation (MT) and Artificial Intelligence (AI), who are plagued with the problem of ambiguity in their attempts at developing workable Natural Language Processing (NLP) systems.

The second aspect of the study of ambiguity does not deal with the various types of ambiguity in their own right. Rather, it involves the utilization of experimenting with ambiguous sentences in formulating hypotheses about the process of language comprehension. Obviously, the second aspect of the study of ambiguity is essentially more relevant, for the simple reason that if it is taken as a starting point, most of the questions raised in the study of ambiguity for its own right will be answered more satisfactorily.

Two major issues regarding ambiguity have been extensively researched; one is the relative difficulty of detecting and/or processing ambiguity at the lexical, surface structure and deep structure levels (e.g. Mackay, 1966; Foss, 1970, Mistler-

INTRODUCTION:

It is generally agreed that, in language comprehension, people are seldom conscious of lexical ambiguity and that on-line disambiguation is rather automatic and effortless. Evidence contradicting this commonsense conviction includes Hirst's (also commonsense) remark that contrary to puns and double entendres, which rely on making both meanings of an ambiguous word known to the listener, many jokes are based on leading listeners to perceive one meaning only at the beginning, and then to become aware of the other meaning later (Hirst, 1988). Raskin (1985) discusses the use of linguistic ambiguity in humor. Weiner & DePalma, (1993) describe a category of riddles based on lexical ambiguity, and use category theory to illustrate the function of the accessibility hierarchy in riddling. They relate riddles to parallelism (i.e. the tendency to stay on the same syntactic, semantic, and pragmatic track while processing language). Also, Mohanty (1983) found that the presentation of a lexically or structurally ambiguous sentence causes a significantly greater rise in the rate of a person's heartbeat compared to unambiguous sentences.

The aim of this paper is twofold; first, it aims to present a critical review of the various attempts in the psycholinguistic literature at characterizing the processing of lexical ambiguity, and how such attempts relate to the theory of language processing in general, and the theory of lexical access in particular. Second, it attempts to present a more plausible characterization of the processing of lexical ambiguity that takes into account the shortcomings of existing models and the role of intersentential context in the process of resolving lexical ambiguity. This characterization will be tested in an

Results also show that resolving lexical ambiguity occurs within the framework of a scenario element based on the interaction of text input, text knowledge, and higher level knowledge. Incongruity between textual information and other textual or higher level information has adverse effects on latencies in the processing of language data. Implications for current models of lexical access and language processing are drawn, and a model is proposed on the basis of the experimental findings to explain the nature of interaction between higher and lower levels of information. The model incorporates the process of lexical access and knowledge access in a non-modular fashion, which makes it applicable in the domains of Artificial Intelligence (AI) and Natural Language Processing (NLP).

ABSTRACT

A list of 40 ambiguous Arabic words was presented to 200 native speakers of Arabic to find out the biased reading of each word. Ten words that exhibited response polarity, i.e. high degree of bias towards one meaning as opposed to the other(s) (>90%) , were embedded in ten coherent episodes. Each episode represented one of eight possible textual conditions of disambiguation depending on the position of the ambiguous fragment, meaning bias, and the presence or absence of distancing text. Sentences in the parallel experimental conditions were constructed in such a way that they had the same number of words, the same number of morphemes and the same number of transformations, to control for ease or difficulty of comprehension. The episode types were rotated so that eight groups (data sets) equivalent in the number and types of experimental conditions were created. This was meant to control for any possible primacy effects or intergroup variance.

A BASIC program was written to present the data and to measure reading time in milliseconds. A sample of native speakers of Arabic (n=80) randomly assigned to eight groups (for the eight data sets) were tested individually in a self-paced reading-for-comprehension test through an IBM Compatible Microcomputer.

Results indicate that latency in reading for comprehension is higher in distant vs. immediate disambiguation, for non-biased vs. biased cases, and for retroactive vs. proactive disambiguation. These results tend emphasize the role of bias in activating higher level knowledge structures that guide the process of comprehension. The varying latencies are explained in terms of the reader's attempt to reconcile the maintained scenario with the conflicting information presented in the disambiguating fragment.

**THE ROLE OF INTERSENTENTIAL CONTEXT IN
RESOLVING LEXICAL AMBIGUITY; IMPLICATIONS
FOR CURRENT MODELS OF LEXICAL ACCESS
AND LANGUAGE PROCESSING**

**Hassan A. Taman
Faculty of Education
Alexandria University**

Saussure, F. de, Cours de linguistique generale, Paris, 1957.

Searle, J.R., Speech Acts, Cambridge, 1970.

Wunderlich, D., Pragmatik, Sprechsituation, Deixis, Univ. Stuttgart Lehrstuhl für Linguistik Papier, no. 89, Nov. 1968.

Wunderlich, D., Zum Status der Soziolinguistik in Wolfgang Klein and D. Wunderlich (eds.), Aspekte der Soziolinguistik, Frankfurt am Main, 1972.

References

- Austin, J.L., *How to Do Things with Words*, Oxford, 1962.
- Benveniste, Em., *Problemes de linguistique generale*, vol. I, Paris 1966, vol. II, Paris, 1974.
- Chomsky, N., *Aspects of the Theory of Syntax*, Cambridge, Mass., 1965.
- Coseriu, E., *Teoria del Lenguaje y linguistica general*, Madrid, 1967.
- Coseriu, E., *Sistema, norma e "parola"*. Studi Linguistici în onore di Vittre Pisani, Brescia.
- Davidson, D., Harman, G. (eds.). *Semantics of Natural Language*, Dordrecht, 1972.
- Dik, S.C., *Functional Grammar*, Amsterdam, 1978.
- Ducrot, O., *Dire et ne pas dire*, Paris, 1972a.
- Ducrot, O., *De Saussure a la philosophie du langage*. Introduction to J.R. Searle, *Les actes de langage*, Paris, 1972.
- Fishman, J.A., *Readings in the Sociology of Language*, The Hague, 1968.
- Fishman, J.A., *Sociolinguistics*, Mass., 1971.
- Grice, H.P., Meaning, D.D. Steinberg and L.A. Jakobovitz (eds.), *Semantics*, Cambridge, 1974.
- Gumperz, J., *The Sociolinguistics of Interpersonal Communication*, Working Papers, Urbino, 33, C. 1977.
- Hormann, H., *Psycholinguistics. An Introduction to Research and Theory*, New York - Heidelberg - Berlin, 1979.
- Ionescu - Ruxandoiu, L., D. Chitoran, *Sociolinguistica. Orientari actuale*, Bucuresti, 1975.
- Langages, "Saussure et la linguistique pre-saussurienne", 49/1978.
- Langue française, "La pragmatique", 42/1979.
- Morris, Ch., *Signs, Language and Behaviour*, New York, 1946.

Notes

1 Cf. Saussure, 1967, p. 25 : "La langue est a la fois un produit social de la faculte du langage et un ensemble de conventions necessaires, adoptees par le corps social pour permettre l'exercice de cette faculte chez les individus". See p. 30 : "La parole est au contraire un acte individuel de volonte et d'intelligence".

2 The concept of communicative competence was introduced by sociolinguistics (cf. Del Hymes, On Communicative Competence). Extension of the concept of linguistic competence, the communicative competence is defined as the ability of utilization of language in concrete situations of speech. It was adopted by linguists - pragmatics also. See, for instance, S. Dik, 1978, p. 4-5 : "(Communicative competence is) the ability to carry on social interaction by means of language".

3 In a parallel direction to Saussure's, but independently of him, Peirce laid the base of semiotics as a possibility of a science of signs. Peirce took the name, under the form of semeiotic, from John Locke, who applied it to a science of signs and meanings, having as a point of departure logic itself conceived as the science of language. (See Benveniste, 1974, vol. II, p. 13).

4 See opposition introduced by Searle 1970 : "Regulative rules regulate antecedently or independently existing forms of behavior; for example, many rules of etiquette regulate interpersonal relationships which exist independently of the rules. But constitutive rules do not merely regulate, they create or define new forms of behaviour. The rules of football or chess, for example, do not merely regulate playing football or chess, but as it were they create the very possibility of playing such games". (p.33)

5 In contradistinction to Osw. Ducrot 1972a, p. 4, our opinion is that pragmatics does not substitute the concept of code by that of game, but associates them.

If, from the Saussurian perspective, the idea of institution implies that of system, from a pragmatic point of view, the idea of institution implies that of interaction.

The social character of language, renewed by pragmatics, implicitly favours an extralinguistic approach. The question is : to what extent are requirements imposed by Saussure concerning the autonomy of language still valid?

Saussure's predecessors had to resort to extralinguistic factors in order to find explanations for the changes occurring in language. The social character of language was connected with these changes. The unity of language was determined by the nation as a social unit. For Saussure's predecessors the social criterion had an exogenous nature.

Adopting a polemic position towards this exterior determination, Saussure confers an endogenous character on the social nature of language. From the social character of language, Saussure derives its institutional way of functioning. The socialization of linguistic facts, by implicit convention, ensures their systematic functioning. The social factor rules individual behaviour and determines the stability of language. The individual cannot interfere in language without collective legislation.

In conclusion, for Saussure, the existence of language is autonomous from the context of its functioning, although the latter is the "medium" which enables it to exist. The changes that occur have an internal cause.

From the pragmatic point of view, the endogenous nature of the social character of language is still valid, but it concerns linguistic activity. Language itself viewed as interaction, becomes a form of intersubjective relation. The constitutive rule of reality by language presupposes a mutual determination of individuals in their entire psycho-social connection. In contradiction to psycho- and sociolinguistics, which study linguistic variation depending on psycho-social factors, in pragmatics, psycho-social distances represent the distributional element of interactional linguistic energy. The mechanism of linguistic interaction has internal causes of development : each act is justified by the preceding one and generates the possibility of the following one. Linguistic interaction is self sufficient, justifying, once more from the pragmatic point of view, the idea of a functional (this time not a systematic) autonomy of language.

The reproach made by Ducrot (1972, p. 33) to Saussure that he places the definition of language inside the communicative relation and then abandons this idea, appears, from the pragmatic point of view, as a rectification.

For Saussure, the conventional and coercive character of linguistic data is a consequence of language's functioning as an interindividual reality. In language private property does not exist, as Jakobson says : everything is socialized. To speak or, more accurately, to "practice" a language means to enrol in a vast institution, signing a contract by which one undertakes to observe its norms. Breaking that contract means being rejected from the complicity of mutual "intelligibility".

At the pragmatic level, linguistic activity is not spontaneous, but governed by rules. Linguistic convention concerns not only the relation between the sign and the referent or the relation between the signs themselves, but also the relation between the sign and its context of use.

The standardized connection of the sign with the moment of speech reveals the intention with which the sign was used. The conventional character of the pragmatic data represents a way of access to the generator of the act of communication. We thus recognize that particular quality of language by which it enables a subject to open himself to the world.

Not only is pragmatics unhindered by the paradox of the conventional character of the act of "speech", but it even amplifies it, transforming speech into a vast ceremonial. The institution of language, at the pragmatic level, is not just viewed as the constraint of the system or norms, but as a possibility of the individual to enrol in ritualized activity. Because it lies at a junction-point of individual and interindividual, pragmatics discovers a new aspect of social integration, achieving a fundamental theoretical mutation. Integration in interindividuality represents - beyond a "free" acceptance, under the pressure of necessity, of a social coercion - the opportunity to set up a reality. Subscribing to a convention means gaining access to freedom of initiative. Consequently, the institutional character of language reveals itself not only as functioning of the code, but also under the form of linguistic interaction.. In this respect, linguistic practice is possible, in the first place, by virtue of certain constitutive rules and not by virtue of regulative rules⁴.

Reconsidering Saussure's metaphor of the game⁵ of chess, we can give it a new interpretation : linguistic activity is like a game in which the partners impose upon each other situations which allow for openings to new mutations (changes of state, acts). Linguistic interaction is one of the modalities of social integration of the individual, an integration which results in a unitary and cooperative plural. An interagentive relation manifests itself simultaneously in a coagentive form.

the notion of linguistic act (in French it is also possible to use the notion of *acte de langage*). Searle, in order to avoid this confusion, makes the following specification: "I shall approach the study of some of these problems in the philosophy of language through the study of what I call speech acts or linguistic acts or language acts". (1970, p. 4).

The domain of linguistics comprises fields 7 and 8, therefore, supplementing "linguistic competence" (in the sense given by Chomsky) by pragmatic competence. We are introducing the concept of pragmatic competence equivalent to that of communicative competence, but, from the theoretical point of view, more powerful and unambiguous². If *langue* sends us to the field 7, introducing pragmatics into linguistics, it is implicitly possible to extend the concept of language itself. Language means not only a set of rules, relations or entities in relations, but also rules and relations in action. It is not only a produce, it might be understood as an activity as well. Pragmatics is the field of intersubjectivity, but not of a concrete or material present. It is the field of practice, of linguistic activity seen from the perspective of its institutional manifestation.

Including pragmatics in the study of language we thus witness a new process of resemiotization of linguistics, i.e. the reintroducing of linguistics in the study of signs and symbols.

The first introduction into semiotics was made by Saussure, defining language (*la langue*) as a semiological institution: "*La langue est un système de signes ... On peut donc concevoir une science qui étudie la vie des signes au sein de la vie sociale ... nous la nommerons semiologie (du grec semeion, [signe]). La linguistique n'est qu'une partie de cette science générale*". (p. 33)³.

Nowadays the semiotic dimension of linguistics is achieved on the basis of Morris' views (1946). According to him, semiotics has three components: syntactics - the study of the formal relations of signs to one another, semantics - the study of the formal relations of signs to the objects to which the signs are applicable, and pragmatics - the study of the relations of signs to the interpreters (p. 217).

The advantage offered to linguistics by its semiotic interpretation is that language regains a third dimension, the pragmatic one, which means that the study of language is placed inside the process of communication. The semiotic perspective renders the integrated image of language, reevaluating its communicative valences.

Therefore, by extending the concept of language, we regain its integral dynamic dimension and, at the same time, we reaffirm the social, interindividual character of language, present in Saussure's definition.

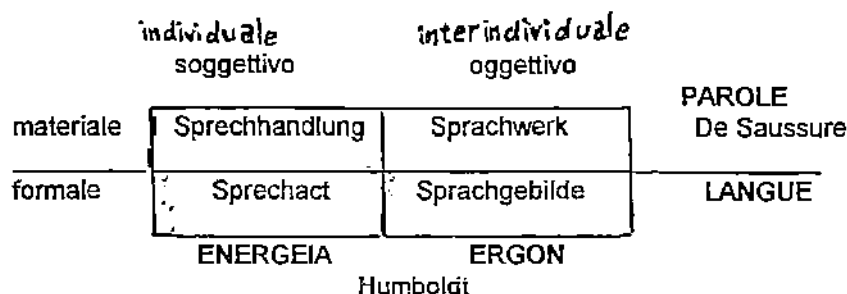
1. indiv. sub - mat - produce	- Realizzazione concreta	} parole
2. indiv. sub - mat - activity	- Sprechhandlung	
3. indiv. sub - form - produce	- Norma individuale	} performance
4. indiv. sub - form - activity	- Sprechact	
5. interind. ob - mat - produce	- Realizzazione normale	}
6. interind. ob - mat - activity	- Dialogue	
7. interind. ob - form - produce	- Sistema / linguistic competence	
8. interind. ob - form - activity	- Pragmatic competence / ling. act; acte de langage	

The field of pragmatics - as we can see - is placed on the intersection of the features : interindividual - formal - dynamic / activity and corresponds to pragmatic competence. It is correlated with dialogue in the field of material feature. It is opposed to the concept of "langue" (sistema) being an activity (dynamic) and not a produce (static), and it is opposed to the concept of norm by the same opposition (which, however, differs from the system at the level of the opposition material - formal), and, finally it is opposed to the concept of "parole" at the level of the oppositions interindividual - individual, formal - material.

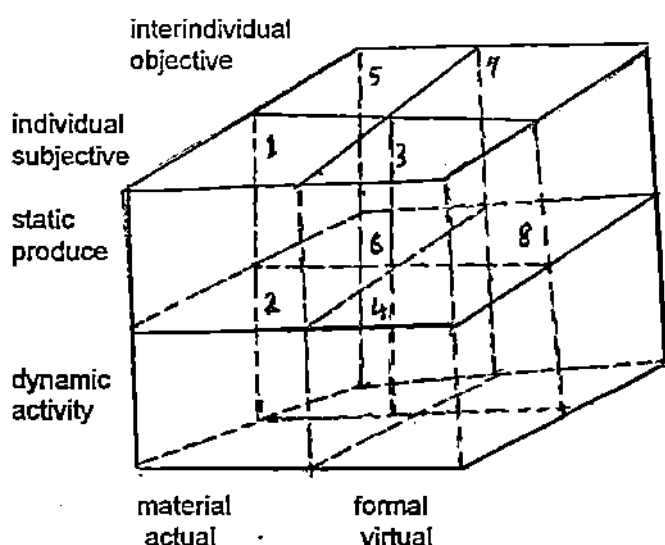
The equivalence of Saussure's opposition langue - parole to Chomsky's competence - performance which was too hastily established for the sake of symmetry, obscures linguistic reality. The concept of performance corresponds only partially to that of parole; it also overlaps the concept of norm of usage, introduced by Coseriu. If, on the basis of competence, we can generate the totality of possible correct sentences in a language, performance chooses only those accepted by "usage". Thus, theoretically it is possible to generate an infinite recursive sequence, but practically it is rejected by usage.

The matrix justified the position of those linguists who tried to fix pragmatics at the level of language, i.e. at the level of formal and interindividual. For instance, Searle asserts : "It still might seem that my approach is simply, in Saussurian terms, a study of 'parole' rather than 'langue'. I am arguing, however, that an adequate study of speech acts is a study of langue". (1970, p. 17). See also D. Wunderlich, (1968, p. 1) : "Keineswegs handelt es sich um Phänomen der sprachlichen Performanz". Or : "Eine Theorie der sprachlichen Kompetenz notwendig eine Pragmatik der Sprechsituation einschließen muß." (p. 4). Meaning : "It does not definitely deal with a phenomenon of speech performance". Or : "A Theory of speech competence does not necessarily have to include a pragmatics of speech situation".

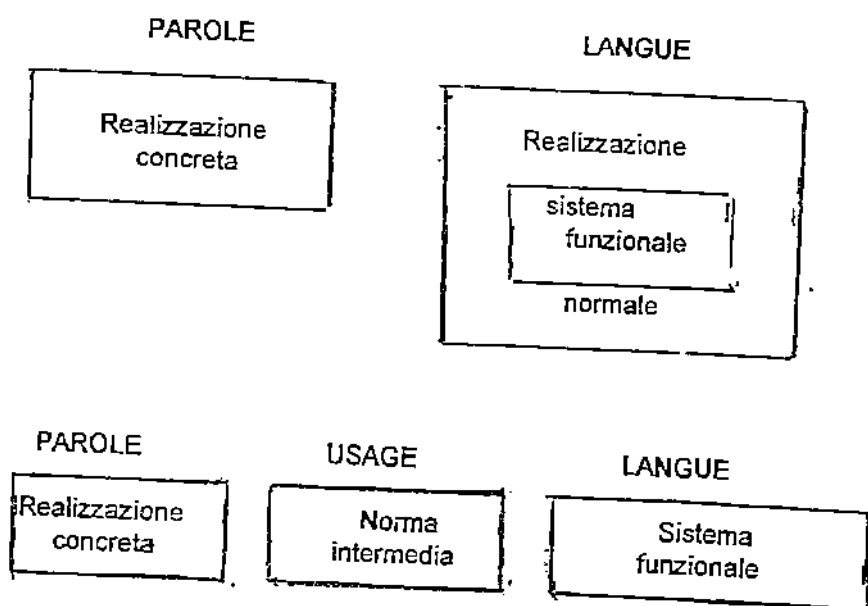
In order to avoid a possible confusion concerning the concept of speech act in relation with one of the terms of Saussure's oppositions it is preferable to use



We are trying to outline a diagram having three axes, corresponding to the series of three oppositions : static - dynamic (or produce - activity, corresponding to ergon - energeia), individual - interindividual (or subjective - objective), material - formal (or actual - virtual / possible). Although the three oppositions were introduced by Buehler into his diagram, he did not take them into account. We thus have the following model :



In accordance with the matrixes obtained by combining three features we can fit in the various concepts put forward by different authors dealing with the respective problem:



"La langue non è solo sistema funzionale ma anche attuazione normale, oppure si presenta imprescindibile la necessità di trovare per esse un terzo campo, per esempio quello che certi studiosi hanno identificato vagamente col cosiddetto uso linguistico, che dovrebbe essere qualcosa come una norma intermedia e secondaria permessa dal sistema stesso e la parole." (p. 245 - 246). "La distinzione fra sistema e norma risolve le difficoltà della dicotomia langue - parole e contribuisce a chiarire il funzionamento del linguaggio, l'attività linguistica, come creazione e ripetizione (recreazione), movimento obbligato e movimento libero, nel quadro delle possibilità offerte dal sistema" (p. 252).

From our point of view, in order to find a place for pragmatics inside linguistics, it seems more effective to combine simultaneously several features, bearing in mind the same idea of refining the distance langue - parole. The concept of norm, introduced by Coseriu, only partially solves the problem of pragmatics. It represents a socially performed aspect of the linguistic fact, concrete and like language itself, it is a produce and not an activity. It is useful to follow the series of triple oppositions : parole - norma - sistema : actual - actual - conceptual, individual - social - social, concrete - concrete (with an increased degree of abstraction) - abstract.

Taking Buehler's diagram (Coseriu, Sistema, p. 238) as the starting point, a diagram which besides Saussure's opposition, introduces Humboldt's (energeia - ergon, i.e. activity - produce) :

meaning is "to perform / to carry out an action", acquires, during its imperative utilization, the sense of a command : Do what I say ! The sentence It's late ! has, in certain situational contexts of use the sense of It is time to go home or Let us go home !

There is no longer any distinction between language, which fixes the sense, and speech, which communicates it. At the same time, the effects of speech on discourse situations are not accidental, but governed by rules : "Nous voulons seulement faire apparaître que la signification enregistrée par la langue comporte, comme partie intégrante, certaines conventions qui fixent, arbitrairement, les effets de l'emploi sur la situation de discours". (Ducrot, 1972, p. 25).

In the attempt, based on the above-mentioned arguments, to extend the concept of "speech" and, consequently, that of "linguistics", we have retained only the need of extending the linguistic area so as to cover the field of pragmatics and that of "parole". We consider erroneous the attempt to fix pragmatics inside the opposition "langue - parole".

The opposition langue - parole had for Saussure a special methodological function and we consider its elimination to be inefficient. The respective opposition represents, from the linguistic point of view, the equivalent of the philosophical oppositions general - particular, static - dynamic, abstract - concrete, formal - material, possible - actual, constant - occasional, ideal - phenomenal, and, finally, metaphysical - physical. "En séparant la langue de la parole, on sépare du même coup : 1^o ce qui est social de ce qui est individuel; 2^o ce qui est essentiel de ce qui est accessoire et plus ou moins accidentel" (Saussure, 1967, p. 30).

However much we might try to assign to speech the features of language, it remains an irreducible element, phenomenal, concrete and individual in character, which sends us back to Saussure's concept. Trying to abolish or displace the respective opposition means contradicting a philosophical presupposition without offering a substitute.

E. Coseriu, in his studies *Teoria del Lenguaje y linguística general* and *Sistema, norma e "parola"*, achieved a first step towards establishing shades in the Saussurian distance and not shortening it, through the fact that he introduced the concept of norm, an intermediary between "langue" and "parole". In contradistinction to those who are trying to do away with the concept of speech (in the Saussurian acception), Coseriu lays down a new distinction inside the concept of "langue" namely *realizzazioni normale / sistema funzionale*.

We thus have :

THE DILEMMA OF PRAGMATICS

Pragmatics is the field of linguistic practice, language in action, the use of language; it is the moment of how the sentence functions in actual speech situations. At the same time, pragmatics is the field of conventional utilization of linguistic elements in well-determined situational contexts. It concentrates on the ritualized modalities of using language.

These two features, seen and understood simultaneously, contradict the Saussurian langue - parole. "La langue" has an institutional and standardized character by virtue of a social consensus. It represents the coercive factor, the social constraint upon the individual. In opposition with it, "la parole" represents the active aspect of language, the free and spontaneous action of the individual, the generative moment of language ¹. Pragmatics seems to belong to both of them

The standardized character of linguistic practice is the argument - but not the only one - put forward by pragmatics in favour of the abolition of Saussure's rigid opposition.

Since sociolinguistics aims at demonstrating the systematic covariation of linguistic and social structures, it adopts a polemic position, similar to the one we have mentioned above. The idea of structure is extended to speech as well. At the same time, "free variation" is not truly free, it is correlated with systematic social differences. The actual facts invalidate the theoretical conclusions concerning the exclusive autonomy of linguistics, according to which languages are uniform, homogeneous and monolithic structures.

To the argument of the standardized and conventional character of linguistic practice we add both the argument of the presence of subjectivity in language and the argument of the limitations of linguistic semantics. The last two arguments speak about the penetration of "speech into language".

On the one hand, Em. Benveniste (1974) noticed the presence in language of some entities whose status is generated by the act of speech and which are the self reference elements : the class of deixis, performative and delocutive verbs, the imperative, the vocative etc. : "Il faut donc distinguer les entités qui ont dans la langue leur statut plein et permanent et celles qui, émanant de l'énonciation, n'existent que dans le réseau d'[individus] que l'énonciation crée et par rapport à l'[ici-maintenant] du locuteur (vol. II, p. 84).

On the other hand, Osv. Ducrot (1972) noticed that the sense cannot be reduced in its totality to the sense derived from language. What must be added is the value acquired by words in the process of speech. The verb to do, whose

The Dilemma of Pragmatics

Abstract

F. de Saussure's langue/parole distinction cannot be abolished without serious logical and philosophical consequences. E. Coseriu's concept of norm (*The Theory of Language and General Linguistics*, Madrid, 1967) as an intermediary between langue and parole is discussed. It is argued that N. Chomsky's competence/performance opposition obscures linguistic reality. The role of pragmatics in the study of language is stressed.

Notes

1. See by way of example, Morrissey (Fall 1991), Durham (Spring 1990) and White (Summer 1988).
2. See Ryan (Spring 1990) for a different handling of the question of self and other in this novel.



Eventually the memorial is something of an abstraction. It "cuts a V in the ground, like the wings of an abstract bird, huge and headless" (239) while Dwayne Hughes' name is "A scratching on a rock. Writing. Something for future archaeologists to puzzle over, clues to a language" (244). The memorial then stands as a stylized edifice to unanswerable questions burying within itself the facts and the fantasy, the confrontation and the escapism, and the guilt shared by the self and other, but ultimately it resolves nothing. Although critics have referred to Emmett's phoenix-like renewal at the site (Booth, Brinkmeyer), healing and hope both remain as fragile as the limp carnation and geraniums brought to the black structure.

As a modernist novel, *In Country* has raised rather than answered questions, and it brings its stock of unanswerables to the Vietnam Veterans' Memorial. In its failure to provide answers the memorial in turn is not only in the modernist tradition but at the very heart of American culture. As a stylized edifice to unanswerables, the memorial relates directly to the American tradition. Isn't *The Scarlet Letter* with its stock of unanswerables one of the most stylized novels ever written?

The Vietnamese used anything the Americans threw away--bomb casings and cigarette butts and helicopter parts and Coke cans. It was like Emmett rigging up things in the house. It was Vietnamese behavior ... making do with what he could scrounge. The Vietnamese could make a bomb out of a Coke can.

Emmett had helped kill those Vietnamese, the same way he killed the fleas, the same way people killed ants. It was easy, her father wrote (209).

If ultimate truth is not knowable and the mistakes of history inescapable, where then does Sam's quest lead? Subdued by her new found wisdom, "she will never really know what happened to all these men in the war" (204), Sam, her uncle and grandmother, three Vietnam "casualties" end up at the Vietnam Veterans' Memorial in Washington. But what is the memorial? Barbara Ryan asks "Is the memorial the homage of a grateful government or a symbol of wasted lives and a war fought for unknown causes?" (210) Mason is careful to give multiple views of the monument. It is "a gleaming pencil against the sky" (238), "a black gash in the hillside," "a giant grave" (239). Architecturally it is ironically similar to an American icon, "the white wings of the shopping mall in Paducah" (240). To keep up its sombre appearance, the memorial stands in constant need of touch-ups. The words "NEVER AGAIN" (241) seen in its proximity will most certainly be hollowed out by the shortness of human memory.

History whether personal or national cannot be understood by facts alone. "The books didn't say what it was like to be at war over there" (48). Since there are as many Vietnam stories as there are veterans, Sam concludes that history and a historical persona have many facets and will therefore remain elusive.

Not only is history not reversible, it is bound to repeat itself. In a fit of impatient indignation Emmett blows up at Sam,

"You can't learn from the past. The main thing you learn from history is that you can't learn from history. That's what history is" (226).

Whatever healing is offered the veterans remains something less than potent. The official and qualified V.A. with all their technological gimmicks remain as inept as Sam with her good-natured but amateur gestures. The hurts of the veterans remain as complicated and irreversible as Buddy Mangrum's failing health and his child's birth defects. Again closing the circle between self and other, the soldiers of *both* sides are referred to, in a touch of Shakespearean irony, as insects. If the Vietnamese are called "fleas" or "ants", the fact remains that one of the main American protagonists is also named Emmett or ant. The self is inextricably linked with the other. Although the Vietnamese are more in the background, there are repeated indications that the unjust killings and the consequent degeneration of mind and body were mutual experiences. At one point, the inevitable interaction between self and other is referred to in mundane, perhaps even comic terms.

characters "grapple less with problems of right and wrong than with matters of technological progress and utility" (Brinkmeyer, 22). Although she does not denounce Biblical sins with resounding Biblical language, the landscape she presents so matter-of-factly is one of moral apathy, one which possesses "the geography of a 'waste land'" (Booth, 99).

Sam thought about how it used to be that getting pregnant when you weren't married ruined your life because of the disgrace; now it just ruined your life, and nobody cared enough for it to be a disgrace (103).

If Hopewell, America in miniature, abounds with "cultural confusion" (Brinkmeyer, 23), is it any wonder if such behavior is transposed on to the government and a Vietnam war is fought?

Such knowledge will not, however, carry with it a solution. Sam may have, unlike her mother and uncle, doggedly pursued facts, but she has also discovered that facts can be hopelessly inadequate:

She thought of all the documents on file there that were connected to her--her parents' wedding license, birth certificates, death certificates. She wished she had copies of all these official proofs that she was who she was, but it was a silly thought (96).

Even more perversely, this immature culture seems bent on turning, in retrospect, its war horrors into playthings like plastic "M-16s and M-60s, tanks, mortars, choppers, fighters" (112). This American syndrome appears to go back much further than Vietnam and will not stop at desecrating history by turning it into farce for consumer purposes. As Sam is taking a trip through the years trying to read her father's diary, she is obscenely approached by a stranger.

The man was wearing a Confederate - flag
T-shirt that said I'M A REBEL AND
DAMN PROUD OF IT (201).

But even as Sam keeps bumping into such naive horrors, she continues to live in a world where junk food, shopping malls and, flashy ceramic cats are substitutes for meaningful relationships.

In the context of the over-all structure of the novel, Sam's petty experiences are invariably weighed down by overtones. Her uncle Emmett, another Vietnam veteran, digs up the foundation of the house to fix a leak saying:

"You take a structural weakness. One
thing leads to another, and then it all falls
apart" (60).

The apocalyptic message here may be a far cry from the fire and brimstone jargon of the early New Englanders, but the message is just as viable. Booth calls this novel "a lament for America in the aftermath of Vietnam" (100). Mason's denunciations are not of moral laxity, for her

from Lonnie and his family. Responding to a newspaper account of a house decorated "with hurricane posts wrapped in satin ... [and] crepe paper streamers," Sam reflects, "Packaging was supposed to deceive...but it never really did." This seemingly casual statement acquires horrific proportions when applied to Vietnam. "Her father came back from the war in a plastic bag. Attractive and efficient. A good disguise" (120). When horror is compared to a popular American icon, it becomes even more gruesome. "His corpse in the body bag was probably like hamburger" (102).

The duality of infantile deception and mature but searing knowledge, not only in Sam but as a feature of American life, is sustained throughout the novel. Irene, Sam's mother, points out to her that it was country boys who believed the Vietnam rhetoric. One of those country boys was Dwayne Hughes, Sam's father, and some of this naivete comes through in his letters and diary. But these same country boys, including Dwayne, were also guilty of unspeakable horrors "some of them cut off the ears of the enemy for souvenirs. It was awful. They brought them home and showed them off" (123). And it is not only individuals who combine such infantile naivete with willful destruction, but the nation as a whole.

"That explains what the whole country was doing over there. The least little threat and America's got to put on its cowboy boots and stomp around and show somebody a thing or two" (221).

treatment of the Indians, the civil war, all an aberration of the American ideal of the city on a hill and all bringing to the fore the need to examine and correct. Robert Brinkmeyer rightly sees in the novel "the tension between a facile American optimism that overlooks the dark sides of history and the knowledge of defeat and despair in the Vietnam experience" (32). Behind this statement one reads the American dilemma of reconciling the myth of American innocence with Melville's famous "power of blackness" (828) manifesting itself in the many misdemeanors of American history. This paradox surfaces in the thoughts of Sam Hughes as she contemplates the duality of American life.

America the beautiful. It is beautiful indeed The United States is so peaceful and well-organized It is a good country. But she keeps getting flashes of it through the eyes of a just-returned Vietnam soldier The soldiers must have felt...as though they belonged nowhere (231).

In keeping with the American literary tradition of making a small town a metonym for the USA, Hopewell aptly named, provides a taste of Americana. Dubbed "Dopewell" (233) by one of the characters, the town thrives on provincialism, broken relationships, TV fantasies, fast food chains and heady optimism. Hopewell encapsulates the infantile pursuits of American culture, best exemplified in the lives of its residents such as Sam's boyfriend, Lonnie, and his family, with their fancy weddings, frilly bedrooms and cute spice racks. Significantly, as Sam matures she comes to see the sham exterior and shies away

circle between the seeker and what is sought and bringing together the self and other. And who is the other in this novel? It is not only the culprit American government, but also the victim Vietnam veteran, and even the more remote Vietcong, the enemy.²

Sam's quest is foiled from the very start by American popular culture. David Booth describes this hallmark of Mason's fiction. "Few writers have made better use of resources from pop culture to structure their narratives or give body to their characters than Bobbie Ann Mason" (98). When we first meet the heroine, she is on the road to Washington to visit the Vietnam Veterans' Memorial. Mason turns the road journey into a minute and faithful account of day to day American life in the summer of 1984: election campaigns, pop songs, brand names, lists of prices. Sam sees the road as the vortex of American life,

She sits by the pool, watching the traffic--
an endless river of it, families on vacation
and salesmen out patrolling their territory
and weirdos on the prowl and trucks
hauling goods. Everything in America is
going on here, on the road (17).

This scene--and it is not the only one in the novel--establishes the close link between the personal and the national; it makes of Sam's quest for a father figure a lance which attempts to cut through the heart of America.

In this reading, Vietnam represents more than the drawn-out guerilla battles of the sixties; it becomes a trope for other historical tragedies: the witch-trials, slavery, the

vulnerability of old wounds, she frisks about, making household terms of Vietnam and things associated therewith. As a result of her perseverance, the father figure whom she seeks and who is encased in a certain historical reality, gradually emerges first as an unassuming and "colorless" photograph and eventually as a much more human but disastrously disappointing character. That such a discovery should prove to be the scourge of maturity is to be expected from a novel of initiation. Although Sam is more confused than enlightened she, nonetheless, emerges at the end of the novel as a much chastened figure; the quest has been her rite of passage.

Sam's quest for her father should by necessity point to another, simultaneous reading, that of allegory on the national level. It is an allegory of the American experience at large, depicting in images and tropes the persistent American obsession with self-discovery in a national context. While critics have recognized this link, they have limited it to an inquiry into the post-Vietnam era; I see it as an attempt to probe the very ethos of America.

In this reading of the novel Sam Hughes represents something more than a teenager coming of age; in her the personal and the national meet. The name Sam is bisexual, standing for both Samuel and Samantha, also for the American voice of authority, Uncle Sam. Thus Sam is at once a representative of the American public and the American government, Mason also includes her heroine's name Sam A. Hughes, on the Vietnam Veterans' Memorial. "How odd it feels, as though all the names in America have been used to decorate this wall" (245) hereby closing the

Bobbie Ann Mason's *In Country*: Vietnam, A Matrix
For Personal and National History*

Since its publication in 1985, Bobbie Ann Mason's *In Country* has attracted a fair amount of attention from critics. Its link with Vietnam, its imagery, its handling of popular culture, its quest motif have--among other things--been recognized by critics.¹ However, in my opinion this rich novel has not received enough attention not only as an inquiry into the Vietnam war but as an allegory of the American experience as a whole. *In Country* is at the heart of the time honored American tradition of Hawthorne Faulkner and Styron: expressing the need to exorcise the demon of historical guilt in order to heal the image of the bruised self.

On one plane, *In Country* is a novel of initiation at the center of which is Sam (Samantha) Hughes' attempt to discover her identity. Being the posthumous daughter of a Vietnam veteran, her main target is to retrace her father's role in the disastrous war. Sam fulfills all the requirements of the quester. At age eighteen and on the brink of a college career, she is at the crossroads between childhood and adulthood. Embodying the innocence and enthusiasm of a novice, she believes all answers are available if she tries hard enough. Relying on books, mass media and direct questions, which reveal great insensitivity to the

* This paper was first read in April 1994 at the First International Conference on Literature, Linguistics and Translation at Yarmouk University in Jordan.